سمير شيخاني

أدباء

موسيقيون

مخترعون ومكتشفون

رحالة

قادة وفاتحون

مع الخالدين

نساء

مصلحون

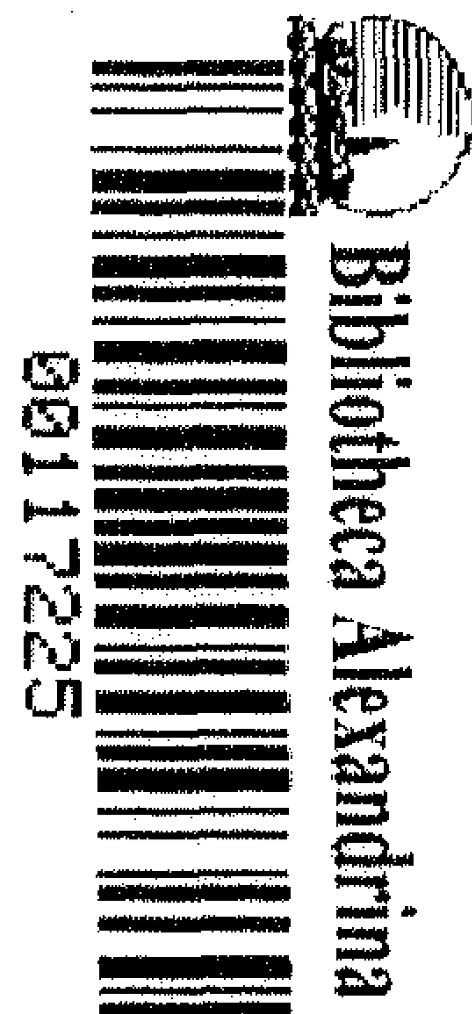
فلاسفة ومفكرون

الطبعة الثانية
منقحة ومزيدة

شعراء

سياسيون

يُطلب من مكتبة مدبولي القاهرة



سهيل شيخاني

مع الخالدين

منشورات «دار السمير للطباعة والنشر»

رسوم الخالدين على الغلاف الاخير
بريشة الفنانة الفرنسية
Jacqueline Chaumont

تصميم الغلاف والاخراج الفني
سمير شيخاني

من اقوال الأدباء
في كتاب سمير شيخاني
مع الخالدين في طبعته الأولى

هذه نتف من بعض ما قيل
في هذا الكتاب
يوم صدرت طبعته الاولى
سنة ١٩٥٩ .

« ... هو كتاب سير موجزة ، يدل بالقطرة على البحر ... ينقل الينا طرائف وروائع من تجارب افذاذ عظماء ، رجالا ونساء ، غربيين وشرقيين ، بعدوا عنا وقربوا منا في مسافة الزمن ... كلهم تمرس بالحياة ، وكلهم لم ينقطع عن الحياة الا وقد ابقى فيها ميراثا ... »

رئيف خوري – ١٩٥٩/٧/٢٩ (النهار)

*

« ... انه موسوعة حضارية ، ودرس طويل بليغ في الرجولة . فالخالدون الذين يتحدث عنهم الكتاب ، ويعرض باختصار احداث حيواتهم ، ويرسم موجزا لاعمالهم ومآتيهم ، هم الاساس الذي تقوم عليه مدنية الانسان الحديث ، ومنارات يهتدى بها ... »

عبد اللطيف شرارة – ١٩٥٩/١٠/١١ (الجريدة)

*

« ... ان « مع الخالدين » حوى عدا الافادة الجمة في فصوله القيمة ، بهاء اللفظة وجمال الاسلوب ، وروعة التعبير ! .. »

طه حسين – ٥ آب ١٩٥٩ (من رسالة خاصة نشرت في الصحف في حينها)

« هو مأدبة ثقافية متنوعة الالوان والمطابخ . اعدها الاديب سمير شيخاني من السندويش المغذي ، وقد اجاد طهيها ، واحسن صنعا اذ جعل صحونـــه صغيرة تلتهم بسرعة تلائم عجلة العصر . عدد الاشكال ونوعها فاختلف كتابه « مع الخالدين » عن كتبنا العربية التي هي من صنف واحد ... مؤلف « مع الخالدين » ترجم لاشهر العباقرة العالميين ، وسير العظام تخلق العظائم . ان لهذا الكتاب ميزات تجذبـــك اليه ، واهمها تنوع الطعام الذي يقوي شهوة النهم ... عني العرب كثيرا بالسير وكتبوها تواريخ عباقرتهم ، ثم جاء بعدهم الملخصون فكثر هذا اللون في مكاتبنا ، ولكنهم لم يشملوا نوابغ المسكونة جميعا بنظرة عامة كما فعل سمير . اراد المصنف ان يجمع عباقرة العالم في كتاب فلجأ الى هذا الايجاز التام ، والتبويب الدقيق . قالت العرب : ايجاز مخل وتطويل ممل ، فاراد سمير ان يبرأ من هذه الوصمـــة وجاءنا بكتاب لا غنى عنه للقارىء العربي الذي لا يحسن لغة اجنبية . انا اعشق مطالعة سير النوابغ لانها تهبني همة عنيفة كلما قرأتها ، وقد اقراهـــا مرات لان هؤلاء الافاضل هم سرج الازمنة ومنارات الدهور والاجيال ، والتعرف بهم حافـــز لمن يروم الفلاح ... »

مارون عبود ـ (من فصل كامل عقده في نهاية كتابه النقدي « نقدات عابر » وصدر في ايلول ١٩٥٩)

*

« اتلو كتابك يا سمير ولم يـزل   شوقي له طول المـــدى يتجدد
اتلو كتابك كل يـوم اسطـــرا   هو خمرتي أخشى عليهـــا تنفذ »

احمد الصافي النجفي ـ من رسالة خاصة في ١٩٦٠/١/٢٢ انهاها بهذين البيتين

*

« ... كتابك « مع الخالدين » الذي تكرمت علي بنسخة منه موسوعة فريدة من نوعها ... لك الفضل الكبير في توسيع ثقافة القارىء العربي . ان ما قمت به، يا أخي ، لعمل يسد ثغرة كبيرة في المكتبة العربية ، وفي الثقافة العامة التي يفتقر اليها حتى الذين نحسبهم مثقفين في دنيا العرب ... »

ميخائيل نعيمه ـ من رسالة خاصة مؤرخة في ٢٦ شباط ١٩٦٠ ـ (نشرت في الصحف)

*

« ... ان كتاب « مع الخالدين » يصلح ان يكون في خزانة كل من يضطلعون بأعباء الحرف والفن لاكتساب العبرة ، وبين يدي كل مستزيد من الاطلاع على حياة العظماء لاتخاذ المثل الاعلى . ففي سيرة كل من هؤلاء الخالدين مشارف على مهاوي الحياة ، ونوافذ على ابعادها ، وفي مصيره اضواء على هذا الوجود وما يصله بأهداب الخلـــود ... »

نسيم نصر ـ ١٩٥٩/٨/٢٠ (النهار)

« ... « مع الخالدين » اثر يهزك اكثر مما تهزك زيارة هياكل تحدثك ببرودة عن الماضي . وهو حصيلة انصراف مترهب ، ونفس طويل ككل عمل ادبي . حتى لتخال انك لا تستعرض حروفا ميتة واسماء تركت شذاها ، لانك تنفعل غصبا عنك . وتتأثر وتعيش من جديد فصلا من حياة الخالدين ... »

فائق الرجي – تشرين الاول ۱۹۵۹ – مجلة « الاديب »

✶

« اما كتاب سمير شيخاني « مع الخالدين » فيسكرك بشذى العبقريات المتعددة تموج في صفحاته ناعمة ، عنيفة ، عميقة ، نفاذة ، اخاذة . ان بيان سمير شيخاني بيان نقي مصفى ، تلوح فيه الثقافة العالمية ، وتشع الفكر الراقية مبثوثة فيه بايجاز وبلاغة وانسجام ... »

عبد الله لحود – ايلول ۱۹۵۹ – مجلة « الغربال »

✶

« بيد الشكر تناولت هديتك القيمة « مع الخالدين » ولقد نظرت فيه فلم اتمالك عن الشعور بالمجهود الكبير الذي بذلته في اعداده وتنسيقه حتى جاء معجما طريفا لنوابغ العالم ، لا يستغني عنه من يروم الاطلاع على حياتهم وآثارهم .

على انه يختلف عن سائر المعاجم وكتب التراجم بما وفقت فيه من الجمع بين فائدة التعريف بهم وطلاوة الحديث عنهم . فهو حقا متعة لطالب المتعة ، وكنز فوائد لطالب الاستفادة ... »

انيس الخوري المقدسي – (من رسالة خاصة نشرت في الصحف في حينها)

✶

« ... وضعت بين ايدينا مستندا نرجع اليه ، اذ نكون في مجال البحث والتقدير ، تقدير الرجال والاعمال .

مكتبة في كتاب .

هذا هو مؤلفك او في الاصح « موسوعتك » التي ملأت بها فراغا ، او بعض فراغ ، في مكتبتنا العربية ... »

عبد الله حشيمه – ۱۹۵۹/۱۰/۸ (العمل)

« حيـاة العظماء تذكّرنا بأن في وسعنا أن نسمو بحياتنا ...

وانا عندما نغادر هذه الدنيا نترك وراءنا آثار خطانا على رمال الزمن ! »

(من قصيدة « مزمور حياة » للشاعر الاميركي لونغفيلو)

نحن في الدنيا حديث بعدنا !

المقدمة

طالما شبّه الناس الحضارات ، ثم النهضات والتطورات التي ترافقها ، بالبنيان الشامخ غير المتكامل .

والخالدون في تاريخ الأمم والشعوب هم كالحجارة في تاريخ البناء والعمران . . فكما أننا لو طرحنا أو نزعنا حجراً واحداً من البنيان ظهر أثره والفراغ الذي يخلّفه — وكثيراً ما يكون زواله عاملاً فعّالاً في تصدّع البنيان ، وتعرّضه للتهدم والاندثار — كذلك الخالدون ، أثرهم واضح ، ظاهر ، في ذلك التراث الضخم الذي نسميه حضارة ، والذي خلّفته لنا الأجيال !

ونحن ، في هذا الكتاب ، توخينا أن ننتقي لك ، أيها القارىء ، تلك الحجارة الضخمة البارزة ، التي كان لها أثر بيّن في بناء صرح الحضارة الذي نشهد في عصرنا هذا . . لذا فقد اقتصرنا على الراحلين من المشاهير والعظماء ، ولم نتعرّض للأحياء منهم يقيناً منا أن اثر الانسان في الحضارة لا يظهر واضحاً ، خالصاً إلا بعد وفاته عندما ننظر بعين مجردة ، بعيدة عن الغرض والهوى ، إلى ما خلّف ، وصنع ، وخلق . . إلى ذلك الحجر الذي تركه لنا ، وما يمكننا أن نصنع به . . هل يساعدنا على تدعيم الأساس . . أساس الحضارة ؟.. أم أنه يصلح للنافذ والشرفات ؟.. أم نُرى مكانه في السقف والجدران ؟.. أم أنه لا يصلح لشيء ، والأجدر بنا أن نرمي به بعيداً ، فلا يبقى له اثر في هيكل الحضارة ؟ !

والكتاب الذي بين يدينا الآن هو عبـــارة عن حفنة من الحجارة الثمينة ، الملوّنة ، والمنوّعة ، التقطناها من هنا وهناك ، من صرح الحضارة . . رائدنا في اختيارهـا قيمتها ، وأهميتها ، وأثرها ، ثم العظة ، أو العبرة ، أو المتعة التي يمكن أن نجنيها من دراستنا لقصة حياتها . . لذا فقد كان من المستحسن أن نطلق على هذا الكتاب اسم « مع بعض الخالدين » لأننا للأسباب التي أوردنا ، ثم لضيق المجال ، يتعذر علينا أن نلمّ بسيَر جميع الخالدين الذين أسهموا في ما توصّلنا اليه من تقدّم ، وتطوّر ، وحضارة .

فعسى أن يكون لرحلة القارىء الطويلة « مع الخالدين » ، وتنقّله في أجوائهم ، وفي مغامراتهم ، وما يرافقها من آمـــال وآلام ، وأفراح ومسرات ، وفشل وانتصار ، وما يتخللها من وصف عابر لمختلف العواطف ، والمشاعر البشرية والانسانية . . عسى أن يكون للقارىء في كل ذلك متعة ، وفائدة ، وعظة ، وتسلية !..

بيروت في ١٧ / ٢ / ١٩٥٩ — سمير شيخاني

مقدمة في السيرة

السيرة هي حكاية تهدف ، بوعي وفن ، الى تسجيل الاعمال والمآتي ، واعادة خلق – او احياء – شخصية حياة فردية . وهي ، على نقيض التاريخ ، ذات صلة بالفرد ، وعلى نقيض الرواية ، تسجل دقائق حياة حقيقية عاشها صاحبها . ولكن ، في الوقت نفسه ، يشاطر كاتب السيرة ، او المترجم ، المؤرخ الاهتمام بالاخلاص للواقع ، كما يشاطر الروائي الطموح لخلق عمل فني . وهكذا نرى ان اعظم السير في العالم هي تلك التي قدمت مواضيعها على حقيقتها وواقعها ، وتعدت ذلك الجمع البحت للوقائع الى خلق صورة حية . فالسيرة هي ذات اهمية دائمة مستمرة، لانها، من جهة تهتم بشخصيات شهيرة ، حسنة الصيت او سيئته ، ومشوقة ، ولان مواضيعها من جهة اخرى – وذلك اهم كثيرا – هي الطبيعة البشرية .

ومن هنا يمكن للسيرة ، كفن ، ان تعالج حياة فردية مهما تكن متواضعة ، شرط ان تكون السبيل الى تحليل عميق للمشاعر البشرية ، والدوافع والغايات الانسانية .

ففي مثل هذا النوع من السير راى صموئيل دجونسون اكبر قيمة : هذه السير « التي لا تروي لنا كيف اصبح ذلك الرجل عظيما ، بل كيف اصبح سعيدا .. ليس كيف فقد عطف اميره ، بل كيف اصبح غير راض عن نفسه ، متذمرا منها . »

وهذا الكتاب « مع الخالدين » ليس مجموعة وقائع علمية فحسب ، عن عباقرة خالدين . ان الغاية من وضعه هي استعراض جماعة من البشر شجعان ، مفكرين ، عاملين ، ذوي مطامح ، احياء ابدا : اناس لهم احلام اسعى من وراء تقديمهم اليكم ان اجعل احلامهم احلامكم . فتلك ، في رايي ، هي المهمة الرئيسية للمترجم او كاتب السيرة .

الشعر والشعراء

انه لمن الخطأ الشائع اعتبار الشاعر ناظم قواف فحسب . انه اكثر من ذلك . فكلمة شاعر اصلها اغريقي ، وتعني صانعا ، او مصمما ، او حائك كلمات موسيقية ، وخالق افكار موسيقية .

والشاعر الحقيقي مبدع — واكثر . انه نبي . والواقع ان الرومان القدامى استعملوا كلمة « فاتيس » لتعني نبيا وشاعرا معا . والنبي ، على حسب تعريف كارلايل هو « من يكشف لنا ما ينبغي أن نعمل » و « الشاعر ما ينبغي لنا ان نحب » انه الباحث والعراف — « حامل ضوء مقدس مرسل من السماء ! »

باستطاعته ان يرى بوضوح اكثر منا جميعا — ليس في ما يتعلق بتقدم الانسان ، بل في ما يتعلق بغاية الله . باستطاعته « الغوص في المستقبل » — على حد تعبير اللورد الفريد تنيسون — ابعد مما يمكن العين البشرية رؤيته ، ليرى الرؤيا الاخيرة ، وروعها ، عندما تصمت قرع طبول الحرب، وتطوى اعلام الحروب في برلمان الشعوب ، في جمهورية العالم .

الشاعــــر الحقيقي مبدع ونبي . وهو ايضا ، ابعد من ذلك — انه معلم . فهو لا يرى النور فحسب ، بل تراه يقود خطانا في اتجاهه . وفي حين يجلس العالم بهدوء في برجه العاجي للتأمل ، نجد الشاعر ، بصورة عامة ، يكافح في طليعة التقدم البشري والانساني . واننـا لترى شعراء قليلين بين الرجعيين ، ولكننا نرى الكثيرين في صفوف الثائرين . والشعراء الكبار يحاولون الفضاء على جور العالم ، وتخليد جمالاته . وانهم ليؤلفون اوثق صلة بين بشر اليوم وسوبرمان الغد . وهم اخواننـــا « السامون » الذين يمسكون بايدينا ويقودوننا لتسلق « درجات مذبح العالم الكبير التي تصعد عبر الظلمة الى الله . »

فالشاعر ، اذا ، هو رسول الله لخير البشر — اخ متعال ذو عـين ثاقبة نفاذة ، وصوت غنائي ، وقلب مفعم بالامل والرجاء . ولعل الشاعـر اكثر اجناس البشر المتفوقين فهما ، ذلك بأن ثمـة « عرقا شعريا في قلوب جميع البشر » — كما يقول توماس كارلايل . ونحن جميعا شعراء عندما نقرأ بتفهم ووعي قصيدة عصماء .

من وقت الى آخر تتعالى صيحة حول موضوع فائدة الفنون عامة ، والشعر بنوع خاص . وذلك امر يستحق الاهتمام لانه يبعث على الدهشة والاستغراب . فلماذا ينبغي ان يكون لكل شيء في العالم فائدة ما ؟ ومع ان للشعر جمال الزنابق ، فان التساؤل عن فائدة الشعر لاشبه بالتساؤل عن فائدة الدين . ان فوائد الشعر جمة . فالشاعر ينبغي له ان يقف جنبا الى جنب مع رجل الدين في عمله من اجل اعادة الايمان بالله الى قلوب البشر في هذا العصر المادي الصرف .

يقول مفكر غربي عن افلاطون « انه بشمول رؤياه ، وتوسطه عالـــم الفكر ، كتوسط الشمس كبد السماء ، كان ذا ايمان لا تشوبه شائبة » . ان هذا لصحيح في ما خص الشاعر الكبير . كان صحيحا في الماضي ، وهو صحيح اليوم ، في هذا العصر الذي يشكو فيه الكثيرون بسبب الظروف الخارجية في العالم ، وبسبب حياتهم ، من ضعف مأساوي او فقـــدان كامل للايمان . والشعر يساعدنا على تركيز انفسنا .

الشاعر يتحدث الى جميع البشر عن تلك الحياة الاخرى التي اخمدوا جذوتها او نسوها . والشاعر يساعد اخوانه البشر لكي يكونوا اكثر رحمة بعضهم ببعض ، متذكرا عبارة « ايها الاطفـــال احبوا بعضكم بعضا . » وبالنسبة الى شكسبير ، مثلا ، ان احقر الاشياء الحية تستحق نـــور الشمس .

تقول الشاعرة البريطانية اديث ستويل : « لكم اود لو كان بامكـــان كل واحد ان يشاطر الشاعر نشوته وغبطته . ان اختبار الشاعر في الخلق يمكن تشبيهه — واقول ذلك بكل تواضع — باختبار القديس . فانا لا اعتقد ان من احب الشعر يمكن ان تكون له نفس سيئة . يمكن ان تكون له اخطاء، ولكن النفس تظل تتمتع بالاشعاع والسمو .

« يقول بعض المهووسين ان القصائد التي تكتب فحسب من اجـــل حب الجمال عديمة الفائدة ، وهي كالفراشات . وان ذلك ليعيد الـــى ذاكرتي قول العالم النباتي البريطاني الشهير في القرن السابع عشر دجون راي اذ سئل عن فائدة الفراشات فاجاب : « لتزيين العالم ، وابهاج عيون البشر ، لاضاءة الارياف ، فتكون كمية مـــن البرق المذهب يـــزركش الحقول . » وقد اضاف الى ذلك قوله عن تلك الفراشات المصنوعة بيـــد الله : « من يستطيع تأمل جمالها الرائع دون ان يعترف بآثار الفـــن الالهي عليها ، وعبادة تلك الاثار ؟ ! »

على اي حال ، ان الفراشات التي يتكلم عنها ، هـــذه الفراشات المصنوعة بيد الانسان ، تحمل على اجنحتها آثار الفن البشري .

الموسيقى والموسيقيون

كان الحكيم الاغريقي فيثاغوراس ، كل مساء ، قبل ان ينام ، يطلب ان يعزف له بالقيثارة لينقي نفسه من هموم هذا العالم ومشاكله ، ويخلصها من كل الشوائب العالقة بها . ويصف ابن عبد ربه في كتابه « العقـــد الفريد » الغناء بأنه « الصناعة التي هي مراد السمع ، ومرتع النفس ، وربيع القلب ، ومجال الهوى ، وسلاة الكئيب ، وانس الوحيد ، وزاد الراكب ، لعظم موقع الصوت الحسن من القلب ، واخـذه بمجامـــع النفس . »

ومهما توغلنا في الماضي السحيق نلتقي الموسيقى . ويمكننا التأكيد بما لا يقبل الشك والجدل ان الموسيقى كالرقص ، والتمثيل ، والشعر ، او المسرح ـ ونربطها بها جميعا صلة وثيقة : اصلها مقدس .

والموسيقيون اناس ملهمون ، طيبوا الدنيا التي نعيش فيها . وما أصدق نيتشه فيلسوف القوة الالماني ، في قوله : « لولا الموسيقى لكانت الحياة خطأ ! » .

يقول جورج ميريديث :

« عندما افكر في نعمة الموسيقى ، والثروة التي تجلبها ، والسمو الذي تسبغه على افكارنا وعواطفنا ، ومشاعرنا ، ادهش حقا الا يكون تدريسها اجباريا ومتقدما في كل مكان دون هوادة » .

ويقول فرلين : الموسيقى ، قبل كل شيء .

ويقول شكسبير : ليس ثمة انسان خشن ، غليظ القلب سيىء الطبع ، لا يمكن للموسيقى ان تبدل طبيعته هذه ، ولو للحظة . والانسان اذا خلت نفسه من الموسيقى ، ولم يهزه تآلف الانغام الرقيقة ، قادر على ارتكاب الخيانات والمكائد والمعاصي .

وفي رأي بتهوفن ان الموسيقى وحي اسمى من كل حكمة ، ومن كل فلسفـة .

الرسم والرسامون

كل لوحة فنية هي فصل من حياة الرسام . ولكي نتذوق عملا فنيا ، ونقدره حق قدره ، ينبغي لنا ان نعرف قصة الفنان . فلكي نفهم الكآبة في عيون شخصيات رامبرانت ، ينبغي لنا ، اولا ، فهم الكآبة في حياة رامبرانت . فنحن لا نرى الا نصف اللوحة عندما لا نكون على معرفة بالرسام . وما اشبه ذلك بمشاهدة مسرحية بلغة لا نفهمها . فمن خلال شخصية الفنان ، فحسب ، يمكننا فهم لغة فنه . ونعني بالشخصية الرجل كله ، الصورة الحميمة ، لا وقائع حياته الخارجية ، ولكن مطامح نفسه الداخلية ـ اذن الخالدة .

والرسامون اناس مثلنا ـ شاطرونا مشاكلنا ، ومسراتنا ، وافراحنا ، ومعتقداتنا ، وشكوكنا ، وآمالنا ، وخيبة آمالنا ، وجوعنا ـ وبكلمة اخرى، مصيرنا البشري العادي . الا انهم اختلفوا عنا ، وتميزوا ، من وجهة واحدة : فقد كانوا ارهف احساسا ، واجلى رؤية ، فاغنونا بروائعهم الخالدة ، واتاحوا لنا ، كذلك ، ان نشاطرهم خلودهم ...

ولنذكر ههنا ان الفن العظيم ينبثق من الالم الكبير : فأولئك الذين

يعيشون بقوة وحدهم يمكنهم ان يخلقوا اشياء جميلة . فالشكر كل الشكر يسدى الى اخوان لنا من البشر ، يتألمون ويرسمون ليتيحوا لنا متعة المشاهدة .

العلم والعلماء

كان ما كان ، في قديم الزمان ، مخلوق غريب ، اشقر ، ألقى بقطعة خشب فوق صفحة احدى البحيرات . ان السفن الجبارة التي تمخر اليوم عباب المحيطات تعود في اصلها ومبداها ، مباشرة ، الى ذلك الـزورق البدائـي .

ولآلاف خلت من السنين صنع عبقري موهوب عجلة من جذع شجرة سقطت ارضا ـ وكل عجلة تدور في العالم ، سواء اكانت كبيرة ام صغيرة ، جاءتنا مباشرة من ذلك السلف السحيق .

ورجل القبيلة البدائية الذي رفع اصابعه العشر ليدل على عدد الاعداء الذين قضى عليهم ، كان في اساس نظام يتيح لنا اليوم ان نعين بالارقـام حجم النجوم البعيدة ، او السرعة التي ينتقل بها النور .

وما قولك بذلك الانسان المتوحش الذي رسم لاول مرة ، على لحـاء شجرة صورة غريبة ، محاولا ان يحذر صديقا ، او يرهب عدوا ؟ او لـم ينتج لنا ، اذن ، كل الكتب ، والمجلات ، والصحف ، والنشرات التـي تهدد بدفن الارض تحت سيل عارم من الورق ؟ !

وهكذا ، من الصراع المرير من اجل البقاء ، كان مولد ما نسميـه العلم . واذا كان ممكنا جمع التفاصيل ، وردم كل الثغرات ، لوجدنـا ان خط سير العلم يعود بنا حتما الى مخلوقات نصف ـ بشرية ، كانـوا يسعون عن رعب واضطراب ، الى ان يصبحوا بشرا . سوى ان تلـك التفاصيل ضاعت ، وليس في الوسع قط ردم اي ثغرة من الثغـرات ، وقد تبخرت الى الابد ، كل ذكرى لاصل النـار ، وصناعـة الخزف ، والقوس والسهم ، وما شاكل ...

ان قصة العلم ، اذن ، هي قصة بلا بداية ، وبلا نهاية ، ولكنهـا دائمـا وابدا تنمو وتتجدد . الدول ترتفـع وتسقط ، والاسر المالكـة تحكم وتختفي ، والمذاهب الدينية تعظم وتشرف على الزوال ، ولكن العلم ، وهو يبني على انقاض الفشل والقسوة والطموح ، يتقدم بخطى ثابتة الـى الامام . وصحيح ان نسبة التقدم غير مستوية ، الا ان العلم طـوال خمسة وعشرين قرنا من الزمن لم يتوقف قط .

الانسان صنع علمه ، وبدوره صنع العلم الانسان . وهو هكذا وسط ما يسميه حضارة ، او نتاج ما فكر فيه ، وما صنعته يداه . وان معرفـة علم الانسان ، ومعرفة دقائق حياة اولئك الذين صنعوا العلم ، يفضيان

الى معرفة الانسان نفسه . ويكفي ان نتابع ذلك الخط الرفيع ، غير المنتظم الذي سلكه الباحثون عن الحقائق الغريبة منذ قديم الزمان الى اينشتاين ، لكي نجد ونفهم افضل جوانب الطبيعة البشرية ، واكثرها ايحاء ، هذه الطبيعة التي لا تمجد دائما ، وليست لطيفة دائما ، او بعيدة عن الطمع والانانية ! ..

الفلاسفة والمفكرون

السيرة قصة مغامرة . شخصيات العالم الفذة تمثل المغامرات الحياتية من ناحية ، والشخصيات الفلسفية ـ من الناحية الاخرى ـ تمثل مغامرة في التفكير . وعندما ندرس حياة الفلاسفة نجد ان مواكب التفكير عند الانسان يمكن ان تكون مشهدا مثيرا لا يقل روعة عن مشاهد الاعمال التي يقوم بها البشر . ولا يقل روعة عن التوغل في مجاهل وبقاع جديدة ، التوغل في افكار جديدة . ولكم تتسع جوانب عالمنا ، ويغنى خيالنا ، وتتلون حياتنا وتزهى نتيجة لمرافقتنا جوابي العقل والروح ، ورواد التفكير .

وانسجاما مع الغاية العامة من كتابة السير والتراجم ، فقد عمدت الى التشديد على المفكرين والفلاسفة بدلا من التشديد على افكارهم وفلسفاتهم ، مكتفيا بادخال القارىء لا الى منازل ارباب الفكر فحسب ، بل الى ادمغتهم وعقولهم . ذلك باننا اذا شئنا ان نفهم الحالمين بالمطلق ، ينبغي لنا ان ندعهم يدعوننا الى حديقة احلامهم . وفي يقيني انه من الممكن الحصول على صورة واضحة لجمال حديقة ما ، والتمتع من شميم عطورها وزهورها ، دون ان نقوم بدراسة علمية نباتية للرياحين نفسها ، ودون معرفة اسمائها العلمية معرفة خبير .

وفي حين نطلع على زبدة آراء هؤلاء المفكرين المختلفة ، فاننا نقوم باكتشافات مشوقة وهامة . فهم جميعا ، على الرغم من منازعاتهم الاصيلة الجوهرية ، يظهرون ، ويعرضون وحدة في التفكير اصيلة وجوهرية . واننا لنجد ان المدارس الفلسفية المختلفة على وفاق تام ومختلف النظم والمذاهب الدينية . فالفلاسفة والانبياء ، على السواء ، متحدون في اعتقادهم وايمانهم بغاية الحياة الاساسية . وهذه الغاية هي تامين سعادة الانسان من خلال تعاون البشرية .

المرأة

المرأة ، وهي نصف الجنس البشري ـ وكثيرون يدعونها النصف « الافضل » ـ كانت لآلاف من السنين مستعبدة . نقرأ في الشريعة المانوية

ان « النساء ينبغي ان يبقين ليل نهار ، عبدات ، رقيقات ، تحت سيطـرة رجالهن وسلطانهم » . وفي ظل القانون الروماني القديم كان بوسع الزوج ان يقتل زوجته ، والاب ابنته ، بتهمة الزنا . وحتى بعد اعلان « الماغنـــا كارتـا » ، او الوثيقة العظمى (دستور الانكليز سنة ١٢١٥) ، وبعـــد ذلك بقرون عدة ، لم يكن بوسع المراة - شرعا - اتهام رجل بجريمة قتل .

وفي فرنسا القرن الثامن عشر ، كان المفكر الكبير جان - جاك روسو ينظر بارتياح الى تحرر النصف المذكر من البشرية ، لا النصف المؤنث . وهو القائل : « النساء خلقن لارضاء الرجال ... ولما كن عاجزات عن اتخاذ المقررات والاحكام بانفسهن ، وجب عليهن اطاعة احكام ومقررات آبائهـــن وازواجهن . »

وفي العديد من ارجاء الولايات المتحدة الاميركية ، وحتى زمن الثورة ، كانت النساء اللواتي يتحدثن في المجتمع يعاقبن بدفع غرامات ماليـــة ، وبالسجن ، ولكن تهديد « امهات » الثورة الاميركية بالعصيان ، اكـــره « آباء » الثورة هذه على الاعتراف بان النساء لسن ماشية . فقد كتبت آبيغل آدامز ، الى زوجها دجون آدامز ، وكـان يحضر احـــد المؤتمرات السياسية ، تقول : « ارغب في ان تذكروا النساء ، وتكونوا اكثر تسامحا معهن وعطفا عليهن من اسلافكم ... فاذا لم تمنح النساء عناية واهتماما خاصين ، فاننا لعلى استعداد لاشعال نار العصيان . » ولكن الرجال ، مع ذلك ، لم يعترفوا بان النساء يساوينهم ، الا بعد قرن ونصف من الزمن .

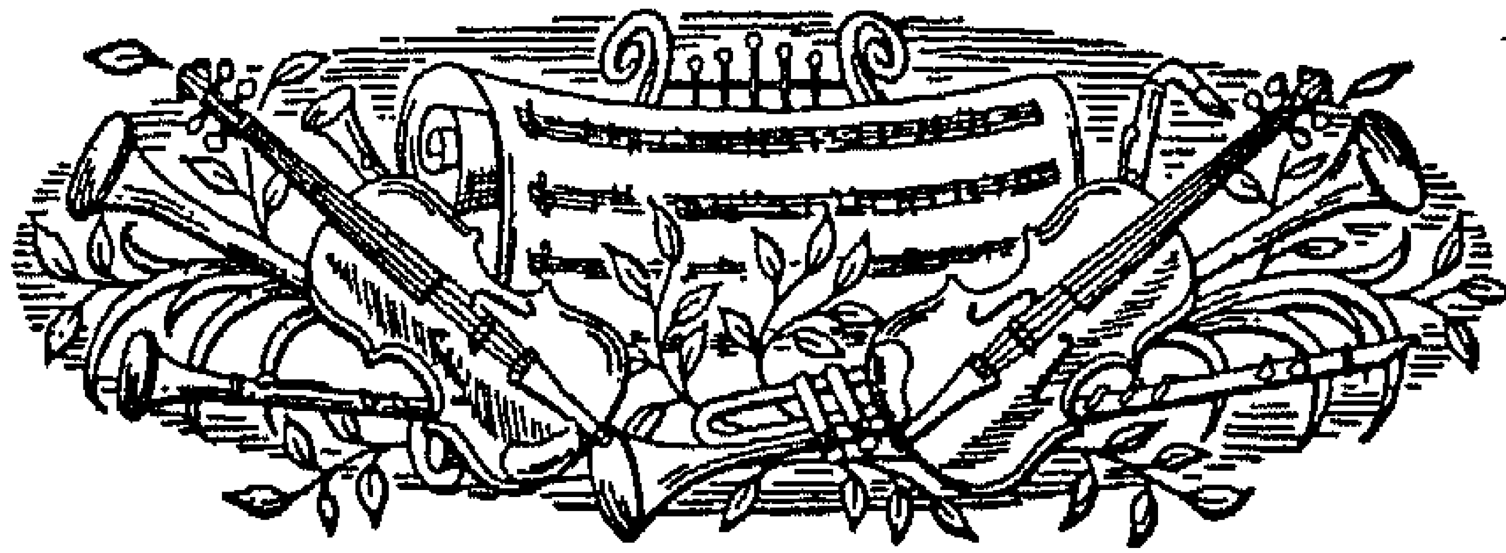
وهكذا ، حتى الجيل الحاضر ، كانت المراة التي اعتبرت « الزوجـة - نصف - الرجل » ، تعيش وسط عوائق . الا انها على الرغم من هـــذه العوائق ، فقد قدمت من المنجزات ما لا يقل روعة عما قدمه نصفها الجائر الباغي . ففي زمن كليوباتره وتيودورا ، عندما كان الرجال العظام انصاف وحوش ، لم تكن النساء العظيمات اكثر من رجالهن وحشية . واليوم ، عندما يحاول الرجال العظام ان يكونوا انصاف آلهة ، فان النساء العظيمات لسن اقل الوهية من رجالهن ...

وفي هذا الكتاب سيرة عدد من النساء يمكنهن بكل جلال ووقار ، وبلا استئذان ، احتلال اماكنهن جنبا الى جنب مع امثالهن من الرجال ! .

آذار ١٩٦٨ سمير شيخاني

مع الخالدين من الموسيقيين

ماتهيسون هاندل باخ موتسارت
هايدن بتهوفن شوبيرت إركل
برليوز مندلسون شوبان شومان
ليست فيردي فاغنر غونو بروكنر
شتراوس برامز بيزيه موسورغسكي
تشايكوفسكي دفورجاك غريغ رمسكي ـ
كورساكوف بوتشيني ديبوسي شتراوس
سيبيليوس توسكانيني باغانيني رافيل
بارتوك



ماتيسون

JOHANN MATTHESON

من أشهر العباقرة الألمان . . موسيقي ، ومغنٍ ، وفيلسوف ، وعـــالم طبيعي ، أبصر النور في هامبورغ سنة ١٦٨١ . عزف على الارغن في عدد من الكنائس وهو في التاسعة من عمره . وفي الثانية عشرة أتقن العزف على العود ، والكونترباس ، والكمان ، والفلوت ، والمزمار . وفي الثالثة عشرة شرع في دراسة الحقوق ، وتعلّم اللغـــات الانكليزية ، والفرنسية ، والإيطالية . . وفي الخامسة عشرة غنّى الأدوار الاولى في دار الأوبرا في كيل . وفي الثامنة عشرة أخرج اوبرا وضعها بنفسه . وفي الثانية والعشرين عندمـــا قابل الموسيقي هاندل ، كان يشغل وظيفة سكرتير في المفوضية البريطانية في هامبورغ ، وكان قد وضع عدداً من الاوبرات ، والاوراتوريو ، والأناشيد ، وعـدداً من الكتب في الموسيقى ، والفلسفة ، والعلوم . **وكان يطمح إلى اصدار كتاب كل عام طوال حيـاته . وقد حقق هذا المطمح إذ أنه توفي عن ثلاث وثمانين سنة (١٧٦٤) بعد أن أصدر ثمانية وثمانين كتاباً . . أي أنه وضع أكثر من كتاب في العام الواحد .** غير أن هذا العبقري لم ينعزل عن العـــالم ليقوم بهذا العمل الجبّار في حقليْ الموسيقى والكتابة . فعلى الرغم من نشاطـه واجتهاده كان يجد المتسع الـكافي من الوقت للتسلية والترويح عن النفس .. فقد كان لاعب سيف ممتـازاً ، وراقصاً بارعـاً ، وزير نساء من الطراز الأول .

وكان ماتهيسون أكبر عون لصديقه هاندل في حيـاته الموسيقية . فهو الذي ساعده على الانضمام إلى فرقة هامبورغ الموسيقية كعـازف ثانٍ على الكمان . . وهو الذي عرّفه إلى السفير البريطاني السر سيريل ويكي ، وكان من عشاق الموسيقى ، الذي ساعده في تدبير التلاميذ له والحفلات ، ومهّد له السبيل فيما بعد للاقامة في انكلترا ...

وتخاصم الصديقان ذات يوم كما يتخاصم كل الأصدقاء . . تخاصم ماتهيسون وهاندل بسبب تنافسهما الموسيقي . كان ذلك لمناسبة تقديم **اوبرا كليوباترا** لماتهيسون التي قادها بنفسه ، وقام فيها بدور انطونيو ، فكان إذا نزل عن المسرح تولى القيادة على قيثارته فاذا ما حان دوره للغناء ترك القيثارة لهاندل ليعزف عليها . وحدث أن مثّل ماتهيسون دوره الأخير ، وهو موت انطونيو ، وعاد إلى مكانه مع الجوقة ليتسلم القيثارة من هاندل ،

فأبى هذا أن يعطيه اياها لانسجامه في العزف . وانتهت الحفلة ، وخرج الاثنان من المسرح فصفع ماتهيسون صديقه هاندل الذي طلبه إلى المبارزة . وجرت المبارزة بينهما في ساحة السوق العامة فنجا هاندل من الموت بأعجوبة . . فقد ارتد سيف ماتهيسون عن صدر هاندل بفضل زر معدني كبير في معطفه . وعندها تعانق الصديقان العنيدان ومضيا معاً لاجراء التمرينات على أول اوبرا وضعها هاندل **حظ الميرا** . وكان هاندل وقتئذ لم يتجاوز العقد الثاني من العمر . وقد غنّى ماتهيسون في هذه الاوبرا ، **واوبرا نيرون** التي أعقبتها مباشرة ، الدورين الرئيسيين !..

هـــانـدل

GEORG FRIEDRICH HANDEL

السكسوني الشهير . . أو جورج فريدريك هاندل (١٦٨٥ — ١٧٥٩) ، كان على نقيض باخ . . فلم يبصر النور في عائلة موسيقية . . حتى ولا في عائلة تعترف بقيمة الموسيقى أو تقدّرها حق قدرها . فأبوه جورج هاندل كان حلاقاً يعمل في خدمة الدوق أغسطس السكسوني . نجح في مهنته هذه ، واستطاع أن يبتاع منزلاً فخماً في « هاله » . وقد تزوج مرتين : الأولى من أرملة أحد الحلاقين ، والثانية من ابنة أحد رجال الدين . أنجبت له الزوجة الأولى ، وكانت تكبره بعشر سنين ، ستة أولاد ، وأنجبت له الثانية ، وكانت تصغره بثلاثين سنة ، أربعة أولاد . وكان جورج فريدريك الابن الثاني من الزواج الثاني . وعندما أبصر النور في ٢٣ شباط ١٦٨٥ ، كان والده في الثالثة والستين من عمره . وقد أنعم عليه الخالق منذ نعومة أظفاره بعقل راجح ، وقلب طيب فتيّ .

أظهر في سن مبكرة ميلاً شديداً للموسيقى ، ولكن والده كان حجر عثرة في سبيله ، فقد أراده أن يمتهن مهنته التي درّت عليه مالاً وفيراً ، وأمّنت له حياة سعيدة مرفهة . واذا لم يشأ جورج الصغير أن يصبح حلاقاً فليدرس القانون ويصبح محامياً . ليصبح أي شيء ، ولكن ليبتعد عن الموسيقى .

فالموسيقيون في نظر والده جماعة من المتشردين ، مكانتهم لا تختلف بشيء عن مكانة الخدم ، بل على العكس أدنى منها . فالخدم الألمان ينعمون بطمأنينة استخدامهم الذي

يوفر لهم معاشهم ، أما الموسيقيون فانهم يعزفون ، ويغنون ، ويتضورون جوعا .

غير أن بذرة الموسيقى كانت متأصلة الجذور في نفس هـــذا الطفل الذي لم يتجاوز السادسة من عمره . وكان من الصعب على والده ، بالرغم من تهديده ووعيده ، أن يقتلعها من نفسه ، وأن يصرفه عن هذا السبيل الذي أراد أن يسلكه . فقد استطاع الصغير هاندل أن ينصرف الى التدرّب على العزف على قيثارته في بيت المؤونة كل ليلة ، بعد أن ينـــام ذووه . وما لبث الأب أن اكتشف حيلة ابنه ، فهدده بقطع أنامله إن لم ينصرف عن الموسيقى ، ولكن دون جدوى ...

وتشاء الصدف أن ينطلق الأب برفقة ابنه ــ وهو بعد في السابعة ــ الى زيارة ابن عم له يدعى جورج كريستيان هاندل ، يعمل وصيفاً لدوق فايسنفلس . وبينما هما في البـلاط تسلل هاندل الصغير ذات يوم الى الكابيلا الخاصة بالدوق ، وجلس الى الارغن ، وراح يعزف دون ما رقيب أوحسيب . وسمعه الدوق ، وسأل من يكون هذا العـــازف العبقري ، وحثّ والده على تعليمه الموسيقى تشجيعاً لمواهبه . وكان طلب الدوق هذا بمثابة أمر . فلم يرَ الأب بداً من تنفيذ هذا الأمر ، وعهد بابنه الى عازف الارغن الشهير فريدريك فيلهلم زاكاو . **وكان كل اعتقاده ان هذا الجنون سيكون قصير الأمد، ولن يلبث أن يرى الابن الضوء الساطع فيقلع عن القاء « النوتات » السمجة في آذان البشر ، لينصرف إلى اقتلاع الشعيرات من ذقون الناس ...**

ولكن الأب كان واهمـــاً . فلم تكن الموسيقى نزوة عابرة في نفس هاندل ، بل عاطفة ازلية كرّس لها كل حياته فأبدع فيها ما شاء له الابداع . وكان زاكاو معلّم موسيقى ماهراً ، وملهماً في آنٍ معاً ، فسرعان ما تفتحت عبقرية هاندل على يديه ، وتجلى نبوغه . وجاءت موسيقاه عالمية ، لا تختص بزمان أو مكان معينين . ومن هنا كانت روعتها .. ومن هنا كان تذوّق الجميع لها !..

بدأ حياته الفنية عازف ارغن في سكسونيا ، ثم أصبح عازف كمان في اوبرا هامبورغ. وسافر الى انكلترا سنة ١٧١٠ وتجنّس بالجنسية البريطانية . وأسس هنـاك « الاكاديمية الموسيقية الملكية » ، وبنى فيها شهرته الموسيقية كمؤلف اوبرات واوراتوريو . غير أنه لم يكن محبوباً من زملائه الانكليز الذين حاربوه بشتى الوسائل المشروعة وغير المشروعة . أصيب بالعمى في اواخر أيامه . **ولكنه بعد أن مات ودفن في كاتدرائية وستمنستر أصبح الانكليز يعتبرون هذا الموسيقي الألماني كأي موسيقي انكليزي !..**

وفي غمرة بؤسه وفقره عرضت عليه جامعة اوكسفورد الدكتوراه الفخرية في الموسيقى

فرفضها لأن هذا الشرف يكلفه خمسماية دولار . وساءت صحته ، كما ساءت من قبل حالته المادية . فأصاب الشلل جنبه الأيمن . وجاء الدائنون يلقون القبض عليه مهددينه بالسجن . وحدّثته نفسه بأن يلقي سلاحه ويستسلم ، إلا أن عبقريته تململت وألهمته أروع مقطوعاته الموسيقية الدينية **اوراتوريو المسيح** ، وقد وضعها في ثلاثة اسابيع . وشهد أول عرض لها . وفي وسط الحفلة أصيب بنوبة إغماء ، فنقل الى سريره الذي لم يقم منه .

وكان قد تمنى أن يموت يوم الجمعة العظيمة « على أمل أن ألقى الإله الطيّب إلهي الحبيب ومخلصي ، في يوم بعثه ! » — على حد تعبيره — وقد تحققت أمنيته ، إذ أنه في صبيحة يوم سبت النور الموافق ١٤ نيسان سنة ١٧٥٩ التقى وجهاً لوجه الموسيقي ومسيحه !

باخ

JOHANN SEBASTIAN BACH

ينحدر يوهان سيباستيان باخ (١٦٨٥ — ١٧٥٠) ، أحد مؤسسي الموسيقى المتعددة الأصوات ، من أسرة المانية اشتهرت بمن انجبت من موسيقيين . فلما أصابه اليتم في العاشرة من عمره أقام مع شقيقه الأكبر الذي ساءه كثيراً أن يتمتع باخ الصغير بمثل هذه الموهبة الموسيقية الفذة . فكان هذا يلجأ إلى الدرس والتأليف ليلاً وساعة يظن أخوه انه مستغرق في النوم . وقد وضع الكثير من المقطوعات للقيثارة في ضوء القمر مما أتعب عينيه كثيراً .

وتوفي شقيق باخ وهو بعد في الخامسة عشرة من عمره فاضطر أن يكسب عيشه بموارده الخاصة . وكان يعكف وهو طفل صغير على نسخ كتاب كبير بيديه الاثنتين .. وقد ظلّ كذلك ستة أشهر ، ينقله في ضوء القمر لا في ضوء الشموع . وكان يسافر من بلدته إلى بلدة أخرى على قدميه ليستمع إلى عجوز يعزف على الأرغن . وقد التحق بجوقة مدرسة لونيبورغ ، واستطاع أن يؤمن قوته بتدريس الموسيقى . وعكف على دراسة العزف على الكمان والأرغن ، والتأليف ، فأتقنها جميعاً . ولكنه كان دائب السعي للوصول إلى الكمال الفني .

وتقلّب في عدة مناصب .. فعمل في بلاط دوق فايمار ، وبلاط الامير ليوبولد ، وفي مدرسة القديس توما الدينية في لايبزيغ ، وفي بلاط درسدن ، عاصمة سكسونيا . وفي هذا

البلاط انتج روائعه الدينية الخالدة ... وفي لايبزيغ برزت شهرته الفـائقة كعازف ارغن .

كان باخ رب أسرة شديدة التقى والورع ، تتألف من سبعـة أولاد رزقهم من زوجته الاولى ، إحدى نسيباته . وقد تزوج بعد وفاتها (١٧٢٠) بسنة صبيـة ذات صوت « سوبرانو » رائع ، رزق منها ثلاثة عشر ولداً . وقـد أصبح الكثيرون من أولاده موسيقيين . واضطره اهتمامه الشديد بتدريب أولاده التدريب الديني الصحيح إلى التخلي عن منصب رفيع والاكتفاء بمنصب عادي . وقد انعكست نظرته الدينية هـذه في موسيقاه لان الموسيقى كانت في عرفه نوعاً من العبادة . ومن أشهر مؤلفاته كونشرتو براندنبورغ ، وآلام القديس يوحنا ، وآلام القديس متى .

ومن أبرز الاحداث في حياته زيارته سنة ١٧٤٧ ، بعد الدعوات المتكرّرة ، لبـلاط فريدريك الكبير ، الذي بالغ بالحفاوة به وأكرم وفادته . وكان لدى هذا الملك مجموعة من البيانوات طلب إلى باخ تجربتها .

وما هي إلاّ سنتان حتى بدأ نظر باخ يشح ، وما لبث أن أصيب بالعمى التام .. وقد توفي في لايبزيغ .

قيل ان باخ كان رياضي الموسيقى ، وبتهوفن فيلسوفها ، وموتسارت شاعرها ...

موتسـارت

WOLFGANG AMADEUS MOZART

كان الامبراطور فرنسيس الاول يلقب فولفغانغ موتسارت (١٧٥٦ – ١٧٩١) ، الطفل النمسوي العجيب ، بالساحر الصغير .. فقـد جلس إلى البيانو وهو في الثالثة ، ووضع القطع الموسيقية وهو في الخامسة ، وقاد الفرق الموسيقية وهو في السابعـة ! وراح يطوف باوروبا كلها مع أبيه .. فكان الناس في دهشة ممـا يرون .. ذلك انهم لم يروا من قبل عبقرياً في مثل سنه . أمـا رجال الدين فاعتقدوا أن أباه على اتصال بالشياطين والجن فقاموا إلى الطفل وسجنوه في غرفة أحكموا اقفالها ووضعوا له فيها قليلاً من الطعام والماء ظناً منهم أنه سيعجز عن الابداع لحؤولهم بينه وبين الاتصال بالجن .. فكانت النتيجة قطعة موسيقية جديدة للطفل موتسارت .

أهمل هذا الموسيقي فنه ردحاً من الزمن انصرف بكليته في اثنائه إلى وقائعه الغرامية

مع الويزيا فيبر ، ابنة أحد الممثلين المحترفين الفقراء. وكاد هذا الحب المتبادل ينتهي بالزواج لولا تدخل موتسارت الوالد وحؤوله دون تحقيق رغبة الحبيبين .

واحتجب الموسيقي الساحر مدة عن الويزيا قضاها في باريس حيث أحرز انتصارات فنّية باهرة . ثم عاد إلى وطنه فالفى حبيبته قد تبدلت ، وشعر بأن الحب الذي كانت تكنّه له قد فتر فلم ييأس ، ولم يبال ، بل حوّل وجهه وقلبه شطر شقيقتها الصغيرة كونستانتسه التي كانت رفيقة صباه . وما عتم الأمر أن تزوجها .

وظلّ الفقر ملازماً له حتى آخر أيام حياته . بيد انهم يرجحون ان حياة موتسارت مع زوجته كانت حياة هانئة ، تكتنفها السعادة ، مع العسر الذي كانا عليه .. يدل على ذلك رسائله العديدة التي تظهر بوضوح أن أشهرها وأرشقها أسلوباً هي تلك التي كان يبعث بها إلى زوجته .

كان موتسارت فقيراً إلى درجة أنه كان عاجزاً عن شراء الحطب لتدفئة غرفته الحقيرة. فكان يضع يديه في جواربه ليحفظ حرارتها وينصرف إلى وضع موسيقاه الرائعة التي رفعت اسمه إلى أوج الشهرة والمجد . وقد قضى نحبه في الخامسة والثلاثين من عمره بداء الصدر نتيجة سوء التغذية ، والجوع والبرد . **أما جنازته البسيطة فلم تكلف سوى ثلاثة دولارات فقط ... وقد مشى خلف نعشه المصنوع من خشب الصنوبر ستة أشخاص لم يكملوا طريقهم إلى المقبرة لتساقط الامطار بغزارة .**

في المهرجان الكبير الذي اقيم عام ١٩٥٥ في سالزبورغ احتفاء بمرور مئتي عام على مولد موتسارت – الذي لقب بالاوستقراطي – قال رئيس جمهورية النمسا : « إن النمسا لن تسمح بأن يعيش عبقري فقيراً ، ولن تسمح له أن يموت منسياً ! »

ولكن موتسارت مات فقيراً في الخامس من كانون الاول سنة ١٧٩١، ودفن في مكان لا يعرفه أحد .

كان يبدو كأنه صنع من الموسيقى .. الالحان تتراقص على شفتيه ، وتنبعث من رؤوس أصابعه . ولم يكن السفر المتواصل إلا مصدر وحي وإلهام له .

أحبه وقدره عباقرة الموسيقى جميعاً .. فهايدن قلده في التأليف ، وكان يردد على مسامع أبيه ليوبولد موتسارت : « ان ابنك لهو أعظم موسيقي عرفه العالم » . وبيتوفهن كان يدرس موتسارت دائماً .

وشوبان كان متشرباً بروح موتسارت ، وقد قال وهو على فراش الموت : « اعزفوا مقطوعات موتسارت عندما تريدون أن تذكروني ! » . وبرامز عدّ موتسارت جباراً

بين الجبـــابرة .. حتى فاغنر المتكبّر كان يحني له رأسه . وباخ ، ابن الموسيقي الشهير سيباستيان باخ كان يقول عنـه : « كثيرون من الموسيقيين لم يكونوا ليعرفوا من أصول الموسيقى في أواخر حياتهم مثلما كان موتسارت يعرف في طفولته ! »

وليس من الغلو في شيء القول إن في الوسع إعادة الكثير ممـا هو رائع وجميل في اوبرات فيردي ، والروح المرحة في فالسات شتراوس ، وأكثر ألحان شوبرت وشومان إلى ينبوع موتسارت الرقراق الصافي ! ..

هـايدن

FRANZ JOSEF HAYDN

تقوم شهرة فرانز جوزف هايدن (١٧٣٢ — ١٨٠٩) الموسيقي النمسوي على تخصصه في وضع الموسيقى للآلات الوترية التي وضع منها ٧٧ قطعة ، وعلى سنفونياته التي جاوزت المائة . درس الموسيقى بفضل المال الذي استدانه من أصدقائه ، والذي جمعه من تدريسه الموسيقى. فلما عُرف أنه استاذ موسيقي ومؤلف تلقّى مساعدات مالية جمة من الكثيرين من رعاة الفنون الاثرياء ، الأمر الذي يسّر له حياة رغيدة . وأفاد من كلّ الفرص والظروف ، وذاعت شهرته في طول اوروبا وعرضها . أما زوجته التي لم تكن تحبه ولا تليق به فقد كانت تستعمل مخطوطاته الموسيقية في فتل شعرها ، أو لتصر بها بعض الحاجيات . وكانت تبذر دخله على شؤون الزينة والتبرّج .

وكان من أعز أصدقائه الموسيقي موتسارت . قابله بتهوفن ، وكان بعـــد في الثانية والعشرين من عمره ، اثر عودته من انكلترا حيث قـدم سلسلة من الحفـلات الموسيقية الكبرى ، ووضع سنفونيته « المفاجأة » . وقد درس بتهوفن على يده طوال سنة كاملة ...

كان هايدن شأنه في ذلك شأن أكثر الموسيقيين العظام ، دليلًا حياً على ازدراء الطبيعة التقسيمات الزائفة للقيم البشرية . فقد كان والده صانع عربات ووالدته طباخـة . ولم يتردد هو ، في سبيل تلقي أسرار الموسيقى ، في العمل خادماً لدى دكتاتور الموسيقى النمسوي نيقولا بوربوا . وكان ذلك نقطة التحوّل في حياته . ولما لم يكن يملك من المال مـا يدفعه لبوربوا فقـد اتفق معه على أن يعمل لديه كخادم خاص مقابل تلقيه أسرار الموسيقى . **وهكذا كان ، إذ اصبح هايدن يمسح لبوربوا ثيابه وشعره المستعار ، ويخضع لنوبات**

غضبه ، ويبتلع اهاناته وهو يحفظ معلوماته .

والتقى هايدن — عن طريق بوربوا — بنبيل نمسوي يدعى كارل جوزف فون فيرنبرغ ، فارتبط معه بعقد يتوجب عليه فيه أن يؤلف المقطوعات ويعزف لهذا النبيل . فوضع في هذه الفترة ثماني عشرة قطعة للآلات الوترية ، وهي تجربة نمت منها فيما بعد سنفونياته .

ويبدو أن الحظ قد ابتسم لهايدن بعد طول عبوس ، فقد انتقل من خدمة البارون إلى خدمة الكونت مكسيمليان فون مورتسين ، ومنه إلى الأمير استرهازي .. وبهذا الانتقال النهائي الذي تمّ سنة ١٧٦٠ وجد الموسيقي الشاب نفسه في بداية حياة موفقة مضمونة المستقبل .

أما في الناحية الفنّية ، فقد استطاع هايدن أن يضرب رقماً قياسياً في عدد المقطوعات التي وضعها . فقد كان يتمتّع بالهدوء وراحة البال في ظلّ الأمير استرهازي وكان — مقابل ذلك — يقود فرقة الأمير الموسيقية ، ويضع لها الألحان لتسلية ضيوف الأمير . وقد وصف هايدن الأمير بقوله : « انه كان يريدني أن أعدو عدواً في التلحين لكي يحطم ساقيّ الزمن » كما قال .

وفي ٢٨ ايلول سنة ١٧٩٠ توفي الأمير استرهازي ولكنه لم ينسَ أن يوصي له بمرتب سنوي قدره ألف غولدن . فاستطاع هايدن أن ينطلق حراً يضرب في ارجاء أوروبا . فزار لندن مرتين حيث حظي باعجاب الجماهير ، ونال دكتوراه الشرف من جامعة اوكسفورد .

وعندما بلغ هايدن السادسة والستين وضع تحفته الموسيقية الخالدة **الخليقة** .. وضعها على أساس مقطوعة الشاعر ملتون **الفردوس المفقود** ، فإذا هي مزيج من التدين والتصوف . وفي عيد ميلاده السادس والسبعين وضع له أصدقاؤه برنامجاً ينعم فيه بنصره النهائي في تلك المقطوعة ، فنُقل على مقعد يسير على عجلات إلى حفلة خاصة تعزف فيها مقطوعة «الخليقة» .

ودخل هايدن إلى القاعة فنهض جميع الحاضرين إجلالاً . وعندما وصلت جوقة المنشدين إلى مقطع « ثم كان النور » أخذت الجماهير تصفق وتهتف ، فنهض هايدن على قدميه وأخذ يهتف قائلاً : « لست أنا خالق ذلك ، بل القوة العليا هي التي خلقته » .

وبينما كان هايدن يُدفع فوق عجلته إلى خارج القاعة تقدم منه شاب أشعث وقبّل يده .. وكان هذا الشاب بتهوفن .

وقد توفي اثر صدمة عصبية أصيب بها لدى سقوط قذيفة على مقربة من منزله في فيينا في أثناء تبادل نيران المدفعية بين جيوش نابوليون والجيوش النمسوية .

بتهوفن

LUDWIG VAN BEETHOVEN

مثلما قاد فولتير وروسو ثورة الفكر والأدب ، قاد بتهوفن ثورة فنية من نوع آخر ... فكان أول الثائرين على سلبية الموسيقى في عصره . ولما كان الطريق أمامه مليئاً بالصخور ، محفوفاً بالأشواك ، فقد بدأ بتطوير الموسيقى من ارستقراطية راقصة إلى شعبية راقصة .

كان مؤمناً مخلصاً في ثورته ، ولذلك نجح في تخليص الموسيقى من أدران الزخارف والنعومة ، وخلق لوناً جديداً من الموسيقى التعبيرية الزاخرة بمختلف المعاني والاحساسات الانسانية النبيلة حتى باتت موسيقاه حافلة بالمعاني والافكار .

ولا تزال سنفونياته التسع ومؤلفاته العديدة نبعاً ينهل منه كلّ محب للموسيقى ، وبمثابة النور الساطع الذي يضيء الطريق لانصار الحياة ...

ولد بتهوفن في بون (المانيا) في ١٦ كانون الاول ١٧٧٠ وتوفي في ٢٦ آذار ١٨٢٧ . عاش حياة مثقلة بالهموم والأحزان ، ولاقى من عنت أسرته الأمرّين .. **ولعلّ الشقاء الذي أحاط بحياته هو الذي أظهر شخصيته النبيلة ، واوحى إليه بتلك الأناشيد الغنائية الرائعة .**

كان يعيش من إعطاء دروس في العزف على البيانو لعدد من فتيات الأسر النبيلة ، ويتكفّل باعالة أمّه المريضة بداء الصدر ، وأخويه ، ووالده السكّير القاسي القلب الذي كان يسيء معاملته وإن كان قد أنفق عليه ليتعلم أصول العزف على البيانو . وقد شاء هذا الأب أن يخلق من ابنه طفلاً عجيباً فجعله يتدرّب على عزف القيثارة وهو بعد في الثالثة من عمره ...

في فيينا قابل الموسيقي هايدن وتلقى عليه بعض الدروس ، وكان قد درس زمناً قصيراً على يد موتسارت . وقد أصيب بالصمم في أواخر حياته ، وكان يتجنّب النّاس ويلجأ إلى الطبيعة يدوّن فيها أنغامه وألحانه ، فخلق موسيقى إنسانية تعبّر تعبيراً صادقاً عن أحساس الانسان ...

قصة بتهوفن هي قصة فنان نشأ فقيرا ، ومات فقيرا ، ولكنه لم يحد طيلة حياته عن مبادئه العليا ، وظل مخلصاً لفنه . فحينما اندلعت الثورة الفرنسية ، تنادي بمبادىء الحرّية والمساواة والاخاء شارك بتهوفن الثوار بكل مشاعره وجوارحه ، وكتب سنفونيته الثالثة مهدياً أياها إلى نابوليون بوصفه أحد أبناء الثورة الفرنسية المخلصين ، وأسماها « إيرويكا » أي البطولة .. ولكن بتهوفن ما لبث أن مزّق الاهداء غاضباً ثائراً ، حينما علم أن نابليون جعل نفسه امبراطوراً وراح يستعمر البلاد المجاورة ، ويلغ في بحر من الدماء ...

كان بتهوفن يكتب موسيقاه للخلود فتنبع من أعماق روحه الكبيرة ، الخلاقة ، الواعية ، وقلبه المرهف الكبير ، مستهدياً بالمثل العليا التي تنير أمام البشرية معالم الطريق إلى العدل والمجد ...

« في أواخر أيام هذا العبقري الأصم البائس زاره الموسيقي الايطالي روسيني في منزله الحقير ، فلما رأى بتهوفن غلبته دموعه ، فقال له :

ـ مولاي .. سبقتني دموعي إلى تقبيل الأرض التي وطئتها قدماك ! مولاي أنت قبلة طبعتها العناية الالهية على حياتنا جميعاً !

ولم ينطق بتهوفن ، بل نطقت دموعه .. وأومأ إلى زميله الايطالي أن يجلس . وتابع روسيني كلامه :

ـ مولاي .. أنا أستطيع أن أموت الان دون أي أسف بعد أن رأيتك .

واتجه إلى أحد المقاعد وأزاح بيده كسرة من الخبز الأسود ، وقطعة من الجبن ، وزجاجة فيها بعض النبيذ .. جلس ولم يستطع أن يرفع رأسه .. والتفت بتهوفن إلى البيانو وراح يحرك أصابعه بقوة ...

ولم يقوَ روسيني على النظر إلى بتهوفن وإنما تسلل من البيت . وعندما وجد نفسه بعيداً عن بيت بتهوفن قال لزميل له : لو بقيت هناك مدة أطول لأصابني الجنون . فأنت لا تستطيع أن ترى عظمة الرجل ، وفقره في آن واحد .. **انه يعيش مع الآلهة بفنه ، ويحيا مع الكلاب بطعامه وشرابه وملبسه ! »**

ومما يروى عن شيخ الموسيقى بتهوفن أنه كان لا يضع لحناً إلا إذا صبّ على رأسه كميات كبيرة من الماء البارد .

من الشعراء أحب بتهوفن بلوتارك ، وشكسبير ، وهوميروس ، وغوته ، وشيللر ..

ومن الموسيقيين فضّل **هاندل وباخ وموتسارت على سواهم . فهـــذا الجبار لم يشأ أن تكون غير الآلهة دليلاً له ومرشداً ...**

وبتهوفن الذي كان خاتمة الكلاسيكيين وفي طليعة الرومنطيقيين لم يفتأ يعبّر عن ألمه . وها هو يقول في إحدى وصاياه في سنة ١٧٠٢ ، ولم يكن قد تجاوز الثانية والثلاثين :

« آه منكم أيها الناس الذين ترونني كئيباً ، حقوداً ، فظ الخلق .. انكم تظلمونني هكذا . أنتم لا تعرفون السبب الغامض لسلوكي هـذا . فمنـذ سنيّ الطفولة تفتّح قلبي وتفتحت روحي على الرقة والطيبة . وكان هـــدفي دائماً الوصول إلى الكمال ، وتحقيق الامور العظيمة . ولكن فكروا في أنني أعاني ، منذ ست سنوات ، من ألم لا شفاء له ، زاده حدةً أطباء عاجزون .

ولدت حاد المزاج ، مرهف الاحساس لمسرات الحياة والمجتمع ، ولكنني سرعان ما اضطررت إلى الانسحاب من الحياة العامة واللجوء إلى الوحدة . وعندما كنت أحاول أحياناً التغلّب على ذلك ، كنت أصدّ بقسوة .. ومع ذلك لم يكن بوسعي أن أقول للناس : « ارفعوا صوتكم ! صيحوا ! فأنا أصمّ ! »

يا لشدّة ألمي عندما يسمع أحد بجانبي صوت ناي لا أستطيع أنا سماعه ، أو أن يسمع آخر غناء أحد الرعاة ، بينما أنا لا أسمع شيئاً ... كل هذا كاد يدفعني إلى اليأس ، وكدت أضع حداً لحياتي البائسة ... إلا أن الفن .. الفن وحده هو الذي منعني من ذلك ! »

وهكذا أنقذ الفن .. بل أنقذت الموسيقى التي تفجّر النيران من نفوس الرجال ، والتي تفوق بقوتها قوة الحكمة والفلسفة ، بتهوفن من اليأس في كل مرة كان يدفعه فيها إلى الجحيم .

شـــوبيرت

FRANZ SCHUBERT

« ينبغي لك أن تولد فقيراً معدماً إذا أردت أن تصبح موسيقياً عظيمـاً ! .. فالفقر يزرع في أعمق أعماق النفس شيئاً سرياً جميـــلاً ، شيئاً يولد الشعور والقوة ، والعطف والرقّة . »

هذا ما يؤكده ليوبولد أوار ، استاذ الكمان الروسي الشهير ، الذي اكتشف ودرّب

العدد الاكبر من عباقرة الفن والموسيقى في جيلنا الحاضر .

لم يلقَ موسيقي من شظف العيش في طفولته وشبابه مثلما لقيه فرانز شوبرت (١٧٩٧— ١٨٢٨) . لم تكن ظروف حياته لتساعده على التزود من الثقافة الموسيقية ، ولكن مواهبه الجمة عوضته هذا النقص . ولعل الانصاف الوحيد الذي لقيه في حياته التي ابتسمت له بعض الوقت هو وقوعه في غرام فتاة من أسرة كبيرة كان يدرّسها وبعض أفراد اسرتها الموسيقى . وقد أوحى إليه هذا الغرام بفكرة لحن رائع بدأ في كتابته ، غير أنه لم يتمّه لأن غرامه هذا انتهى قبل أن يتم اللحن . وقد وقف باللحن عند هذا الحد ، فاطلقوا عليه اسم **السنفونية الناقصة**..

ويروى أن شوبرت أرسل مخطوطة « السنفونيا الناقصة » إلى مدير إحدى الجمعيات الموسيقية التي احتفظ بها ٤٢ سنة دون أن يذكر أنها بحوزته . ولم يستطع شوبرت الاستماع إليها .

وكتب فرانتز ليست عن شوبرت يقول : « كان أكثر الموسيقيين شاعرية ! »

كان مؤلفاً موسيقياً غزير الانتاج في مختلف أنواع الموسيقى ، إلا أن المؤلفات التي خلدته هي أغانيه التي بلغت حوالي الخمسماية ، وتعتبر بحق الأغاني الحديثة الأولى . وقد تعرّف شوبرت سنة ١٨١٧ على المغنّي يوهان فوغل ، نجم الباريتون في أوبرا فيينا ، فغنى له بعض أغانيه ، ولكن شوبرت لم يلقَ — رغم نجاح ألحانه — أي إنصاف من الناشرين الذين كانوا يشترونها بأبخس الاثمان .

كان يؤلف بسرعة فائقة ، ولا يراجع ما يكتبه إلا لماماً ، وقد قيل انه كان باستطاعته أن يشترك في أي حديث أو مناقشة يدوران أمامه دون أن يتوقف عن كتابة النوتة لقطعة موسيقية بين يديه .

ولد شوبرت في فيينا في ٣١ كانون الثاني ١٧٩٧ ، وتجلّت موهبته الموسيقية في وقت مبكر . وكان صوته جميلاً فأصبح المغني الأول في الكورس ، فلما شبّ وساء صوته أنصرف إلى تدريس الموسيقى كوالده . فكان يكسب دخلاً منتظماً من التدريس ، إلا أنه عاش فقيراً بائساً طوال حياته .

وقد توفي في فيينا بداء التيفوس في ١٩ تشرين الثاني ١٨٢٨ ، ودفن في ضريح مجاور لضريح بتهوفن لا يفصله عنه إلا ضريحان اثنان .

ويروى أنه عندما سافر الموسيقي الالماني فيبر إلى ألمانيا قابله شوبرت وعرض عليه بعض اوبراته التي وضعها وهو بعد في السابعة عشرة من عمره . فقال له فيبر :

سيدي الموسيقي شوبوت .. ان مؤلفـــات الشباب كالكلاب الصغيرة ينبغي أن تلقى في الماء !

إركـــل

ERKELL

ليس هذا الموسيقي المجري موسيقياً مكافحاً مناضلاً فحسب اقتحم بفنه معركة عنيـدة ضد الظلم والبغي ، وأفنى كيانه وكيان فنه من أجـل انتصار بلاده على العدوان ، بل هو رمز للكفاح والنضال في كل زمان ومكان .

أرّخ اركل بموسيقاه نضال شعبه الذي انتفض ولم يبال بالحديد والنـــار في سبيل الوصول إلى شاطىء السلامة ، وقاد هذا الشعب إلى مشارق النور .

كان هذا الموسيقي في مطلع حياته رئيساً للفرقة الموسيقية في المسرح المجري سنة ١٨٣٧ التي تقدّم ألحاناً راقصة وأنغاماً عذبة رقيقة .. ولكنها أنغام وألحان سرعان ما عافتها نفسه الطامحة الوثابة . إنه ينظر إلى الموسيقى على أنها رسالة وتثقيف ، وهذا النوع من الموسيقى لا يؤدي مهمته الحقيقية ورسالته الخالصة في وطنه المحتل .

ويطلب نفر من أصدقاء اركـل أن يستغل موسيقاه لبث معاني البطولة والتضحيـــة والاقدام في نفس الشعب ليهبّ لمقارعة الاستعمار والتخلّص من نير النمسويين المحتلّين . ويذعن إركل للطلب ويعكف بالتعاون مع المؤلف ايغوش على وضـــع أوبرا « ماريا باتوري » التي تهدف إلى حث الشعب على الجهاد ونفض غبار الاستسلام، ومقاومة الاستعمار النمسوي. وكان فرانتز ليست من أصدقاء إركل فأشار عليه أن يطوف وإياه أرجاء أوروبا داعياً لقضية المجر بموسيقاه . ووافق على الفكرة وكادا يبـدآن الرحلة لو لم يعترض سبيل إركل حادث كان نقطة التحوّل في حياته . فقد كان النمسويون يرحّلون الوطنيين الأبرياء منتزعينهم من ذويهم وأسرهم وأبنائهم . ويرى إركل مشهداً يقشعر له بدنه . . فهذا وطني هارب يُقتل أمام عينيه فتبكيه أمه بدموع حرّى .

وتوقف إركل في مكانه ولم يتقدّم قيد خطوة ، بل التفت إلى زميله ليست قائـلاً : « سأبقى هنا .. في بلادي .. إرحل وحدك ! »

ويمضي ليست في سبيله تاركاً إركل ، مباركاً جهاده في سبيل وطنه .

في نفس اركل التقت آلام الشعب المجري ومحنه التي جرها عليه الاستعمار . فثار بموسيقاه التي كان يسبغها على كلمات صديقه ايغورش لدفع هذه الآلام والمحن كأنه هو وحده الشعب المستعمر ، وألهب بهذه الموسيقى الحماسة في النفوس ...

وقام الشعب المجري بثورته الوطنية الكبرى ضد الاستعمار ، عام ١٨٤٨ ، وكان الشاعر المتحرّر بيتوفي يلقي بنفسه على المسرح المجري ، وفي الشوارع والطرقات ، وفي كل مكان ، قصيدته الخالدة :

« انهضوا يا أبناء المجر ، لقد دقت الساعة ، فلتضعوا الحد الفاصل بين الحرية والعبودية ، اقسموا بالله العظيم أن تكافحوا ولا تُستعبدوا بعد اليوم ».

برليوز

HECTOR BERLIOZ

كان الموسيقي الفرنسي هكتور برليوز (١٨٠٣ – ١٨٩٦) ابن طبيب أراد له والده أن يصبح طبيباً مثله ، ولكن حجرة التشريح كانت أشد وطأة عليه مما يتحمّل ، فتحوّل إلى دراسة الموسيقى في كونسرفاتوار باريس ، مكافحاً ضد البؤس والفقر . فقد كانت أيامه الأولى في الميدان الموسيقي عصيبة إذ أن المبلغ الذي خصّه به والده لمتابعة دروسه الفنّية لم يكن ليكفيه فاضطر إلى اعطاء دروس في العزف على الفلوت والغيتار كيلا يقضي جوعاً . وعمل ناقداً موسيقياً فوصف هاندل بأنه « برميل من لحم الخنزير والبيرة » .. وأهمل كلاًّ من شوبرت وشومان ، وامتدح بتهوفن .. ولكنه كان يكره عمله هذا . فلما حصل سنة ١٨٣٠ على منحة دراسية ارتحل إلى إيطاليا . وعاد فرأى من خلال سحب دموعه دار الفتاة التي أحبها صغيراً . وكان ما يزال يحبها ، ولكنه عرف أنها تزوجت .

ووقع في حب ممثلة إيرلندية هي هنرييتا سميثسون التي ألهمته السنفونية الغريبة . تعرّف إليها وهي تغني في أوبرا « هاملت » (١٨٢٧) وهدّد بجرع السمّ إن هي لم تبادله الحب ، ولكنها لم تبالِ ، ولم تكلف نفسها عناء سماع هذه السنفونية . ولكنّه انتصر عليها أخيراً وتزوجها . غير أنهما انفصلا بعد سبع سنوات من الشقاء .

وأحب فتاة روسية كانت تعمل في إحدى الجوقات الموسيقية ، فكتب من أجلها روميو وجولييت . ومن أشهر أوبراته بنفينوتو تشيلليني وفاوست ... سوى أن

ما شهد بيراته برليوز ليست أوبراته ولا سنفونياته وإنما مقدرته في فن التوزيع الموسيقي الذي خلد اسمه بين أساطين النغم في أوروبا والعالم .

وعبثاً كافح برليوز طوال حياته لفرض نتاجه الموسيقي في بلاده ، ولم يعرف هـذا النتاج الشهرة إلا خارجها بعد أن قام بجولة موسيقية واسعة قدّم فيها وقـاد مقطوعاته ومقطوعات سواه من عباقرة النغم الكلاسيكيين والرومنطيقيين . ولولا هذا التقدير الذي لقيه في الخارج لقضى حياته بائساً معدماً .

في فرنسا لم يفهم أحد موسيقاه ، وقد أورثه طبعه النزق عداوة الكثيرين .. ولكن الدهر ابتسم له ذات يوم ،وأرضى كبرياءه ، وذلك عندما استمع باغانيني إلى « السنفونية الغريبة » ، فتقدم منه وخرّ راكعاً أمامه من فرط تقديره .

وكانت أيامه الأخيرة عذاباً أليماً إذ أصيب بداء الاعصاب الحاد ، ولم يجد الراحة إلا عندما رقد بسببه رقاده الأخير ...

مندلسون

FELIX MENDELSSOHN

لقيت مواهب فيلكس مندلسون (١٨٠٩ — ١٨٤٧) كمؤلف موسيقي وعازف بيانو كل تشجيع في مسقط رأسه هامبورغ بحيث أنه كان يعزف البيانو في الحفلات الموسيقية الكبرى وهو بعد في التاسعة من عمره . **وقد شرع في التأليف وهو في الثانية عشرة .** ومما تجدر الاشارة إليه أن الافتتاحية المشهورة « حلم ليلة صيفية » وضعها وهو في السابعة عشرة . وفي سنة ١٨٢٩ قاد جوقة (كورس) مؤلفة من ٣٥٠ صوتاً في قطعة **« آلام القديس متى »** التي ألّفها يوهان سيباستيان باخ ، والتي كانت أول عمل من هذا القبيل يُقدّم بعد وفاة باخ سنة ١٧٥٠ . وقد عيّن مندلسون مديراً للموسيقى في دوسلدورف سنة ١٨٣٣ ، وبعد سنتين أصبح مديراً لجوقة لايبزيغ ، وهو أرفع منصب موسيقي في ألمانيا وقتذاك . وفي سنة ١٨٤٦ اضطر للاستقالة بسبب سوء صحته ، وتوفي السنة التالية عن ٣٨ عاماً ..

كانت رحلته إلى اسكتلندا سنة ١٨٢٩ مصدراً ألهمه **« السنفونية الاسكتلندية » وافتتاحية الهبريد** . أما سنفونيته الايطالية فتعكس ذكرياته في روما ، والبندقية ، ونابولي . ومن أشهر أعماله **سنفونية الاصلاح ، واوراتوريو ايليا ...**

كانت طفولة مندلسون سعيدة هانئة لأن أسرته كانت ترتع في بحبوحة من العيش . ولعله من بين الموسيقيين القلائل الذين نعموا في حياتهم باليسر والشهرة معاً .

وقد أسس معهد لايبزيغ الموسيقي وتولّى ادارته ردحاً من الزمن . إلاّ أن جـــده وعمله المتواصلين نهكا قواه ، فساءت صحته . ولمـا أصيب بداء في القلب لم تستطع بنيته تحمّل النوبات الثلاث التي قضت عليه سنة ١٨٤٧ ، بعد أن نفض يده من اوراتوريو ايليا . .

شوپـــان

FREDERIC CHOPIN

« عاش شوبان عمر الزهور ، ومضى قبل أن تبرد حرارة قبلته على ثغر الوجود، ولكنه ترك خلفه أريجاً يعطر أنفاس الدنيا إلى الأبد . »

في ٢٢ شباط سنة ١٨١٠ ولد فردريك شوبان من أم بولونيـة وأب فرنسي .. واتفق ساعة مولده أن كانت إحدى الفرق الموسيقية المتجوّلة تعزف تحت نافذة الغرفـة التي ولد فيها سيد الموسيقى .

وعلى خلاف العادة ، لم يفتح الوليد فمه ليستقبل النور بالبكاء ، وإنمـا فتح أذنيه ليسمع الموسيقى ، همزة الوصل بين الأرض والسماء . ولما بلغ شوبان الخامسة عشرة من عمره ، وكان قد بلغ المرحلة الجامعيّة ، عزف أولى مؤلفاته الموسيقية أمام الأمبراطور اسكندر، قيصر روسيا ، وما كاد ينتهي حتى ضمّه القيصر إلى صدره ، ونزع من اصبعه خاتماً ثميـنـــاً قدمه إليه قائلا : « لقد أردت أن أضفي شرفاً على هذا الخاتم بخـلده ، وأعتقد أنك عندما تضعه في أصبعك ستكتب له الخلود ! »

عندما غادر شوبان فرصوفيا وهو في العشرين من عمره ليبحث عن أكاليل الغـار في عواصم أوروبا الموسيقية (برلين ولايبزيغ وبراغ وفيينا وميونيخ) كان أشد لمـــا يعذبه اعتقاده بأن عينيه لن تكتحلا بعد ذلك برؤية وطنه بولونيا . **لذلك ملأ كأساً صغيرة بتراب وطنه الحبيب كان يحملها معه أنى ذهب . وما هي إلا عشرون سنة حتى قضى نحبه في باريس بداء الصدر . فلما ووري نعشه الثرى نثر أصدقاؤه محتويات الكأس الصغيرة فوق النعش .**

كتب شوبان مرّة من اسكتلندا يقول : « عزيزتي بولونيا .. أراك من خلال الضباب

الكثيف [illegible] ، وذقنها .. بولونيا التي تنشدين وتبكين .. أيتها الأرض الحبيبة المسكينة ، إن قلبي لك !»

ولقد تُرجمت عواطف قلبه الكبير إلى موسيقى خالدة .

يمكن أن تكون الموسيقى لغة عالمية ، ولكن جذورها غالباً ما تكون متأصّلة في أعمق أعماق التراث الوطني للمؤلف الموسيقي سواء أعرف ذلك أم لم يعرف . ولقد عرف شوبان ذلك .. فكان ان اتجه بموسيقاه إلى ألحان الشعب وأغانيه لأن بولونيا كانت ترزح تحت نير روسيا القيصرية ...

ولقد احتفلت فرصوفيا ، عاصمة بولونيا ، بعد تحريرها من النير النـــازي إثر الحرب العالمية الأخيرة برجوع قلب شوبان المحفوظ في صندوقة صغيرة احتفالاً حماسياً . فقد نقل البولونيون أثناء الاحتلال الألماني هذا الأثر الثمين من مكانه ووضعوه في مكان أمين .

ولكن هل قلب شوبان كله في فرصوفيا ؟ ألم يترك شيئاً منه في فرنسا على مقربة من صديقاته الجميلات اللواتي انشدن له أغنية « الليل » وهو على فراش الموت ؟ ألم يترك شيئاً منه لجورج صاند التي لم تحضر وفاته ؟

قال شوبان وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة : « أين جورج ؟ لقد وعدتني بأنني سأموت على ذراعيها ؟» .. ففي سنة ١٨٣٦ تعرّف بواسطة الموسيقي فرانتز ليست إلى الكاتبة الفرنسية جورج صاند ووقع في غرامها . ولكن علاقتهما انتهت سنة ١٨٤٤ بعد حب عنيف أضناه فوق ما كان يعانيه نفسانياً وجسمانياً من متاعب . وكانت وفاته في باريس بعد عودته من لندن حيث عاش سنتين .

شومـــان

ROBERT SCHUMANN

بـدأ روبرت شومان (١٨١٠ — ١٨٥٦) بوضع المقطوعات الموسيقيـة وهو دون السابعة من سنه . . مات أبوه ، وكان صاحب دار للنشر في سكسونيا ، فصرفته أمّـه ووليه عن الموسيقى ، وأدخلاه كلّية لايبزيغ لدرس الحقوق . غير أنه لم يهتم في قليل أو كثير بدراسة القانون ، بـل انصرف إلى تأليف الأغاني ووضع الألحان في حين كان يتلقى دروساً على البيانو تحت اشراف فريدريك فايك . وكان يطمح إلى أن يصبح عازفاً

على البيانو من الطراز الأول . ولكن جهده المتواصل في سبيل تحقيق هـذه الأمنية الغالية أثـّر في أعصاب يده ، ووجد نفسه في النهاية عاجزاً عن التوقيـع على البيانو . عندئذ عكف على التأليف الموسيقي . وكان في هذا الحقل أسعد حظاً ، فلمع وأضحى من موسيقيي العالم المشهورين . وقـد بلغت مؤلفاته الموسيقية أربعة وثلاثين مجـلداً . **وكان عام ١٨٤٠ – ويسمونه عام الأغاني – اسعد الاعوام في حياة شومان .**

تعرّف شومان بكلارا فايك ، ابنة معلمـه ، فتحابا . غير أن والد الفتـاة عارض في زواجها . وبعد ثلاث سنوات قضياها في تبادل الرسائل ، ضربا بمعارضة والديّ كلارا عرض الأفق ، وتزوجا في شونيفيلد بالقرب من لايبزيغ . فكان زوجاً مخلصاً وأباً كريماً لسبعة أبناء ...

كانت كلارا تجيد العزف على البيانو . وقد عمّرت أربعين سنة بعد وفاة زوجها ، وكان لها الفضل في نشر نتاج شومان الفني في أوروبا . وقد نشرت رسائل الحبيبين الغرامية بعد وفاتها .. وهذا نموذج من رسائل شومان إلى زوجته قبل اقترانه بها :

« لي إليك رجاء واحد ! لما كان يستحيل لقاؤنا لاسباب تعرفينها رأيت ان اضع الخطة التالية : غداً صباحاً ، الساعة الحادية عشرة تماماً ، سأوقع جزءاً من قطعـة موسيقية لشوبان ، وسأحصر في الوقت نفسه تفكيري فيك . وكل مـا ارجوه منك هو ان تحذي حذوي ، فنلتقي نحن الاثنين ، على بعد الشقة بيننا ، وتمتزج روحانا ... سأنتظر ردك علىهذا المطلب الغريب ، وآمل ان يصل إلي في الوقت المناسب ... »

وحوالي سنة ١٨٣٣ بدأت تظهر على شومان دلائل الضعف في قواه العقلية .. فحاول سنة ١٨٥٤ الانتحار بقفزه إلى نهر الراين ، ولكنه أنقذ . إلا أن أعراض الجنون ما لبثت أن بدت عليه ، فقضى السنتين الاخيرتين من حياته في أحد المصحّات العقلية . وقد توفي في ٢٩ تموز ١٨٥٦ عن ٤٦ عاماً .

ومن أشهر أعمـاله الموسيقية المقطوعات التي ألفهـا للبيانو ، والكونشرتو للبيانو ، وسنفونياته الأربع ...

ليسْت

FRANZ LISZT

يُعد ليست (١٨١١ – ١٨٨٦) بحق أشهر من داعبت أنامله الرهيفة الطيعـة أصابع

البيانو الناجين في جميع العصور . ولد في ريدنغ في المجر ، وكان أبوه من الموسيقيين الهواة. فلما بلغ العاشرة ، وكان قد ورث هذه الموهبة الفنية عن والده ، لفت إليه أنظار الموسيقيين، ومموّلٍ أمدّه بالمال ليتلقى دروسه الفنّية في فيينا وباريس . وأصبح موسيقياً مرموقاً . فلما بلغ ذروة مجده انزوى في بلدة فايمار حيث صرف اهتمامه وجهوده إلى إدارة الأوبرا ، ووضع المقطوعات الموسيقية التي خلدت ذكره .

وقد عُرف بالحلم ، ورحابة الصدر ، وعزة النفس ، وسعة الخلق ، ولطف المعشر ، مما أكسبه اعجاب الكثيرات من الجنس اللطيف وتقديرهن . وكان بينهنّ جورج صاند ، والكونتيس داغولت التي أنجبت له ثلاثة أولاد ، والأميرة كارولين ساين ــ وتغنشتاين . ويقال انه انتظم في سلك الرهبنة الفرنسيسكانية ليتخلص من الاقتران بهذه الأميرة الهائمة به . وقد رسمه البابا بيوس التاسع راهباً بصفة استثنائية . ومن رسائله الغرامية إلى الكونتيس داغولت تلك التي يقول لها فيها :

لا تعيري كلامي اذناً صاغية إذا ما كان يدور على غير الحب والسعادة. مزقي رسائلي واحرقي صفحاتها إذا ما احتوت على اسم غير اسمك ، او إذا كان فيها مـــا لا يروقك سماعه . عودي إلي ثانية إذا شعرت برغبة في ذلك .. تعالي ، تجديني وحيداً .. اجل وحيداً ! بدونك لا اعرف الشمس ، ولا الطبيعة ، ولا الله ، ولا المعبد ، ولا الحياة ؟ »

ومن أشهر مؤلفاته الموسيقية : القصائد السنفونية الثلاث عشرة ، وسنفونيتا فاوست ودانتي ، والرابسودي المجرية .

كان الموسيقي ليست يعزف على البيانو في بلاط قيصر روسيا . ولم يكن القيصر ينقطع عن الثرثرة طيلة الوقت ، مما أزعج ليست وجعله يسأل عن اسم الثرثار . فلما عرف أنه القيصر تجاهل الأمر ، وانصرف إلى العزف .

غير أنه لم يستطع مواصلة عزفه للجلبة التي كانت تتصاعد من مقعد القيصر والمقاعد المجاورة له . فتوقف ، وتعلقت به الأنظار ، وتساءل الجميع عما سيحدث . وما عتم القيصر أن قال :

ــ لِمَ توقّفت عن العزف ؟

فأجاب ليست بأدب جم :

ــ عندما تتحدث الجلالة الأمبراطورية يصمت الجميع !

فـــيردي

GIUSEPPE VERDI

يقترن اسم الموسيقي الايطالي جوسيبي فيردي (١٨١٢–١٩٠١) باوبرا عايده التي وضعها خصيصاً لكي تُقدم على مسرح دار الاوبرا في القاهرة . ومما يذكر في هذا الصدد أنه عندما طُلب اليه الحضور الى مصر للاشراف بنفسه على اخراج هذه الاوبرا طلب بناء جسر من الساحل الايطالي الى الساحل المصري لانه كان يخشى ركوب البحر !..

بدأ العزف على الارغن في العاشرة من عمره . عرف الفشل في بعض اعماله ، وذاق مرارة الحزن بوفاة زوجته وولديه . ومن اشهر اوبراته التي خلدت اسمه بين اساطين النغم : اوبرتو ، ماكبث ، ريغوليتو ، عطيل ، عايدة .

في سنة ١٨٦٩ طلب الخديوي اسماعيل الى فيردي ، وكان في ذروة مجده الفني الخلاّق ، أن يؤلف اوبرا تقدّم خلال الاحتفالات بتدشين قناة السويس . فكان جوابه الرفض . وفي العام التالي اغتنم الخديوي فرصة وجود الموسيقي في باريس فجدد طلبه بواسطة صديق لفيردي يدعى دولوكل، واعداً اياه بمكافأة سنية . فرفض فيردي مرة اخرى، ورحل الى ايطاليا . ولكن دولوكل أرسل اليه ، بعد اسبوع أو اسبوعين ، سيناريو موجزاً لاوبرا اكتشف فيه الموسيقي الايطالي موضوعاً رائعاً يستند اليه التعبير الموسيقي ، وقرّ رأيه على تلبية رغبة الخديوي .

ومما تجدر الاشارة اليه ان بعضهم اتهم فيردي بأنه قلّد ، في اوبرا عايده، الموسيقي الألماني رتشارد فاغنر . فأثّر هذا الاتهام السخيف في نفسه أبلغ تأثير لأن عايده كانت بالنسبة اليه النهاية المنطقية الحتمية لأكثر من ثلاثين سنة كرّسها لخدمة فن الاوبرا الايطالي. **وعلى الرغم من ان عايدة ، وسائر اعماله الموسيقية السابقة ، جرّت اليه الثروة والشهرة العريضة في العالم الفني ، فان الاتهام بالفاغنرية أقضّ عليه مضجعه زمناً غير قصير . ذلك بأنه ليس في اوبرا عايدة ما هو غير ايطالي ، او ما هو غريب عن روح فيردي ...**

ڤـاغـنـر

RICHARD WAGNER

أبصر رتشارد فاغنر النور في ٢٢ أيار ١٨١٣ في لايبزيغ في المانيا من أب موظف في شرطة هذه المدينة . مات والده وله من العمر ستة أشهر ، وتزوجت والدته وهو بعد في الثانية من الممثل والمؤلف المسرحي والرسام والمغني لودفيغ غاير ، وأقامت وأياه في درسدن . ولما أصبح في الثامنة من عمره توفي زوج أمه الذي كان يعطف عليه عطفاً شديداً ، ويحبه حباً كبيراً ، جعل ألسنة السوء تتهم زوج الأم هذا بأبوّة رتشارد . وكان لرتشارد من الاخوة ثمانية بين صبيان وبنات ، تميز أربعة منهم بشغفهم الشديد بالفنون . ولقد تزوج مغنية حسناء تدعى مينا بلانر كانت عبئاً ثقيلاً على عبقريته في المرحلة الأولى من حياته الفنية الحافلة بعدم تقديرها مكانة زوجها . إلا أنها كانت شديدة الاخلاص له في أيام العسر التي عرفاها ...

عُرف فاغنر بقدرته العجيبة على التجديد ، والخلق والابداع . وقد اختلف الناس في تقديره ، فمنهم من يجده مثال العبقرية الانسانية ، ومنهم من لم ينكر عليه هذه العبقرية بل رأى فيه « شاعراً مهووساً ، وموسيقياً معقد التركيب ، شائك المسلك . ويكفي ان نذكر في هذه المناسبة ماقاله عنه نيتشه من انه موسيقي الانحلال والنذير بانحطاط اوروبا وافول نجمها ... »

كان فاغنر موسيقياً ، واديباً ، وشاعراً ، وناقداً فنياً ، وقد جدد في كل هذه الميادين ، وحاول أن يقلب رأساً على عقب القيم الفنية كلها . اشتهر بوقائعه الغرامية لأنه عاش انساناً بكل معنى الكلمة وأحب وتألم ... سعى وراء الحب ينشده في حياته ، كما ينشده في مؤلفاته الموسيقية التي يدور معظمها حول هذه العاطفة الكبيرة . ومن أشهر أوبرلته العاطفية نذكر **تانهاوزر ، منشدو نورنبرغ ، خاتم القزم ، تريستان وايزولت ، فالكيري ، سيغفريد ، بارسيفال .**

ولا غرو إذا قلنا أن مقطوعات فاغنر الموسيقية هي أروع الأناشيد التي رفعها موسيقي للمرأة والحب !

كان فاغنر يعتبر الرقم ١٣ فألاً حسناً . فاسمه يتألف من ١٣ حرفاً ، وقد ولد سنة ١٨١٣ التي تجمع أعدادها ١٣ . وترك المدرسة وهو في سن ١٣ . ووضع ١٣ أوبرا ، وأحب ١٣ امرأة ، وكان اسم امه يتكوّن من ١٣ حرفاً . أما الوظيفة التي شغلها ،

وهي تدعى بالالمانية «كابلمايستر» فتتألف كذلك من ١٣ حرفاً . وقـــد توفي في ١٣ شباط ١٨٨٣ .

غـــونـــو

CHARLES FRANÇOIS GOUNOD

لدى نهاية سنته الأولى في كونسرفاتوار باريس الذي دخله وهو في الثامنة عشرة من عمره ربح شارل فرنسوى غونو (١٨١٨ – ١٨٩٣) جائزة رومـــا الثانية بأغنية **ماري ستيوارت وريزيو** المقتبسة من قصة غرام ماري ، ملكة الاسكتلنديين. وفي سنة ١٨٣٩ كسب جائزة روما الكبرى بأغنية **فونان** .

اشتهر غونو بمقطوعاته الموسيقية الدينية والدراماتيكية . وقد لفت إليه الأنظار – بعد نجاحه الباهر في الكونسرفاتوار – بقطعة **القداس الاحتفالي** التي ظهرت سنة ١٨٥١ . وقد سجل نجاحاً في ميدان الاوبرات عندما وضع في السنة نفسها **اوبرا صافو** . ولقـد تسلـّم منصب المراقب العام لتعليم الغناء في المدارس الحكومية في باريس ، ومنصب المدير لجمعيـة الترنيم الخاصة بهذه المدارس . وخلال الحرب الفرنسية الالمانية نظـّم جوقة في انكلترا .

أخرجت أوبرا فاوست التي اشتهر بها غونو في ١٩ آذار ١٨٥٩ ، فـــلم تلاق الشهرة المنتظرة حينذاك . فلقد فضّل النقّاد الفرنسيون أوبراه **روميو وجولييت** عليها لأنها – كما ذكروا – ذات قيمة موسيقية أكبر . **ومن أشهر الأوراتوريو التي وضعهـــا نذكر الفداء ، وحياة وموت القديسة سيسيليا .**

بـروكـنر

ANTON BRUCKNER

وُلد انطون بروكنر (١٨٢٤–١٨٩٦) في قرية صغيرة من القرى النمسوية ، وتلقى بعض المبادىء الموسيقية على والده . فما أن توفي الوالد حتى التحق مغنياً في جوقة دير سان فلوريان الكنسية حيث تعلـّم العزف على الارغن والكمان والبيانو . وقد أصبح فيما بعد مدرّس الموسيقى في هذا الدير . ولكنه عاش طوال حياته يشكو من مركـّب النقص ،

ويسعى الى تثبيت دعائم شهرته الموسيقية بالحصول على الشهادات والجوائز الفنية . وقد تأثر كثيراً بالموسيقي الالماني رتشارد فاغنر ، وكان لاوبرا **تالهاوزر** لفاغنر أثر كبير في تحويله الى التأليف الموسيقي .

ومما يؤثر عنه أنه كان لا يرى شجرة إلا ويقف ليحصي عدد أوراقها . . ولا يفتح كتاباً دون أن يعتقد أن عليه أن يحصي ما تحتويه صفحاته من نقاط وفواصل .

كان بروكنر أثناء تدريسه الموسيقى في معهد فيينا الوطني (الكونسرفاتوار) في نزاع مستمر مع زملائه المدرّسين بسبب غيرتهم الشديدة منه وحسدهم اياه . وتحدث فضيحة تؤثر في نفسه بالغ الاثر ، وتورثه كره معاصريه . وتتلخص هذه الفضيحة بأنه أخطأ ذات يوم ونادى إحدى تلميذاته بعبارة « **كنزي الثمين العزيز** » . فتعلّقت الصحافة بهذه العبارة ، وضخمها الرأي العام فجعلاها فضيحة كبرى . ولكن الامبراطور فرنسوى جوزف ما لبث أن عوّض على الموسيقي ما لحق به من ضرر في وطنه ، فأغدق عليه النعم والرتب . إلا أن بروكنر كان يشكو من عقدة نفسيّة قاتلة ، واضطراب في الأعصاب ، فلم يرَ بداً من الاستقالة من منصبه والعيش في عزلة تامة عن الناس الذين كان يجد راحة تامة في الابتعاد عنهم . وقد توفي سنة ١٨٩٦ دون أن يتمكن من أنهاء سنفونيته التاسعة ، تاركاً للعالم تراثاً موسيقياً رائعاً .

يوهان شتراوس

JOHANN STRAUSS

في سنة ١٨٤٤ نظّم الموسيقي الشعبي النمسوي يوهان شتراوس اوركستراه الخاصة به وقاد اول كونشرتو من تأليفه . فوضعه نجاحه على صعيد واحد مع والده رتشارد الذي كان كان حتى ذلك الحين اشهر قائد جوقة راقصة في فيينا القديمة .. فلما توفي الاب وحّد يوهان الفرقتين الموسيقيتين .

ابصر يوهان النور سنة ١٨٢٥ ، فكانت دروس العزف على البيانو مكافأته على العلامات الجيدة التي ينالها في مدرسته . الا ان والده لما سمعه مرة يعزف بمهارة فائقة على الكمان انتزعه منه من فرط غيرته . فابتاعت له امه كماناً آخر جعل يتدرب عليه في بيوت الاصدقاء. وذات يوم اندفع يوهان منشداً في احد الصفوف فطرد من المدرسة التجارية ...

وبدلا من ان يتعلم تأليف الموسيقى الدينية راح يعزف الحان الفالس على أرغن الكنيسة .

كان يوهان في التاسعة عشرة من عمره عندما تم الطلاق بين والديه ، فألفى نفسه بحاجة الى كسب المال . فاندفع يعمل قائداً ومؤلفاً موسيقياً . ولم تمض عشر سنين حتى اصبح معبود فيينا ، ومختلف البلدان الاجنبية التي قام فيها بجولات موفقة . وقضى عشر سنين كذلك قائداً للحفلات الموسيقية الصيفية التي كانت تقام في سان بطرسبرج ، في روسيا .

تزوج شتراوس في سنة ١٨٦٢ من هنريتا تريفز ، وهي من اسرة عريقة ، موسرة . وفي سنة ١٨٦٤ عيّن مديراً لموسيقى الرقص في بلاط فيينا . وما هي الا ثلاث سنوات حتى غزا باريس والعالم بأجمل فالس وضعه **الدانوب الازرق** ، وعزفه للمرة الأولى في معرض باريس الدولي (١٨٦٧) .. فعلى ايقاع هـذا الفالس رقص الملوك والامراء في طول اوروبا وعرضها . وقد وصف الكثيرون هذا الفالس بانه من أجـدى الوسائل لتخفيف الهموم وتجديد الآمال . وتحوّل شتراوس بعد ذلك الى الأوبريتات ، فكانت اولاها **انديغو** سنة ١٨٧١ . وفي العام التالي قـام برحلة الى الولايات المتحدة الاميركية حيث استقبل افخم استقبال . وحفلت السنوات العشرون الأخيرة من حياته بالاحتفالات الصاخبة والمآدب السخية التي اقيمت على شرف **ملك الفالس** في كل مكان . **وقد بلغ عدد مقطوعاته الواقصة زهاء الخمسماية اشهرها : حكايات من غابات فيينا ، حياة الفنانين ، خمر ونساء وغناء ، فالس الامبراطور ، واصوات الربيع ... اما اوبريتاته فأروعها كارنفال في روما ، الوطواط ، والبارون الغجري .**

كان لشتراوس اصدقاء كثيرون احبهم الى قلبه يوهان برامز .. وكان فرانتز ليست اول من اعترف بصلاحية فالسات شتراوس كمقطوعات للبيانو ...

بـرامـز

JOHANN BRAHMS

كان يوهان برامز آخر الموسيقيين الكلاسيكيين الالمان الكبار . ولد في هامبورغ في ٧ أيار ١٨٣٣ ، وتلقّى اول دروسه الموسيقية على يد والده ، وما لبث ان اشتهر كعازف على البيانو . وكانت نقطة التحوّل في حياته سنة ١٨٥٣ خلال احدى الجولات الموسيقية التي اشترك فيها برامز بالعزف على البيانو . ولم تكن البيانو « مدوزنه » دوزاناً صحيحاً فاضطر برامز الى عزف قطعته مغيّراً في مقامها مما ادهش عازف الكمان الالماني الشهير جوزف يواكيم

الذي كان بين الحضور . فأعطاه رسائل توصية الى كبار الموسيقيين يومذاك وبينهم فرانتز ليست وروبرت شومان . وقد حمل برامز الى هذا الأخير بعض مؤلفاته فتوسم فيه العبقرية . **وفي مقـــال كتبه بعنوان « سبل جديـــدة » تكهن شومان بأن برامز سيكون عظيماً .**

وواصل برامز ، على الرغم من شهرته ، الدرس واقامة الحفلات الموسيقية ، والتأليف ، وأقام في فيينا من سنة ١٨٦٢ حتى وفاته سنة ١٨٩٧ ، مع انه زار ايطاليـــا ، والمانيا ، وسويسرا . وبسبب خوفـه من البحر رفض تلبية الدعوة الى انكلترا لتسلّم الدكتوراه الفخرية في الموسيقى من جامعة كيمبريدج . وقد منحته جامعة بريسلاو الالمانية لقب دكتور في الفلسفة . وفي سنة ١٨٨٩ مُنح لقب مواطن شرف في مدينة فيينا .

احتلّ برامز مكانته في قلوب الالمان سنة ١٨٦٨ بقطعته **الجناز الالماني** الذي وضعه تخليداً لذكرى الجنود الألمان الذين سقطوا في الحرب مع النمسا . ومن أحب مقطوعاته لرقصات المجرية ، وأغانيه ، والكونسيرات التي وضعها للبيانو والكمان، وأربع سنفونيات. لم يحاول قط ان يؤلف اوبرات . وكان اذا شهد احدى الاوبرات يغادر المسرح قبل النهاية مبدياً دائماً قرفه مـــن مزج الموسيقى بالتمثيل . ولم يعترف بعظمة رتشارد فاغنر كمؤلف موسيقي مع أنه لم يخلُ تماماً من التأثر به .

ومـــا يروى أن زوجة صديقه يوهان شتراوس ، ملك الفالس ، قدمت اليـــه « اوتوغرافها » ذات يوم طالبة اليه ان يكتب لها عبارة ويوقـّعها، فما كان منه إلا أن كتب المقاطع الأولى من فالس « الدانوب الازرق الجميل » ووقـّع تحتها بهذه العبارة : « لسؤ الحظ أنني لست واضعها ! ــ ي . برامز . »

وكان برامز مغرماً بارملة الموسيقي روبرت شومان ولكنهما لم يتزوجا .

بـــيزيـــه

GEORGES BIZET

كانت اوبرا كارمن ، وتعتبر اليوم تحفـــة الموسيقي الفرنسي جورج بيزيه ، المحاولة الأخيرة التي بذلها هذا الفنان لكسب ثقة ورضى الجمهور الذي لم يشأ ان يستقبل مـــن قبل بأي تقدير أو حماس أياً من مؤلفاته الموسيقية . وقـــد أخرجت **كارمن** للمرة الأولى في ٣ آذار ١٨٧٥ فتنكر لها الجمهور واستقبلها بفتور . غير أن بيزيه كان يعتقد اعتقاداً راسخاً أنه

ألف اوبرا رائعة. وقد صدق اعتقاده هذا إذ أن كارمن اليوم تعتبر من اكثر الاوبرات العالمية شعبية وشهرة .

واوبرا كارمن مأساة غرامية مقتبسة من قصة كتبها بروسبير ميريمه ، ونظمها للاوبرا ميلهاك وهاليفي .. وزمان وقوع حوادثها بداية القرن التاسع عشر .. اما مكانها فمدينة اشبيلية وما يجاورها من الجبال .

ولقد أثر فشل كارمن وقتئذ في نفس الموسيقي المسكين فقضى بداء القلب ضحية الحزن واليأس بعد ثلاثة أشهر من ظهورها على المسرح ...

أبصر جورج بيزيه النور في ضواحي باريس (١٨٣٨–١٨٧٥) والتحق بالكونسرفاتوار في التاسعة من عمره . وتجلى نبوغه في وقت مبكر، ونال الجوائز الفنية السنية وهو لم يتجاوز العشرين . ففي سنة ١٨٥٧ نال جائزة روما الكبرى بأغنية كلوريس وكلوتيلد . أما أول اوبرا وضعها فكانت **صيادو اللؤلؤ** ، واتبعها باوبرا **حسناء بيرت** . والى جانب التأليف الموسيقي كان بيزيه عازف بيانو من الطراز الأول ، وقارىء نوتة بارعاً .. ويُعد من اشهر اعلام الموسيقى في فرنسا في القرن التاسع عشر .

وبقدر ما حالفه التوفيق في حداثة سنه ، فقد تخلى عنه الحظ بعد ذلك طوال ايام حياته . لقد انتج بعد عودته من ايطاليا أربع اوبرات لم تلق واحدة منها نجاحاً ، وكان نصيبها الفشل جميعاً . وقد تحمّل هذا الاخفاق بصبر واناة مما اضطره الى كسب عيشه عن طريق تدوين المقطوعات الموسيقية المشهورة وتوزيعها لآلات معينة يمكن ان تقوم بادائها .

موسورغسكي

MODEST MOUSSORGSKY

الموسيقي الروسي موديست بتروفتش موسورغسكي (١٨٣٩–١٨٨٠) معروف باوبرا **بوريس غودونوف** الرائعة الالوان . دخل الجيش في سن السابعة عشرة .. وقد عرّفه احد زملائه بموسيقي كان فاتحة تعرّفه بموسيقيين آخرين درس على ايديهم .

اخرجت له اوبرا بوريس غودونوف للمرة الاولى في دار الاوبرا الامبراطورية الروسية سنة ١٨٧٤ فنالت شهرة كبيرة لحيويتها. وفي السنة التالية اتم اوبرا تاريخية دعاها **غوفنتشينا** .

ومع ان موسورغسكي عمل في هـذه الاوبرا طوال حياتـه فان زميله رمسكي

كورساكوف انهها سنة ١٨٨١ ، ولم تقدم الا بعد وفاة موسورغسكي . وتدور قصتها حول مؤامرة على القيصر بطرس الاكبر . وقد وضع هذا الموسيقي قطعاً عدة للبيانو اشهرها صور في متحف . وتكهن موسورغسكي عن التطور الحديث في الفن فقال : « **تكون البناية جميلة عندما تكون – الى جانب مظهرها الخارجي البديع – مبنية على تخطيط هندسي تام متين ، وعندما يشعر المرء بالغاية نفسها من اقامتها .** »

تشايكوفسكي

PETER ILICH TCHAIKOVSKY

كان تشايكوفسكي (١٨٤٠ – ١٨٩٣) في الثانية والعشرين من عمره عندما اعتزل عمله في وزارة العدلية ليلتحق بالمعهد الموسيقي في بطرسبرج . وكان استاذه في الموسيقى رجلا يدعى انطون روبنشتاين الذي لم يقدّر مطلقاً مواهب تلميذه الفنية .

تكشّفت مواهب تشايكوفسكي لنيقولا روبنشاين ، شقيق انطون ، فعزّ عليه ان يرى هذا الشاب في معهد موسيقي لا يقدره قدره ، فدعاه لأن يتولى تدريس الموسيقى في معهد موسكو الجديد . ولم يمض طويل وقت على تشايكوفسكي حتى شرع يضع الالحان والسنفونيات الرائعة ، فبوأته المقام المرموق بين كبار رجال الموسيقى الروس، واكسبته شهرة ذائعة في عالم الفن .

وتعرّف في هذه الاثناء بأرملة غنية على جانب من الجمال تدعى نادجدا فون مك كانت تمده بالمساعدات المالية ، ثم عيّنت له مرتباً سنوياً قدره ثلاثة آلاف دولار امـيركي .

واستمرت صداقتهما هذه ثلاث عشرة سنة ، كانت صديقته الارملة خلالها تسهر على راحته ، فتدبر شؤون منزله ومعيشته يوماً فيوماً ، وترعاه رعاية الام لوحيدها دون ان يتخاطبا او يبدو عليهما انهما متحابان .

وكرّت الايام ، واضطر تشايكوفسكي لان يتزوج من انطونينا ايفانوفا ميلوكوفا ولكنه سرعان ما تبّرم بحياته الزوجية ، فهجر المنزل الزوجي بعد ثلاثة اشهر . وعرفت الارملة الغنية بما حدث ، فامدته بمبلغ من المال يستعين به على تدّبر شؤونه .

الا ان نادجدا قطعت عنه المساعدات فجأة ودون ما سبب ، وكفّت عن الكتابة اليه واضعة بهذه المقاطعة حداً لصداقتها الغريبة . ومـا هي الا سنوات حتى قضى الموسيقي

الروسي نحبه وهو في الثالثة والخمسين من عمره (١٨٩٣) ، وقبل وفـــاة صديقته الارملة المحسنة ببضعة شهور .

دڤورجـاك

ANTONIN DVORAK

تعتبر المختارات الموسيقية **المجون** التي وضعها ابن القصاب البوهيمي من اروع الالحان الشائعة. فقلما تمر ساعة من ساعات النهار او الليل الا وتعزف هذه المقطوعة في مكان ما من العالم . اما مؤلفها فيدعى انطون دفورجاك .. هبط الولايات المتحدة وهو في العقد الخامس من العمر ، الا انه لم يستطع العيش في نيويورك الصاخبة فهجرها الى قرية وادعة هي قرية سبيلفيل من اعمال ولاية ايوزى . وفي هذه البلدة الصغيرة عكف دفورجاك على وضع جزء كبير من **سنفونية العالم الجديد** التي تعتبر من اجمل المقطوعات الموسيقية واروعهـــا على الاطلاق . وقد تردد طويلاً قبل تسميتها بهذا الاسم لانه رغب باديء ذي بدء بأن يطلق عليها اسم **سنفونية سيبلفيل** تخليداً لذكرى حقول الذرة التي عاش وسطها ابان وضعها .

ابصر دفورجـــاك النور (١٨٤١ – ١٩٠٤) في قرية نائية في بوهيميا . ولم يتلق اية دروس عليا لانه اضطر الى مساعدة والده القصاب معظم الوقت . وكان رأسه يضج بالأغاني والالحان وهو منصرف الى صنع المقانق،ووزن قطع اللحم وبيعها. وسرعان ما غادر قريته الى براغ لدراسة الموسيقى . ولم يكن في جيبه سوى بضع قطع نقدية حصّلها مـن المارة الذين كان يعزف لهم على كمانه في الشارع . وقد استأجر غرفة حقيرة في براغ اقام فيها مـع خمسة زملاء آخرين توفيراً منهم واقتصاداً .

وكانت الغرفة شديدة البرد شتاء .. وكثيراً ما كان يبيت على الطوى اقتصاداً منه للمال اللازم لاصلاح الخلل الذي كان يطرأ على البيانو . وعلى هذا البيانو وقّع دفورجاك اروع ما يمكن لنفس بشرية ان تسكبه من ألحان وأغان. **ولكن هذه الروائع الفنية لم يتح لها النشر لان صاحبها لم يملك وقتئذ ثمن الورق لكتابتها . وكم من مرة التقط اوراقاً قذرة مهملة ملقاة في الشارع ليكتب عليها الحانه**.ولكن لا يحزنن ذلك أحداً،اذ ان عبقرية دفورجاك تفجرت من هذا الحرمان الفظيع :

كان دفورجاك يجد لذة في الوقوف عـــلى محطات السكك الحديدية ، وفي شم رائحة الدخان ، وسماع صوت القطارات .. فكان يذهب الى المحطـة كل يوم ويتجـه الى شباك

التذاكر طالباً تذكرة مقابلة ، سائلا : متى يقوم القطار المسافر الى فينا ؟ فيقال له : بعد نصف ساعة . فيقول : اذن لقد تأخر هذا القطار عن موعده عشر دقائق . وهذه هي المرة الأولى يتأخر فيها منذ خمس سنوات !

كان يعرفُ مواعيد القطارات واحداً واحدا ، واسماء سائقيها ، وأرقامهم ، واسماء عمال الباب في محطة براغ ، ويعرف اسماء اولادهم وزوجاتهم ، فاذا ما وقف على الرصيف راح يعتذر للمسافرين عن تأخر القطار .. وكثيراً ما كان يوفد تلامذته يستفسرون عن سبب تأخر القطارات ، وبينهم موسيقيون ممتازون امثال ليهار ، وسوك . وكان هذا الموسيقار قد تقدم لخطبة ابنته . وذات يوم سأله دفورجاك : متى جئت ؟ فأجاب سوك : اليوم ، الساعة العاشرة ، في القطار رقم ١٧٨٢ ، وقد مررنا بعشرات القرى .. وتوقفنا عند قرية واحدة بسبب عطل أصاب القطار ، وكان اسم السائق جوزف .

فثارت ثائرة دفورجاك والتفت الى ابنته قائلا : أهذا هو الرجل الذي تريدين الاقتران به ؟ أهذا هو ؟ ان رقم ١٧٨٢ ليس رقم القطار ، يا سيدي ، انه رقم التشغيل .. والقطار رقمه ٣٤ . والسائق لا يدعى جوزف ، بل جورج . وبعد كل ذلك تريد ان تقترن بابنتي؟! وخرج غاضباً ...

غريغ

EDVARD GRIEG

ولد ادوارد غريغ ، الموسيقي النروجي ، في برغن سنة ١٨٤٣ فكانت أمه أول من علّمه الموسيقى . تلقى دروسه الفنية في لايبزيغ ، ثم أتمها في كوبنهاغن في الدانمارك . **وكان لمندلسون اكبر تأثير على غريغ . اما أبرز التواريخ في حياته فهو لقاؤه الموسيقي النروجي رتشارد نورداك الذي يقول عنه : إن الفضل يعود الى نورداك في تعلمي الاغاني الشعبية السكندينافية (الفولكلور) .**

والواقع انه كان لهذا الفولكلور الغني تأثير كبير في غريغ الذي أكبّ عليه ينهل من معينه ليطبع به مؤلفاته الرائعة .

ويموت نورداك فيكمل غريغ بمفرده عمله في تجديد الموسيقى السكندينافية ، والتخلص من كل تأثير اجنبي فيها لا سيما التأثير الالماني . وهكذا أسس المدرسة الشمالية في الموسيقى.

ويتزوج غريغ مغنية تروح تردد ألحانه وأناشيده في طول اوروبا وعرضها الأمر الذي

يجلب لهما الشهرة العريضة .

وخلال رحلة قام بها غريـغ الى ايطاليا تعرّف بالموسيقي المجري فرانتز ليست، وبالروائي المسرحي الاشهر ومواطنه هنريك إبسن الذي طلب اليه أن يتعاون واياه قائلاً انه يود ان يضع له لحناً لمأساة رمزية يعمل في تأليفها هي **بيرجنت** . وقد وافق غريغ عـلى المشروع وعكف على وضع الموسيقى المطلوبة فأتمها في سنتين . . .

رمسكي كورساكوف

NIKOLAI RIMSKY — KORSAKOV

بدأ نيقولاي رمسكي – كورساكوف (١٨٤٤ – ١٩٠٨) التأليف الموسيقي منذ التاسعة من عمره . إلا أن والديه ، وهما من أصل ارستقراطي نبيل ، طلبا إليه أن يختار مهنة غير الموسيقى تليق بمركزه الاجتماعي . فاضطر إلى الالتحاق بالكلية البحرية حيث التقى بالموسيقي بالاكيريف الذي كان له الاثر الحاسم في توجيه حياته نحو الموسيقى . . . وبفضل وجوده في البحرية قام ، خـلال ثلاث سنوات ، بجولة حول العالم . ثم استقال ليكرّس حياته كلها للموسيقى ، ويصبح استاذاً في المعهد الموسيقي في بطرسبرج . وقد تزوج سنة ١٨٧٣ من عازفـة بيانو شهيرة . ولكنه فُصل سنة ١٩٠٥ من وظيفته لمطالبته باستقلال كونسرفاتوار بطرسبرج . الا أن صديقه غلازونوف أعـاده الى سابق عمله عندما تسلم إدارة هذا الكونسرفاتوار .

ولقد تخرج على يدي كورساكوف عدد كبير من الموسيقيين الروس الذين اصبحوا ذوي شهرة عالمية .

وضع كورساكوف أولى سنفونياته سنة ١٨٦٥ وقادها صديقه بالاكيريف . إلاّ أنه قاد الأوركسترا السنفونيـة الروسية في سان بطرسبرج أربع سنوات كاملة (١٨٨٦ – ١٨٩٠) . وقد عزفت مقطوعته **كابريشيو اسبانيول** التي وضعها سنة ١٨٨٧ للمرة الأولى في إحدى الحفلات الكبرى التي قاد فيها الاوركسترا المذكورة .

وبالاشتراك مع جماعة من المؤلفين الموسيقيين أنشأ كورساكوف « المـدرسة الروسية الفنية » التي وقفت جهودها على قضية الموسيقى القومية . وغالباً مـا استخدم الفولـكلور الروسي في مؤلفاته الـتي ضمّت السنفونيات ، والأوبرات ، والافتتاحيات ، والأغاني الخ . . ومن تراثه الموسيقي الخالد نذكر **شهرزاد** ، **وعيد الفصح الروسي** ،

وسنيفوروشكا . . .

قيل بحق ان الموسيقى الروسية بدأت برمسكي – كورساكوف وانتهت به . ذلك بأنه قبل ظهور كورساكوف لم يكن ثمة اي تراث قومي للمؤلفين الموسيقيين السلافيين . فكل ما فعله الموسيقي غلينكا انه البس النماذج الايطالية ملابس الفلاحين . أما كورساكوف فقد رفع عالياً الراية بكل معنى الكلمة . فلما توفي سقطت هذه الراية من عليائها بعد أن تلاشت الحياة التي زينتها وزخرفتها . وسطعت القومية الفخور التي زرع بذورها كورساكوف في الأفق وتلألأت ، ولكن لفترة وجيزة .

كان كورساكوف ما يزال في الكلية البحرية ، وفي السابعة عشرة من عمره عندما تعرّف إلى الموسيقي بالاكيريف ، وكان يكبره بثماني سنوات . فكان لقاؤهما هذا نقطة تحوّل في حياة كورساكوف الذي تحوّل مذ ذاك الى الموسيقى . ولكنه لم يبدأ بدراسة الموسيقى دراسة صحيحة إلا في السابعة والعشرين .

كان بالاكيريف يتزعم جماعة من الموسيقيين عُرفت باسم **جماعة الخمسة** ما لبث أن خلفه في زعامتها رمسكي – كورساكوف وهو بعد في بزته العسكرية البحرية . وكان من أعضاء هذه الجماعة التي خلقت بحق الموسيقى الروسية الحديثة : **موسورغسكي ، وبورودين ، وكوي** . . وجميعهم كانوا يعملون في الادارات الحكومية لتحصيل معيشتهم . .

كان بالاكيريف كاتباً في إدارة السكة الحديدية الامبراطورية ، وموسورغسكي موظفاً في دائرة الاحراج، وبورودين استاذاً للكيمياء في اكاديمية الطب الامبراطوري وكوي مهندساً تابعاً للجيش القيصري . ذلك بأن أسرة رومانوف الحاكمة كانت ترعى الفنون والفنانين ، وتلك مأثرة تُسجل لها .

بوتشيني

GIACOMO PUCCINI

يعتبر النقّاد جياكومو بوتشيني (١٨٥٨ – ١٩٢٤) من أشهر مؤلفي الاوبرا الايطاليين بعد جوسيبي فيردي . ألحقته أمه بإحدى مدارس الموسيقى مع أنه لم يظهر أي موهبة أو اهتمام بهذا الفن . . ولكن أحد المدرّسين من ذوي الصبر استطاع أن يوقظ عبقريته الكامنة .

طرأت لبوتشيني فكرة كتابة أوبرا عندما شهد أوبرا عايدة لفيردي . وكانت محاولتاه الاوليان ناجحتين نسبياً ، إلا أن ثالثة أوبراته **مانون ليسكو** لاقت شهرة ذائعة . وأتبعها باوبرا **البوهيمية** التي فاقتها شهرة . وقد سجل انتصاراً باهراً في أوبرا **مدام بترفلاي** مع أنها لم تنجح لدى عرضها للمرّة الأولى . وقـد فشلت أوبراه **لاتوسكا** في بادىء الامر ، ولكنها ما تزال تقدّم إلى يومنا هذا .

وقد كلفته دار متروبوليتان للأوبرا في نيويورك وضع أوبرا اميركية فكتب اوبرا **فتاة الغرب الذهبي** التي لاقت شعبية لدى تقديمها ولكنها سرعان ما فقدتها فيما بعد . . وقد ألف بوتشيني العديد من الاناشيد ، بينها نشيد وضعه سنة ١٩١٩ لتخليد الذكرى السابعة والخمسين بعد المائتين لتأسيس مدينة روما .

صرح الموسيقي الايطالي بوتشيني بهذه العبارة وهو على فراش الموت : « اذا لم تؤمن بنفسك فلن يؤمن بك احد » .

كتم بوتشيني هـذه العبارة في نفسه طوال حياته وترجمها الى جهد وكفاح واصرار ودراسة وانتاج، وترك للتاريخ مهمة تسجيل عمر طويل لم يعرف فيه الهدوء لحظة واحدة. في طفولته سار مشياً على قدميه من قريته لوكا الى مدينة بيزا ليشهد أوبرا عايدة . وطرده الحراس في الليلة الاولى فأصرّ على الدخول في الليلة الثانيـة . وذهب الى كونسرفاتوار ميلانو لدراسة الموسيقى فلم يجد فيه الاساتذة ما يبشر بشيء ، وتقدم للامتحان سبع مرات، وفشل في كل مرة ، ورغم ذلك ظل يدرس وينتج حتى كتب أوبرا مانون ليسكو وبدأ نجمه يلمع في مدينة تورينو . **القصص التي يرويها معاصروه عن كفاحه اشبه بالاساطير ، ولكنها تمتاز بحقيقة واحدة ، هي ان هذا الموسيقي الذي مات مؤمناً بنفسه عاش مؤمناً بالعلم الذي استطاع به ان يصهر حيوية العزف الآلي في حيوية الاداء الصوتي .**

ديبوسي

CLAUDE DEBUSSY

أبصر هذا الموسيقي الفرنسي النور في سان جرمـان سنة ١٨٦٢ ، ودرس الموسيقى كسائر موسيقيي بلاده في كونسرفاتوار باريس، واشترك في المباراة للحصول على جائزة روما الكبرى التي نالها بأغنية « الطفل العبقري » . وقـد تقدم الى هذه المباراة بقطعتين سنفونيتين هما : **الربيع والآنسة المختارة** التي ألهمته إياها قطعة روزيتي « الآنسة المباركة»

فاستبعدتها اللجنة التحكيمية لصبغتها الفردية . وبعد أن أقام سنة واحدة في إيطاليا قام بزيارة روسيا حيث تشرّب الكثير من الموسيقى الشعبية ، وخاصة موسيقى موديست موسورغسكي . وكانت شهرة ديبوسي بطيئة في الذيوع . وله أوبرا واحدة هي **بيلياس وميليساند** أخرجت سنة ١٩٠٢ ، ولكنها لم تفهم على حقيقتها ، وعدد من المعزوفات للبيانو . **وتعتبر موسيقاه كالرسوم التأثرية ، رقيقة ، دقيقة ، سريعة العطب .**

حرر ديبوسي الموسيقى الفرنسية من كل قيد تقليدي وشجع فيها الابتكار ، وخاصة في اختيار المواضيع .

« أما سنفونية البحر فهي من أحب مقطوعات ديبوسي إلى نفسه لأنه كان من عشاق البحر ، حتى أنه كتب مرة إلى أحد أصدقائه يبشره بأنه التحق بالبحرية .

وقد ضمّن هذه المقطوعة كل ما عنده للبحر من حب ، وكل ما يوحيه إليه من تأملات... وهي من النوع السنفوني، نسمعها وكأننا نقتحم أخطار البحر، أوكأننا نناجي ابعاده وأعماقه ، وصورة السماء فيه . وقد قسمها الى ثلاثة أقسام : الاول ، على البحر من الفجر إلى الظهيرة .. والثاني ، ألعاب الموج . . والثالث ، محاورة بين البحر والهواء .. وجميع هذه الاقسام حمّلها ديبوسي منتهى ما تستطيع أن تقدمه الاوركسترا من تصوير ، وإيحاء ، وجمال ، وقوة . . . »

كان ديبوسي جالساً ذات يوم في أحد مقاهي مونمارتر الباريسية ، وحانت منه التفاتة فأبصر شاباً غريب المظهر ، شاحب الوجه ، يعتمر قبعة عالية ، في يده مظلة ، وعلى عينيه نظارتان غليظتان . . في عينيه ألم ، وعلى شفتيه مرارة . وتقدّم منه وعرّفه بنفسه . . كان أريك ساتي ، أغرب شخصية في عالم الموسيقى . ولكن الصداقة التي ربطته مذ ذاك بساتي أثرت تأثيراً عميقاً في موسيقاه ، بل في الموسيقى الفرنسية كلها .

وكان ساتي يقيم في غرفة لم يعرفها أحد إلا قبيل وفاته سنة ١٩٢٥ . عاش فيها وحده ثلاثين سنة . وكان يكره المال والمتعاملين به . وقد اتفق أن قدّم له أحد الناشرين ذات مرة مبلغاً ثمناً لمؤلفاته فثار في وجهه قائلًا : ماذا تحسبني يا هذا ، جزاراً ، أو بائع اكاليل ؟ إنني فنان ، مع الاسف !

واعتذر الناشر .

وحدث مرّة أن هاجمه أحد النقّاد فلم يجد ساتي وسيلة للرد عليه إلا ارسال بطاقات بريدية يومية اليه من خلال النافذة يلعنه فيها ، حتى ضاق الناقد ذرعاً وابلغ الامر الى النيابة العامة . وحوكم الموسيقي الشاذّ ، الغريب الاطوار بتهمة القدح والذم ، وحُكم

بالسجن ثمانية أيام ، ولكن الحكم لم ينفذ .
ولما توفي وجدت في غرفته مجموعة من الحشرات لا يمكن أن تجتمع في غرفة واحدة.. كما وجدت ملابس له نظيفة لم يرتدها قط ، بل أوت اليها الحشرات . وعجز الاطباء والعلماء عن أن يفسروا للعالم كيف استطاع هذا الفنان أن يقاوم هذه الآفات جميعاً . . .

رتشارد شتراوس

RICHARD STRAUSS

ولد رتشارد شتراوس في مونيخ سنة ١٨٦٤ وتوفي سنة ١٩٤٩ . كان والده يوهان شتراوس احد افراد جوقة البلاط الملكي في مونيخ .. **بدأ العزف على البيانو والكمان والتأليف الموسيقي وهو بعد في السادسة منعمره . وفي العشرين قاد للمرة الاولىجوقة موسيقية دون ان يتعلم قط مبادىء قيادة الجوقات ، ودون ان يجري اي تمرينات مسبقة .. وقد أصبح خلال نصف قرن اشهر مايسترو في العالم الى جانب موهبته في التأليف الموسيقي** . ويعتبر وماهلر من أبرز تلامذة الموسيقي الكبير فاغنر ، ومن متممي رسالته الفنية ، ليس في موسيقى الاوبرا فحسب بل في الموسيقى السنفونية . . .
طاف بأرجاء أوروبا ، فكان يقود الفرق الموسيقية في مقطوعاته ومقطوعات غيره من المؤلفين على السواء ، وبالسهولة والمهارة نفسها . وقد أحرز شهرة عريضة ، ويعتبر من الموسيقيين القلائل الذين عرفوا الشهرة في حياتهم ، وعاشوا في يسر مادي ...

سيبليوس

JEAN SIBELIUS

أبصر سيبيلوس النور في فنلندا في ٨ كانون الاول ١٨٦٥ .. وهو يعتبر مؤسس الموسيقى الوطنية الفنلندية . وكثيرة هي الحكايات التي تروى عن فقر هذا الموسيقي العظيم في مستهل حياته ، ومنها انه باع احد مؤلفاته الموسيقية بدولارين اثنين فقط . ولكنه عاش فيما بعد بالقرب من العاصمة هلسنكي ، ومُنح مبلغ ١٠٠ الف مارك ، وهو اضخم مبلغ دُفع الى مواطن فنلندي باستثناء رؤساء الجمهورية . ومما يروى أنه خلال الحرب

الموسيقى الفنلندية خبيء سيبيليوس وأحيط بالحماية كما لو كان كنزاً وطنياً . وعندما زار الولايات المتحدة سنة ١٩١٤ لقيادة بعض أعماله منحته جامعة « ييل » شهادة الدكتوراه في الموسيقى . وخلال إقامة معرض نيويورك الدولي سنة ١٩٣٩ أذاع مقطوعاته الموسيقية لأميركا من فنلندا نفسها .

إن القسم الأكبر من موسيقى سيبيليوس يقوم على الأناشيد الشعبية (الفولكلور) والأساطير . وأعماله الكبيرة كثيرة ، ومن أشهر أعماله الصغيرة **الفالس الحزين** الذي يعرفه الجميع ويستسيغونه .

وعندما توفي سنة ١٩٥٧ نعته الصحافة العالمية أبلغ نعي ، وكتبت عنه تقول : « **لقد خسر العالم رجلاً عظيماً** » . و « **انه أحد الأصوات الصادقة التي أفصحت عن افضل ما في نفوس البشر** » .. و « **كان سيبيليوس موسيقياً كلاسيكياً ، ولم يكن أعظم المؤلفين الموسيقيين المعاصرين بل من أعظم مؤلفي الموسيقى في التاريخ** » .

وقال عنه السر مالكوم سارجنت ، أشهر مايسترو بريطاني اليوم : « **ملك راحل .. ملك لم يخلف وارثاً !** »

ان سيبيليوس ليذكّر ببتهوفن أكثر مما يذكّر بسواه من واضعي السنفونيّات . ومؤلفاته الأخيرة تشتمل على رزانة وصفاء ذهن الفيلسوف الذي هو صديق الطبيعة .

كان سيبيليوس وطنياً متحمساً ، ولكنه لم يكن اقليمياً ... كان فنلندياً ، وهو اليوم خالد مع الخالدين !..

توسكانيني

ARTURO TOSCANINI

ولد أرتورو توسكانيني ، ويعتبر الموسيقي الأول في القرن العشرين ، في مدينة بارما بايطاليا في ٢٥ آذار ١٨٦٧ . وفي سن مبكرة أظهر ميلاً شديداً نحو الموسيقى ، فأدخله والده كونسرفاتوار بارما ، حيث درس أصول العزف على « التشيلّو » ، فأبدى تفوقاً نادراً ، كما أظهر ميلاً طبيعياً نحو الاوبرا . وكان أترابه في الصف يلقبونه بالعبقري . وفي سنة ١٨٨٤ قاد أحد أعماله الموسيقية . وبعد أن تخرّج من الكونسرفاتوار ، التحق بعدة فرق موسيقية في أوروبا ، ثم توجّه إلى العالم الجديد . وكان في التاسعة عشرة ، فظهر للمرة

الأولى ظهوراً رسمياً ، على المسرح في ريو دي جانيرو ، وقاد أوبرا عايده . وقد كرّس أربعين سنة لفن الأوبرا ، ثلاثين منها في لاسكالا في ميلانو ، وسبع سنين في المتروبوليتان أوبرا في نيويورك . **وقد عرفت هذه السنوات باسم « السنوات الذهبية في تاريخ الاوبرا »** . ومما يؤثر عنه أنه كان يقود كل الحفلات من ذاكرته دونما لجوء إلى دفتر النوتة الموسيقية .

ومما لا شك فيه أن توسكانيني هو والد اوركسترا ناشونال برود كاستنغ كومباني الأميركية التي قال فيها كبار النقاد الموسيقيين انها من أعظم الفرق الموسيقية في العالم . وقد كانت هذه الفرقة بادارته واشرافه ، وكانت تقدّم برنامجاً اسبوعياً من جميع محطات الراديو والتلفزيون في الولايات المتحدة .

ويقال ان أجره عن اذاعة السنفونيات من شركة ناشونال برودكاستنغ كومباني بدأ سنة ١٩٣٧ بمبلغ أربعة آلاف دولار ، ابعد حسم الضرائب ، عن كل ساعة ونصف الساعة ...

عُرف عنه حبّه الشديد للحرية والديمقراطية مما جعله يرفض العودة إلى بلاده عندما كان موسوليني يسيطر عليها . وبقي في أميركا حيث توفي في ١٦ كانون الثاني ١٩٥٧ .

في الذكرى الثانين لميلاد هذا العازف العبقري سئل ابنه ولتر عما يعده والده أعظم أعماله وأهمها ، فكان جواب الابن :

ــ لا يمكن أن يكون ثمة شيء من هذا القبيل في نظره .. فان كل ما يتفق أن يكون قائماً به قد يكون أعظم شيء في حياته ، سواء أكان يعزف سنفونية أم يقشّر برتقالة !

كان توسكانيني يكره الدعاية الشخصية كرهاً لا مزيد عليه ، وكان شديد الحياء . أمّا ذاكرته فقد كانت معجزة حقاً . فقد كان بوسعه حفظ عدة أوبرات في يومين اثنين ، فترسخ بكل دقائقها طوال أعوام . وحدث ذات مرة أن قال له أحد عازفي فرقته ، في فترة الاستراحة ، خلال إحدى الحفلات « ان خللاً أصاب آلته الموسيقية فلا يستطيع أن يخرج منها نغمة معينة ، فكان ردّ توسكانيني الفوري :

ــ لا تقلق ، فإن ما تبقّى لنا من السنفونية ليس فيه شيء من هذه النغمة .

وكان إذا ساءه عزف موسيقييه في فترات التدريب أو الأداء في الحفلات ، يمضي إلى منزله صامتاً ساهماً ، ويأبى تناول الطعام ، متوقعاً من أفراد أسرته مشاطرته صيامه .

وكان رقيق القلب ، يؤثر عنه أنه أرسل ذات مرة ثلاثين ألف حذاء إلى إيطاليا لتوزع

على فقرائها من مواطنيه الاصليين . ولا غرو فقد كان من أكبر الناس دخلاً في تاريخ العزف والموسيقى ...

پاغانيني

NICCOLO PAGANINI

أطلّ على الوجود في مدينة جنوى سنة ١٨٧٢ وليد جديد لم يكن إنسان يقدّر ان أنامله الرّخصة ستصبح يوماً أطرافاً سحرية تمسّ أطراف الكمان فتبعث منه أروع الألحان .

كان الوليد الجديد نيكولو باغانيني ، الذي لقب بساحر النساء . وكانت عائلته فقيرة . إلا أن الهيام بالموسيقى كان أصيلاً صميماً في رب هذه العائلة . فلم يكد نيكولو يبلغ أول وعيه حتى دفع إليه والده بمندولين طفق يمرنه عليها في أوقات الفراغ . وما لبث أن ألقى بين يديه كماناً إلى جانب المندولين .

وحذق باغانيني الصغير العزف على الكمان في وقت يسير ، وشرع ينزع منه الوتر تلو الوتر ، حتى لم يبق إلا وتر واحد ، ومع ذلك كان في قدرة باغانيني أن يستنبط من هذا الوتر وحده فوق ما يستنبطه سواه من الكمان وهو مكتمل الاوتار .

ذاع صيت باغانيني في مسقط رأسه . وبلغ السادسة من عمره فأذنت له الكنيسة بأن يشترك في حفلات العزف أيام الآحاد . فكان كلّ من يستمع إليه يشعر بأن عبقرية جديدة تبزغ في العالم .

وفسح له كبار الفنانين في سنة ١٧٩٣ ، وكان بعد في الحادية عشرة من سنيه ، المجال في أوساطهم ، فاشترك في حفلاتهم وعزف بعضاً من مؤلفاته الموسيقية . وسارع الكثيرون من المتموّلين إلى مدّ يد المعونة إليه ليتم دروسه . فتوجه بصحبة والده إلى بارما يتتلمذ على يد رولا ، مفخرة إيطاليا يومئذ في العزف على الكمان . وكان رولا طريح الفراش لا يستقبل أحداً ولا يأذن لأي كان بالدخول عليه . فلما وصل باغانيني ووالده أستقبلتهما الخادمة وأجلستهما في ردهة الاستقبال ريثما تنبىء سيدها بقدومهما . ولفتت نظر باغانيني قطعة موسيقية موضوعة على المنضدة ، فتناول الكمان ومضى يعزفها . فأصغى رولا بكل اهتمام مأخوذاً بروعة العزف ، ثم هبّ من فراشه وفتح باب الغرفة متسائلاً :

– من عزف قطعتي ؟

فأجابه باغانيني :

– أنا ، يا سيدي .

وبعد أن تأمله رولا قال له :

– ليس لي ما ألقنك أياه .. فامض ، وفقك الله !

ولكن باغانيني لم يمض ، بل أقام سنتين في بارما يدرس أصول العزف والتأليف .

وفي سنة ١٧٩٠ قام باغانيني ، يرافقه والده ، بجولة موسيقية في أواسط أيطاليا وشمالها كان نجاحه فيها عظيماً .

« وحلّ موعد عيد القديس مارتان في مدينة لوك . وكانت تقام لهذه المناسبة حفلات يغزر فيها العزف الموسيقي . فعزم باغانيني أن يشهد تلك الحفلات ليسهم في العزف فعارضه والده أول الأمر لأنه لم يكن يستطيع أن يصحبه بنفسه . على أن الوالد ما لبث أن نزل عند رغبة الابن ! فكانت المصادفة هذه مفترقاً في حياة باغانيني المثقلة بالابداع والألم والمغامرة والشرود . لقد أحرز في لوك ظفراً غمر نفسه بالنشوة . فقرّر أن لا يعود بعد اليوم إلى كنف عائلته . واستفزّه بطر شديد من جراء الحرية التي أصبح يتمتع بها ، ومن جراء المال الذي انصبّ عليه انصباباً . وهكذا انغمس في غمار من الحب والشراب والقمار انغماساً دفع به في بكرة من العمر إلى براثن الداء . »

راڤيــل

MAURICE RAVEL

كان الموسيقي الفرنسي موريس رافيل (١٨٧٥ – ١٩٣٧) سيىء الحظ في محاولاته المتعددة من سنة ١٩٠١ إلى ١٩٠٥ للحصول على جائزة روما الموسيقية .. فقد فضّل المحكمون على إبداعه وخلقه وبساطته ميزات سائر المتقدمين للمباراة .

كان محباً للعزلة ، شغوفاً بالاستقلال .. رفض العديد من الوظائف الرسميّة ، كما رفض سنة ١٩٢٠ وسام جوقة الشرف من رتبة فارس . وقد اشترك في الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ – ١٩١٨) ، وقضى حياته في منزله الريفي مكرساً وقته وجهده لعمله الفني وسط مجموعة رائعة ثمينة من التحف الفنيّة . وأصيب بحادث سيارة سنة ١٩٣١ لم يبرأ من أثره ،

وتوقف عن التأليف . وما لبث أن أصيب بالشلل ، وفقد النطق . وكانت وفاته إثر عملية جراحية عجّلت بنهايته .فاستراح من الآلام المبرحة التي ذاقها في أواخر سني حياته .

كان اسلوبه في التأليف للبيانو قريباً من اسلوب زميله كلود ديبوسي إلى حد جعل النقّاد يتساءلون حتى اليوم : **من الذي أثر في الآخر ؟ رافيل أو ديبوسي ؟ فكلاهما استوحى الكثير من الشرق ، ولا سيا أفريقيا .. وكلاهما كذلك استوحى الكثير من الطبيعة فبات اسلوبها وجوهها متشابهين !**

بـارتوك

BELA BARTOK

أبصر بيلا بارتوك النور في بلدة مجرية أصبحت اليوم رومانية (١٨٨١ — ١٩٤٥) . وتوفي والده فاضطرت أمه إلى مزاولة التعليم لتكسب معيشة أسرتها .. درس العزف على البيانو والتأليف في معهد بودابست الموسيقي . ولقـد صرف اهتمامه في أول الأمر إلى الموسيقى الشعبية المجرية ، فراح يتنقل من قرية إلى قرية جامعاً الأغنيات والألحان التي تؤلف فولكلور بلاده . في سنة ١٩٠٧ أصبح أستاذ البيانو في الكونسرفاتوار ، وفي سنة ١٩٤٠ قام بعدد من الرحلات في أوروبا ، والولايات المتحدة ، وأفريقيا حيث أحيا في مدنها الكبرى حفلات موسيقية كبرى . وكان يقـدم عزفاً منفرداً على البيانو ويلاقي أستحساناً كبيراً . وقد استقرّ وأسرته سنة ١٩٤٠ في الولايات المتحدة ، ولكن حياته كانت بائسة .

وقـد توفي عام ١٩٤٥ مخلفاً للعالم تراثاً موسيقياً يعتبر مع تراث سترافنسكي وشوينبوغ أحد الأناجيل الثلاثة لموسيقى القرن العشرين .

مع الخالدين من الموسيقيين واشهر اعمالهم



جيوفاني بالسترينا – (١٥٢٦ – ١٥٩٤) – ايطالي – من أشهر الشخصيات في تاريخ الموسيقى ، وضع موسيقى دينية .

ويليـــام بيرد – (١٥٤٠ – ١٦٢٣) – انكليزي – كتب موسيقى دينية .

جاكوبو بيري – (١٥٦١ – ١٦٣٣) – ايطالي – أوبرا اوريديس ، وهي أول أوبرا تقدّم على المسرح (سنة ١٦٠٠) .

كلوديو مونتيفوردي – (١٥٦٧ – ١٦٤٣) – ايطالي – من أوائل مؤلفي الأوبرات ، وأول من طالب بمقام مرموق لاوركسترا الأوبرا .

جياكومو روسيني – (١٧٩٢ – ١٦٨٦) – ايطالي – يكاد يكون الوحيد بين الموسيقيين الذين تخصصوا في وضـــع الاوبرات .. لا سيا الاوبرات الهزلية .

جيوفاني لولي – (١٦٣٣ – ١٦٨٧) – فرنسي – أسس مدرسة للأوبـــرا الفرنسية تقوم على ابراز النواحي الدراماتيكية في القصة .

اركنجيلو كوريلي – (١٦٥٣ – ١٧١٣) – ايطالي – عازف كمان شهير ، وضع مؤلفات للعزف على هذه الآلة .

دومنيكو سكارلاتي – (١٦٨٥ – ١٧٥٧) – ايطالي – في طليعة الذين كتبوا السوناتا.

جان فيليب رامو – (١٦٨٣ – ١٧٦٤) – فرنسي – مؤلف اوبرات ومقطوعات للقيثارة .

كريستوف غلاك – (١٧١٤ – ١٧٨٧) – الماني – في طليعة مؤلفي الاوبرات في عصره ، ومن المصلحين في هذا الفن .

نيقولو بيتشيني – (١٧٢٨ – ١٨٠٠) – ايطالي – منافس لغلاك ، وضع أكثر من ١٣٠ اوبرا .. كانت له سيطرة غريبة على الميلوديا .

كارل فيبر – (١٧٨٦ – ١٨٢٦) – الماني – وضع اوبرات رومنطيقية تتميز بالاسلوب الجرماني الصرف .

فنتشنزو بيليني – (١٨٠٢ – ١٨٣٥) – ايطالي – وضع كثيراً من الاوبرات ، أشهرها نورما التي غالباً ما تقدّم اليوم .

لويجي شيروبيني – (١٧٦٠ – ١٨٤٢) – ايطالي – كان في طليعة مؤلفي الاوبرات في عصره ، ولكن اوبراته لا تقدّم اليوم .

جيتانو دونيزيتي – (١٧٩٧ – ١٨٤٨) – ايطالي وضع العديد من الاوبرات ، وأشهرها عروس لامرمور (لوتشيا دي لامرمور) .

فريدريك سميتانا – (١٨٢٤ – ١٨٨٤) – بوهيمي – استخدم في أعماله الفولكلور ، ووضع اوبرات ومؤلفات للأوركسترا .

الكسندر بورودين – (١٨٣٤ – ١٨٨٧) – روسي – وضع اوبرات منها برنس ايغور ، كما وضع سنفونيات وموسيقى للآلات الوترية ، واغاني .

جاك اوفنباخ – (١٨١٩ – ١٨٩٠) – فرنسي – مؤلف اوبرات وابريتات مرحة وذات حيوية .

سيزار فرانك – (١٨٢٢ – ١٨٩٠) – بلجيكي – اسلوبه عنيف ، ملك زمام الهارمونيا ، سنفونيته الوحيدة لها شعبية كبرى .

هوغو فولف – (١٨٦٠ – ١٨٩٣) – نمسوي – مؤلف أغانٍ رائعة .

ارنست شوسون – (١٨٥٥ – ١٨٩٩) – فرنسي – واضع سنفونيات واوبرات.

آرثر سوليفان – (١٨٤٢ – ١٩٠٠) – انكليزي – إلى جانب الاوبرات التي وضعها بالاشتراك مع و. س. غلبرت ، وأشهرها الميكادو ، كتب أغاني واوراتوريو .

ادوارد ماك دويل – (١٨٦١ – ١٩٠٨) – اميركي – أفاد من اللهجات والاصطلاحات الهندية الزنجية في أشعاره السنفونية والسوناتات .

غوستاف ماهلر – (١٨٦٠ – ١٩١١) – الماني – كتب تسع سنفونيات دراماتيكية ، ووضع موسيقى للغناء .

غابريال فوريه – (١٨٤٥ – ١٩٢٤) – فرنسي – عرف بأسلوبه الموسيقي الرفيع ، ووضع عدداً كبيراً من الأغاني .

فكتور هوبرت – (١٨٥٩ – ١٩٢٤) – اميركي – وضع عدداً كبيراً من الاوبرات ، منها ماريتا اللعوب ، وأطفال في بلاد الدمى .

دجون فيليب صوصا – (١٨٥٤ – ١٩٣٢) – اميركي – يُعرف بملك المارشات لكثرة ما وضع من الالحان والموسيقى العسكرية .

ادوارد ايلغار – (١٨٥٧ – ١٩٣٤) – انكليزي – ألف المجموعات الموسيقية والغناء .

جورج غرشوين – (١٨٩٨ – ١٩٣٧) – اميركي – وضع الكثير من الاغاني ، وله أعمال جدية للاوركسترا ، وأوبرا بورغي وجيس .

سرجاي راخمانينوف – (١٨٧٣ – ١٩٤٣) – روسي – وضع أغاني ، وسنفونيات ، وكونسيرات ، ومقطوعات للبيانو بأسلوب القرن التاسع عشر الرومنطيقي .

فرانز ليهار – (١٨٧٠ – ١٩٤٨) – مجري – له أوبريتات عديدة أشهرها الأرملة الطروب .

مع الخالدين من الأدباء

رابليه سرفانتس ولتر رالي شكسبير ماريانا ألكوفورادو فينلون
فولتير دجونسون روسو توماس باين الكسندر دوماس مدام دو ستال
ولتر سكوت دجين اوستن الأخوان غريم دوفيني بلزاك فكتور هوغو
إيمرسون جورج صاند ادغار آلن بو هارييت بيتشر ستو ديكنز
تورغنيف اميلي وشارلوت برونتي جورج ايليوت دوستويفسكي ليو تولستوي
هنريك ابسن جول فيرن مارك توان اميل زولا توماس هاردي
اناطول فرانس اوغست ستريندبرغ موباسان لويس كارول اوسكار وايلد
أو. هنري سلمى لاغرلوف تشيخوف ويلز مكسيم غوركي جاك لندن
مرغريت متشل ثيودور درايزر برنارد شو



رابـــليه

FRANÇOIS RABELAIS

يختلف المؤرّخون في تحديد ميلاد الروائي الفرنسي فرنسوى رابليه (بين ١٤٨٣ — و ١٤٩٥) . في سنة ١٥١٩ دخل ديراً فرنسيسكانياً حيث درس وقرأ كثيراً . وبعـــد تخرّجه التحق بأخوية البندكتيين فترة قصيرة من الزمن . وقد أتقن جميع العلوم التي كانت سائدة وقتئذ، ونال شهادة في الطب. وقد تنقل في حياته بين مونبولييه ، وليون ، وروما، وباريس . وكان كريماً ينفق عن سعة ، ومـاهراً في الطب والمداواة . ويقدّرون تاريخ وفاته في ٩ نيسان ١٥٥٣. أما أشهر مؤلفاته الأدبية فهما **غارغنتوى وبنتاغرويل اللذان** يؤلفان معاً قصة هزلية كبرى . **وقـد قال رابليه عن الطبعة الأولى من بنتاغرويل ان النسخ التي بيعت منها في شهرين اثنين يفوق عددها عدد النسخ التي بيعت من التوراة في تسع سنوات كاملة .وفي كتبه سمح رابليه لنفسه بالصراحة اللغوية والتصويرية التامة التي جرّت عليه نقمة السوربون،وحملت البرلمان في وقت من الأوقات على منع تداولها وبيعها . ولكنها مع ذلك خلدت مع الزمن لما فيها من العطف الانساني العميق ، والمرح !**

ســـرفانتس

CERVANTES

ان أبرز من قدمته اسبانيا إلى الأدب العـالمي الروائي الكبير ميغيل دو سرفانتس سافيدرا (١٥٤٧ — ١٦١٦) الذي عاش في عصر اسبانيا الذهبي فكرياً وسياسياً .

ولد في اسرة نبيلة ولكنها فقيرة ... درس في جامعة سالامنكا ثم في مدريد . تأثرت دروسه الرسمية بسبب انصرافه إلى قرض الشعر ، إلا أنه شخصياً كان يطالع من الكتب أكثر مما يتطلبه جدوله الدراسي . فلمـــا بلغ الحادية والعشرين رحل إلى روما بحثاً عن الثروة. وفي العام التالي التحق جندياً في الحملة التي جُردت لتحرير قبرص من الحصار التركي. فجرح في معركة ليبانتو وشلّت يده اليسرى. وفي سنة ١٥٧٥ ، وكان قد عاد إلى اسبانيا ، أسره المغاربة في الجزائر فقضى خمس سنوات في السجن ، وبعـد اطلاق سراحه باربع

سنوات تزوج واستقر به المقام في مدريد .

نشر روايته الأولى **غالاطيه** سنة ١٥٨٤ فلم تحظ إلا بتقريظ عادي ، ولم تلق مسرحياته العديدة التي أصدرها في تلك الآونة الرواج الذي لقيه القسم الأول من رائعته **دون كيشوت الذي ظهر سنة ١٦٠٥.انها بحق في طليعة الروايات العالمية التي ظهرت في أي أدب من الآداب .. تصور نزاعاً هزلياً بين الأحلام والواقع** . وبعد سنوات أصدر سرفانتس التتمة ، فكانت في نظر النقاد أكثر روعة من القسم الأول . واستقبلتها الاوساط الأدبية العالمية بما تستحق من التقريظ .

وخلال سني حياته الأخيرة كان يتلقى العون المادي من بعض أصدقائه ذوي النفوذ والجاه فيكفي بذلك عوزه ، ولكنه مع ذلك بقي فقيراً حتى وفاته .

وفي العالم اليوم أكثر من ٢٣٥٠ طبعة من قصة دون كيشوت في ٧٨ لغة عالمية .

ولتر رالي

SIR WALTER RALEIGH

هذا الكاتب والسياسي والرحالة الانكليزي (١٥٥٢ — ١٦١٨) الذي كان يضع حبات اللؤلؤ في أذنيه ، وفصوص الألماس في حذائيه .. والذي بسط عباءته فوق الوحول لتمر عليها الملكة اليزابت ، **وضع مؤلفاً في التاريخ وهو في السجن حيث قضى أربعة عشر عاماً بسبب الحسد السياسي .**

كانت الحجرة التي سجن فيها ضيقة ، شديدة الرطوبة ، ترشح جدرانها بالمياه الموحلة مما أضر بصحته . وأصيبت ذراعه بداء العصبي (الروماتيزم) ، وكاد الألم يعقد أعصاب يده فيشلها عن الحركة . ولكنه بالرغم من بؤسه وانكسار قلبه صنف مؤلفاً في التاريخ **تاريخ العالم** يُدرّس إلى اليوم .. بعد انقضاء ثلاثة قرون على وضعه .

اكتسب رضى الملكة اليزابت بدهائه وحنكته السياسية أثناء اشتغاله بالسياسة في ايرلندا . فمنحته لقب فارس سنة ١٥٨٤ ، وهي السنة التي بدأ فيها باقامة سلسلة من المستعمرات في العالم الجديد ... ولكن محاولاته منيت بالفشل فتخلى عن هذا المشروع . وكانت له علاقة باحدى وصيفات الملكة فكُشف أمره ، ونُقم عليه ، وزُجّ في السجن فترة من الزمن .

وفي سنة ١٥٩٥ قام بأولى رحلاته إلى أميركا الجنوبية بحثاً عن الذهب . ولدى عودته حظي بعفو الملكة ، ووضع كتابه **اكتشاف غويانا** . وفي السنة التالية اشترك في تحطيم اسطول بحري اسباني في قادش. وبعد سقوط دوق ايسيكس عاد رالي فنعم بحظوة الملكة اليزابت .

وخلال حكم الملك دجيمس الأول اتهم بالتآمر ضد الحكومة فأرسل سجيناً إلى برج لندن سنة ١٦٠٣ وحكم عليه بالموت .

وبعد أربع عشرة سنة أفرج عنه لادعائه أنه يستطيع العثور على الذهب في أميركا الجنوبية دون أن يزعج الاسبان المستوطنين تلك البقاع . إلا أنه لم يستطع تجنب الاشتباك معهم . فلما عاد إلى انكلترا أعدم بتهمة القرصنة .

ويعتبر زواج السر والتر رالي من اليزابت ثروغمورتون من أروع قصص الحب في التاريخ ، لانها ظلت حية بعد الموت . فبعد أن أمر الملك دجيمس الأول بقطع رأسه بتهمة ممالأته لملك اسبانيا طلبت اللايدي رالي أن يعطى لها رأس زوجها ، فكانت تحمله محنطاً أنى ذهبت طوال فترة ترملها التي دامت ٢٩ سنة . وقد اتبع ابنها كاريو هذا التقليد ، وظل محتفظاً برأس والده حتى وفاته سنة ١٦٦٦ عندما دفن معه ...

شكسبير

WILLIAM SHAKESPEARE

كتب بن دجونسون على ضريح زميله وليام شكسبير : « لم يكن ابن عصره ، ولكنه ابن جميع العصور . »

كان دجونسون على حق في ما قال ، فجميع الذين قرأوا ما خطته يراعة شكسبير من المسرحيات والقصائد ودرسوها دراسة وافية يعرفون جيداً أن للروائي الشهير آراء صائبة في السياسة والاقتصاد والاجتماع تنطبق على مختلف العصور .

لُقب شكسبير بأديب الطليعة الحق الذي نفذ ببصره وببصيرته إلى المستقبل فصوره ، في أغلب الأحيان ، بأدق ما يمكن بشراً أن يصوره . وقد ألمح شكسبير في مسرحياته إلى الكثير من الأحداث المعاصرة .

أبصر وليام شكسبير النور في بلدة **ستراتفورد أون افون** سنة ١٥٦٤ . ولم يعرف

بالضبط اليوم الذي وُلد فيه ، وكل ما هو معروف عنه أنه عُمّد في السادس والعشرين من نيسان من السنة نفسها . وليس ثمة معلومات راهنة عما تخلل صباه . والمرجّح أنه تأثر خطى والده فعمل في دار البلدية ردحاً من الزمن .

وفي العام ١٥٨٢ تزوج شكسبير من آن هاثاوي ورزقا ابنة سمياها سوزانا . ومما يذكر أن هذه الابنة البكر كانت تجهل القراءة والكتابة .. وحلّت سنة ١٥٨٥ فرزقا توأمين اثنين هما هامنت ودجوديث .

ويروى أن شكسبير اضطر إلى مغادرة مسقط رأسه بسبب فضيحة سرقة ايّل . غير أن الذين أتهموه بالسرقة لم يستطيعوا إقامة أي دليل يصحّ الركون إليه ...

لم يتبوأ شكسبير مقامه في عالم التمثيل والتأليف المسرحي إلا بعـــد أن انفصل عن أسرته وعاش وحده في لندن حيث انضم إلى فرقة تمثيلية هي **فرقة تشمبرلن** ، التي أصبحت فيما بعد **فرقة رجال الملك** . وقد أصابت هذه الفرقة نجاحاً عظيماً طيلة الوقت الذي كانت تضم فيه شكسبير .

طارت شهرة هذه الفرقة التمثيلية ، ووجدت طريقها إلى القصر حيث قدمت أكثر من ثلاثين رواية في عهد الملكة اليزابث . أمـا سائر الروايات فكانت تقدم على مسرح الفرقة الخاص المعروف **بمسرح الكلوب** .

وكان شكسبير يتقاضى أكبر حصـة من الأرباح بصفته شريكاً في المسرح . وفي اواخر أيامه عاد الروائي إلى مسقط رأسه ستراتفورد اون افون ، حيث أمضى زمناً غير قصير في القصر الفخم الذي ابتاعه وسماه « القصر الجديد » . وكان له من العمر عندما قضى نحبه في ٢٢ نيسان ١٦١٦ اثنان وخمسون عاماً .

يقول الفيلسوف الاميركي جورج سنتايانا في إحدى قصائده : « ان الله قـــد ضاعف الخليقة عندما خلق شكسبير ! »

يقدّر العارفون أن هناك نصف مليون شخص بين ناشر ، وصاحب مكتبة ، ومحاضر ، ومدرّس ، وأمين متحف ، ودليل سياح وسواهم يكسبون أرزاقهم بفضل شكسبير .

مَاريَانا ألكوفورَادُو

MARIANNA ALCOFORADO

ليس من الغلو في شيء القول ان رسائل **ماريانا الكوفورادو** (١٦٤٠ – ١٧٢٣) ،

المشهورة باسم **القديسة البرتغالية** ، هي أشهر صرخات الحب المعروفة وأعنفها .

كانت الراهبات في أديرة البرتغال يتمتعن بحرّية تامة تفوق في أغلب الأحيان حرّية النساء المتزوجات . وذات يوم وقع نظر ماريانا الحسناء ، وهي على شرفة الدير ، على الكونت دو شامي ، الشاب الفرنسي الوسيم الذي حارب الاسبانيين في سهول الفلاندر في شمال فرنسا وجاء يحاربهم في البرتغال .

وتوثقت عرى الصداقة بين الراهبة والبطل الشاب ، ولكن القدر القاسي أبى أن يتم أفراحها. فقد اضطر الكونت إلى هجر حبيبته على حين غرة في أحد ايام سنة ١٦٦٢ والعودة إلى فرنسا . وبلغت الحماقة بالضابط الفرنسي أن عرض رسائل حبيبته العاطفيّة الرقيقة في جملة غنائمه الحربية ، ولكنه لم يذكر اسم صاحبتها . ثم لم يتورّع عن السماح بترجمتها ونشرها سنة ١٦٦٩. فلاقت رواجاً وشهرة عظيمين ، حتى أنه أطلق وصف « البرتغالية » على كل رسالة رقيقة . وإليك نموذجاً من رسائل القديسة البرتغالية :

« كفّي ، كفّي يا ماريانا المسكينة ، المنكودة الطالع ، عن اتلاف نفسك عبثاً من أجل حبيب متجنٍّ لن تريه بعد اليوم ... عبر البحار هرباً منك ، وهبط فرنسا ينتهب الملذات ، دون أن يفكر لحظة واحدة في الألم الذي يمضّك .. ماذا أقول ؟ لا ، لا يسعني أن أظلمك إلى هذا الحدّ في حكمي عليك ، وثق بأني شديدة الاهتمام بتبرئة ساحتك ، وأني لا أريد التفكير بأنك نسيتني ... لمَ أبذل الجهود لأتناسى عنايتك بي ، وحبّك لي ؟ هل انا عاقة فأطرد من خاطري ذكريات السويعات العذبة التي قضيناها معاً ؟ لمَ أدع هذه الذكريات الحلوة تعذّب قلبي ؟ أواه ! لقد أرقص كتابك الأخير قلبي وبدّل حاله ، وشعرت أنه يتخبّط بين جوانحي ليتخلّص من جسدي ويطير إليك حيث أنت ...

« الوداع .. أنا أسلخ هذه الرسالة عني سلخاً وعلى كره مني . فهي ستقع بين يديك بعد قليل ، ويا ليتني اكون أنا مكانها فأستمتع بهذه السعادة الفائقة . الوداع ... احبيني دائماً واجعلني أتألم أكثر فأكثر ... »

لم يرسل الضابط أي جواب على هذه الرسالة ، فأتبعتها ماريانا الولهى باخرى تقطر عشقاً ومرارة ، واختتمتها بهذه الكلمات : « أنا شاكرة لك من أعمق أعماقي اليأس والقنوط اللذين تسببها لي ، وكم أكره الهدوء الذي كنت أعيش فيه قبل أن أعرفك .. الوداع ! إن ألمي ليزداد لحظة عن لحظة . آه ، كم لديّ من أشياء أريد أن أسرّ بها إليك ! »

ولكن غباوة النساء الأزلية — قاتلها الله — أمام الرجل المتلوّن المتقلّب الذي يحتقر

حبهن ، لا تلبث أن توحي إليها هذا النداء الرقيق المؤثر : « أعرفتَ حقيقة قلبي وعاطفتي نحوك وعزمت على نبذي إلى الأبد وتركي أسيرة المخاوف التي ستنتابني عندما أعرف أنك لن تذكرني بعد الآن ، وأنك لن تحجم عن التضحية بي على مذبح حبٍّ لك جديد ؟ أنا أعرف جيداً أني أهيم بك كالمجنونة ! ومع ذلك لا ألوم قلبي الذي صبرت إلى هذه الساعة على عذابه . لقد ألفت نفسي الألم ، ولا أستطيع الحياة دون الشعور بهذه السعادة التي أحسّها وأنا أحبّك وسط آلامي الكثيرة . ان الحقد الشديد والكره البليغ لكلّ شيء يزيدان في آلامي . وقد بات أهلي ، والدير ، وأصدقائي حملاً ثقيلاً يبهظ كاهلي . آه ، يا ربي ، ماذا جنيت لترميني بالشقاء ؟ .. لمَ سمّمت حياتي ؟ ! »

... وأخيراً أجاب شامي على توسلات القديسة البرتغالية ببرودة انتفضت معها كبرياؤها وعزة نفسها فكتبت إليه تقول :

« إن اظهارك المحبة بهذه الوقاحة ، وهذا التكلف المستهجن في رسالتك الأخيرة الي ، ليدل على انك تسلمت جميع رسائلي ، ولكنها لم تحدث في نفسك أي أثر . إني أمقتك مقتاً شديداً ، واطلب إليك ان تنقطع عن الكتابة الي بعد الآن . فأنت ، كما اتضح لي اخيراً ، غير جدير بعواطفي الحارة . أأنا مجنونة لكي اقدم لك حساباً عن حركاتي وسكناتي ؟ ان خير ما افعله ان انقطع عن مراسلتك !.. »

فنلون

FENELON

فنلون (١٦٥١ — ١٧١٥) من الأصوات القوية الأولى التي دافعت عن حرية المرأة وحقوقها في الحياة والمجتمع .. لم يشأ أن يراها قعيدة بيت أو قرينة زوج فحسب ، بل لفت النظر إلى مكانتها وامكانياتها الجمّة في البيت والدولة . وله ردود كثيرة على الذين اتهموا النساء بالضعف .

وكما كان فنلون من الأصوات الأولى في الدفاع عن المرأة ، كذلك كان من الأصوات الأولى التي نادت بالمذهب الطبيعي ، أو بالرجوع إلى الطبيعة في تربية الأبناء ، فسبق بذلك جان جاك روسو .

« لم ير فنلون الحياة جداً خالصاً ، ولا التربية صرامة قاسية ، بل دعا إلى الجمع بين

التهذيب واللعب ، والقران بين الفضائل والمتعة البريئة ، ورأى ألا يُفرض على الأولاد نظام ثقيل يحد من نشاطهم ، ويكدّر صفو حياتهم ... وقد نادى بالبعد عن الخوف والارهاب في سياسة الصغار ورياضة الأولاد . وشبّه سياسة التخويف في التربية بالدواء العنيف الذي قد يقطع المرض ، ولكنه يضعف المزاج وينهك الأعضاء . »

وعُهد إليه في أن يكون مؤدباً للدوق دو بورغوني ، حفيد لويس الرابع عشر ، فنجح في رياضته وتطويعه ، وجعل منه شاباً آخر ممتلئاً بالأخلاق والصفات الحميدة . ومن أجله ألّف **الحكايات** ، **ومحاورات الموتى** ، وروايته الشهيرة **تيليماك** ، وفيها الكثير من الاشارات الخفيّة والغمزات والانتقادات غير المباشرة لحكومة لويس الرابع عشر . وقد أثار نشر هذه الرواية سنة ١٦٩٩ غضب الملك .

أبصر فنلون النور في أسرة ميسورة الحال ، لها مصاهرات ومودات نسب بين العظماء . درس في شبابه الآداب ، والفلسفة ، واللاهوت . وبعد أن أصبح قساً سنة ١٦٧٥ راح يعمل في تفسير الكتاب المقدس . وقد عيّن مديراً لمعهد ديني خاص بالنساء . وكان أول مؤلفاته رسالة وضعها في **تربية البنات** ، جاءت نتيجة خبرته العمليّة الطويلة في هذا الحقل . وقد تضمّنت الآراء الصائبة والأفكار الصالحة بحيث جاءت عميمة الفائدة لتربية البنين والبنات على السواء ...

ومن مؤلفاته القيّمة **الرسائل واليوميات** وفيها الضوء الساطع على الحالة السياسية . وقد وجهها دون وجل إلى الملك ، ودوق بورغوني ، ودوق أورليان ... وله كذلك رسالة عن **وجود الله وأوصافه** ، **ومحاورات حول البلاغة** ، **وأمثال وحكم القديسين** .

ڤولتير

VOLTAIRE

يقول فولتير: « تجارتي أن أقول ما أفكر فيه ! » .. و « اني أخالفك في كل كلمة تقولها ، ولكني ادافع حتى الموت عن حقك في قولها ! » كان هذا الذي يقوله **الفيلسوف الساخر** يجعل الملوك والبابوات يصغون إليه .. ويرتجفون .

اسمه الحقيقي فرنسوى ماري أرويه (١٦٩٤ — ١٧٧٨) ، ولد في ضواحي باريس وتعلم عند اليسوعيين ، ومع تعلمه أصول الدين تعلّم كذلك الشك . وعندما بلغ الثالثة والعشرين سجن في قلعة الباستيل لأنه أهان القصر الملكي . وكان أول شيء طلبه في سجنه

اشعار هوميروس . وفي هذا السجن وضع ملحمة **هنرياد** التي يروي فيها الملك هنري الرابع للملكة اليزابت قصة اضطهاد البروتستانت . وما أن أفرج عنه حتى سجل نجاحاً كبيراً في مسرحيته **اوديب** . وفي سنة ١٧٢٦ اعتقل من جديد لجرأة أقواله وصراحته ، ونفي إلى انكلترا حيث قضى ثلاث سنوات . وعندما نشر سنة ١٧٣٤ ، بعد عودته إلى باريس وسطوع نجمه في صالوناتها الادبية ، كتابه **رسائل عن الانكليز** الذي أحدث ضجّة كبرى ، اضطر إلى الفرار إلى اللورين بعد أن اختطف زوجة المركيز دو شاتليه ، وهي سيدةٍ مثقفة كانت طوال أربع عشرة سنة عشيقته ورفيقته الفكرية ، ومنافسته . ولما عاد سنة ١٧٤٦ إلى باريس انتخب عضواً في الأكاديمية الفرنسية ، وانتج بعد استقراره فيها روايتيه **صادق** ، **وميكروميغاس** .

وكان لوفاة عشيقته سنة ١٧٥٠ بالغ الأثر في نفسه فنشد السلوى والتعزية في البلاط البروسي تلبية لدعوة وجهها إليه فريدريك الكبير . فأقام ثلاث سنوات ، عاد بعدها إلى باريس حيث وضع أول كتاب فلسفي عن التاريخ **مقالة عن الآداب وروح الامم** ، محاولاً فيه أن يحلل المسبب الطبيعي وراء تطور الفكر الاوروبي .

وأقام في فريني ، داخل الحدود السويسرية ، ردحاً من الزمن وضع خلاله **كانديد** ، وساهم في وضع **الانسيكلوبيديا (الموسوعة الفرنسية الشهيرة)** ، **وقاموسه الفلسفي** . ومذ ذاك بدأ باصدار سلسلة من الكراريس والنشرات يهاجم فيها التعصب الديني وتطرّف الكنيسة . ولما عاد إلى باريس ، وهو في العقد الثامن من العمر ، استقبل استقبالاً حماسياً . وقد توفي في ٣٠ أيار ١٧٧٨ بعد أن أسهم في وضع الحجر الأساسي للثورتين الفرنسية والأميركية . **وقد عرف بلقب شرارة الحرية !**

وقليلون يعرفون أن فولتير هو مخترع الدبابة. فقد كان هذا الفيلسوف في قصره المعروف بقصر اللذات عندما فكّر بالآلة الحربية الجديدة الدبابة ودعاها « عربة أحشورش » . وقد وصفها في رسالة بعث بها إلى المارشال دو ريشيليو في أول تشرين الثاني ١٧٥٦ بقوله : « أنها سلاح جهنمي فعّال . »

وكان فولتير رجلاً عملياً ، يحبّ المال إلى درجة العبادة ، الأمر الذي جعله يتصل بريشيليو والمركيز دو فلوريان ليطلعها على اختراعه ، ويؤمّن ظهوره إلى حيز الوجود .

يقول فولتير للمركيز دو فلوريان « ان صندوقاً صغيراً يوضع على عربة ، ويحتوي على ست من القنابل المزدوجة ، يكون ولا ريب سلاحاً رهيباً . »

وكتب صاحب **ميكروميغاس** إلى المارشال دو ريشيليو في العام ١٧٥٧ يفتخر بدبابته

ويعدد مزاياها قائلاً : « كم أودّ أن تُستخدم دبابتي هذه من أجلك أنت ومن أجل وطننا الغالي فرنسا . فهي قليلة التكاليف ، لا تحتاج إلا إلى القليل من الرجال والخيل . وثق بأن عدم نجاحها لا يمكن أن يني قواتنا المسلحة بالهزيمة كما قد يتبادر إلى ذهنك للوهلة الأولى . ولنفرض جدلاً أن مدفعية الأعداء قد حطّمت جميع دباباتنا — وهذا أمر بعيد الاحتمال — فإن حطامها المتكدّس سيعرقل ، لا محالة ، تقدم أعدائنا ويكون بمثابة حواجز أو دروع تردّ عنا غوائلهم ... »

ومرّت عشرة أعوام كتب فولتير في نهايتها إلى أمبراطورة روسيا كاترين الثانية يصف لها دور عربته الجديدة الحاسم في المعارك .

لم يعر أحد وقتئذ اختراع فولتير نصيبه من الاهتمام . وقد صرح هو نفسه بانه ينفجر ضاحكاً ، سلفاً ، كلما فكّر في أن الخلف سيهزون رؤوسهم عندما يعرفون أنه هو صاحب الاختراع ...

كان فولتير لا يبدأ الكتابة إلا عندما يضع امامه مجموعة من أقلام الرصاص لا يقل عددها عن اثني عشر قلماً . وبعد أن ينتهي من الكتابة يكسر هذه الأقلام ثم يلفها بالورقة التي كان يكتب عليها ويضعها تحت وسادته عندما ينام . وكان فولتير يقول ان الكتاب المقدس سيصبح في غضون قرن من الزمن من الكتب البالية المنسيّة التي لا وجود لها الا في المتاحف . وانقضت المئة سنة التي حددها فولتير فإذا بمنزله يصبح مقراً لفرع جمعية الكتاب المقدّس في جنيف . وقد بيع أخيراً ٩٢ مجلداً من مؤلفات فولتير بمبلغ دولارين فقط ...

دجونسون

SAMUEL JOHNSON

انتهت دراسة صموئيل دجونسون عندما اضطره الفقر وضيق ذات اليد الى ترك المدرسة سنة ١٧٣١ قبل الحصول على أي شهادة . ولكن ذكاءه ودماغه الكبير جعلا منه لغوياً ، وكاتب مقالات ، وناقداً ، ودكتاتوراً للأدب الانكليزي طوال ربع قرن من الزمن .

ذهب إلى لندن سنة ١٧٣٧ . وفي سنة ١٧٤٤ ظهر كتابه **حياة رتشاد سافيدج** —

صديق شاعر مكافح – أعقبته مسرحية **ايرين** سنة ١٧٤٩ . وأنشأ مجلة نصف اسبوعية (**رامبلار**) في السنة التالية ، وبعد ذلك بخمس سنوات نشر **قاموس اللغة الانكليزية** . وكان يشكو كثرة الديون ، ومع ذلك أصدر سنة ١٧٥٨ مجلة أشبه بالأولى دعاها **ايدلار**. وقد كتب رواية **راسلاس** في ليالي اسبوع واحد ليسدد نفقات جنازة أمه .

وفي سنة ١٧٦٣ التقى دجونسون بدجيمس بوزويل الذي كتب فيما بعد ترجمة حياته . وهو من مؤسسي « **النادي الأدبي** » الذي كان يضم الشعراء ، والمؤرخين ، وكبار محدّثي العصر . وكان دجونسون نفسه محدثاً بارعاً لبقاً لا يشق له غبار . وقد ختم حياته الادبية سنة ١٧٨١ بكتابه **حياة الشعراء** .

ولد في ١٨ أيلول ١٧٠٩ في لتشفيلد ، وتوفي في لندن في ١٣ كانون الأول ١٧٨٤ ، ودفن في كاتدرائية وستمنستر .

ومما يؤثر عن صموئيل دجونسون انه كان عندما يترك بيته يحمل بيده عصا ليضرب بها القضبان الحديدية التي يمر بها في طريقه ، وإذا أبطأ بضرب أحدها يعود ثانية ليضربه من جديد ، معتقداً أن ذلك يعيد إليه حيويته ونشاطه .

روسو

JEAN JACQUES ROUSSEAU

كان جان جاك روسّو (١٧١٢ – ١٧٧٨) الفيلسوف والكاتب الفرنسي أول قادة الحركة الرومنطيقية ، والمبشّر بالثورة الفرنسية الكبرى ، وبنظرية **الرجوع إلى الطبيعة** . وهو ابن ساعاتي من جنيف ، بسويسرا ، امتهن عدة مهن قبل أن يحتل مقامه المرموق في حقلي الأدب والفكر .

وتعرّف إلى السيدة دو وارين فتعشقها فؤاده ، وبادلته الحب . وكانت ذات أثر عظيم في توجيه أدبه . وقد خصّص جزءاً من « اعترافاته » لوصف حياته السعيدة في منزلها القروي الفخم ، ليشارميت . ومرّت الأيام فاذا بروسو يتعرّف إلى خادم أمية تدعى تيريز لوفاسور ، أضحت زوجته فيما بعد ، وأنجبت له خمسة أولاد أدخلهم أحد المياتم لتتعهدهم كسائر اللقطاء .

وكان روسو يعيش عيشة فقر وتقتير في الكوخ الذي قدمته له السيدة ديبينيه في مونمورونسي . وقد عرّفته هذه السيدة إلى الكونتيس صوفي دوديتو ، فهام بها هياماً شديداً وخلدها في قصته الرائعة **هيلوييز الجديدة** ، وهي تعد في مقدمة روائعه الأدبية .

أما الكونتيس صوفي فقـد كانت عواطفها تفتر شيئاً فشيئاً من ناحية روسو مما أحزنه وأمضّه .

كان هذا المربي المشهور والكاتب العبقري القـدير يظن أن كلّ انسان في الوجود منافس له حتى أنه كان يخشى البرق والرعد ويظن أن حدوثها موجه ضدّه ، وهو نوع من انتقام السماء .. وكان لا يأكل إلا الطعام الذي يحضره بنفسه لأنه يخشى إذا أكل طعام طاهيته أن يكون أحد منافسيه قد أغرى الطاهية ودسّ له السّم فيه .

ومن عجب أن يكفّر روسو بكتابه التربوي الجليل **اميل** عن خطيئة ارتكبها بحق زوجته « تريز لوفاسور » بعد عشرة دامت ربع قرن . « ومضت العشرة بما حملته من نتائج ، ومضى روسو إلى النهاية المحتومة ، وبقي هذا الكتاب في ذمّة التاريخ يحمل من الآراء النظرية والعملية ما عاناه روسو اختباراً ، وما عاينه خبرة ، وما اهتدى إليه بالفطرة التربوية التي أعدها الله فيه. **وكما هيأ روسو الأذهان للثورة الفرنسية وللتغييرات السياسية بكتابه العقد الاجتماعي فانه هيأ بكتابه اميل الأذهان إلى ثورة فكرية في عالم التربية والتعليم . »**

كان روسو لا يستطيع كتابة أي شيء جدير يحمل اسمه إلا .إذا غمرت الشمس بأشعتها الفضاء ، وانسكبت بضيائها ودفئها على رأسه ...

توماس باين

THOMAS PAINE

ثائر حر .. كانت الدنيا وطنه والحرية رايته ، ومع ذلك لم يظفر إلا بأربعـة يشيعونه الى مثواه الأخير .. أنصفه التاريخ نفسه الذي ظلمه قرابة قرن ونصف قرن من الزمن ...

أبصر توماس باين النور في انكلترا في ٢٩ كانون الثاني ١٧٣٧ . وفي سنة ١٧٧٤ رحل إلى أميركا حيث انخرط قلباً وقالباً في حركة التحرّر والاستقلال . وما هي إلا سنتان حتى أصدر كتيّباً بعنوان **المفهومية** ، يدعو فيه إلى الثورة على التاج البريطاني . **وبما قال فيه : « ان موعد عالم جديد قد صار قريباً . وسينال جيل من الناس قد يبلغ مبلغ أوروبا في الكثرة ، نصيبه من الحرية . فينبغي ، بـدلاً من أن ينظر بعضنا إلى بعض نظرة الشك والتحفظ ، أن يمدّ كل منا إلى جاره يد الصداقة القلبية والاخاء الصريح. وليكن كل رجل مواطناً صادقاً ، وأخاً واثقاً ، ومؤيداً فاضلاً لحقوق الانسانية . »**

وكانت عبارته الكتيب الافتتاحية الرنانة « هذه هي الايام التي تختبر نفوس البشر وتمتحنها ، ولا ينكص عن خدمة بلاده غير رجل لا يقاتل إلا في شمس مشرقة . » وقد اعترف الجميع بمساهمة باين الفعالة في الثورة الاميركية . وقيل في كتابه هذا : **« لم يحدث قط أن كان لأي كتاب من أي نوع مثل هذا الاثر العميق في شؤون الانسان . »**

وعاد إلى أوروبا سنة ١٧٨٧ . فلما صدر كتابه **حقوق الانسان** ، وهو بمثابة نبوءة عن الديمقراطية ، وقد أهداه إلى جورج واشنطن ، اضطر إلى مغادرة وطنه انكلترا ، فأقام في فرنسا حيث انتخب عضواً في الجمعية الوطنية ،وهي الهيئة التشريعية للجمهورية الأولى الجديدة .

وقد جاء في « حقوق الانسان » قوله : « ان مهزلة الارستقراطية ذاهبة في كل بلد ، وبائدة لا محالة . فلتذهب إذن في هدوء إلى قبرها ولتلحق بالحماقات الاخرى ، وليتعزّ الحزانى ... ومتى أمكن أن يقال في أي بلد في العالم ان الفقراء سعداء ، وانه لا فاقة بهم ولا تعاسة وان السجون خاوية خالية من المسجونين ، والشوارع خالية من المتسولين ، والشيوخ لا يعانون ضنكاً ، والعالم الرشيد كله صديق لي — لاني صديقه ونصير سعادته ورخائه — متى أمكن أن يقال هذا في بلد ما ، فإنه يحق لهذا البلد عندئذ أن يباهي بدستوره وحكومته . »

قال أحد المفكرين : « لقد فعل توم باين بقلمه مثل ما فعل واشنطن بسيفه لاقامة دعائم الجمهورية الاميركية وتشييد صرحها ! »

سوى أن شعبيته لم تعمّر طويلاً . فقد سجن مدة سنة كاملة نتيجة لمعارضته في اعدام الملك لويس السادس عشر . واستطاع ، وهو في طريقه إلى السجن ، أن يسلّم أحد أصدقائه مخطوطة كتابه « عصر العقل » ، وهو هجوم على الدين المركّز . إلا أنه كان رجلاً تقياً ، ينظر إلى الدين نظرة شخصية ، فيها جد وصرامة وعقل . فلما رأى الثورة الفرنسية تجتاح الدين ، أحسّ أن عليه أن ينتشله من هذا التيار الدافق . فكتب يقول :

« إني أومن بإله واحد ، لا أكثر ، وأطمع في السعادة بعد هذه الحياة ، وأعتقد أن الواجبات التي يفرضها الدين هي إقامة العدل ، وحب الرحمة ، والسعي لاسعاد بني الانسان . »

وفي سنة ١٨٠٢ عاد إلى اميركا فقيراً معدماً ، بائساً ، ضعيفاً عليلاً .. فأقام ردحاً من الزمن في البيت الأبيض في ضيافة الرئيس دجيفرسون . ولكنه توفي في منزله في نيويورك في ٨ حزيران ١٨٠٩ .

الكسندر دوماس

ALEXANDRE DUMAS PERE

كان ألكسندر دوماس الأب(١٧٦٢ – ١٨٠٦)،من أغرب الروائيين الذين غمسوا أقلامهم بالحبر ، وكان يتبجّح بأن عدد أولاده يبلغ الخمسمائة . وبالرغم من بدانته وقبح شكله فقد كان زير نساء .

والغريب في أمر دوماس أن ثلاثة أرباع الدّم الذي يجري في عروقه بيضاء والربع الآخر زنجي . فجدّته ، ماري دوماس ، كانت عبدة تعمل في إحدى مزارع قصب السكّر في جزر الهند الغربية . وكانت فقيرة ، جاهلة ، عاشت وماتت مجهولة دون أن تحلم بأن حفيدها سيلمع نجمه فيكرّمه الملوك والأمراء ، وذوو النفوذ والسلطان .

وكان شهوانياً نهماً أكولاً ، ماهراً في الطهو مهارته في نسج الروايات ، إلا أنه لم يذق في حياته القهوة أو أي شراب ، ولم يدخّن التبغ مطلقاً . وكثيراً ما كان ينسى مواعيد طعامه لانهاكه في الكتابة .

ومن شذوذه أنه كان شديد العناية بانتقاء أنواع الورق وألوانه وأصناف الأقلام .. من ذلك أنه كان يكتب رواياته على ورق أزرق وبأقلام خاصة ، في حين كان يسطّر قصائده على ورق أصفر وبأقلام غير الأقلام الأولى . أما مقالاته الصحفية فكان يستخدم في كتابتها الورق الوردي ، ولم يستعمل مطلقاً الحبر الأزرق ، ولم يجلس يوماً إلى منضدة لتأليف رواية ، بل كان يستلقي على المقعد ويسند كتفه إلى إحدى الطنافس الوثيرة .

ولقد ترك لنا تراثاً أدبياً يقدر بألفين ومائتي مجلد ... أجل ألفان ومائتا مجلد بين روايات، وقصائد، وتواريخ ، أي ما يعادل ضعف ما خلّفه هؤلاء الأدباء مجتمعين : غيلزوردي ، جورج برنارد شو ، ستيفنسون ، ويلز ، كبلنغ ، ماري روبرتس راينهارت ، وزاين غراي . وبلغ دخله من أدبه أكثر من خمسة ملايين دولار ، وهو رقم لم يصل اليه كاتب قديماً أو حديثاً . وكان في بدء حياته الادبية فقيراً لا يملك شروى قبة منشاة ليضعها في العرض الأول لباكورة رواياته التي مثلت على مسارح باريس .. فاضطر الى صنع قبة بيضاء من الورق المقوّى .

كان يعمل أحياناً في خمس روايات في آنٍ واحد ليلبي طلبات الصحف والمجلات التي كانت تنشرها له متسلسلة . ولم يجد يوماً الوقت الكافي لقراءة ما يدبجه ، ولكن المجال اتسع أمامه ليشترك في عشرين مبارزة بالسيوف والمسدسات . ولما تقدّم في السن ازداد

شقا... [illegible] ، وتعددت مغامراته وغرامياته حتى بلغت حدّ الفضيحة ، واضطرّ ابنه إلى الابتعاد عنه ممتعضاً .

ولما قلّ ماله تفرّق عنه الجميع ، فقضى شيخوخته في فقر ، وعزلة ، واهمال . واضطر إلى رهن مجوهراته ، وردائه ليسدّد بدل الايجار ، وكاد يقضي جوعاً لو لم يسدد ابنه حساب البقّال .

وقبل وفاته رآه ابنه يطالع نسخة من رواية « الفرسان الثلاثة » فسأله : « كيف تجدها يا أبتاه ؟ » فكان جوابه : « لا بأس بها ، انها جيدة . »

لقد ظهرت بعد **الفرسان الثلاثة** آلاف الروايات ولكنها ما لبثت أن ذبلت وطواها النسيان . أما رائعة دوماس فخالدة ، فسيطالعها أحفادنا وأحفاد أحفادنا من بعدنا بمئات السنين .

مَدَام دُوستَال

MME. DE STAEL

قليلا ما أنصف النقاد مدام دو ستال (١٧٦٦ – ١٨١٧) التي مثلت دوراً هاماً منذ فجر الثورة الفرنسية الى سقوط نابوليون . فالواقع ان هذه الأديبة العظيمة لم تُفهم على حقيقتها لان الناس لم يعتمدوا في الحكم لها أو عليها إلا ما كتبه عنها معاصروها المتعصبون لنابوليون .

كانت مدام دو ستال من أعدى أعداء نابوليون . على أنها بدأت بالتحمس له فوجهت إليه رسائل مشبعة بالاطراء . وكانت ترى فيه مجدّد الحضارة القديمة، وتجاهر بأنه يجمع إلى العبقرية العسكرية عبقرية التنظيم والقدرة على الابداع .

سوى أن نابوليون أبى أن يتخذها ناصحة ، وردّها بعنف ، فلم تحقد عليه، بل واصلت الجهد لاكتسابه ، ووسطت جوزفين ، ولكن بدون جدوى .

لما أنجزت مدام دو ستال سنة ١٨١٢ كتابها عن المانيـا ، هربت إلى النمسا ، مع أولادها وجون روكا ، الضابط السويسري الشاب الذي تزوجته فيما بعد . وفي فيينا راح السفير الفرنسي يصرّ على طردها . ففكرت أولاً في الالتجاء إلى تركيا ثم صحّ عزمها على الذهاب إلى روسيا .

فاحتفى بها القيصر اسكندر احتفاءً عظيماً ، وكان قد شهر على الجيش الفرنسي الكبير موقعة المدى والمناخ التي أهلكته .

ولم تكن مدام دو ستال فرنسية بل جنيفيّة المولد ، ثم صارت اسوجية بزواجها فكان طبيعياً أن تسعى لتسهيل السبيل إلى عقد مؤتمر « أبو » بين قيصر روسيا وبرنادوت ، الأمير الوارث لعرش أسوج . وفي « آبو » عقدت تلك المحالفة العسكرية التي أسفرت عن سقوط الأمبراطور . فقد شاءت أن تنتقم فجمعت بين القيصر وبرنادوت لتضرب نابوليون الضربة القاضية ، وتمّ لها ما أرادت .

ومن « آبو » انتقلت مدام دو ستال إلى ستوكهلم فاحتفى بها بلاط برنادوت والارستقراطية الاسوجية المشرّبة بروح الثقافة الفرنسية . ولما ذهب برنادوت إلى الحرب ذهبت مدام دو ستال إلى انكلترا . وفي لندن أصدرت كتابها عن المانيا فأحرز نجاحاً عظيماً في جميع اوروبا . وفيما المجتمع اللندني يكرّم الكاتبة الحرة انتهى إليها سقوط نابوليون واحتلال الحلفاء باريس . فاغتمت لأنها كانت تحب فرنسا . **فالواقع ان مدام دو ستال التي اعتنقت مبادىء ١٧٨٩ على أنها فجر الحرية كانت عدوة نابوليون وصديقة فرنسا ...**

ولتر سكوت

SIR WALTER SCOTT

هذا الروائي والشاعر الاسكتلندي (١٧٧١ — ١٨٢١) أصيب وهو في شهره الثامن عشر بداء السجايا الذي شلّ رجله اليمنى . ويعتقد بعضهم أنه لولا هذه العاهة لأصبح رجلا عسكرياً بدلاً من أن يصبح رجل قلم .

كان ، منذ نعومة أظفاره ، قوي الذاكرة ، يحفظ كل ما يقرأ .. ويقرأ كثيراً وباستمرار ، وقد أتقن عدة لغات . كانت زوجته فرنسية . وقد أوحى إليه بقرض الشعر اطلاعُه على الشعر الالماني . اشتغل بالمحاماة فترة من الزمن ، كما اشتغل بالسياسة . وعلى الرغم من عمله في الطباعة ، وكتابة المقالات ، ونشر الروايات ودواوين الشعر ، كان يجد متسعاً من الوقت للدراسة والمطالعة . **وقلما نجد في تاريخ الادب الانكليزي رجلا يتمتع بمثل هذه العبقرية ، والمواهب الفذة ، والنشاط الجم .**

بدأ روايته الأولى سنة ١٨٠٥ ولكنه ألقاها جانباً بناء على نصيحة أحد أصدقائه ، إلا أنه أكملها سنة ١٨١٤ في خلال أربعة أسابيع فقط . وقد نُشرت غفلًا من اسمه . ولاقت رواجاً ونجاحاً كبيرين مثل سائر رواياته التي توالت منذ ذاك ، وأشهرها **عروسة لامرمور ، وإيفنهو ، والطلسم ، وكنلورث** .

ونتيجة لحياة البذخ التي كان يحياها وجد سكوت نفسه مفلساً، ومديناً بمبلغ ١٣٠ ألف ليرة استرلينية لم يرَ بدّاً من تسديدها . وراح يعمل ليل نهار – على الرغم من سقم صحته – لوفاء ديونه . ومات بعد أن سدّد نصف المبلغ ، ولكنه مات معتقداً أنه حرّ من كل دين ...

دجين اوستن

JEAN AUSTIN

لعلّ الروائية الانكليزية دجين أوستن (١٧٧٥ – ١٨١٧) أكثر الروائيات شعبية بين جمهرة القراء الذين لا يعدلون بها أحداً . وانه ليصعب مجادلتهم في رأيهم هذا إذ أن دجين من أبرز كتّاب الرواية . فنظرتها إلى العالم المحيط بها ثاقبة ، وأسلوبها رشيق رائع . ومن أشهر رواياتها **كبرياء وتحيّز** .

إلا أن الشهرة جاءتها بطيئة متأخرة ، ولم تصبح رواياتها مقروءة إلا منذ أمدٍ قصير نسبياً ، ولكنها مذ ذاك أمست ضرورة من ضرورات الثقافة ، **وهي اليوم تعتبر من الروائيين الانكليز الكلاسيكيين .**

كان لها معجبون كثر نذكر منهم كوليريدج ، وتينسون ، وماكولي ، وسكوت وسدني سميث ، ودزرايلي (قرأ روايتها « كبرياء وتحيز » ١٧ مرة) ، والاسقف هويتلي الذي يعتبر مكتشفها .

كانت حياتها عادية ، هادئة ، سعيدة . ولدت في بلدة ستيفنتون (من أعمال مقاطعة هامبشاير) حيث كان أبوها راعي الأبرشية . وكانت صغرى أسرة مؤلفة من سبعة أولاد . لم تتزوج ، ولم تغادر بلدتها إلا للقيام بزيارات قصيرة قريبة ، حتى انتقلت الأسرة إلى مدينة باث سنة ١٨٠١ ، ومنها إلى ساوثبمتون ، إلى أن استقر بها المقام في تشوتون سنة ١٨٠٩ حيث عاشت طوال حياتها .

بدأت الكتابة في سن السادسة عشرة ، وهي بعد في المدرسة . إلا أنها لم تدع الكتابة تصرفها عن الشؤون المنزلية .. فقد كانت تتقن الخياطة ، والتطريز ، وتقوم بأعباء البيت ، إلى جانب كتابة الرسائل والقراءة بصوت مرتفع .

وعلى الرغم من هدوء أيامها وضيق محيطها ، فقد شاهدت الكثير من حياة الطبقة الوسطى في المجتمع الاقليمي ، فكان ذلك مادة صحيحة غزيرة لرواياتها ، وكانت تتمتع بخيال خصب لم يؤثر مطلقاً في الصور الحقيقية التي رسمتها حبراً على ورق .

اهتمت كثيراً بوصف حياة أبطالها اليومية ، ولم تحاول يوماً أن تقرن بالأحداث أي عنصر مشوق من عناصر الرواية : الجريمة ، أو الحب العنيف ، أو الدين . وقد تميزت نظرتها بالسخرية اللاذعة ، وتميز أسلوبها بالحبكة الرائعة ، والسلاسة في التعبير .

وضعت دجين أولى رواياتها **كبرياء وتحيّز** في سنة واحدة (١٧٩٧) ولكن الناشرين لم يأبهوا لها ولم ينشروها ، عن جهل ، إلا سنة ١٨١٣ . وفي سنة ١٨١٥ نشرت روايتها **فهم واحساس** التي نفضت يدها منها سنة ١٧٩٨ . ولعلّ هذا البرود من الناشرين ثبط من عزيمتها إذ أنها لم تكتب شيئاً في الفترة الممتدة بين ١٧٩٨ و ١٨٠٩ اللهم إلا مقتطفات بعنوان **آل واطسن** . أما رواياتها **بارك مانسفيلد**، **وإيما** ، **واقناع** فقد كتبتها بين ١٨١١ و ١٨١٦ .

الاخوان غريم

JAKOB & WILHELM GRIMM

ولد يعقوب غريم سنة ١٧٨٥ ، وفي السنة التالية ولد أخوه فيلهلم ، في قرية هيسن الوادعة ، في مقاطعة هاناو الالمانية . غير انهما لم يفطنا إلى ضرورة جمع الاساطير المحلية وقصص الجن المختلفة ، وحفظها للاجيال المقبلة ، إلا حين هبطا مدينة كاسل ، عاصمة وسفاليا سنة ١٨٠٥ واستوطناها .

كان يعقوب غريم ، وقتئذ ، أمين دار كتب الملك جيروم بونابرت ، ملك وسفاليا ، وشقيق نابوليون الأول . وكان الاخوان غريم يعرفان جيداً أن مسقط رأسها هيسن ، بجباله الشامخة وغاباته الكثيفة الفسيحة ، يزخر بالأساطير الرائعة . لم يكونا بحاجة إلى تجشم مشاق الأسفار ليصبحا وسط دنيا الاساطير ، بل كانت أبواب هذه الدنيا مفتوحة لهما على مصراعيها خارج كاسل نفسها وفي ضواحيها .

في ذلك الوقت (١٨٠٦) كانت تعيش في قرية نيدروتسفهرن ، الواقعة في ضواحي كاسل ، فلاحة تدعى دوروتي فيمان . وقيل للأخوين غريم انها تروي عدداً كبيراً من قصص الجن . وهي من عائلة ألزاسية نزحت عن متز ونزلت في هيسن حيث اتخذت لها مقراً في نزل متواضع في قرية رنغرهاوسن . وفي اثناء اضطلاع والدي دوروتي بادارة هذا النزل الحقير ، كانت الابنة ما تزال طفلة ، تجلس كل مساء تصغي إلى القصص والاساطير يرويها المسافرون الذين يعرّجون على نزل والديها ليقضوا لياليهم ويستريحوا من عناء السفر .

وهكذا عقد الاخوان غريم النية على زيارة دورروتي فيمان ، وكانت قد اشرفت على الخمسين . وصفها يعقوب غريم ، قال : « كان مظهرها ينمّ عن الكثير من القوة والفهم ، والدعة... كانت عيناها الواسعتان تنمّان عن ذكاء وصفاء في الذهن والتفكير .. وكانت ، إلى هذا كله ، ذات نظر ثاقب . »

وكان الاخوان غريم يترددان على دورروتي بانتظام بعد زيارتها الأولى لها . يجلسان إليها كل يوم في المطبخ ، فتسرد عليهما القصص والأساطير التي وصلت إليها بعد أن ترددت على ألسنة الكثيرين من الرواة خلال العصور الطويلة .

كان سرور الأخوين عظيماً بهذه القصص والخرافات تسردها عليهما دورروتي . وقد كتبا لمناسبة اصدارهما مجموعتهما القصصية المشهورة يقولان : « **انما توخينا ، في جمعنا هذه الاساطير ، الدقة والصدق ، فلم نزد شيئاً من عندياتنا على ما نقلته إلينا راويتها ، ولم نلجأ إلى التمويه أو تزويق الحوادث ، بل احتفظنا بالمادة كما وصلت إلينا كاملة غير منقوصة دون أن ينالها أي تحوير ...** »

ووجد الاخوان غريم أن ثمة قصصاً مختلفة تكمل احداها الأخرى وفي الوسع ضم بعضها إلى بعض لتأليف قصة واحدة . ولاحظا انهما في عملهما هذا الممتع في جمع أقدم قصص الجن الالماني إنما وقعا على مفتاح ميثولوجيا الشعب التوتوني القديم . فكان عملهما هذا حافزاً لسائر الادباء في العالم بأسره كي يتنبهوا إلى أهمية أساطير بلدانهم وقصصها الشعبي ، وضرورة تداركها قبل أن تندثر .

وفي العام ١٨٥٠ كتب الأخ الأصغر فلهلم غريم يقول : « لما ظهرت مجموعتنا القصصية كانت فريدة في نوعها ، ولكن ما لبث هذا الحقل القصصي أن أخصب وأعطى ثماراً طيبة ... كانت نظرة الجميع إلينا وإلى عملنا ، أول الأمر ، نظرة استخفاف ورثاء . أما اليوم فقليلون جداً أولئك الذين يستخفون بعملنا ... »

كانت دورروتي فيمان من رأي الأخوين غريم بوجوب تقديم هذه القصص إلى القراء تقديماً صحيحاً لا يشوبه أي تحوير أو زخرف . وكانت تعتقد اعتقاداً راسخاً بهذه الخرافات التي شبّت بينها وعاشت فيها . وكثيراً ما كانت تذهب بنفسها لزيارة الاخوين غريم في منزلهما بكاسل (وقد أصبح هذا المنزل في المدة الأخيرة حانوتاً لبيع التبغ) فتعود من عندهما حاملة الهدايا على اختلافها في مقابل القصص التي كانت ترويها لهما . وكان جيرانها يحسدونها لحظوتها عند هذين الاخوين .

دُو ڤيـنيي

ALFRED DE VIGNY

أبصر الشاعر الفرنسي الفريد دوفيني (١٧٩٧ – ١٨٦٣) النور في لوش (على نهري الأندر واللوار) ونشأ في بيئة عسكرية ، وكان كسائر زملائه يحلم بالمجد العسكري . فلما سُمح له بدخول الجيش ، وكان بعد في منتصف الربيع السادس عشر ، انهارت دعائم الأمبراطورية . ثم لم يلبث أن حاز شهادة ملازم ثانٍ في فرقة الحرس الأحمر على أثر عودة الملكية . وجاء يوم سُرّح فيه هؤلاء الحرس ، وانتشر الضباط بين مختلف كتائب حرس المشاة ، فبدأت حياة الثكنات المملة ، وحلت العبودية محل المجد العسكري المنشود .

قضى دوفيني ثلاثة عشر عاماً في الجندية قبل أن يُرقّى إلى رتبة كابتن بالاقدمية . فلم يكن منه إلا أن استقال (١٨٢٧) متبرماً بهذه الحياة تسير على وتيرة واحدة . وكانت شهرته الأدبية قد أخذت تذيع بفضل ديوانه الشعري الذي أصدره سنة ١٨٣٦ بعنوان **قصائد قديمة وحديثة** ورواية ظهرت في السنة نفسها تحمل اسم **سان مارس** . ومنذ ذاك انصرف بكليته إلى الأدب متّبعاً الحركة الرومنطيقية . ووقع شاعر **إلوى أو اخت الملائكة** في شراك غرام الممثلة الكبيرة ماري دورفال ، هذه العاشقة النهمة التي طبّقت شهرتها ووقائعها الغرامية الآفاق ، فأحبها حباً جامحاً ، ولكنه تألم في حبه هذا ، وشقي إلى أبعد حدود الألم والشقاء بعد أن دامت علاقاتهما ست سنوات . ويظهر ألم الشاعر أكثر ما يظهر بعد هجرها اياه وارتمائها في أحضان الروائي ألكسندر دوماس في كتابيه **يوميات شاعر ، وغضب شمشون** .

وكانت وفاته سنة ١٨٦٣ ،بعد أن خلّف تراثاً أدبياً فنياً رائعاً نذكر منه : مسرحية « شاترتون » و « المجد والعبودية العسكريان » (١٨٣٥) وديوان « المصائر » (١٨٦٣) ، و « يوميات شاعر » (١٨٦٣) وهي التي وطدت دعائم مجده الأدبي .

أما ماري دورفال التي اعتلت خشبة المسرح منذ نعومة أظفارها ، وتزوجت في سن السادسة عشرة من الممثل آلان المعروف بدورفال ، وتلاعبت بألباب الكثيرين من مشاهير الرجال والادباء ، فقد توفيت بائسة معدمة بعد مرض طويل .

بـلزاك

HONORÉ DE BALZAC

اونوريه دو بلزاك (١٧٩٩ – ١٨٥٠) روائي فرنسي الطابع مائة في المائة . أراد له

والده أن يدرس الحقوق ، ولكنه أذن له فيما بعـــد بالاشتغال بالأدب الذي لمع فيه على الرغم من العقبات الجمة التي تثبط الهمم إذا ما اعترضت سبيل الأديب في مستهل حياته . أما الرواية التي عزّزت مكانته وأكسبته الشهرة فهي **جلد الحزن** التي ظهرت سنة ١٨٣١ .

وضع ست روايات قبل أن يبلغ الثالثة والعشرين دون أن يوقّعها باسمه . وكانت اولى رواياته التي حملت اسمه الصريح « الثوار » ، وتدور حول الثورة الفرنسية .

وما لبث أن رسم خطة لمجموعة مؤلفاته الروائية التي دعاهـا **المهزلة البشرية** مستوحياً هذا العنوان من رائعـة دانتي الشهيرة **المهزلة الالهية** التي تتحدث عن الجحيم ، والمطهر ، والجنة ... وقد حاول بلزاك في هذه المجموعة الروائية التي تضمّ أكثر من ثلاثمائة شخصية أن يجمع في لوحة كبيرة واحدة المجتمع البشري كله .. ولكن تجدر الاشارة إلى أن كل رواية من هذه الروايات وحدة تامة يمكن أن تُقرأ على حدة . وتعتبر رواية **الأب غوريو** التي ظهرت سنة ١٨٣٥ بعد نشرها متسلسلة،محور **المهزلة البشرية** ، وأكثر رواياته حبكاً ومتانـة ...

وقد ظهرت هذه المجموعة بين سنة ١٨٣١ و ١٨٤٢ وهي تتألف من تسع وسبعين رواية تزخر بالتحليل الساخر للبشرية . وقد أثر عن بلزاك أنه كان يعيد كتابة رواياته باستمرار حتى وهو يصحح البروفات لدى الطبع . وكان يعمل بين ١٢ و ٢٠ ساعة كل يوم لبضع سنين ، مقتصراً في طعامه على القليل من الفاكهة ، والكثير من القهوة ، مرتدياً مسوح الرهبان .

كثيرة هي الأحداث في حياة بلزاك وشائقة . وقد كانت أخلاقه عرضة للانتقاد ، إلا أن الكثيرين دافعوا عنه . وكان في حاجة دائمة الى المال ، يتعاطى مختلف المشاريع التي يمكن أن تدرّ عليه الثروة ، ومن بينها صناعة حروف الطباعـــة ، والتعـدين في جزيرة سردينيا . وعلى الرغم من دخله غير الثابت فقد عمد إلى التبذير في شؤون عديـدة ، منها شراؤه قصر أحد أثرياء باريس وتأثيثه بمجموعته الفنيـة الرائعة التي قدّرت بنصف مليون دولار .

وكان طرفاً في دعاوى كثيرة ، وعلى خـلاف مستمر مع ناشري كتبه .. حاول الكتابة الصحفية ، وكتابة المسرحيات ، ولم ينجح في محاولاتـه المتكرّرة للانضمام إلى عضوية الاكاديمية الفرنسية .

وكان في حياته ثلاث نساء : اولاهن مدام دو برني ، وكانت تكبره بعشرين سنـة ،

وهي سيدة كريمة أثرت في نفسه أحسن تأثير ، وعطفت عليه كثيراً .. والثانية الدوقة دو كاستري التي أحبها حباً عنيفاً فترة قصيرة من الزمن .. والثالثة الكونتيس هانسكا ، وهي سيدة بولونية نبيلة الأصل بعثت اليه سنة ١٨٣٨ برسالة إعجاب لدى ظهور روايته **طبيب الريف** ، فكانت هذه الرسالة فاتحة عهد مراسلة وحب بينهما استمر عشر سنين . وكانت متزوجة ، وكان بلزاك أتبع لها من ظلها طوال هذه المدة التي قضاها متنقلاً من بلد اوروبي الى آخر لمقابلتها . وكانت ترفض الزواج منه حتى بعد وفاة زوجها . الا أنها وافقت على هذا الزواج قبيل وفاة بلزاك ، فأقاما معاً في قصره الباريسي الفخم .

في سنه ١٨٩٨ طلبت **جمعية اهل الادب** الى المثال اوغست رودان أن يصنع تمثالاً لبلزاك ، فلما أتمه رفضت الجمعية تسلمه بحجة أنه لا يشبهه في شيء .

عاش بلزاك مديناً بمبالغ طائلة الى درجة أنه كان يخشى أن يفتح باب منزله عندما يسمع قرعاً عليه .

وقد أثر عنه انه عندما كان يسير في الشوارع لا يدع رقم بيت الا ويسجله ثم يجمع بعد ذلك الارقام ، فاذا كان المجموع مضاعفات الرقم ٣ سار في طريقه ضاحكاً مستبشراً ، ومعنى ذلك دليل الفأل الحسن ، والا غيّر اتجاهه الى شارع آخر .. وهكذا دواليك !..

هوغو

VICTOR HUGO

أبصر الشاعر والروائي الفرنسي فكتور هوغو النور في بيزانسون في ٢٦ شباط ١٨٠٢. رافق في صباه والده الجنرال في جيش نابوليون الى نابولي ومدريد . وقد تركت هذه الرحلات التي كانت ترافقها الاستقبالات والاحتفالات الرسمية الفخمة تأثيراً حياً في فكر الفتى ، فإذا هي على النقيض تماماً من الحالة السيئة التي وجدت الاسرة نفسها فيها بعد سقوط نابوليون . وفيما عدا ثلاث سنوات قضاها هوغو في احدى مدارس باريس ، لم تكن دراسته تامة ، ولا منتظمة .كان ذكياً في الرياضيات ، وشديد الشغف بالمطالعة . وقد ظهر اول ديوان شعري له وهو في العشرين من عمره ، فلفت اليه الانظار ، ولا سيما البلاط الملكي ، الذي خصه بمنحة كان في امسّ الحاجة اليها . وتزوج رفيقة صباه اديل فوشيه التي كان يحبها شقيقه . وقد جن هذا الشقيق اثناء العرس ونقل الى مستشفى الامراض العقلية . وكانت اديل على جانب عظيم من الحسن والدلال ، عيناها سوداوان ، تضرب بشرتها الى السمرة ، وشعرها فاحم جميل تتدلى ذؤابتاه على كتفيها .

وبدأ هوغو يتخلص شيئاً فشيئاً من الكلاسيكية التقليدية التي كانت معروفة في الاوساط الارستقراطية . وفي سنة ١٨٢٧ اصبح بحق وحقيق نبي الحركة الرومنطيقية في الادب . ومثلت له مسرحية **هوناني** سنة ١٨٣٠ فدرّت عليه ١٥ الف فرنك . وفي السنة التالية ظهرت روايته **نوتردام دو باري**. وقد راجتا رواجاً كبيراً مع روايتيه **لوكريس بوروجيا وري بلاس** . وثبتت جميعاً شهرته الادبية . وفي سنة ١٨٤١ انتخب عضواً في الاكاديمية الفرنسية ، وهو في اوج مجده . ولكن بعد ذلك بسنتين اثنتين فشلت احدى رواياته فشلاً ذريعاً ، وغرقت احدى بناته في السين . فتخلى موقتاً عن الشعر وانصرف بكليته الى السياسة ، واصبح من الاشراف سنة ١٨٤٥ . وكان هوغو في السياسة جريئاً لا يستسلم الى العاطفة. نُفي سنة ١٨٥١ بعد تحطيم الجمهورية ، ولم يعد الى فرنسا الا سنة ١٨٧٠ عندما انهارت الامبراطورية الثانية التي كان يكرهها . وفي خلال هذه الفترة الطويلة التي قضاها في الخارج واصل الكتابة ، فابدع ، وهو على جزيرة غرنيزي البريطانية في بحر المانش رائعته **البؤساء** .

ومما تجدر الاشارة اليه في هذا الصدد ان اطول جملة هي الجملة الفرنسية الواردة في رواية « البؤساء » والمؤلفة من ٨٢٣ كلمة . وقد استعمل فيهـــا ٩٣ فاصلة ، ونقطة واحدة في نهايتها .. وان اقصر رسالتين معروفتين هما اللتان تبادلها هوغو وناشره . فقد ارسل الاول الى الثاني قصاصة ورق رسم عليها علامة استفهام ، ففهم منها الناشر انه يستفسر عن روايته « البؤساء » . فرد عليه بقصاصة ورق مماثلة رسم عليها علامة تعجب ، دلالةً على شدة اعجابه بها !

وقد تميزت سنوات نفيه الاخيرة بالحزن والاسى اذ هجرته زوجته التي ما لبثت ان ماتت ، وهربت ابنته مع ضابط بريطاني . عاش ثمانين سنة ، ودفن في البانتيون ، مدفن العظماء من رجالات فرنسا . وكانت وصيته الاخيرة ان يوضع في نعش الفقراء . وقد بقي نعشه معروضاً تحت قوس النصر طوال ليلة كاملة ...

اراد احد الاميركيين المعجبين بالشاعر هوغو ان يعرف مكانته في العالم باسره ، فارسل اليه كتاباً على مظروفه هذه العبارة : « الى اشعر من في الارض ! » وحُمل الكتاب الى اوروبا،وظل يتنقل بين بلادها ، ويتسلمه شاعر بعد آخر ، ولكن احداً منهم لم يجرؤ على قبوله . ووصل الكتاب اخيراً الى فرنسا ، فسلمه ساعي البريد الى الشاعر لامرتين فقال له بعد ان قرأ العنوان : « ارسلوه الى هوغو ! » ولكن هوغو رده ثانية الى لامارتين. وظل الكتاب حائراً بين الشاعرين حتى سئم هوغو كثرة الاخذ والرد ففتحه ، فاذا به موجه اليه!

وحياة فكتور هوغو ملأى بالطرائف . والاخبار التي تروى عن نظرة الناس إليه لا تحصى . وكذلك الحوادث التي جرت بينه وبين عظماء عصره . ومنها أنّ بسمارك ، بطل الوحدة الألمانية ، كان مشغولاً بضمّ الولايات الألمانية بعضها إلى بعض عندما ظهرت نوايا نابوليون الثالث في إعداد العدّة لغزو ألمانيا. **فما كان من بسمارك إلاّ أنْ بعث إلى فيكتور هوغو برسالة تبدأ بهذه العبارة : « من عظيم المانيا الى عظيم فرنسا ... » راجياً الشاعرَ الكبير أن يوجّه الشعبَ الفرنسي ضدّ نابوليون الثالث ، وضدّ فكرة الحرب التي كان يكرهها هوغو كرهاً شديداً .**

فما كان من نابوليون الثالث إلاّ أن اعتقل فيكتور هوغو . فهاج الشعب الفرنسي هياجاً شديداً ، وراح يهدّد الامبراطور إن هو لم يفرج عن الشاعر . وأمام الأمر الواقع ، اضطرّ نابوليون إلى أن يرسل إلى هوغو رسالةً بخطّ يده جاء فيها أنّه عفا عنه ... فغضب الشاعر وأعاد الرسالة إلى الامبراطور بعد أن كتب على ظهرها يقول :

أبريءٌ يعفو عنه مجرمٌ   كيف تُسدي العفوَ كفُّ المجرمِ

وبمناسبة الحديث عن نابوليون الثالث نذكر الحادثة الطريفة التالية :

فيما كان نابوليون يسير في مركبته الامبراطورية بأحد شوارع باريس الكبرى ، تكاثر الناس حوله يريدون أن يتفرّجوا عليه ... فسرّ نابوليون بهذه « الشعبية » ... ولكنه ما لبث أن رأى الناس يتفرّقون عنه فإذا هو في مركبته وحيد ليس حوله إلاّ حراسه . ونظر ناحيةَ الناس الذين تركوه فجأةً فإذا هم يلتفّون في الشارع المقابل حول أحد المارّة ويهتفون بحياته ... ولما سأل عن الخبر ، قالوا له إنّ المارّ الذي اجتذب الناس إليه هو فيكتور هوغو .. فغضب الامبراطور وحسد الشاعر . وأمرَ أحد رجال الشرطة بأن ينظّم محضر ضبط بالشاعر بتهمة الاخلال بالأمن ... ففعل . **والطريف أنّ هذا المحضر وُجد أخيراً في إحدى خزانات الدولة الفرنسية ، فحفظته حكومة باريس كذكرى لهذه الحادثة .**

ومن أطرف الحوادث ، أن الأميركيين عندما بلغتهم شهرة فيكتور هوغو ، طاروا إعجاباً به ثم ما لبثوا أن أرسلوا إليه أجملَ أربع وعشرين فتاة أميركية لزيارته في فرنسا والتقرّب إليه لكي يأتيهم منه نسلٌ عبقري !

ايمرسون

RALPH WALDO EMERSON

أهناك كثيرون يقرأون ايمرسون اليوم ؟ أيقرأون مثلاً مقالاته وكتبه الشهيرة الاعتماد على النفس، ونداء في بيتا كابا ، والعالِم الاميركي، والصفات الانكليزية ، وممثلو البشر ، والطبيعة ، او يومياته ؟ ام ان هذا المفكر الاديب الذي اعتبره الالوف قديساً وحكيماً في عصره قد اصبح نسياً منسياً من الجيل الحاضر الذي ما يزال يشغف بمطالعة نتاج القرائح الأميركية المعاصرة لايمرسون أمثال : ثورو ، وهوثورن ، وملفيل ، وولت هويتمان ؟

ولد ايمرسون الذي لُقّب بصاحب اكبر دماغ في اميركا في كونكورد في ٢٥ ايار ١٨٠٣ ، وكان الابنَ الثالث لأسرة مؤلفة من والدين وثمانية اولاد . اما ابوه فكان قسيساً موحداً (منكر الثالوث) . واما والدته فكانت امرأة وديعة ، فطنة ، متروية في اعمالها ، نشيطة ، شديدة الاهتمام بمصير ذريتها .

كانت بوسطن وكونكورد البيئتين اللتين عاش فيهما صاحب **الطبيعة** . وكان لوالدته وعمته ماري مودي ايمرسون الشاذة ، الغريبة الاطوار ، في ذلك العصر الشاذ الغريب الاطوار ، اكبر الاثر في نفسه وحياته .

كان ايمرسون في صغره يحيا حياة الشقاء والامل، حياة يهذبها الفقر. فلما كبر التحق بجامعة هارفرد ، الا انه كان طالباً متوسط الذكاء ، يعاقر الخمر الفينة بعد الفينة ، ويسترسل في تأملاته واحلامه الذهبية ، وينظم القصائد في بنت الحان .

وتخرّج وانصرف الى التعليم ، هذه « المهنة البائسة » في نظره . وعلى الرغم من ضعف بصره وكثرة اوجاعه ، واعتلال صحته التحق ايمرسون بكلية اللاهوت في جامعة هارفرد .

وتفتّح قلبه للحب . وكانت ايلين لويزا تكر ، فتاة احلامه ، في السابعة عشرة من عمرها ، رقيقة ، على جانب كبير من الحسن ، ولكنها كانت ، كالكثيرات من صبايا العصر ، تشكو من ضعف الصدر . وقد اقترن بها بعد معاشرتها ردحاً من الزمن وتأكده من حبه الشديد لها . غير ان زواجها السعيد لم يعمّر طويلاً . وظلت ذكراها ، بالرغم من زواجه الثاني وسعادته فيه ، تقلق راحته وتعكر صفو ايامه حتى انطفاء سراجه .

وارتحل الى اوروبا سنة ١٨٤٧ حيث قام بجولة طويلة انتهت به الى منازل **دجون ستيوارت مِل ، وولتر سافيدج لاندور ، وكوليريدج ، ووردزورث ، ومعبوده**

توماس كالاريل . فلما عاد الى اميركا كان قد نضج فكرياً ، غير انه كان ما يزال بعيداً عن الشهرة التي اصبحت له فيما بعد . وانهمك في القاء المحاضرات ، وكانت جماعات المثقفين والتقدميين تتوافد الى سماعها . وقد جمع اولى محاضراته في كتابه الاول المعروف **الطبيعة،** واذا به يصبح الفيلسوف الاميركي الاول ، صاحب مذهب التفوق العقلي (القائل بتفضيل المدركات البديهية والعقلية على محض الاختبار) ، ومذهب الذرائع (الاعتقاد بأن اهمية الافكار تظهر في نتائجها الفعلية) ممهداً السبيل امام الفيلسوفين **ويليام دجيمس ودجون ديوي** ، **ويصبح القائد الفكري لتلك النخبة الممتازة من المفكرين والمفكرات امثال برونسون ألكوت، وهنري ثورو ، ومرغريت فولر وسواهم** ، الذين جعلوا من بوسطن وكونكورد عاصمتي الفكر في الولايات المتحدة .

اخذ ايمرسون يجنح الى اليسار شيئاً فشيئاً ، واخذ التقدميون والاحرار والمتطرفون يتهافتون على سماع محاضراته ، ويقبلون على مطالعة مقالاته وكتبه وقصائده ، ويسرفون في مناقشتها ، وقد اثار حفيظة الاميركيين في احتجاجه على التحجر الفكري في كتابه **العالِم الاميركي** ، واكتسب عداوة كلية اللاهوت في جامعة هارفرد طيلة ثلاثين سنة .

وكان تطرفه خيراً عليه من الناحية المادية ، اذ اتاح له شيئاً من الطمأنينة المالية .

وظل في برجه العاجي حتى كانت الدعوة الى تحرير العبيد ونشوب الحرب الاهلية ، فاذا به ينزل الى المعترك ويبذل نشاطاً فكرياً عظيماً .

فلما انتهت الحرب اضحى ايمرسون حقيقة حكيم كونكورد ومحط انظار الصغار والكبار . ولم يكن واسع الثراء ، بل كان يحيا حياة مرفهة . وكان من احب الامور اليه تدخين السيكار والتحدث. وفي شيخوخته لم يعد ذلك المفكر المتطرف كما كان في صباه. وكانت وفاته سنة ١٨٨٢ .

جُورج صَاند

GEORGE SAND

كان لجورج صاند (١٨٠٤ — ١٨٧٦) الكاتبة الفرنسية المعروفة ، وقائع غرامية لا تحصى في الفترة الممتدة من وفاة زوجها البارون دودوفان حتى تعرفّها بشاعر الغزل الرقيق الفريد دوموسيه . وكان الشاعر في الثالثة والعشرين من سنيه وكانت جورج صاند في التاسعة والعشرين . فلما تعارفا تبين لهما ان مزاجيهما متوافقان .

رحلا معاً الى ايطاليا ، فكانت رحلة ممتعة قضاها العاشقان في رشف كؤوس الغرام

مترعة. ولكن هذه الحال لم تدم طويلاً ، فقد اضطرت جورج صاند للعمل على تدبّر امور معيشتها . اما الشاعر فكان يستوحي شيطانه في خلوات نفسه تؤنسه فيها الكأس والطاس . وتظل هذه حاله الى ان تعود صديقته من عملها في آخر النهار .

عرف الشاعر كل انواع الملذات ، فأطلق لشهواته العنان ، وانحدر الى مهاوي الرذيلة ، فساءت صحته ولزم فراشه عليلاً ، مهدود القوى . فعكفت صديقته على تمريضه ، والسهر عليه ، والتوفر على العناية به عناية الام الرؤوم بوحيدها . الا انها ما لبثت ان احبت الطبيب الايطالي باجيلو الذي كان يعنى بالشاعر المريض ، فسافرا الى باريس تاركين موسيه في ايطاليا يتقلب على فراش مرضه .

ولكن سرعان ما ملّت جورج صاند الحياة مع الطبيب الايطالي ، وبرمت به وبحبه . وسئمت العيش بجانب صديقها المريض ، فظلت حيث هي ، بعيدة عنه ، بعد ان قصّت شعرها وارسلته اليه دلالة الندامة وانسحاق القلب . ولكنه لم يغتفر لها خيانتها بدليل رفضه رؤيتها وهو على فراش الاحتضار يعالج سكرات الموت .

وجورج صاند هو الاسم الادبي الذي عرفت به الروائية الفرنسية ارمنتين لوسيل اورور ، البارونة دودوفان . قضت ثلاث سنوات في احد الاديرة ، ثم تزوجت من كازيمير دودوفان الذي انفصلت عنه سنة ١٨٣٦ .

ومؤلفاتها التالية تميز اربع مراحل يقسم اليها انتاجها الادبي : فالنتين ، وجاك ، وليون ليوني (هي ابرز رواياتها التي يطبعها طابع متاعبها الزوجية) ، وكونسويلو (ابرز حججها في الدفاع عن الثورة الاجتماعية) وفرنسوى لوكامبي ، وفاديت الصغيرة ، وقارعو الجرس (تبرز فيها الروعة الريفية) ، والمركيز دوفيلمير ، ومدموازيل لاكنتيني (تميز دراساتها الاجتماعية الاعمق في مرحلتها الرابعة) ...

وفيما يلي احدى رسائل الشاعر الى حبيبته الهاجرة :

ارثي لطبيعتي الكئيبة التي قضت عليّ بأن اعيش في نعش محكم الاقفال ، وابغضي الذين اكرهوني على هذه الحياة . هنا جدار سجن ، قلتِ البارحة ان كل شيء يتحطم عنده . اجل ، يا جورج ، انه جدار حقيقي ولكنك نسيت ان وراء هذا الجدار سجيناً مسكيناً .

هذا هو تاريخ حياتي من الالف الى الياء ، وهذا ماضيّ ، وهذا مستقبلي . لو كتبتُ ابياتي الشعرية على جدار سجني لكنت خطوت بذلك قليلاً في طريق السعادة ...

ارثي لحالي ، ولا تحقدي عليّ . سأقضي قبل ان اراك ، فاذا كان اسمي محفوراً في احدى حنايا قلبك ، فأمنيتي الوحيدة عندك ان تبقي عليه ، ولا تزيليه مهما يكن اثره ضئيلاً .

أحبي الذين يعرفون معنى الحب ، ويجيدون هذا اللون من الفن . امـا انا فلن اتقن سوى الالم . لهـذا تريني أجيده . تمر عليّ ايام اشعر فيهـا بأنني استطيع ان ازهق روحي بيدي ولكني احجم عن ذلك فانفجر باكياً او استغرق في الضحك ... الوداع ، يا جورج، إني احبك حب الاطفال !

ادْغار آلن پُو

EDGAR ALLAN POE

شاعر وروائي رومنطيقي ممتاز (١٨٠٩ – ١٨٤٩) كُتب له ان يخطر كالجبار الكئيب البائس عبر صفحات الادب الاميركي . ومع ذلك فقد نُحّي من جامعة فرجينيـا لادمانه القمار والكحول . وفيما بعد احيل الى المحكمة العسكرية وطُرد من **كلية وست بوينت الحوبية** لتمرده على القوانين والانظمة ، وانصرافه الى قرض الشعر بينما يقوم رفـاقه وزملاؤه في الخارج بالمناورات العسكرية ، ويتدربون على اطلاق النار .

اقترن اسم ادغار آلن بو بالشقاء والحزن حتى عُرف بالأديب البائس . فقـد كانت حيـاته ، بالرغم من تألق نجمه في سماء الأدب وشهرته الذائعة الصيت ، صراعاً عنيفـاً مع الفقر ، والحزن ، والمرض والسكر .

ماتت زوجته فرجينيا التي اصبحت شريكة حياته وهي بعد في الثالثة عشرة من سنيها ، مصدورة . فحزن عليه حزنـاً شديداً ، وتولته كآبة تقصم الظهور ، فقد كان يحبها حباً يقرب من العبادة ، وقد ألهمه حبها العظيم مجموعة من القصائد الرائعة الخالدة التي تعتبر درراً في الادب الانكليزي... ولكنه سرعان ما تعرّف الى ساره هيلين هويتمان ، فتحابا وتبادلا الرسائل الطويلة الممتعة .

تتميز كتابة ادغار آلن بو بروح الكآبة والسويداء ، التي تخيم عليها ، الى جانب اسلوب بديـع ، رشيق الالفاظ . كان العصر عصر التزويق في الكتابة وتلوينها بالعـاطفة . بيد ان بو لم يتقيد ، في مؤلفاته ، بالاصول التي تمشى عليها معاصروه من الادباء .

نسج بو القصص والروايات . ونظم القصائد الرائعة التي أغنت فيما بعد الخزانة الادبيـة العالمية . ولكنه لم يستطع بيـع هذه الكنوز الادبية بما يسدّ به رمقه . من ذلك انه وضع ملحمة بعنوان **العقاب** استغرق عمله فيهـا عشرة اعوام فلما باعهـا لم تدرّ عليه سوى عشرة دولارات ــ أي دولار واحد لكل سنة عمل ــ **وقد بيعت مخطوطة هذه التحفة الشعرية اخيراً بعشرات الالوف من الدولارات . تُرى ما الحكمة من ترك العباقرة يتضورون**

جوعاً [illegible] **يرزقون ثم دفع المبالغ الطائلة ثمنـــاً لآثارهم بعد ان يغادروا هذه الفانية ؟...**

اكتشف الجيران ذات مرة ان بو وزوجته الطفلة فرجينيا قد أشرفا على الهلاك جوعاً فحملوا اليهما السلال الملأى بالمأكولات . أفليس هذا محزناً ؟ أجل ، ولكنهما عاشا سعيدَين على فقرهما المدقع لأن بو وُهب الروح الشاعرية ، ووُهبت فرجينيا المحبة الفائقة .

وماتت فرجينيا في كانون الثاني ، في ذلك الكوخ الحقير . وقد قضت الشهور الاخيرة من حياتها في فراش مصنوع من القشّ ، ليس عليها من الثياب والاغطية ما يكفي لتدفئتها اللهمّ الا عباءة زوجها العسكرية القديمة التي ارتداها في كلية « وست بوينت » . وكان يجلس الى طرف السرير ويأخذ يفرك قدميها لتدفأ ، في حين كانت والدتها تفرك لها يديها بيديها للغاية نفسها . وكثيراً ما كان بو يحمل القطة على النوم عند قدمَي المريضة لتزيد في درجة حرارتها . ولما ماتت الزوجة المسكينة لم يكن في جيبه المال الكافي لدفنها ، فتطوع احد الجيران الطيبي القلب للانفاق على مأتمها .

هَاريِيت بيتشر سْتو

HARRIET BEECHER STOWE

على أثر زيارة قامت بها هاربيت لشقيقها هنري وورد بيتشر ، تخللها الحديث في موضوع الرق ، تسلـّمت هاربيت رسالة من زوجة أخيها جاء فيها : « والآن يا هاتي .. لو اتيح لي ان استعمل القلم كما تفعلين ، لكتبت شيئاً يجعل هذه الأمة تشعر بأن الرق لعنة فظيعة !» فكان ذلك الباعث على وضع روايتها **كوخ العم توم** ، التي تعتبر مساهمة كبرى من الادب في حركة تحرير العبيد .

أبصرت هذه الروائية النور في ولاية كونيتيكت في ١٤ حزيران ١٨١١ . فتعلمت الخياطة وحياكة الصوف ، وسُمح لها بمطالعة كتب الصلاة ، والترانيم الدينية ، والمواعظ ، الا أنها قرأت كل ما كانت تقع عليه يداها بما في ذلك كتاب **الف ليلة وليلة** الذي اكتشفته بنفسها ووجدت فيه متعة وسلوى .

بدأ اهتمامها بقضية الرق اثر زيارتها لكنتاكي التي جعلتها ، فيما بعد ، إطار روايتهـــا **كوخ العم توم** ، واقامتهـا ١٨ سنة في سنسيناتي حيث كان العبيد الهاربون يجتازون باستمرار النهر . تزوجت سنة ١٨٣٥ البروفسور كالفن ستو ، فكانت زوجة واماً وفية . وقد توفيت في اول أيلول ١٨٩٦ .

ديكنز

CHARLES DICKENS

ظهرت اخيراً ترجمة جديدة لحياة الروائي البريطاني الاشهر تشارلز ديكنز الذي عرف بربيب الفقر .. وضعهـا هسكث بيرسون الذي ترجم لعدد كبير من الادباء المعروفين كشكسبير ، واوسكار وايلد، وسيدني سميث ، وغيلبرت وسولفان، وايرازموس داروين، وتوماس باين ، ووليام هازليت ، وآرثر كونان دويل وسواهم ...

ليس بيرسون هو صاحب فكرة وضع ترجمة لديكنز بالرغم من اعجابه الشديد به ، اذ ان جورج برنارد شو هو الذي دفعه الى ذلك بقوله :

– الا تظن ان الواجب يحتم عليك ان تترجم لديكنز بعد ان ترجمت لشكسبير وشو ؟

فعكف بيرسون على كتابة هذه الترجمة .. وهي تعتبر افضل ما كتب عن ديكنز حتى اليوم بالرغم من انها تتناول بالتفصيل حياة هذا الاديب اكثر مما تتناول فنه وادبه .

مما يجعل تشارلز ديكنز (١٨١٣–١٨٧٠) جثة يصعب على المترجمين تشريحها انه يجمع في شخصيته **حيوات خمسين انساناً وارواحهم**، على حد تعبير صديقه لي هنت . وقد انكر الكثيرون من مترجمي ديكنز ان يكون **معبودهم** قد قصر عن المثـال الذي وضعه هو نفسه : « انسان لامع ، مخلص ، سخي ، سمح ، طروب ، شديد الحنين الى البيت والموقد. »

كان ديكنز ، اكثر روائيي بريطانيـا شعبية ، ذا مزاج متقلب ، يذرف الدموع السخينة ، وينشج احر نشيج ، ولكنه سرعان ما يجفف دموعه وينفجر ضاحكاً ضحكات تكاد تزلزل المكان الذي يكون فيه .

كان حب ديكنز الاول لماريا بيدنل التي احتقرته احتقاراً انتهى اخيراً بطرده طرداً نهائياً من البيت . فتزوج من كايت هوغارث وسيطر عليها سيطرة تامة . وقد انجبت له عشرة اولاد دون ان تتلقى منه كبير شكر او امتنان . وذات يوم كتب الى صديق له يقول بمتعضاً : « تحسنت صحة زوجتي بعد ان منّت عليّ (اعتقد انه كان في وسعي الاستغنـاء عن هذه المجاملة) بالطفل رقم ١٠ ... لدي فكرة رائعة ، وهي توسّط اسقف لندن لاقامة قداس خاص في كاتدرائية القديس بولس تكريماً لي على الخدمة القومية التي اديتها بزيادة عدد سكان بلادي ! »

كان على ديكنز ان يعيل ، الى جانب أسرته ، والديه العجوزين ، وارملة شقيقه الممثلة ايلن ترنان وولده منها . فكان يصل الليل بالنهار عاملاً على كسب ما يكفي هؤلاء جميعاً .

وقد تعرض لانفعالات نفسية مختلفة انعكست كلها في اشخاص رواياته .

وكان خفيف الروح ، يطلع على اصدقائه بانباء تدهشهم وتذهلهم في آن معاً . وعُرف بغرابة اطواره ، وقوة ملاحظته ، وسرعة غضبه ، وتشدده في تربية اولاده . فكان يقيم المنزل ويقعده ، ويملأه صياحاً وتهديداً اذا مـــا وقع نظره على قطعة من الرياش في غير موضعها ، او اذا اتت احدى بناته امراً ، او اهملت شأناً من الشؤون المنزلية مهما يكن طفيفاً .

ومن ابرز الدلائل على غرابة اطواره انه كان يغادر منزله وسط الظلام ويتيه في شوارع لندن كالمجنون ، قاطعاً ١٥ ميلا او ٢٠ في الليلة الواحدة دون ان يكون له اي مأرب من هذه « النزهة » الليلية . وكم مرة دخل بيوت اصدقائه من نوافذهـــا وهو يرتدي ملابس البحارة ، او يرقص الرقصات التي تنسجم وانغام الناي ...

زار ديكنز الولايات المتحدة الاميركية فادهشتها منه حركاته وعـاداته المستهجنة ، النابية ، التي يمجها الذوق ، وثيابه المخملية القرمزية او الخضراء اللامعة . ففي احدى المآدب التي اقيمت تكريماً له دس يده في جيبه وتناول مشطاً راح يسرّح به شعره ولحيته وشاربيه على مرأى من المشدوهين المتقززين .

وكان اكثر المتذمرين من تصرفات ديكنز الشاذة زميله الاميركي واشنطن ايرفينغ .

وكان ديكنز نهباً لعوامل الضعف والقوة ، متقلباً ، يعجز عن رؤية الحياة (او عن رؤية نفسه) متناسقة الاجزاء مما جعل رواياته جميعاً تبـدو كأنها بركان ثائر من العبقرية والنبوغ ، محاط بمستنقعات من الوهن والبلاهة .

ارهق ديكنز نفسه بالعمل الادبي اكثر مما ارهق جيوبه ذووه الذين كان يعيلهم (ترك لدى وفاته ثروة تقدّر بنصف مليون دولار) . ولم يقف عند هذا الحد ، بل كان يقوم بجولات ادبية في انكلترا او اميركا يلقي فيها اروع فصول رواياته ويقوم بتمثيلها . كان يعرف ان في ذلك ارهاقاً لصحته ونشاطه ، وتقصيراً لايامه ، ولكنه لم يبالِ ، بل كان يجد لذة كبرى في مشاهدة المستمعين اليه ، المعجبين بتمثيله ، يكادون يختنقون او يصابون بالاغماء من فرط الضحك والقهقهة . وكان يشعر ، وهو على المنبر ، ان عدد نبضات قلبه قد ارتفع من ٨٠ الى ١٢٠ نبضة لما كان يبذل من الجهد في اداء دوره وتغيير لهجته حسب ما يقتضيه الموقف . فاذا ما انتهى ، وترك مكانه ، انهارت قواه .

وكانت وفاته في ٨ حزيران ١٨٧٠ اثر مشهد من هذه المشاهد . وكانت آخر كلماته على المنبر : «الى الارض !» وسقط ارضاً . فما اقبل الصباح حتى كانت جثته بلا روح .

وهو مدفون في كاتدرائية وستمنستر في لندن .

عُرف عن تشارلز ديكنز انه كان يزين اصابع يديه بالخواتم المرصعة باغلى الجواهر وادقها صنعاً . كما عرف عنه انه لم يكن يستطيع الكتابة ما لم يحمل بيده سلسلة ذهبية يلوّح بها على شكل دائرة .

تورغنيف

IVAN SERGEYEVICH TURGENEV

هو أكثر الروائيين الروس قرباً من الغرب ، وفي طليعة الروائيين الذين قرأهم الغرب بشغف واهتمام .. أبصر النور في اوريل سنة ١٨١٨ من أب تزوج – على ما يُروى – طمعاً بالمال ، وأم كانت دكتاتورة في المنزل . وعندما بدأ إيفان يحيا حياة بوهيمية مع المغنية الشهيره بولين غارسيا (مدام فياردو) قطعت عنه أمه المعاش الذي خصته به، ولكنه ما لبث أن أثرى عندما توفيت هذه الدكتاتورة سنة ١٨٥٢ . وقد عاش إيفان طوال حياته وفياً لهذه المغنية التي لم تبادله عاطفته ، مما طبع أدبه بطابع الأسى العميق .

بدأ حياته الأدبية شاعراً كسائر الأدباء الشباب . وقد نشر في الصحف والمجلات ، أول ما نشر ، **اسكتشات رياضي** (١٨٤٧) التي ضمتها دفتا كتاب سنة ١٨٥٢ .

وما لبث أن هجر الشعر إلى التأليف المسرحي ، ثم انصرف بعد ذلك إلى وضع القصص والروايات فأصدر الحب الأول ، وآسيا ، وأعاصير الربيع ، وآباء وأبناء ... فنحا فيها منحىً اجتماعياً أورثه نقمة بعض النقّاد . وتُعد « آباء وأبناء » من أشهر روايات تورغنيف على الاطلاق .. صدرت سنة ١٨٦٢ ، وهي موازنة بين آراء الجيلين الجديد والقديم في روسيا ، وقد راجت رواجاً كبيراً، فسرّت الجيل القديم ، ولم تحظَ باهتمام الجيل الجديد.

وهو يعد أكثر الكتّاب الواقعيين الروس نزوعاً إلى الرومنطيقية في أدبه . وقد تأثر في هذا الصدد، إلى حد كبير، باسلوب بوشكين وجورج صاند.. ورسمه للشخصيات لا يعتمد على التحليل النفسي بقدر اعتماده على الجو الشاعري الذي يصاحب أشخاص القصة كالهالة .. واكثر ما يظهر ذلك في شخصياته النسائية ، التي هي أقوى وأكثر جاذبية من أبطاله الرجال ...

في سنة ١٨٥٢ ، وفي عهد القيصر نقولا الأول ، أكره تورغنيف على الاقامة الجبرية في

منزله بأمر من الحكومة لعواطفه الثائرة التي أبداها في مديح الروائي الشهير نيقولاي غوغول بعد وفاته .

وطاف تورغنيف بأرجاء اوروبا هرباً من جو الضغط المسيطر على روسيا القيصرية ، ولكنه لم يلاقِ ترحيباً من مواطنيه المنفيين خارج الوطن على نقيض الادباء الفرنسيين الذين أحسنوا وفادته وعلى رأسهم **فلوبير وغي دو موباسان** الذي يقال إنه طلب إليه ألاّ يكتب عنه شيئاً . **وبقدر ما كان محبوباً من ادباء فرنسا كان مكروهاً من زملائه الروس وفي طليعتهم** تولستوي ودوستويفسكي ... **ولقد نظر الجيل الناشىء من الادباء الفرنسيين في ذلك الحين إلى تورغنيف نظرتهم إلى استاذ كبير لهم ! ..**

وفي سنة ١٨٨٠ قام بزيارة اخيرة لروسيا فأحسنوا وفادته ، واستقبلوه استقبالاً حماسياً .. ولكنه سرعان ما عاد إلى فرنسا حيث توفي بعد ثلاث سنوات في بوجيفال بالقرب من باريس .

اميلي وَشرلوتْ برونتي

EMILY & CHARLOTTE BRONTE

أسرة برونتي تكاد تكون نسيج وحدها في تاريخ الأدب الانكليزي .. فقلما تفجرت مثل هذه العبقرية والمهارة من ينبوع واحد ، وفي بيئة واحدة . كان الأب باتريك برونتي كاهناً من كهنة كنيسة انكلترا ، وقد رزق ستة أولاد خمسة منهم بنات ، قبل أن تموت زوجته بداء السرطان . **ومن هؤلاء البنات الخمس قُدّر لأربع منهن أن يصبحن كتاباً ، منهن اثنتان ، شرلوت واميلي ، اللتان تعتبران في طليعة كبار الأدباء في كل عصر ومصر .**

درس أولاد باتريك في مدرسة كوان بريدج الخاصة بأولاد رجال الاكليروس في ذلك العهد . وتوفيت الابنتان الكبريان في هذه المدرسة بداء السل . وقد عنيت بتربية الأولاد خالتهم الآنسة برانويل .

وكان الفتى الوحيد برانويل معقد آمال الأسرة كلها ولكنها لم تتحقق . الا أن شقيقاته حظين بالشهرة الأدبية التي جاءت متأخرة بالنسبة إلى الشقيقتين الصغيرتين . وقد مارست الشقيقات برونتي الأدب السنين الطوال في ظل الفقر والبؤس والحرمان .. حتى أنّ

ورق الكتابة كان يعزّ عليهن أحياناً .

أبصرت اميلي النور سنة ١٨١٨ في هيوارث ، هـذا الجزء الغريب من أرض انكلترا الذي انتج النبوغ كما لو كان من ثرواته الطبيعية . وكانت البرية الفسيحة الأرجاء المحيطة بمنزل برونتي موحشة ، منعزلة عن سائر العالم . وكما استوحى الروائي توماس هاردي بعد حوالي خمسين سنة مثل هذه البرّية في كتاباته ، كذلك كان سحر برّية آل برونتي الغامض مصدر وحي وإلهـام لاميلي وشرلوت ، فاذا بهما تكتسبان من غرابتها ، وقسوتها ، مادة لكتاباتهما .

كانت الأخت الكبرى شرلوت (١٨٢٦ — ١٨٥٥) ، ومن بعدهـا مؤرخة حياتها السيدة غاسكل ، تعتبران هيوارث والبرية التي تكتنفها عائقاً في سبيل عبقريتها ، الا أن الواقع هو العكس . فالصبايا الموهوبات (شرلوت واميلي وآن) كن يجدن لذّة وسروراً في حياكة القصص ، وابتداع الشخصيات قبل أن يكتبن هذه القصص .

كانت اميلي تكنّ حباً عميقاً لأخيها برانويل الذي يقول بعض النقـّاد ان له يداً في بعض مقاطع روايتها **مرتفعات وذرنغ** ، حتى أن أحدهم يجد اميلي وبرانويل في شخصيتي الرواية **كاثرين وهندلي أيرنشو** ، ويقول : « لقـــد تخطت اميلي بذلك الاختبار الحقيقي وقتلت نفسها وأخاها وهما ما يزالان في قيد الحياة ! » فاذا كان ذلك كذلك فانهما لم يعيشا طويلاً بعـد ظهور الرواية .. إذ توفيا ، كلاهمـا ، في السنة التي نشرت فيها مرتفعات وذرنغ (١٨٤٨) ، ولم يكن قد تسنى لاميلي بعد أن تقلـّب صفحاتها ...

غير أن اميلي عرفت الشهرة إثر روايتها هذه التي وُصفت بأنهـا أغرب قصة حب في العالم ، وأروع رواية كتبتها سيدة ، فقد بدأت حياتها الأدبية شاعرة. أصدرت سنة١٨٤٦ ديوان شعر دعته **قصائد** يحمل أسماء مؤلفين ثلاثة هم كورر وايليس واكتون بل — **وهي الاسماء الرجالية الثلاثة المستعارة لشارلوت واميلي وآن** ... ساهمت اميلي في إحدى وعشرين قصيدة فيه تتجلى فيها عبقريتها الشعرية الصحيحة . قال عنهـــا الناقد **أرنولد ماثيوز** : « كانت اميلي برونتي شاعرة في الدرجة الأولى لأن العاطفة ، والعنف ، والحزن ، والأسى ، ليس لها جميعاً أي مثيل منذ اللورد بايرون . إلا أن شهرتها الخـــالدة تقوم على روايتها الوحيدة مرتفعات وذرنغ التي وضعتها وهي بعد في التاسعة والعشرين من عمرها ! »

بدأت اميلي منذ حداثتها تخلق لنفسها فلسفة حيوية جميلة ، وهي واثقة تمامـاً أنها لن تعرف السعادة الحقيقية في حياتها . وبسبب اعتلال صحتها أيقنت أن مستقبلها سيكون

أجدب قاحلاً . إلا أنها مع ذلك وجدت الحياة محتملة ، بل ملأى بالامكانات المثيرة . وقد توفيت سنة ١٨٤٨ وهي في الثلاثين ، ولم تمض ثمانية أشهر حتى لحق بهـــا شقيقها برانويل وشقيقتها آن ...

أما شرلوت فلها رواية لا تقلّ شهرة عن رواية شقيقتها هي **دجين إر** ، صدرت سنة ١٨٤٧ فلاقت الاقبـــال والترحيب من جمهرة القراء والنقّاد . وتعتبر اليوم من التحف الكلاسيكية القليلة التي يتمتع بقراءتها محبّو المطالعة أنـّى ُوجدوا .

كانت **البروفسور** باكورة روايات شرلوت ، ولكنها لم تستطع العثور على ناشر وهي حيّة ترزق . ولم تنشر هذه الرواية إلا بعـد أن أكسبتها وفاتها الشهرة الأدبية التي تنعم بها الآن .

اهدت شرلوت الطبعة الثانية من روايتهـــا **دجين أر** إلى الروائي الانكليزي **ويليام ثاكري** تقديراً له واعجاباً به ، وهي جاهلة ، طبعاً ، أن زوجته ، كزوجة بطل الرواية ، مجنونة . **وقد ذكر أحد نقاد العصر ان ثاكري هو في الأصل بطـل الرواية ادوارد روشستر ، وأن المؤلفة نفسها هي زوجته المجنونة بيكي شارب .**

عاشت شرلوت وحيدة – بعد موت شقيقها وشقيقاتها – مع أبيهـا الذي عمّر أطول منها ، وضربت بمعارضته الزواج من مساعده عرض الحائط ... ولكن صحتهـــا كانت تزداد سوءاً يوماً بعد يوم ، فرحلت عن هذا العالم وهي في التاسعة والثلاثين من عمرها .

لقد شغلت اسطورة آل برونتي المؤرخين الأدبيين والمترجمين مذ ذاك .. وتكاد لا تمضي سنة الا ويضاف إلى رف الترجمات الأدبية العالمية جديد عن سيرة هاتين الشقيقتين !

جورج إيليوت

GEORGE ELIOT

جورج ايليوت هو الاسم الأدبي الذي ُعرفت به ماري آن (او ماريان) ايفانز الروائية الانكليزية المعروفة (١٨١٩ – ١٨٨٠) .

تلقت الدروس التقليدية التي كان ُيسمح لبنات جنسها وقتئذ بتلقّيها حتى بلغت السابعة عشرة عندما أصبحت مدبّرة منزل والدها إثر وفاة أمها . فكانت إلى جانب عملها المنزلي تدرس الموسيقى التي أولعت بها ولوعها باللغات الالمانية ، واليونانية ، واللاتينية . وكانت

شديدة الشغف بالمطالعة . وقد برعت في العزف على البيانو ، ولولا حياؤها الشديد لأسرت مستمعيها فيما لو عزفت أمام الجماهير .

وكانت ماريان في صباها تقية ورعة ، إلا أن تفكيرها ، وانتقال أسرتها إلى كوفنتري سبّبا فقدانها الايمان . وكانت النتيجة المباشرة لذلك انقطاع كل صلة بينها وبين والدها تقريباً ، وهو رجل متدين من المدرسة القديمة . وقد انعكس موقف ماريان هذا في الاسلوب الذي عالجت به المعتقدات الدينيّة في رواياتها .

قامت ماريان ايفانز ، بعد وفاة والدها ، برحلة خارج انكلترا ، ثم عادت إلى لندن حيث أقامت ، وعملت في تحرير مجلة وستمنستر ، وتعرّفت إلى العديد من الشخصيات الأدبية وبينهم جورج هنري ليويس الذي انفصل عن زوجته في حالات جعلت الطلاق بينهما غير ممكن . ونشأت بينه وبين ماريان علاقة كانت تنظر إليها كأنها زواج .. إلاّ أنه على كل حال كان اتحاداً سعيداً . وقد شجعها ليويس في كتاباتها الخلاّقة التي كانت ثمراتها الأولى القصص الثلاث التي نشرتها سنة ١٨٥٨ باسم مستعار هو **جورج ايليوت** . وقد عرف تشارلز ديكنز على الفور أن صاحبة هذه القصص امرأة لا رجل وكتب إليها يقول : « ان هذه القصص تفيض بالصدق اللذيذ والرقّة » ! وفي العام التالي نشرت أشهر رواياتها **آدم بيد** فاستقبلها الرأي العام بالكثير من الحماسة . ومن رواياتها **سايلاس مارنر** ، **ورومولا** ، وهي قصة عن عصر النهضة الايطالي ، استنفدت منها جهداً كبيراً ، وتنقيباً طويلاً ، ولكنها حملت إليها مبلغاً يسيل له اللعاب : ٧ آلاف استرلينية .

ولها بعض القصائد المنسية اليوم . وقد اهتمت كثيراً بقضية تعليم النساء .

وكانت وفاة « زوجها » سنة ١٨٧٨ ضربة قاسية عليها لم تبرأ منها تماماً . وكان بين الذين عرفت التعزية على يدهم صديق اميركي يدعى ج. و. كروس اقترنت به سنة ١٨٨٠. ولكن زواجها كان قصيراً إذ توفيت في السنة نفسها ...

دوستويفسكي

FEODOR DOSTOIEVSKY

يقول المؤرخ البريطاني السر برنارد بارس في كتابه « روسيا » : « عندما قرأت دوستويفسكي للمرة الاولى ، اعتقدت انه رجل غير موزون . ولكنني ايقنت فيما بعد ان

[illegible] الكبير قد رسم لوحات رائعة صادقة لاناس غير موزونين . »

يصدق هذا القول على روايات دوستويفسكي ، اكثر مما يصدق على مقالاته السياسية الموسومة **يوميات** ، وقد نشرها بانتظام في مجلة « **المواطن** » الشهرية العام ١٨٧٣ ، وفي سواها من الصحف بين ١٨٧٦ و ١٨٨١ .

كان دوستويفسكي (١٨٢١ – ١٨٨١) ، بقطع النظر عن كونه موزوناً او غير موزون ، شديد التعصب لايمانه بروسيا . وكان ايمانه هذا يقوم على اساس ان روسيا تختلف اختلافاً بيّناً عن سائر الدول الاوروبية بموقفها العدائي من الاخطار الثلاثة : الاشتراكية الفرنسية ، والبروتستانتية الجرمانية ، والكاثوليكية الايطالية .

يبدو دوستويفسكي روسياً حقيقياً اذ يؤكد لقرائه ان الشعب الروسي يحب الالم ، ويسعى اليه دائماً حيثما يكون ، وفي كل وقت ، وانه يجد لذة لا تعادلها لذة وسط النكبات والمصائب .

مجّد اللغة الروسية فوصفها بأنها لا تترجم في حين يمكن ترجمة سائر اللغات اليها ، كما مجّد المرأة . واصدر مجلة **العصر** بالاشتراك مع أخيه ميخائيل ، ولكنها لم تلاق النجاح والرواج اللذين كان يرجوهما لها ، فاضطر للاستدانة من الناشر سيلوفسكي ، فراح هذا يستكتبه القصص والروايات لقاء ماله . فاخذ يكتب ليل نهار وبسرعة فائقة ارضاء للمرابي . وقد ساعدته آنا سنيتكينا ، وكانت تتعلم الاختزال ، في وضع قصة **المقامر** وتقديمها الى الناشر في الموعد المعين . وفي اثناء عملهما معاً اقترح الكاتب عليها الزواج فلم تمانع ، وتزوجا بعد اشهر .

هجر دوستويفسكي وطنه فراراً من دائنيه الكثيرين . واقام في الخارج زهاء اربعة اعوام كانت المقامرة فيها شغله الشاغل . وكان كلما خسر ، كتب الى امرأته يستنجدها ، فتبعث اليه ببعض المال وهي عالمة بوجوه انفاقه .. كان يقول لها في رسائله مطمئناً اياها : « لا عليك ، فسيجيء وقت اصبح جديراً بك ، فاكفّ عن سلبك مالك كاللص السافل ! »

ونذرت آنا حياتها وراحتها لزوجها فكانت مخلصة له الاخلاص كله ، تستحثه على العمل ، وتختار له بنفسها موضوع القصة وابطالها وجوّها . وما زال هذا حالها حتى جعلت منه رجل عمل ونشاط . واتيح له في السنين العشر الاخيرة ان يحيا حياة هناء واستقرار ، وان يحتل في دنيا الادب مكانة مرموقة .

كان اكثر الروائيين الروس إقليمية .. انصرف الى الأدب بعد خدمته في الجيش ، وقد

نشر سنة ١٨٤٥ روايته شعب فقير . انقطع عن الكتابة والتأليف فجأة سنة ١٨٤٩ عندما قبض عليه وحكم بالاعدام رمياً بالرصاص بتهمة الاشتراك في الثورة . ووقف هو وزملاؤه الثوار أمام فرقة الاعدام بانتظار الرصاصات المميتة . ولكن في اللحظة الاخـيرة أبدل حكم الموت بالنفي الى سيبيريا . وقد خلّفت هـذه الصدمة أثراً عميقاً دائماً في نفسية دوستويفسكي . وفي المنفى تزوج زواجاً لم يكن موفقاً .وقد أفرج عنه بعد خمس سنوات ، وعفي عنه بعد عشر سنين ...

تأثر دوستويفسكي بروايات تشارلز ديكنز التي كان يقرأها بشغف واهتمام . وقد ذاعت شهرته الادبية وراجت رواياته في ارجاء المعمور . وكان له تأثـير كبير في أدب بلاده وتفكيرها خلال السنوات العشرين التي سبقت الثورة الشيوعية .

تولستوي

LEO TOLSTOY

ان قصة حياة هذا النبي الروسي الذي توفي سنة ١٩١٠ لهي اعجب من قصص ألف ليلة وليلة .. فقد كان قبل عشرين سنة من وفاته معبود الملايين ، يحجون الى منزله لالقاء نظرة على وجهه ، أو سماع صوته ، أو لمس طرف ردائه .

كان اصدقاؤه يقيمون في منزله السنين الطوال ويدوّنون بالاختزال كل كلمة يتلفظ بها ، ولو في اي حديث عابر ، ويصفون بالدقة والتفصيل كل حركة من حركاته اليومية . وقد نُشرت هذه الدقائق فيما بعد في مجلدات ضخمة . **فبلغ عدد المؤلفات التي كتبت عن تولستوي ٢٣ ألف كتاب ، وبلغ عدد المجلات والصحف التي تحدثت عنه وعن آرائه وافكاره ٥٦ ألف مجلة وصحيفة يومية . أما التراث الذي خلفه هـو فيملأ مئة مجلد .**

أبصر تولستوي النور سنة ١٨٢٨ في قصر مؤلف من ٤٢ غرفة تحيط به الثروة من كل جانب ، فنشأ وترعرع في جو الارستقراطية الروسية القديمة . إلا انه في اواخر أيام حياته وزع كل اراضيه وممتلكاته ، ومات بذات الرئة وحيـداً فقيراً في محطة للسكة الحديدية محاطاً ببعض الفلاحين .

كان في مطلع شبابه انيقاً ينفق امواله على البذخ والفخفخة ، فيرتدي أفخر الحلل . أما في الشطر الاخير من حياته فكان يرتدي ثياب الفلاحين الخشنة ، ويصنع احذيته بيديه ، ويكنس غرفته بنفسه ، ويأكل على مائدة عارية طعامه البسيط مستعملاً صحناً وملعقة من الخشب .

عاش في شبابه حياة وصفها بأنها حياة فاسدة ماجنة ملأى بالموبقات ، ولكنه في اواخر أيامه حاول أن يتبع في حياته تعاليم السيد المسيح ويحيا حياة القديسين بحق وحقيق .

في البدء كان سعيداً بزواجه ، ولكن هذه السعادة لم تعمّر طويلاً ، وأصبح لا يطيق رؤية زوجته، حتى أنه أوصى لدى وفاته بألاّ يُسمح لها برؤيته .

في صباه فشل في المدرسة ويئس مدرّسوه الخصوصيون من امر ادخال أي علم في جمجمته الكثيفة ، الا أنه بعد ثلاثين سنة وضع روايتين من اشهر الروايات التي عرفها العالم : **الحرب والسلام ، وآنا كارينينا .**

ان شهرة تولستوي اليوم خارج روسيا لتفوق شهرة جميع القياصرة الذين حكموا هذه الامبراطورية المظلمة الدامية . ولكن هل سعد تولستوي بكتابة هاتين الروايتين ؟ اجل ، فترة من الزمن ، اذ ما لبث أن خجل من كتابتهما ، وكرّس مذ ذاك حياته لوضع الكتب والنشرات مبشراً فيها بالحب ، والسلام ، وإلغاء الرق . **وقد بيع من هذه المؤلفات في اربع سنوات فقط ١٢ مليون نسخة** ... كانت تطبع طبعات شعبية وتوزع في العربات على البيوت .

كانت حياة تولستوي مأساة حقيقية ، وقد بيّنت ذلك صغرى بناته التي عاشت بعد وفاته ، وكانت سكرتيرته في الشطر الاخير من حياته ، في كتابها عنه وقد دعته **مأساة تولستوي** . وكان سبب مأساته زواجه . . **تماماً كما كان زواج ابراهام لنكولن وبالاً عليه** . كانت زوجته تحب الفخفخة والجاه وهو يكرهها .. تسعى الى الشهرة التي لا تعني شيئاً له .. تتكالب على الثروة ، وهو ينظر الى حطام الدنيا نظره الى الخطيئة .. تعتقد بأن السيطرة يجب أن تكون بالقوة ، في حين كان يعتقد ان السيطرة للحب . وفوق كل ذلك كانت شديدة الغيرة ، تكره اصدقاءه ، وقد طردت ذات يوم ابنتها من المنزل ثم عمدت الى مسدس افرغت رصاصاته على صورة لهذه الابنة معلقة في حجرتها . وكم كانت تنغص عليه عيشه كلما عرفت انه سمح للشعب بأن ينشر كتاباً من كتبه دون اي مقابل .

ابسن

HENRIK IBSEN

قليلة هي النقاط الهامة في حياة هنريك يوهان إبسن (١٨٢٨ – ١٩٠٦)الشاعر والروائي المسرحي النروجي ، اذا استثنينا اخراج مسرحياته .. ذلك بأنه وقف كل حياته على الكتابة والتأليف من دون سائر النشاطات ، وعاش بمعزل عن الناس – حتى اسرته . وقد تميز بأنه شاعر وناسك متصوف ليس بحاجة الى الاتصال بالمجتمع . وبعد أن غادر منزله سنة ١٨٥٠ لم يتصل بأي من افراد أسرته غير شقيقته ، ويبدو أنه لم يكن لاصدقائه القلائل أي تأثير عليه . وقد تزوج سنة ١٨٥٨ ، وكرّس وقته وعنايته لتربية ابنه سيغورد .

عمل لدى بلوغه الخامسة عشرة من سنيه لدى احد الصيادلة، إلا أنه كان يكره هذاالعمل، فكان يروّح عن نفسه بقرض الشعر ، والاكثار من المطالعة ، وخاصة المؤلفات الشعرية الدينية . وفي سنة ١٨٥٠ دخل المدرسة حيث أُخرجت اولى رواياته «كاتيلين» . وعُيّن في السنة التالية مديراً للمسرح القومي في برغن . وقد قام في سنة ١٨٦٤ بجولة في ايطاليا،وظل السنين الطوال يقضي معظم وقته في البلدان الاجنبية ، ولم يستقر في كريستيانا ، في نروج، الا في السنوات الخمس عشرة الاخيرة من حياته . وقد ضعفت قواه العقلية في الشطر الاخير من هذه الفترة ، وكان يشكو في السنوات الاربع الاخيرة التي سبقت وفاته سنة ١٩٠٦من انهيار جسماني وعقلي كامل .

ومن أشهر مسرحيات ابسن نذكر بيرجنت وعصبة الشباب ، وعلامة (أستحق بعد نجاحها على المسرح مرتباً سنوياً بما يكافأ به الشعراء) وأعمدة المجتمع ، وبيت الدمية ، واشباح ، وعدو الشعب ، وعندما نستيقظ نحن الأموات ...

كل هذه المسرحيات هي فضح لشرور المجتمع ، وقد سعى ابسن فيها جميعاً الى تمجيد أهمية الفرد ، والاعتقاد بأن أسوأ الخطايا نكران الحب . إلا أن هذه الروايات لم تُستقبل بحماسة في اوروبا إلا قبيل وفاته ...

كان هذا الروائي النروجي يستلهم مجموعة من الدمى والتماثيل الصغيرة ينثرها فوق مكتبه ، ويتخذ منها اشخاص الرواية التي يكتبها ، ويحبك حوادثها من اوضاعها ...

جول ڤيرن

JULES VERNE

هذا الأديب الفرنسي الذي بشّر بالعصر العلمي الحديث ، فتحدّث في رواياته عن المطاردة تحت البحار ، والقنبلة الذرية ، والميكروفون، ومكبّر الصوت والصاروخ، والهليكوبتر ، حتى عرف بروائي التكهنات ، أبصر النور في نانت في ٨ شباط سنة ١٨٢٨ ، في جزيرة فيدو . وكان أبوه موظفاً ينوب مناب المترافعين في اجراء المعاملات اللازمة مع الحاكم . ومن نافذة المنزل كانت عيناه تراقبان كل يوم ، بل كل ساعة ، حركة الزوارق الشراعية في الميناء .. فكان هذا المكان بمثابة مصدر تعطشه للاكتشافات ، وميله إلى الروايات غير المألوفة التي تنطلق في الأجواء بحثاً عن المغامرات والعجائب . وقد سيطرت جزيرة صباه هذه على تفكيره وتأملاته .. وقليلة هي الروايات التي لم يصف فيها جول فيرن جزيرته .

وبلغ من شدة لهفته إلى السعي وراء المغامرات ان تسلل خفية ، وهو بعد في الثانية عشرة من عمره ، إلى السفينة « كورالي » المتجهة إلى « جزر ما تحت الريح » التي يكفي ان يكون هذا اسمها حتى تثير في نفس الصبي ما ينشد من أسرار وغوامض . كان يريد الذهاب في هذه الرحلة ليعود إلى حبيبته ، وهي إحدى نسيباته ، بعقد من المرجان كانت قد طلبته منه . ولكن والده علم بالأمر ، فمنعه من الرحيل ، وعاد به إلى البيت ليحيا حياة المغامرات بينه وبين نفسه ، على الرغم من أن هذا الوالد سمح لأخيه أن يصبح بحاراً .

وهكذا نعكف جول فيرن على وصف الآفاق البعيدة التي لم يرها قط إلا بخياله الحاد ، الخصب وحده .. وفي رواياته هذه يدفع الابطال إلى القيام بمغامرات غريبة عجيبة تبشّر باختراعات لم يبتدعها العلماء أو يكتشفوها إلاّ بعد زهاء نصف قرن من الزمن . **وقد قال الاميرال بيرد ، مكتشف القطب الشمالي : « لولا جول فيرن لما ذهبت إلى القطب ! »**

قام جول فيرن، ليكسب قوته، بمختلف الأعمال ، ولم يتردد ذات يوم في طلب وظيفة اطفائي في أحد المسارح . إلاّ أن طالع سعده ما لبث أن أشرق مرّة عندما التقى الناشر هتزل مصادفة ، وكان وقتئذ في الخامسة والثلاثين ، فاستقبله الناشر بلامبالاة ، وتصفّح الرواية التي عرضها عليه وهي تدور حول رحلة بالمنطاد فوق أفريقيا ، ثم التفت إليه قائلاً له أن يعود بعد اسبوعين ...

وظن جول فيرن أن مصيره مع هتزل لن يختلف عن مصيره سائر الناشرين الذين سبق أن قابلهم ، ويبلغ عددهم الخمسة عشر ناشراً . ولكنه لم يكد يقابل هتزل بعد اسبوعين حتى فوجىء بالناشر الذكي الذي بنى مجده على اكتشافه جول فيرن ، يقدّم إليه عقداً بمبلغ ألف جنيه استرليني ثمن حقوق نشر كل رواية من رواياته . ومذ ذاك رسخت أقدام جول فيرن في عالم الأدب . وقد دفعت إحدى مؤسسات النشر الاميركية مبالغ طائلة ثمن ترجمة روايته **خمسة أسابيع في المنطاد ...**

٧٤ كتاباً تُرجمت إلى ٧٠ لغة من بينها اللغة الصينية ، اثبتت أن هذا الروائي الفرنسي كان عالمياً ، وان رواياته لا تقتصر فقط على الفتيان ...

وعلى أن التاريخ يروي أن جول فيرن عاش أحلامه المنطلقة أبداً في أوسع الآفاق وهو قابع فوق كرسيه الوثير بالقرب من الموقد . فمن الانصاف القول ، انه ابتاع ثلاثة يخوت ، ولم ينزوِ طوال أيامه في حجرته منتعلاً حذائيه الخفيفين .. وقام بجولات بحرية في المحيط الأطلسي والبحر الابيض المتوسط .

ولطالما ردد أن أجمل رحلة على الاطلاق هي التي يعود فيها المرء سالماً ! وقد قام برحلة إلى أميركا على ظهر عابرة المحيط الفخمة « غريت ايسترن » يوم تدشين هذه الباخرة الاميركية ...

توفي في اميان في ٢٠ اذار ١٩٠٥ ، فكان الحداد عليه وطنياً ، وقد نشرت النبأ مختلف صحف العالم في صفحاتها الأولى.. ومشى في جنازته الملوك ، ورؤساء الجمهوريات ، والسفراء فوق العادة ، وكان أبرزهم الامبراطور الالماني غليوم الثاني والكونت فون فلولوف بنظارته المفردة « المونوكل » ...

مَارك توايْن

MARK TWAIN

مارك تواين هو الاسم المستعار الذي عُرف به **صموئيل لانكهورن كليمنز** ، الاديب الاميركي الاشهر (١٨٣٥ — ١٩١٠) الذي يعتبر بحق ملك الفكاهة في العالم . وعلى الرغم من سخريته اللاذعة كان محباً للحياة ، شديد التعلق بمبادىء الجمال ، والطيبة ، والخير ، والصدق ... **وكثيرون يقدّمونه على كبار الادباء الساخرين الذين سبقوه امثال**

ارسطوفانيس ، رابليه ، تشوسر ، سرفانتس ، سويفت ، وغيرهم ...

ان دعابة مارك توابن سهلة التناول ، وفكاهاته ذات طابع عام. وقد استطاع ان يصبح دولياً مع احتفاظه بصفته القومية . فهو اميركي خالص مائة في المائة من حيث المصادر التي استقى منها دعابته ، ومن حيث اللوحات التي رسمها لمجتمع معيّن ، وعصر معيّن ، وعادات وتقاليد معيّنة ، ومن حيث دأبه واسلوبه الادبي ... وما مؤلفاته العديدة الا انعكاس لحياته القلقة المضطربة الحافلة بالمغامرات ، وبالنشاط الجم الذي لا يحدّ .

ولقد قال الروائي الاميركي المعاصر ارنست هيمنغواي في وصف روايته « هكلبري فِن » : « ان الادب الاميركي بجمله يصدر عن كتاب واحد وضعه مارك توابن هو : هكلبري فِن .. »

ولد صموئيل لانكهورن كليمنز في فلوريدا، وهي قرية صغيرة نائية في ولاية ميسوري، في ٣٠ تشرين الثاني ١٨٣٥ . وكانت اقرب المدن الكبرى اليها سنت لويس وتعدادها وقتئذ لم يكن ليزيد على عشرة آلاف نسمة . هاجر والداه الى تلك البقاع النائية على امل الاثراء في بلاد جديدة . فخاب فألهم ، واضطر كليمنز الشاب ان يعمل بجد ونشاط لكسب قوته إثر وفاة والده .

والتحق بمطبعة صغيرة في احدى القرى يديرها شقيقه البكر ، ولكن مزاجه المغامر كان قد رسم له الطريق الذي ينبغي له سلوكه . فغادر عمله ، وهو بعد في الثامنة عشرة ، وراح يتنقل بين الولايات الشرقية ، عاملاً حيناً في المطابع المختلفة هنا وهنالك ، الى ان قرّ رأيه ، على حين غرة ، على دراسة شؤون الملاحة النهرية بغية ان يصبح رباناً في نهر المسيسيبي . وقد كانت الملاحة النهرية عهدئذ خطيرة الشأن لانها كانت اساس التجارة ، وكانت مهنة الربان التي تقتضي مؤهلات ودروساً جدية ، من المهن المرغوبة ، العميمة الفائدة . الا انه ما كاد يفوز بشهادته حتى اندلعت نيران الحرب الاهلية بين الولايات الشمالية وتجار العبيد في الولايات الجنوبية ، وتوقفت الملاحة التجارية . وكان شقيقه البكر مكلفاً اداء مهمة رسمية في نيفادا فعرض عليه مرافقته . وقد كان ، وقضى مارك توابن سنة كاملة هائماً في مناطق الصيد ، يحيا حياة زاخرة بالمغامرات اللذيذة ، مزوّداً ، في الوقت نفسه ، جريدة "Territorial Enterprise" الصادرة في فرجينيا سيتي ، بالمقالات التي بدأت تثير الاهتمام. وثبّت هكذا مكانته في عالم الصحافة والادب . وعندها اتخذ لنفسه الاسم المستعار « مارك توابن » احياء لذكرى مهنته كربان التي كانت قصيرة الامد . ولكنه مع ذلك احتفظ

منها بانطباعات حية استخدامها في كتبه ... فقد كان ملاحو المسيسبي يصيحون ، عندما يعلنون عن عمق المياه في المضايق الصعبة : Mark three! Mark twain! (اي العلامة الثالثة ! العلامة الثانية !) **فراقت هذه الصيحة لصاحبنا الشاب واتخذ منها ، مذ ذاك ، اسمه الذي مهر به انتاجه الادبي .**

وتتصل حلقات حياته المغامرة فيرحل الى جزر هاواي لحساب صحيفة في سكرامنتو ، ثم يعود الى كاليفورنيا ليلقي محاضرات حول مشاهداته في رحلته . ويرافق بعض الحجيج الى الاراضي المقدسة (فلسطين) بصفته مراسلاً صحفياً . ويعقب رحلته هذه كتاب **السذج أثناء السفر** يجلب له الشهرة العريضة . ثم يعود الى القاء المحاضرات ، وتأخذ مكانته الادبية في الازدهار .

ويتزوج زواج حب ، ولكن القدر الغاشم ما يعتم ان يعكر عليه صفو حياته بقصفه زهرة اعمار اولاده قبل الأوان . وينشر رواياته « عصر الذهب » ، « توم الحطاب » ، « الامير والفقير » ، فيتيح له دخله منها الاستغناء عن عمله الصحفي وعن القاء المحاضرات .

غير ان المضاربات الفاشلة التي قامت بها احدى دور النشر التي عقد معها شركة توصية افقدته ثمن اتعابه كلها ، فوجد نفسه ، وقد تقدمت به السن ، رازحاً تحت ديون تبلغ مائة الف دولار . وهكذا يباشر سنة ١٨٩٥ جولة حول العالم ينشر بعدها كتابه عن انطباعاته بعنوان **متابعة خط الاستواء** فيكفيه مؤونة تسديد ديونه جميعاً . وفي السنوات التالية ارتحل الى اوروبا وعاد الى اميركا ، ثم ذهب الى انكلترا حيث استقبل احسن استقبال واحره . الا انه امسى شيخاً عجوزاً ، يشكو من داء القلب الذي لم يفعل شيئاً لمعالجته . ويصوره لنا الذين عادوه في تلك الفترة ملازماً سريره، ولكن روحه شابة ، نشيطة ويقظة ابداً ، ولا يفارق « السيكار » شفتيه طوال يومه بالرغم من نصائح اطبائه . ويفقد عام ١٩٠٩ ابنته التي عاشت حياتها الى جانبه . فقد ماتت ميتة مؤثرة وهي داخل الحمام . ومذ ذاك تسوء حال العجوز ، فلا يوافي اليوم العشرون من شهر نيسان سنة ١٩١٠ حتى يرتحل الاديب الساخر الكبير عن هذه الدنيا ، وعن خمسة وسبعين عاماً ، بسبب داء القلب ..

كان مارك توابن عدة رجال في رجل واحد : كان رائداً ، وخشناً ، وابا عطوفاً ، وحالماً ، وساخراً .. ولكنه فوق هذا كله كان فناناً كبيراً ، بل واحداً من العباقرة الحقيقيين القلائل الذين انجبهم الادب الاميركي .. كان يكتب كما يتحدث ، وكان مزاجه غنياً ، دنيوياً محكما .. قصصه القصيرة ورواياته مدارها أناس وبلاد عرفها معرفة جيدة .

زولا

EMILE ZOLA

ابصر الروائي الفرنسي اميل ادوار شارل انطوان زولا النور في باريس سنة ١٨٤٠ . لم يستطع إتمام دراسته في كلية سان لويس التي غادرها سنة ١٨٦٠ لفشله في الأدب . وعمل كاتباً في احد البيوتات التجارية ، ثم انصرف الى الكتابة والتأليف ، وعاش ردحاً من الزمن في فقر مدقع . وكانت تربطه ببـول سيزان صداقة متينة . وجد عملاً في احدى دور النشر فاستعان به على العيش . وكانت مقالاتـه في الأدب والفن ، وروايته الاولى تيريز راكان قد بدأت تلفت اليه الأنظار . ثم بدأ سلسلته التي تتألف من حوالي عشرين رواية تدور حول اسرة روجون ـ ماكار التي ابتدعها ، ودرس فيها فترة لا بأس بها من التاريخ الفرنسي . الا أن العدد الكبير من هذه الكتب لم يلقَ الرواج المنتظر ، ولم ترسخ شهرة زولا كروائي إلاّ بعد اصداره رواية النبّوت التي عالج فيها مشكلة الشراب . وما كاد نجمه يرتفع حتى راحت الروابط بينه وبين سيزان تتلاشى . واصدر نانا والنكبة التي بيع منها اكثر مما بيع من سابقتها . وقرأ سيزان رواية زولا العمل فرأى فيها نفسه ، فانقطع عن رؤيته . وفضلاً عن ذلك يتألف انتاج زولا الأدبي من سلسلة قصصية عن المدن وحياتها ، وبعض الروايات التي يبشّر فيها بانجيله الاجتماعي ، ومجلد من الروايات المسرحية ، وعدد من المجلدات في النقد ، وبعض القصص القصيرة . وكانت حفلاته تضم رجـال الادب والفن .

وقد مثّل زولا دوراً كبيراً في قضية دريفوس الشهيرة التي ادّى دفاعه فيهـا الى استدعائه للمحاكمة . فرحل الى انكلترا ولم يعد منها الا بعد صدور العفو عن كل الذين لهم علاقة بالقضية . وتتلخص هذه القضية بما يلي :

الفرد دريفوس (١٨٥٩ — ١٩٣٥) جندي فرنسي اصاب شهرة لانه ذهب ضحية خطأ قضائي اثار صدى عميقاً في مختلف ارجـاء المعمور . نال رتبة كابتن في الجيش الفرنسي سنة ١٨٨٩ . وفي سنة ١٨٩٤ وقعت بيد السلطات رسالة غفل من التوقيع تفيد ان ضابطاً فرنسياً يخون وطنه . فاتهم دريفوس لان الخط كان شديد الشبه بخطه . ودافع عن براءته كثيراً ولكنه وُجد مذنباً ، ونفي الى جزيرة الشيطان سنة ١٨٩٥ .

واتفق ان اكتشف احد المسؤولين في وزارة الحربية ان كاتب هـذه الرسالة هو

ضابط برتبة ميجور يدعى اشترهازي، كان مثقلا بالديون. فلم تتحمس الحكومة للاقرار بخطئها واعادة المحاكمة . وفي هذه الاثناء جرت محاولات عديدة لتبرئة ساحة دريفوس المسكين يتوجها جميعاً كتاب مفتوح ارسله الروائي اميل زولا الى رئيس الجمهورية بعنوان « اني اتهم » .. وقد اطلق سراح دريفوس سنة ١٨٩٩ ولكن شرفه لم يُردّ اليه الا سنة ١٩٠٦ . وخلال الحرب العالمية الاولى عاد فانخرط في الجيش الفرنسي ، وحاز رتبة ليوتنان كولونيل ووسام جوقة الشرف . وقـــد توفي في باريس في ١٢ تموز سنة ١٩٣٥ .

أصبح زولا فارساً في جوقة الشرف سنة ١٨٨٨ ثم ضابطاً سنة ١٨٩٣ . إلا ان اسمه شُطب من بعد المشكلة التي خلقتها قضية دريفوس .ورشح نفسه لعضوية الاكاديميةالفرنسية مراراً ، فكان يُرفض قبوله . وقد توفي في منزله الباريسي مختنقاً بالغاز بسبب عطـــل في الانبوب (وكان في حجرة نومه) في ٢٩ أيلول ١٩٠٢ . ولما بلغ سيزان نبأ وفاته بكى طويلاً ، وانزوى في محترفه طوال يوم كامل .

عرف اميل زولا بشرود ذهنه عدة اسابيع .. حتى انه كان لا يكلم احداً خلالها ،ولا يسمح لاحد ان يزوره او يكلمه . وفي خلال هذه الفترة التي تلازمه ، كان زولا يكتب اروع آثاره الادبية التي خلدته . وكان يحرص على غلق النوافذ وإسدال الستائر عليها لأن وميض الشمس كان يعوقه عن الكتابة .

هـــاردي

THOMAS HARDHY

لم يستطع توماس هاردي (١٨٤٠ — ١٩٢٨) أن يقرر أي حرفة يحترفها ، الهندسة او الأدب ، لأنه درس الاثنين معاً وبرع في كليهما . الا ان الادب سرعان ما تغلّب على الهندسة فأعطى بذلك انكلترا روائياً كان طوال حياته في طليعة رجال الأدب الانكليز .

تلقّى دروسه الابتدائية في المدارس المحلية في مقاطعة دورستشاير ، وتدرّب على يد أحد مهندسي الاقليم . وقد ظهرت عليه دلائل النباهة والذكاء منذ حداثته ، وكتب وهو بعد صغير ثلاث رسائل غرام بعث بها الى ثلاث خادمات يقمن بجوار منزل والديه . وفي

السادسة عشرة من عمره بدأ يقرض الشعر .

رحل سنة ١٨٦٢ الى لندن حيث عُرف في ميدان الهندسة . وقد نشر حينذاك قصة قصيرة لفتت اليه الانظار. وسرعان ما تخلى عن الهندسة وانصرف بكليته الى الكتابة، فوضع رواية ، وهو في الثلاثين من عمره ، كان مصيرها الاتلاف بعد أن اطلع عليها الروائي **جورج ميريديث** ، قارىء المخطوطات لدى الناشر الذي تقدّم إليه هاردي . ولكن ذلك لم يفتّ في عضده فعكف على كتابة رواية اخرى هي **العلاجات اليائسة** ظهرت سنة ١٨٧١. ومذ ذاك وحتى سنة ١٨٩٨ احتلّ هاردي مقامه المرموق بين طليعة الروائيين الانكليز . وقد قضى السنوات الثلاثين الاخيرة من حياته الادبية في نظم الشعر.

ومن ابرز رواياته «تحت شجرة الغابة الخضراء» و«بعيداً عن حشدمادنغ» التي عزاها الكثيرون الى الروائية الانكليزية جورج ايليوت لأنها نشرت غفلاً من التوقيع سنة ١٨٧٤ ، و« عودة الابن » ، و« تس دوربرفيل » ...

مُنح وسام الاستحقاق سنة ١٩١٠ . وتزوج ثانية بعد أن توفيت زوجته سنة ١٩١٢ . وقد توفي عن ٨٨ عاماً ، ودفن جثمانه في كاتدرائية وستمنستر، إلا ان قلبه دُفن تحت احدى شجرات كاتدرائية مسقط رأسه ويسكس نظراً الى حبه الشديد لهذه البلدة وتمشياً مع عادة قديمة غريبة !..

أناتول فرانس

ANATOLE FRANCE

طوال ثلاثين سنة ظلّ الأدب الفرنسي تحت سيطرة أناتول تيبو الذي عُرف في عالم الأدب باسمه المستعار **أناتول فرانس** (١٨٤٤ — ١٩٢٤) . كان فناناً مجّده النقّاد ، وأديباً أثّر في الجماهير .. لم ينعم أحد بعد فولتير بالشهرة التي نعم بها فرانس الذي كُرّم في أواخر حياته عبقرياً وشيخاً جليلاً وقوراً .

كان والده بائع كتب ، وكان هو في صغره مجتهداً ، ذكياً ، شغوفاً بالمطالعة .. حتى أنه كان يفضّل المطالعة على الكتابة . وكان يضع عبارات الدعاية لدور النشر ، ويساهم بكتابة مقال اسبوعي لمجلة « العالم المصور » . ولم يكتب الشعر إلاّ إرضاءً لنفسه . فلما

صدرت روايته **جريمة سلسفتر بونار** سنة ١٨٨١ استقبلهـــا النقّاد بالكثير من التقدير والتفـاؤل .

وفي سنة ١٨٨٣ التقى فرانس السيدة أرمان دو كايافه ، وكانت امرأة ذكية نشيطة ، لها عدد وافر من الاصدقاء بين شخصيات السياسة والمجتمع . وقـد ظلت صديقة له طوال حياته ، وشجعته على الكتابة والتأليف ، وعملت كثيراً على توطيد شهرته . وقـد اعترف فرانس بفضلها عليه فقدّم اليها أحد كتبه بهذه التقدمة : « إلى السيدة دو كايافه ، أهدي هذا الكتاب الذي لولا مساعدتها لما وضعته ، لأنني بدون مساعدتها لا ينبغي أن اضع أي كتاب ! »

وواصل فرانس حياته الادبية طوال أربعين سنة ، فنشر زهاء خمسين مجلداً فضلاً عن القصائد التي نظمها في مستهل حياته . فكان فيها جميعاً روائياً وقصصياً قديراً ، وعالمـاً بالتاريخ ، ودارساً للجنس البشري . **ومن أشهر مؤلفـــاته تاييس ، والزنبقة الحمراء ، وجزيرة البنغوين ، وثورة الملائكة ، وبيير الصغير ، وسيرة جان دارك** . وقد سُمّي ضابطاً في جوقة الشرف سنة ١٨٩٥ ، وانتخب عضواً في الاكاديمية الفرنسية سنة ١٨٩٦ .

كان فرانس في مطلع حياته الادبية متشائماً ، إلاّ أن آراءه بدأت تتبدّل سنة ١٩٠٠ . وأحس بعطف أكيد على الاحزاب التقدميّة ، وما لبث أن انحـاز تدريجياً إلى صفوف الثورة . وقد اشترك في إحدى القضايا الشهيرة في تاريخ فرنسا القضائي عندما انضم إلى الروائي اميل زولا في الدفاع عن الضابط الفريد دريفوس الذي اتهم بالخيانة . وكانت الحرب العالميـة الاولى سبباً في اضطراب فلسفته ، وتركته قلقاً على مصير الجنس البشري .

ونال سنة ١٩٢١ جائزة نوبل في الأدب ولكنه تبرع بقيمتها لمنكوبي المجاعة في الاتحاد السوفياتي .

وكان لأناتول فرانس صلة وثيقة بالقضية المصرية ، فأوقف قلمـه ولسانه للدفاع عن هــــذه القضية عندما طرق سعد زغلول أبواب مؤتمر الصلح في باريس ، وحثّ الكثيرين من كبار الأدباء والصحفيين على شد أزر مصر في محنتها . وقد وضع مقدمة قيّمة لكتاب أصدره وقتئذ الأديب الفرنسي فكتور مرغريت بعنوان «صوت مصر».

وبلغ الثمانين من عمره فاحتفلت فرنسا بالمناسبة أحسن احتفال ، ولكنه لم يعش بعد ذلك الا ستة أشهر .

ستروندبرغ

AUGUST STRINDBERG

في ٢٦ كانون الثاني ١٩٤٩ احتفلت اسوج ، حكومةً وشعباً ، بذكرى مرور مائة سنة على مولد أوغست ستروندبرغ ، أحد مشاهير الروائيين المسرحيين في العالم ، والشاعر ، والرسام ، والموسيقي ، والرجل الذي تعرّف إلى مختلف ميادين النشاط الفكري من الجغرافيا إلى الكيمياء ، ومن الطب إلى اللاهوت ...

كان ستروندبرغ ذا قدرة فائقة على العمل ، قوي الذاكرة ، شديد التعلق بالحياة ، يعج رأسه بالآراء والنظريات الجديدة على اختلاف انواعها . وكان يرغب في اختبار كل شيء والاطلاع على كل شيء . وقد اشتهر كرسام ، فتخصص في رسم مناظر العواصف البحرية ، وتلاطم الأمواج ، واكفهرار الجو . ووقف قسماً من وقته على الموسيقى والنحت ، فترك بعض الآثار فيها . **وأكب على العلوم يرشف من معينها دون أن يرتوي ، حتى بات لديه من كل علم أخبار وأخبار ... كان عالماً بالجغرافيا ، والكيمياء ، والفيزياء ، وعلم الحيوان ، وعلم النبات ، وعلم طبقات الأرض ، والفلكيات ، والرياضيات ، وعلم الآثار ، والاجتماع ، والابحاث اللغوية ، والفلسفة ، والطب ، واللاهوت والتاريخ الخ .**

وكان لديه مختبر علمي خاص يُجري فيه مختلف التجارب . وقد وضع كتباً ومقالات عديدة في الاختبارات والمباحث التي كان يقوم بها . ولم يقف عند هذا الحد ، بل درس أصول تكرير المشروبات الروحية ، وصنع الخزف والبورسلين . وتعلم اللغة الصينية وآدابها ، وعقد حول الثقافة الصينية فصولاً لها أهميتها في عالم الصحافة والنشر .

وترك حوالي ٦٠٠٠ رسالة في مواضيع متنوعة تهتم اليوم « جمعية ستروندبرغ » بجمعها تمهيداً لنشرها في عدة مجلدات .

قضى ستروندبرغ وقتاً غير قصير خارج اسوج بسبب نقده اللاذع للمجتمع الاسوجي ولعدد من الشخصيات المعروفة ، ولم يكن يعرف الهوادة في نقده . عاش في المانيا ، والنمسا ، وفرنسا ، وسويسرا ، وايطاليا ، والدانمارك . وتزوج ثلاث مرات ، ورُزق ستة أولاد ، وكان على أهبة الزواج للمرة الرابعة عندما عاجلته المنيّة سنة ١٩١٢ .

كان في شخصيته وحياته وأدبه وأعماله سلسلة من المتناقضات . كان في وقت ما ملحداً ، وكان في وقت آخر تقياً ورعاً ، شديد التعصب . وكان من أنصار الطبقات العاملة ، كما

كان ارستقراطياً من الناحية الفكرية يتصرّف تصرّف السوبرمان . كان واقعياً ، كما كان متصوفاً . كان رحب الصدر ودنيئاً ، مقداماً وجباناً ، قاسياً ورقيقاً متواضعاً ، محبوباً ومسبباً للنفور والاشمئزاز ، طيب القلب وفجّاً ...

ولا عجب ، فإن رجلاً في مثل قوته لا بد له أن ينجذب نحو هذا التناقض الغريب . ولم يكتف استرندبرغ بشن حربه الشعواء على الأفراد ، بل تحدى المجتمع الاسوجي ، والعالم بأسره ، والله ذاته .

وكثيرون هم الذين يحبونه ويقدّرونه حق قدره ، ولا يقلّ عنهم الذين يمقتونه أشد المقت . أما حياته وشخصيته فهما في عرف الكثيرين قصيدة رائعة غريبة ، تأسر الالباب ، وتبعث على النفور في آن معاً ...

موپاسان

GUY DE MAUPASSANT

يعتبر الروائي الفرنسي هنري رينه ألبير غي دو موباسان (١٨٥٠ — ١٨٩٣) من أشهر كتّاب القصة القصيرة في العالم قاطبة . كان شديد الملاحظة ، ولعله من أبرز الروائيين في هذه الناحية . وقد شُبه بالعالِم الكبير الذي يدرس البشر كما يدرس سواه من العلماء الحشرات ... إلا أن قصصه التي تعتبر نماذج للكمال الأدبي لا تلذّ قراءتها لتميزها بالتشاؤم. ويبدو الكثير من عدم التوازن العقلي مسيطراً على القصص التي وضعها في الفترة الاخيرة من حياته الأدبية التي لم تستمر أكثر من اثنتي عشرة سنة .

بدأ حياته كاتباً في البحرية ، وخدم في الجيش الفرنسي . **فلما انصرف الى الكتابة والتأليف تأثر باسلوب الروائي غوستاف فلوبير ، ونسج على منواله** . وظلّ يتدرّب على الكتابة ويتلف مخطوطاته قبل أن يسمح بنشر قصصه. وقد ظهرت سنة ١٨٨٠ أولى قصصه **كرة الشحم** وهي تدور حول الحرب الفرنسية البروسية (١٨٧٠) فقضت على سمعة امرأة سيئة الطالع هي بطلة القصة . وفي السنة نفسها أصدر موباسان ديوان شعر ومسرحية .

كان شعاره : « إخفِ حياتك .. كل ما كُتب عني لا صحة له ! » وكان أكره ما يكرهه نشر صوره ، وأخشى ما يخشاه الموت . وقد تولته الكآبة في أواخر ايام حياته ، وراحت تكتنفه التخيلات المقلقة إثر داء أصابه في الدماغ . وقد توفي أخ له مجنوناً . فلما

ظهرت روايته الهورلا ، وفيها وصف لاحساسات رجـــل على وشك الجنون ، أيقن الكثيرون أن ذلك المصير سيكون مصير موباسان نفسه . وقد أصيب سنة ١٨٩٠ باختلال في قواه العقلية ، وبالشلل الكامل ، فاضطر إلى التخلي عن الكتابة .. وما هي إلاّ سنتان حتى جن‌جنوناً مطبقاً ..وكان ذلك بسبب إسرافه فيالعمل ،والتمتع بلذات الحياة.

عرف موباسان بالواقعية في أدبـــه ... أراد أن يصور المجتمع بامانة واخلاص فارتاد الاماكن المشبوهة ، وانغمس في الفساد .

تصصه ترسم صورة لنفسه. وهو فيلسوفلا تخلو فلسفته منآراء طريفة في ما يتعلق بالمرأة والحياة . وهو قاسٍ في حكمه على المرأة . يراهـــا مخلوقاً غادراً قلما يخلص أو يعف ، وهي عنده اداة فتنة وفساد . وقد جمع في انتاجه كل ما في الحيـاة من مشاهد وصور قد يمر بها الانسان العادي فلا يجد فيها ما يهز ولكنه يستطيـع أن يخلق منهـا فناً بارعاً .

ولقد وصفته خادمته بقولها : « كان غريب الأطوار ، ولكنه متواضع ، شديد الحدب على مرؤوسيه .. وكان سباحاً ماهراً ، وقد يكون على شيء من الذكاء ! »

لويس كارول

LEWIS CAROLL

ذات يوم لمائة سنة خلت ، اصطحب شاب حيي خجول ثلاث بنات صغيرات للقيامبنزهة في نهر التاميز بانكلترا . **كان هذا الشاب مغموراً لدى نزوله الى القارب ، فلما انهى نزهته ونزل منه بعد ثلاث ساعات ، اخذ يسير في طريق الشهرة .. وما عتم ان اصبح احـد مشاهير الادباء في القرن التاسع عشر .**

كان اسمه الحقيقي تشارلز دودجسون ، ولكن هذا الاسم ليس الاسم الذيعُرف به فيما بعد ،وملأ الدنيا .

كان يُعرف تارة باسم القس دودجسون المحترم ، وطوراً باسم البروفسور دودجسون . ذلك لانه كان يقضي طيلة الاسبوع في تدريس الرياضيات في جامعة اوكسفورد ، ويتولى ايام الآحاد ، مهمة الوعظ والارشاد .

وقد كان الارتباك والخجل يستوليان عليه كلما حاول مخاطبة الكبار ، ولكنه كان

بارعاً في رواية الحكايات للفتيات الصغيرات. وهكذا روى لرفيقاته الثلاث ، في نزهتهم النهرية تلك ، قصة من مبتكرات خياله ..

فقد سرد عليهن قصة فتاة صغيرة أوت الى فراشها فاختفت في مكو ارنب ثم استفاقت فاذا هي في بلاد العجائب . فاصغت الصغيرات الى الحكاية بانتباه شديد ، وعيون تملؤها الدهشة واللذة ، ونسينَ النزهة التي قمن بها ، ورجون الراوي كتابة هذه القصة لهن . فما كان منه الا ان استجاب لرجائهن ، واقام ليلته تلك يكتب القصة . ولما كانت احدى الصغيرات تدعى « أليس » فقد أطلق على الحكاية اسم **أليس في بلاد العجائب** .

ووضع هذه الرواية على الرف ونسي ما كان من امرها لانه لم يحسب يوماً ان احداً يمكن ان يبالي بها ويضيع وقته في قراءتها .

ومضت اعوام واعوام .. واتفق ان اطلع احد اصدقائه على هذه المخطوطة ، فتناولها ونفض عنها الغبار واستغرق في مطالعتها . فاعجبته اعجاباً شديداً ، وألح على ضرورة نشرها فدهش دودجسون لما سمع . وكيف يُعقل ان ينشر استاذ للرياضيات في جامعة اكسفورد قصة سخيفة للاطفال يطلع عليها الناس ؟

الا ان **أليس في بلاد العجائب** ما لبثت ان ظهرت الى الوجود ولكن تحت اسم لويس كارول لا اسم تشارلس دودجسون. ولاقت رواجاً منقطع النظير في العالم الانكلوسكسوني ونُقلت الى اربع عشرة لغة مختلفة .

واخذت شهرة أليس في بلاد العجائب تزداد يوماً بعد يوم ، وعاماً بعد عام ، حتى ان المطابع كانت تدور ليل نهار لتخرج من هذه القصة الطريفة مئة وتسعاً وستين طبعة في اللغة الانكليزية وحدها .

اوسكار وايلد

OSCAR WILDE

كان هذا الشاعر والروائي الايرلندي رسولاً لعقيدة **الفن للفن** . كان غريب الاطوار في الكلية : شعره طويل كشعور النساء ، يكره الالعاب الرياضية ويجهر بذلك ، ويزين غرفته بريش الطواويس ، والزنابق ، وصحون البورسلين الزرقاء وغير ذلك من التحف الفنية . وعلى الرغم من ان زملاءه الطلبة ألقوه ذات يوم في النهر ، وهاجموا غرفته وحطموا محتوياتها

بعد ان قلبوها رأساً على عقب ، إلا أنهم لم يستطيعوا ان يضعوا حداً لغرابة أطواره . وقد انكر اصدقاؤه ، بادىء ذي بدء ، كل ما تردد من قصص حول شذوذه الجنسي ، ولكنهم لم يستطيعوا تكذيب ذلك عندما حُكم عليه سنة ١٨٩٥ بالسجن سنتين اثنتين لجريمة اخلاقية. **فكانت تلك نهاية حياته في انكلترا . ولما خرج من السجن غادر وطنه الى القارة الاوروبية ، وأقام في فرنسا حيث توفي في باريس سنة ١٩٠٠ ، عن اربعة واربعين عاماً.**

وفي السجن وضع اوسكار وايلد رائعته **من الاعماق** كما وضع قصيدة طويلة بعنوان **سجن ريدنغ** . وله مجموعات من القصص والمسرحيات والشعر . أما مسرحيته **سالومه** التي وضعها في الاصل باللغة الفرنسية ، وترجمها الى الانكليزية اللورد الفريد دوغلاس (وكانت تربط بينهما العلاقة الاثيمة الشاذة التي أدت ، فيما بعد ، الى سجن اوسكار وايلد) فلم يستطع الحصول على اذن بالسماح له باخراجها في انكلترا ، فأخرجتها في فرنسا وقدمتها ساره برنار .

اوسكار وايلد « كاتب موهوب ممن احسنوا النكتة ، واجادوا السخرية ، وبرعوا في الحديث حتى بلغوا فيه القمة .. كان قصاصاً ومحدثاً موهوباً حاد الذكاء ، صاحب اسلوب رائع في الانكليزية . شق طريقه خلال عاصفة ومعارضة قوية . فما كاد يغادر جامعة اوكسفورد في طريقه الى لندن ، حتى تقبله الناس فيها قبولاً حسناً ، وكانت شهرته في الجامعة قد سبقته اليها فذاع صيته بين قومه ، واشتهر بجمال حديثه ، وروائع حواره ، فدعوه الى حفلاتهم وفخروا به في مجتمعاتهم وأنديتهم ، فاستثمر موهبته في الحديث الى ابعد حدود الاستثمار ، وبلغ في احاديثه الغاية ، غرابةً ، ودعابةً ، ومجوناً ، حتى لقد ذهب بعضهم يقول: انه يتكلم بلغة الالهة ، وكان صوته ينعم بنغمة موسيقية خاصة. »

كان اوسكار وايلد يضرب بسهم كبير من المعرفة والثقافة وقد تأثر بباتر ، الاستاذ في جامعة اكسفورد ، الذي كان يقول بأن الغاية من الحياة هي ان يتمتع الانسان بلذاتها على تعدد ألوانها بكل ما فيه من حدة الحواس ، على نقيض زميله راسكن الذي كان يقول بضرورة طلب الجمال في كل شيء على أن يرتكز على الآداب ...

رحل سنة ١٨٨٠ الى اميركا لالقاء بعض محاضرات اكسبته شهرة في الاوساط الطلابية ودرّت عليه بعض المال . وهبط باريس في تلك السنة ، واقام فيها بعض الوقت فتعرّف الى عدد كبير من الكتّاب بينهم فكتور هوغو وبول بورجيه وبول فرلين . فلما عاد الى لندن كانت قد طبّقت شهرته الآفاق فأصبح القاسم المشترك في كل مأدبة ووليمة لطلاوة حديثه ..

« وقد قال احد النقّاد الانكليز : ان من عاش في لندن في القرن التاسع عشر ولم

يسمع باوسكار وايلد يتكلم كمن عاش في اليونان في عهد بيريكليس ولم يرَ البانتينون .

ولقد بلغ تأثر اللندنيين بمذهب وايلد في الجمال مبلغاً حمل الشباب على الاعتقاد بأن الجمال كان قبل وايلد ، ولكن وايلد هو الذي ادخله الى العالم !..»

« كان اوسكار وايلد ذلك الاديب الذي يعتنق الجمال الحسي ولا يتورع عن المخاطرة بحريته وشرفه في الدفاع عن هذا الجمال . **واذا نحن أجلسناه في وسطه التاريخي كان بمثابة تمرّد عنيف على عصره ، يجمع بين اباحية بايرون وشيللي ، هذين المتمردين اللذين اضطروا الى هجر وطنهما ، واعتدال برنارد شو وويلز اللذين لم يقسط له في مثل قوتهما العقلية وتفكيرهما التوجيهي** . سوى انه يبقى نسيج وحده في التاريخ الانساني .. فقد أراد أن يوفق بين ملذات الحس وملذات الروح فأخفق لأن القوة التي وهبتــه الذكاء والظرف ، ووهبته القدرة على الاقناع والقدرة على التسلية ، لم تهبه نعمة الحكم السليم ... »

أُو . هَنري

O. HENRY

من تحسب أنه أعظم كاتب قصصي في العالم ؟

لا شك في ان أكثر المثقفين ثقافة غربية قرأوا بعض مجموعات أو. هنري القصصية التي تضم أكثر من ٦٠٠ قصة والتي بيع منها أكثر من ٦ ملايين نسخة ، وتُرجمت إلى كل لغـة حيّة بما فيها : اليابانية ، والاسبيرانتو (اللغة العالمية) والتشيكوسلوفاكية، والدانمركية ، والاسوجية ، والنروجية ، والفرنسية ، والالمانية ، والروسية ، وغيرها . وقد عُرف بأنه موباسان أميركا .

وحياة هذا الاديب أبلغ مثال على صراع الانسان ضد عناصر الاخفـاق ومعاكسات القدر الغاشم ، ومع ذلك فقد حالفه النجاح على الرغم من العقبات التي اعترضت سبيله .

أبصر النور في ولاية كارولاينا الشمالية ، لاكثر من مئة سنة خلت ، ولم يتلقّ سوى الدروس الابتدائية ، ولم يرَ الجامعة في حياته حتى من الداخل ، ومع ذلــك فان قصصه تـُدرّس على انها مثال رائع لحسن السبك والاسلوب الانشائي في نصف جامعات العـــالم .

وكانت بنيته نحيلة ، وخُشي عليه من الموت بداء السلّ ، فنصح له الاطباء بالعيش في الهواء الطلق، فعمل بنصيحتهم ،وراح يتعاطى رعاية الماشية في جبال تكساس وبراريها ، حـــتى استرد عافيته .

وكانت ثالثة الاثافي دخوله السجن ، بسبب بعض اخطاء ارتكبها في دفاتر حساباته ، في اثناء عمله اميناً للصندوق في احد مصارف مدينة أوشن في ولاية تكساس. فقد اعتاد رُعاة البقر واصحاب قطعان الماشية في تلك الارجـاء ان يدخلوا الى المصرف في اي وقت ، فيتناولوا ما يشاؤون من المال بعد ان يوقّعوا الايصالات بالمبالغ التي يقترضونها .

وذات يوم اقبل على المصرف احد مدققي الحسابات الرسميين ، فكشف على حسابات هذا المصرف فوجد الصندوق ناقصاً ، وكانت النتيجة ان اتهم أو . هنري امـين الصندوق بالاختلاس ، وزُجّ في السجن – مع انه لم يمدّ يده الى دولار واحد من اموال المصرف – ليقضي فيه خمسة اعوام .

وكان سجنه في باديء الامر ضربة قاسية عليه ، بل كارثة عظمى ... ولكنه افاد منه افادة عظيمة ، فقد عكف خلال المدة التي قضاها مسجوناً على كتابة القصص الرائعة التي جعلت اسمه محترماً محبوباً في كل بقعة يتخاطب اهلها باللغة الانكليزية . وليس من المغالاة في شيء القول انه لولا دخوله السجن لما فكر يوماً في الكتابة.

سلمى لاغرلوف

SELMA LAGERLŒF

الروائية والأديبة الأسوجية (١٨٥٨– ١٩٤٠) أبصرت النور في موربا كا وتوفيت فيها .. بدأت حياتها بالتدريس في بلدة لاندسكرونا ، وقد عُرفت في عالم الأدب بعـد نشرهـا **ملحمة غوستا برلنغ** سنة ١٨٩١ التي آذنت بالنهضة الرومنطيقية في الأدب الاسوجي . ومذ ذاك نشرت سلسلة من الروايات والقصص القصيرة الرائعة التي ترجمت الى عدد كبير من اللغات العالمية .. وتمتاز بالاسلوب الساحر ، ونعومة الجو،والنبض بالاحساس الديني الصادق . وقد أحلّت صاحبتها مقام الطليعة بين الأدباء الاسكندينافيين . رحلت الى فلسطين في مستهل القرن العشرين وأقامت ردحاً من الزمن في القدس ، ووضعت بعـد عودتها الى بلادها (١٩٠١ – ١٩٠٢) كتاباً ضمّنته انطباعاتها عن هذه البقعة من الشرق.

من مؤلفاتهـا نذكر : « الروابط غير المرئية » (١٨٩٤) ، « عجائب المسيح الدجال » (١٨٩٧) ، « اورشليم » (١٩٠١ – ١٩٠٢) ، « كتـاب الاساطير » و « رحلة نيلز هولغرسونز الرائعـة عبر اسوج » (١٩٠٦ – ١٩٠٧) ، « ملـك

البرتغال » ، « البيت العتيق » ، و « حوذي الموت » (١٩١٢) .

وقد نالت سلمى لاغولوف جائزة نوبل للآداب سنة ١٩٠٩ .

تميزت قصصها ورواياتها بالخيـــال الخصب ، والتصوير الدقيق لمشاعر النفس البشرية ، والاسلوب الطلي ، والنظرة الانسانية العميقة الشاملة التي تشوبها الروح الدينية .. وكانت شديدة العطف والحدب على المساكين والمتواضعين ، وهي تذكّر كثيراً **بالشاعر والروائي الدانيمركي هانس كريستيان أندرسون (١٨٠٥ – ١٨٧٥) .**

تشيخوف

ANTON TCHEKOV

« تشيخوف هو بوشكين روسيا في النثر ! »

هكذا وصف تولستوي صديقه تشيخوف الذي كان يعتبره شخصاً فاتناً ، متواضعاً ، لطيف المعشر . ومن عجب ان يتعارف هذان العملاقان ويتطور تعارفهما الى صداقة متينة العرى ، وحب وتقدير متبادلين على الرغم من انهما لا يتقابلان في نقطة واحدة.. فتشيخوف كان واقعياً ، وتولستوي متصوفاً .. تولستوي يتحدر من اسرة ارستقراطية ،وتشيخوف من عامة الشعب ، بل اصله من الفلاحين الارقاء ..

ابصر انطون بافلوفتش تشيخوف النور في تاغنروغ سنة ١٨٦٠ من أب كان وكيلاً لاملاك احدى الاسر ، ثم أصبح تاجراً . أما جده فكان عبداً رقيقاً للسادة تشرتكوف . درس في المدرسة اليونانية الابتدائية في مسقط رأسه، وكان في مطلع حياته هادئاً ،منطوياً على نفسه ، يبتعد عن الناس ، يشعر أنه شيء تافه في هذه الحياة . وكان شديـد الميل الى الكتابة فأصدر ، وهو بعد في المدرسة ،مجلة « الارنب » التي كان يحررها وينشر فيها نكاته ومداعباته . وقد ساهم في الكتابة للمسرح المدرسي الذي أنشأه .

وأنهى دروسه الثانوية في التاسعة عشرة من عمره ، والتحق بكليـــة الطب في جامعة موسكو (١٨٧٩) حيث درس أربع سنوات خرج بعدها طبيباً ، ولكنه لم يمارس الطب مهنة دائمة بسبب حادثين سيئين وقعا له على الرغم من حبه الشديد للطب الذي يعترف بأنه كان لاختباراته فيه أعمق الأثر في نفسه ككاتب روائي ومسرحي . ومن حسن الطالع أن ميل تشيخوف للأدب واهتمامه بالطب لم يتعارضا قط ، بل أكمل أحدهما الآخر . وقد

كانت اولى قصصه **رسالة الى جار عالم** من نتاج فترة تحصيله في كلية الطب. وشرع يحرر في عدد من المجلات، وينشر القصص التي ينحو فيها نحو الهزل والسخرية. وقد أعلن ذات مرة امام افراد اسرته أنه يدفع جوائز مالية لقاء أي حكاية مضحكة، او موضوع يصلح لقصة، وذلك تسهيلاً له على ايجاد شخصيات ومواضيع لقصصه التي راح يؤلفها، وهو بعد في الرابعة والعشرين من عمره. **وكانت مجموعة القصص التي نشرها سنة ١٨٨٦ بعنوان « قصص براقة » و « الشفق » سنة ١٨٨٧ فاتحة عهده بالشهرة الادبية، وقد نال على اثر صدور المجموعة الاخيرة جائزة بوشكين الادبية التي تمنحها الاكاديمية الروسية. وقد سئل تشيخوف عن عدد القصص التي وضعها في هذه المرحلة من حياته الادبية فاجاب: « أعتقد انها تبلغ الألف قصة. »**

ومن القصص القصيرة انتقل الى وضع الروايات والمسرحيات التي بوأته مركزاً مرموقاً في الأدب الكلاسيكي الروسي.

وفي سنة ١٨٩٢، وهي سنة المجاعة الكبرى في روسيا، « عمد الى انشاء حياة جديدة له تكون حافلة بالنشاط والانتاج، فابتاع قطعة ارض مهجورة في قرية ميليخوفه، بالقرب من موسكو، واخذ يحرثها، ويعبّد طرقها، ويحفر فيها الآبار، ويقيم عليها المستشفيات ويغرس فيها الاشجار، ويعتني بها كما يعتني المرء بأطفاله... »

وتوطدت الصلات بين المسرح وتشيخوف الذي غذّاه بالكثير من المسرحيات الناجحة. واشخاص مسرحياته أناس بسطاء، لا صباغ عليهم، يتحدثون عن الامور البسيطة بلغة واسلوب بسيطين.. ليس بينهم ندّابون ولا ابطال.. انهم اناس مبهمون يحمل المؤلفُ الناظرَ أو القارىء الى العطف عليهم. « فتشيخوف نظر الى الناس بعينيه لا بعيون تولستوي، ودوستويفسكي، وتورغنيف.. فلا أبطال لديه وإنما أمزجة مختلفة من الناس. »

سئل تشيخوف مرة عما اذا كان قرأ « الجريمة والعقاب » لدوستويفسكي فاجاب انه ارجأها ليبلغ الاربعين. فلما بلغ هذا الحد سئل مجدداً، فكان جوابه: « قرأتها ولكنها لم تترك في نفسي أثراً كبيراً! »

« وكان تشيخوف يقول للكتّاب الناشئين انه لا يجوز ان يجلس الكاتب بين أربعة جدران، وان يستولد المواضيع من ذاته، بل عليه أن يرى الحياة والناس ويلمس الواقع، وعليه أن يستمع الى احاديث القوم كما هي لا كما يتخيلها، وأن يسعى دائماً الى الاسفار والاحتكاك بمختلف العناصر والشعوب... وقد نصح احدهم ذات مرة بقوله: سافر الى اليابان!..

ونصح غيره بقوله : سافر الى اوستراليا ! »

في سنة ١٩٠٢ انتخب تشيخوف وغوركي وكورولينو اعضاء في الاكاديميـــة الروسية الا أن القيصر نقولا الثاني حرم غوركي من العضوية ، فرفض تشيخوف على الفور عضوية الاكاديمية احتجاجاً على استبعاد غوركي وتصرّف القيصر المشين .

وقد اكتشف تشيخوف سنة ١٨٩٧ أنه مصاب بداء الصدور فراح يتنقل من مكان الى آخر طلباً للاستشفاء حتى حط الرحل في بادن بادن . وفي ١٥ تموز ١٩٠٤ و« بعد أن استنفدت جميع وسائل الطب ، اشار الطبيب بتقديم كأس من الشمبانيا اليـــه ، فلم يفت تشيخوف ، وهو الطبيب ، المعنى من تقديم الكأس المذكورة ، فنهض من فراشه وقال للطبيب بالالمانية : انني اموت ! ثم رفع الكأس وقال لزوجته مبتسما : لقد مضى علي زمن طويل لم أذق خـلاله طعم الشمبانيا ..وافرغ الكأس في جوفه حتى الثمالة ، واضطجع بهدوء على جنبه الأيسر ، وسكت سكتته الابدية . »

ويــلز

H. G. WELLS

لأكثر من ستين سنة خلت كان رهط من الأولاد يلعبون في شوارع ضاحيـــة من ضواحي لندن ، فتناول صبي كبير زميلًا له صغيراً يدعى برتي ويلز وقذفه عالياً ، وبدلاً من أن يتلقاه وهو يسقط تركه يقع على الارض ، فكسرت ساقه .

لازم برتي فراشه وهو يتلوى من الألم ، وقد شُدت ساقه الى قطعة معدن ثقيلة . إلاّ أن العظمة المكسورة لم ترجع إلى مكانها السابق . فاضطر الطبيب الى إعادة كسرهـــا . ويعجز القلم عن وصف الآلام المبرّحة التي عاناها برتي الصغير .

بدت تلك التجربة وقتئذ كمأساة ، ولكن برتي سرعان ما أيقن أن اقامته هـذه المدة الطويلة في السرير كانت من حسن طالعه . إذ أصبح بفضل ذلك الأديب العالمي المعروف ه. ج. ويلز ، صاحب المؤلفات القيّمة التي جاوزت الثلاثين مجلداً . وقد صرّح هو نفسه بأن حادث كسر ساقه يعتبر أفضل حدث في حياته كلها . لماذا ؟ لأنه بسببه اضطر إلى ملازمة البيت عاماً بكامله ، التهم خلاله كل كتاب وقعت عليه يداه لأنه لم يكن ثمة شيء آخر يستطيع عمله . فكانت النتيجة أنه غذّى في نفسه ملكة المطالعة ، وتذوّق الأدب . وكان

ذلك كافياً لاثارته ، وإلهامه . فقرّر أن يرتفع عن بيئته المملّة . والحقيقة أن تلك الحادثة التي كسرت فيها ساقه كانت نقطة التحوّل في حياته ...

يأتي ويلز (١٨٦٦ – ١٩٤٦) في طليعة الكتّاب والمؤلفين الذين أثروا من نتاج قلمهم ، وقد بلغ ما درّه عليه يراعه زهاء مليون دولار ، مع أنه ترعرع وسط الفقر والبؤس .

كان والده من لاعبي « الكريكت » المحترفين ، يدير حانوتاً لبيع الأواني الفخارية والخزف المطلي ، يترجرج فوق هاوية الافلاس . وقد أبصر ه. ج. ويلز النور في ٢١ أيلول ١٨٦٦ في غرفة صغيرة فوق هذا الحانوت ، في بلدة بروفلي من أعمال « كنت » .

وما لبث حانوت الخزف والأواني الفخارية أن أفلس ، ووقعت العائلة في عسر وضيق ، فاضطرت الأم أن تعمل مدبرة في أحد البيوت الكبيرة في « ساسكس » . وكانت تقيم مع الخدم ، وكان ابنها يذهب لزيارتها بين الحين والآخر . ومن هناك تسرّبه إلى حياة المجتمع الانكليزي – من جناح الخدم .

بدأ واضع **ملخص التاريخ** حياته كاتباً في مخزن لبيع « الخردة » والمنسوجات وهو بعد في الثالثة عشرة من عمره . فكان عليه أن يستيقظ في الخامسة صباحاً فيكنس الارض ، ويشعل النار في الموقد ، ويكدح ، دون راحة ، أربع عشرة ساعة في اليوم . ولكنه ما لبث أن ملّ عمله هذا في نهاية أول شهر ، فصرفه صاحب المخزن بحجة أنه مهمل ، عديم الترتيب ، مزعج .

واشتغل مدة شهر كذلك كاتباً في مخزن أدوية . ثم عاد فعمل كاتباً في مخزن أمتعة حيث بقي وقتاً أطول من ذي قبل لاضطراره إلى كسب قوته اليومي . وكان يختلس اللحظات لمطالعة مؤلفات هربرت سبنسر في قبو المؤونة التابع للمخزن .

وكانت هذه نقطة تحوّل أخرى في حياة ويلز ! فهو لم يتردد في القول ان السنوات الطويلة القاسية المملّة التي قضاها في العمل في مختلف الحوانيت كانت نعمة وبركة عليه . فقد كان في طبيعته كسولاً ، بليداً ، خاملاً فعوّدته الحوانيت العمل .

وبعد سنوات قليلة من ممارسته مهنة التعليم اتفق ان اشترك في مباراة كرة قدم . واحتدم اللعب فصدم صدمة أوقعته أرضاً ، فداسته الأقدام ، وكاد يشرف على الهلاك . وسحقت إحدى كليتيه ، وأصيبت إحدى رئتيه من جراء ذلك ، ونزف منه دم كثير ، حتى ان الاطباء قطعوا كل رجاء من بقائه في قيد الحياة ، فعاش الشهور الطوال يخيم عليه

شبح الموت الرهيب المحتم . وبقي اثنتي عشرة سنة بعد شفائه يعيش عليلاً عاجزاً ، يتشبث باهداب الحياة الواهية . ومع ذلك أتيح له أن يغذي في نفسه الملكة التي أذاعت اسمه وشهرته في العالم المتمدن .

وأكبّ على الكتابة والتأليف دون هوادة طوال خمس سنوات . ولكن سرعان ما تبين له ان كل ما خطه من كتب ومقالات وقصص لا قيمة أدبية له فلم يتردد في جعلها طعمة للنيران .

وبالرغم من حالته الصحية السيئة عاد إلى سلك التعليم . وكان بين الطلبة والطالبات في صف علم الحياة (البيولوجيا) صبية جميلة تدعى كاترين روبنز . فما لبث ان أيقن أن اهتمامه بالطالبة الحسناء يفوق اهتمامه بعلم الحياة . وكانت ضعيفة البنية ، سقيمة مثله . فأرادا أن يعبّا ما وسعهما من السعادة دون ابطاء ، فتزوجا . وعادت اليه قواه وحيويته كأعجوبة . **وبرهن على أنه حقاً « دينمو » بشري ، فراح ينتج الكتب بمعدل مجلدين كل سنة ، وجميعها من المؤلفات القيّمة التي لها أبعد الاثر في العالم .**

كان عقل ويلز مستودعاً للآراء والأفكار ، وكثيراً ما كان ينهض وسط الليالي لتدوين فكرة طرأت له . وقد صرح هذا الصبي الكسول الذي طرد من عمله في الحوانيت التي أراد أن يكسب منها عيشه في مستهل حياته ، ذات مرة ، بأن في مفكرته من المواد ما يكفي لأن يشغله في الكتابة والتأليف قرناً ونصف القرن من الزمن .

كان يستطيع أن يكتب أين شاء .. في مكتبه في لندن ، أو في القطار ، أو تحت مظلة واسعة على رمال شاطىء البحر الابيض المتوسط ... وقد استأجر دارتين جميلتين على ساحل الريفييرا الفرنسية جعل من الواحدة مكتباً ، ومن الاخرى داراً للضيافة . فكان ينصرف إلى الكتابة طيلة يومه ولا يتفرّغ لضيوفه إلا في المساء .

غوركي

MAXIM GORKY

الكسي مكسيموفتش بتشكوف ، المعروف بمكسيم غوركي ، أبصر النور سنة ١٨٦٩ في مدينة نيتني — نوفغورود ، وتدعى اليوم غوركي .

اصابه اليتم وهو بعد في الرابعة من عمره . فاعتنت به جدته المسكينة اللطيفة ، واعمامه

القساة الشرسو الطباع . وذات مرة سأل الصبي اليتيم جدته عن سبب فظاظة اعمامـــه ، فـــأجابته :

– انهم ، يا حبيبي ، اغبياء وليسوا اشراراً !

ويؤكد الكاتب ان عطفه على الاشرار الذي لا يحدّ بدأ بعد تلك الحادثة بشهرين تقريباً.

عمل في صغره في احد الافران ، ثم حمـــالا في مرفأ سمارا ، وكان من شدة البؤس يرتدي سروالاً مصنوعاً من كيسي طحين أو شعير . وقد سُجن فترة من الزمن ، وحاول الانتحار تخلصاً من الحياة لشدة ما كانت ثقيلة الوطأة عليه ، ولكثرة ما كان يحوم حوله من الاكاذيب والنفاق .

بدأ حياته الادبية بالكتابة في الصحف ، فكانت كل آرائه واعماله واخطائـه من اجل الوصول بالشعب الى مستقبل افضل .

وكان الطاهي سموروف ، صف الضابط السابق في فرقة الحرس الروسية ، أول من حبّب المطالعة الى غوركي ودفعه اليها دفعاً بشتى السبل . وكثيراً ما كان ينهال عليـــه بالضرب المبرّح ليحمله على انهاء الكتاب الذي بين يديه ، قبل ان يأوي الى فراشه . وكان غوركي يعمل في خدمته . **وقد اعترف فيما بعد ان قصص تولستوي كلفته غاليـاً ، في حين كان يقرأ روايات الكسندر دوماس بشغف دون ان يضطر الطاهي الى ضربه .**

كان غوركي يحيا حياة بوهيمية عندما اوقفه رجال الشرطة ذات يوم واقتادوه الى الدائرة ليقابل رئيسهم الضابط . فلمـــا مثل امامه وعرف الضابـــط ان المتهم يدعى غوركي سأله :

– ألست انت كاتب القصص الموقّعة بهذا الاسم ؟

– اجل .

– إذن اكتب لي قصة وانا اطلق سراحك .

فوافق غوركي على ذلك واعطى الضابط القصة التي وعده بها وخرج حرّاً طليقاً من كل قيد . وبعد ذلك بثلاثة أيام وقع نظره على قصته موقعة باسم الضابط ومنشورة في احدى صحف المنطقة .

لم ينظر غوركي الذي احتفلت روسيا بذكرى وفاته العاشرة في حزيران ١٩٤٦ نظرة عطف الى الثورة الشيوعية . وقد صرح الى احد الصحفيين الاميركيين عندما تسلّم لينين زمـام السلطة في روسيا بقوله : « اني أرى الشعب ينتصر ، ولكنني أشعر باني غريب في

هذا الوسط بعد ان ضاعت القوة والنشاط في الصراع . فأنا اليوم أشبه ما أكون بكريستوفر كولومبوس الذي خاب أمله باميركا عندما وصل اليها واكتشفها ... »

ولكن ما عتّم الامر أن آمن غوركي بلينين ومقدرته .

كان في السنوات الاخيرة من حياته يتلقى مئات الرسائل من الفتيان والفلاحين والعمال ، يسألونه فيها عن سر فنه في الانشاء، فكان يردّ على كثير من هذه الرسائل وقد جمع جوهر ردوده في محاضرة القاها في الكتّاب الناشئين .

تساءل غوركي في محاضرته هذه : ما هي القوة التي ترغمنا على الكتابة ؟ وأجاب : « ان رداءة الحياة اليومية وسخافتها وسفالتها وحمقها تمسك احياناً بخناقنا وترغمنا على الصراخ لنتمكن من التنفس . وجمال الطبيعة وفرحة الحب وحنوّ الصداقة وكرامة الرجولة تتدفق احياناً من القلب في سيول من الكلام ، في موسيقى الشعر وبهجة النثر . »

ولكن غوركي حذّر من الارتجال الفطري ، الارتجال الحيواني في تلك الحاجة الى الكتابة ، وقال انه يجب قبل كل شيء تمرين القلم وتهذيبه . ونصح لتلاميذه الفتيان بأن يتعلموا اللغة الفرنسية ليتمكنوا من قراءة عظماء المنشئين في لغتهم ، وسمّى منهم ثلاثة هم ستندال وبلزاك وفلوبير ، قائلاً : « أما فلوبير فيدهش برشاقة ريشته ودقة تصويره. وكثيراً ما كنت وأنا بعد فتى أنعم النظر في الصفحة التي قرأتها رجاء ان أرى خلال الكلام خيال امرأة أصبحت مألوفة عندي . وأما ستندال فهو الالوان بذاتها .. فقد أخذ كل ما عند الاساتذة الطليان من أضواء الشمس . وأما بلزاك فهو التصوير الزيتي . »

واسدى غوركي الى الصحفيين الفتيان هذه النصيحة : « خذوا على الفور ما يقع عليه فكركم أو سمعكم، ثم حاولوا ان تحملوا الى قرائكم ما أثّر في نفوسكم سواء من عوامل الدهشة او الاعجاب او الغضب . »

من اشهر مؤلفاته « حياتي وأنا فتى » ، و«المشرّدون» ، و « الأم » .

جاك لندن

JACK LONDON

يحتل الروائي الاميركي جاك لندن (١٨٧٦ — ١٩١٦) في تاريخ الأدب العالمي المعاصر مركزاً مرموقاً . فهو من الكتّاب القلائل الذين يمكن وصف نتاجهم بأنه موثوق به ،

صحيح ، أصيل . والمقصود من هذا الوصف أن جاك لندن عاش بنفسه حياة أبطاله ، وهي حياة قاسية ، خشنة ، يسودها النزاع المتواصل العنيف ضد البؤس والموت . فلما صوّرها جاءت صورة صادقة ، انسانية ، لا تشوبها شائبة الزيف والخيال ... ومن هنا كان لرواياته العديدة جاذب قوي يشعر به كل من يتصفحها . وكانت لصاحبها ميزة على سائر الروائيين الطبيعيين الفرنسيين والانكلوسكسون الذين غالباً ما يعتمدون بصيرتهم وحدّة ذهنهم عندما يرسمون حقيقة سطحية . ومن المؤسف حقاً القول ان الادراك الطبيعي قلما يحلّ محل المعرفة العميقة للحياة ، والاتصال الدائم بالاوساط والبيئات الموصوفة .

يعرف جاك لندن ، حين يكتب ، ما يكتب . وقد تمكن هذا الروائي العبقري في فترة ١٦ سنة (من ١٩٠٠ – ١٩١٦) من انتاج ٥٣ مجلداً من الأدب الروائي الرائع .

عمل في بدء حياته ببيع الصحف ، وجمع الاصداف ، ثم عضواً في دورية الخفر البحرية ، فعاملاً على المرفأ يجمع طوال يومه الفحم الحجري ويكوّمه ، وانتهى في أحد المعامل التي تصنع أكياس الخيش وخيوط القنّب . وكان طوال حياته الشاقة هذه يتردد في الليالي إلى دور الكتب العامة لينصرف إلى الاطلاع على زبدة قرائح الروائيين الكبار أمثال **فنيمور كوبر ، وتشارلز ديكنز ، وروبرت لويس ستيفنسون ، ورديارد كبلنغ ...**

بدأ لندن بنشر قصصه الاولى في المجلات المحلية سنة ١٨٩٩ ولم تذع شهرته إلاّ في العام التالي على أثر صدور روايته **ابن الذئب** ، ولم يكن بعد قد تجاوز الرابعة والعشرين . ومذذاك ابتسم له الدهر ، إلا أنه كان قد اعتاد ، في سنوات البؤس والمحن الشديدة ، ادمان الخمرة ، فتمتلكه هذه العادة السيئة ولم يستطع منها خلاصاً . وهذا ما يصفه ويسرده بكل دقة واخلاص في روايته **دجون بارليكورن** . وقد توفي عن أربعين عاماً ضحية دجون بارليكورن (الخمرة) ...

مارغريت متشل

MARGARET MITCHELL

بدأت مارغريت متشل (١٩٠٦ – ١٩٤٩) حياتها الأدبية محررة في « صحيفة أتلنتا » فور تخرّجها من الكلية عام ١٩٢٢ . وكانت تكتب قصة العدد وتوقّعها باسم **بيغي ميتشل** . وظلت تمارس عملها هذا طوال أربع سنوات . فلما كان العام ١٩٢٥ تزوجت دجون

مارش ، مدير فرع الدعاية في إحدى الشركات بأتلنتا . وما هي إلاَّ سنة حتى استقالت من الصحيفة التي تحرر فيها لتنصرف الى العناية بشؤون منزلها العديدة . ومذ ذاك أخذت **ذهب مع الريح** تتكوّن في ذهنها وتتجسد بفصولها وأبطالها ، ولكنها لم تنشرها إلاَّ سنة ١٩٣٦ . وما كادت تظهر نسخ الطبعة الأولى منها في المكاتب ومع الباعة حتى نفدت كلها ، فتحولت أنظار العالم الجديد والقديم إلى الروائية المتواضعة المنزوية في منزلها في أتلنتا . **وسرعان ما ذاعت شهرتها وطبّقت الآفاق ، إذ بيع من روايتها حتى يومنا هـــذا نحو من عشرة ملايين نسخة في اربعين بلداً من بلدان العـالم ، وتُرجمت إلى ثلاثين لغة مختلفة** . وكاد كتاب **ذهب مع الريح** ، الذي أصاب رواجاً عظيماً ، يحطم الرقم القياسي الذي ضربـــه الكتاب المقدّس في سرعة الانتشار . وقد رفعت هذه الرواية صاحبتها من صحافية متواضعة إلى مصاف مشاهير الأدباء العالميين في غضون أشهر لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة .

جمعت مارغريت ميتشل كل القصص التي سمعتها عن الحرب الاهلية الاميركية وحوّلتها إلى رواية طويلة رائعة أسمتها **ذهب مع الريح** . ومن أقوالها أنها بدأت بالكتابة فيها وهي بعد في السادسة عشرة من سنيها . وسلخت اثنتي عشرة سنة في كتابة روايتهـــا البكر ، معترفة بأنها كتبت الفصل الأول منها إحدى وسبعين مرة قبل أن تستقر على رأي حاسم ، وأنها كانت ترغب في تنقيح هذا الفصل نفسه للمرة الثانية والسبعين لو تُركت وشأنها...

أما الروايات التي وضعتها قبل « ذهب مع الريح » فقد أهملتها اهمالاً كلياً .

وكان من نتيجة شهرة الكاتبة ورواج « ذهب مع الريح » التي أخرجت بنجاح منقطع النظير على الشاشة البيضاء في هوليوود ، ان أخذت مارغريت ميتشل وزوجها يقضيان معظم أوقاتهما منهمكين في الرد على الآف الرسائل والمنشورات التي راحت تنهال عليهما من مختلف أرجـــاء المعمور ، تساعدهما في ذلك سكرتيرة خاصة تتولى معهما ضبط حسابات النسخ الموزعة والمباعة ، وبيع حقوق الترجمة والاقتباس . وقد سبّبت ترجمة هذه الرواية العديد من المشاكل القانونية بين المؤلفة والمترجمين عبر البحار ، وكثرت الدعاوى والشكاوى ، مما اضطر مارغريت وزوجها إلى التفرّغ لمعالجـــة ذيول « ذهب مع الريح » من دون سائر الأعمال . حتى إذا سئلت ذات يوم هل في نيتها وضع رواية جديدة ، اجابت :

ـ لدي مئة رواية أخرى أودّ كتابتها ، ولكن أعمالي التي أورثتني اياها روايتي الأولى من الكثرة بحيث لا أستطيع الفراغ منها قبل أن تنطفىء جذوة حياتي . هذه هي الحقيقة الواقعة ، ولو بدت صعبـــة التصديق ! ومهما يكن من أمر فلن أقوم بوضع أي

كتاب في الوقت الحاضر ...

كانت مرغريت أدبية بكل معنى الكلمة ، موفورة النشاط ، لا تعرف همتها الكلل أو الملل . وكانت من التواضع بحيث انهـــا لم تكتم دهشتها للشهرة التي أصابتها « ذهب مع الريح » . لم تكن لتدّعي العبقرية الروائية ، ولم تكن لتعير الاسلوب الأدبي أو الانشائي أقل اهتمام . وقد صرحت لأحد الصحفيين بقولها انها تروي قصصاً لا أكثر ولا أقـــل ، فليكن انشاؤها سهلًا مبسّطاً ... ففي التبسيط الجهد المضني.

وقد توفيت مارغريت ميتشل عن ٤٣ عاماً في المستشفى إثر كسر في عظام الرأس امتد من الجمجمة حتى السلسلة الفقرية ، أصابتها بـــه صدمة سيارة بينا كانت تعبر الشارع بصحبة زوجهـا دجون ر. مارش لدخول إحـدى دور السينا القريبة من مـنزلها .

درايـــزر

THEODORE DREISER

كان ثيودور درايزر ، وسيبقى الى امد بعيد ، من اكثر الادباء الاميركيين غموضاً . وسيستمر مؤرخو الادب والنقّاد في انعام النظر في المشاكل التي اثارتها سيرة هذا الاديب كرجل وفنان ، وهي الترجمة التي نشرها اخيراً روبرت ه. ايلايس في كتاب يقع في ٣٧٥ صفحة تحت عنوان **ثيودور درايزر : رسول الطبيعة** . وهو اول كتاب يُنشر عن درايزر منذ وفاته في ٢٨ كانون الاول ١٩٤٥ . هل كان دايزر « عبقرياً مشوشاً » ام « جبـــاراً ضبابياً » كما يقول بعضهم ، ام مؤلف روايات رائعة كما يقول البعض الآخر ؟

كثيرة هي المقالات التي كتبها درايزر عن نفسه بنفسه . واشهرها تلك التي جمعهـــا في كتاب نشره بعنوان **كتاب عن نفسي** ، سرد فيه معلومات كثيرة عن شبابه وحياته الاولى ليُظهر بوضوح وجلاء انه كان من المستحيل ان يصبح شخصٌ عاش في البيئة التي عاش هو فيها وتربّى تربيته ، احـد مشاهير الادباء الاميركيين في القرن العشرين ، اذا لم يكن في طليعة ادباء العالم الجديد .

كان درايزر ابن رجل غبي غباوة فاجعة ، متمسك بكاثوليكيته تمسكاً شديداً ، متزمت من الطراز الاول ، عنيد ، محدود الادراك والتصور . اما الام فكانت اكثر انسانية في

علاقتها بعائلتها الكثيرة العدد ، المؤلفة من بنات جامحات عاصيات ، وبنين ثائرين متمردين . ولكنها على الرغم من حبها ، وتسامحها ، ورحابة صدرها ، لم تستطع ان تجعل حياة ابنها ثيودور حياة حلوة مليئة نوراً وجمالاً ... ومردّ جوّ العتمة والغم والكآبة التي خيمت على كل ما خطّه قلم درايزر الى مرارة طفولته وكآبتها .

بدأت شهرة درايزر تذيع كرئيس تحرير في **دار باتاريك للنشر** قبل ان يشتهر كأديب. وفي هذه الدار اخذ يفرض على الادباء الذين يراجعونه في نشر مؤلفاتهم مقياساً اخلاقياً في كتاباتهم لم يتقيد هو نفسه به حين وضع رواياته، ولا سيما **الاخت كاري** . وسرعان ما اضطر للاستقالة من منصبه بسبب فضيحـــة اخلاقية لها علاقة ماسة باحدى المستخدمات في الدار وابنتها .

بدأت حياته الادبية حوالي العام ١٩٠٠ نزولاً على رغبة صديقه هنري ل . منكن ، وكانت اولى رواياته «الاخت كاري» التي وضعها دون أن يتهيأ لهذا العمل الطويل النفس . وكان كثيراً ما ينقطع عن الكتابة فيها ثم يعود اليها ، وما زال هكذا حتى أتمها . ولما عرضها على صديقه منكن شطب هـــذا منها زهاء ٤٠ ألف كلمة منتحلاً لذلك شتى الاعذار . وكانت تلك المرة الاولى والاخيرة التي قبل فيها درايزر أن تُمس كتاباته .

وقد تلـقّى النقاد هـذه الرواية بهجوم عنيف عليها ، واعلنت الحرب عليها **الجماعـــة النيويوركية لمكافحة الرذيلة** ، فتأثر بيع الرواية من جراء هـــذه الحملات ، وراجت كثيراً ، وما لبثت ان احتلت مكانها بين المؤلفات الكلاسيكية .

ومن اشهر روايات درايزر **مأساة اميركية ، والمالي ، والعبقرية ، والجبار** .

لم يُقبل جمهور القراء الاميركان على مطالعة رواياته . الا ان النقاد لم يحجموا عن نشر المؤلفات عنه وعن أدبه .

نسب بعضهم فن درايزر الى واقعية زولا الفرنسي . ولكن المعروف عـــن الروائي الاميركي انه لما نشر رواياته المتسمة بطابع الواقعية لم يكن قد قرأ روايات زولا بعد . بل كان ولوعاً بقراءة التآليف الشعرية كقصص **هاوثورن وواشنطن ايرفنغ**. ولم يكتشف الرواية الاوروبية الا حين قـُدرّ له الاطلاع على روايات **هاردي وتولستوي** .

وكان درايزر أميل الى اعتناق المبادىء الشيوعية منه الى اعتناق سواها مـن المبادىء المعروفة في ايامنا هذه . وكان يردد : « اما انا فلا اعرف ما هو الجمال ولا ما هي الحقيقة ، ولا ما هو الحب ولا ما هو الامل . ولا اؤمن بشيء او بشخص ايماناً مطلقاً ، ولا اشك في

شيء او في شخص شكاً مطلقاً . وكل ما في الامر ان الناس كلهم اشرار ، الا انهم اصحاب نيات حسنة . »

الواقع ان حياة درايزر بكاملها كانت حياة صراع في صراع : صراع مع الناشرين، صراع مع نفسه ، صراع مع العالم ، صراع مـع النساء . وقد لازمه الفقر المدقـع طوال حياته .

وجاء يوم عضه فيه الجوع بنابه ، واشرف على الهلاك ، فقرر ، وهو على ما هو عليه من البؤس والشقاء ، ان يضع حداً لحياته . غير ان شقيقه بول درايزر ، الموسيقي ، انقذه من الموت المحتم ، واوفده الى مصح ملدون حيث استجم واستعاد نشاطه وصحته ...

برنـارد شـو

GEORGE BERNARD SHAW

لا جدال في ان برنارد شو (١٨٥٦ – ١٩٥٠) كان اعظم اديب في عصره ، هذا العصر الذي يمتد من عهد الملكة فيكتوريا حتى عهـد القنبلة الذرية . **كان روائياً وروائياً اعظم من شكسبير ، وناقداً موسيقياً اخبر من بتهوفن ، واشتراكياً رأى ابعـد مما رأى كارل ماركس .** وكان اكثر من هذا كله في عرف الكثيرين ، وفي عرف خصومه قبل محبيه والمعجبين به وبعبقريته . خلّده معاصروه قبل ان يخلده الموت لانه عمّر طويلاً . وقد مات عن اربعة وتسعين عاماً حافلة بالنتاج الادبي والفكري الرائع الذي قلما يصدر عـن واحد فرد .

غير ان اغلبية العالم الادبي رفضت ان تنظر الى برنارد شو الا نظرتها الى مهرّج ظريف لطيف ، يمتص بشغف طبقة السكّر التي تغطي حبوب افكاره اللاذعة المرارة.

ان شهرة شو هي ، في الاساس ، شهرة ادبية ، طالما ان مؤلف **القديسة حنة** يعتبر اشهر مؤلف مسرحي في العصر الحديث . ويشاطره هذه الشهرة اديبان مسرحيان هما **جيرودو الفرنسي ، وبيرنديللو الايطالي** . غير ان نشاط شو يتخطى دائماً حـدود الحقل الادبي . فعنده من كل علم خبر ، وقلما ترك موضوعاً لم يكتب او يناقش فيه .

استهل شو حياته الادبية في الصحافة (مجلة « ستردي ريفيو » الادبيـة الاسبوعية) ،

فعمل فيها عشر سنين . وكانت مقالاته فنية ، يدور اكثرها حول المسرح ، والموسيقى ، والتصوير .

سئل مرة عن افضل عشرة ادباء معاصرين ، فاجاب :

– جورج برنارد شو ، برنارد شو ، برنارد جورج شو ، ج.ب.ش ، شو ، ج.ب.شو ، ج . برنارد شو ، جورج ب. شو ، برنارد ج . شو ، شو ج.ب.

وسأله يوماً احد الصحفيين :

– اترغب في حياة ثانية بعد هذه ؟

فكان جوابه مفحماً :

– كلا ، لان في ذلك إعترافاً باخفاقي في حياتي الاولى .

كان برنارد شو ايرلندي الأصل ،ابوه من البورجوازيين الانكليز الصغار ، وامه قروية تملك بعض العقارات البسيطة . وكان ج.ب.ش. تلميذاً مهملاً ، كسولاً . تركت له والدته الحبل على الغارب ، فلم تشأ ان تقسوه ، وقد عرفت اشد الوان القسوة في سنيّ دراستها . فلما توفي عنه والده ، التحق كموظف بسيط في شركة تليفونات اديسون ، ولكنه سرعان ما طُرد من العمل . وما لبث ان شرع في التأليف ولكن احداً من الناشرين لم يوافق على نشر كتبه ، كما ان مديري المسارح رفضوا اخراج مسرحياته . وكان يتلقى هذه الصدمات بسخرية ما بعدها سخرية يقيناً منه ان الزمن يعمل لمصلحته ...

ولمناسبة بلوغه التسعين من عمره منحه مجلس دبلن البلدي براءة مواطن شرف في هذه المدينة . فلم يرفض هذا الامتياز الرسمي ، ولكنه اعتذر عن حضور الحفلة التكريمية بقوله : « لم يبقَ مني الا القليل ، ولن يلاحظ احد غيابي ! »

وفي العام ١٩٢٥ ابى شو قبض مبلغ سبعة آلاف استرلينية هي قيمة جائزة نوبل التي فاز بها ، وفضّل توزيعه على الادباء الاسوجيين المعوزين . فكان لهذه البادرة الطيبة أبلغ الاثر في النفوس ، لما عرف عن هذا الاديب من الفقر والشحّ . وذات يوم عرف الصحفيون انه أقرض عمال مناجم ديرهام مبلغ ٣٠ الف استرلينية فهرعوا اليه يستفسرونه عن هذا العمل العظيم . فكان جوابه موجزاً : « بفائدة ستة بالمئة . » ولا ننس انه صاحب المسرحية التي تحمل عنوان **لا رائحة للمال** التي يتهجم فيها على اصحاب العقارات المبنية الذين

لا يعرفون الرحمة ولا يشفقون على المستأجرن البائسين الذين غدر بهم الدهر . امـا هو ، فمعذور ، ولا بأس عليه إن طالب المخرجين السينمائيين بمبالـــغ طائلة للسماح لهم باقتبـاس مسرحياته . ويقال انه فاز ببضعة ملايين استرلينية لقـــاء سماحه باخراج روايته **قيصر وكليوباتره** على الشاشة البيضاء . وجلّ مراده ان يكون حديث الناس دائماً وحيثما كان ، لا فرق لديه نوع الحديث ... ومن اقواله:

ـ لقد استطعت طوال ستين سنة كاملة إقناع العالم بأني رجل غريب ، مدهش،روحاني، حادّ الذكاء ، لامع . فأصبح ذلك جزءاً من الرأي العام الانكليزي ، وليس ثمة قوة في العالم تستطيع تبديل هذا الموقف . فان سمعتي لن يؤثر فيها شيء لانها ترتكز عـلى دعائم متينة متانة الدعائم التي ترتكز عليها شهرة شكسبير .

مع الخالدين من الادباء وروائعهم

يونانيون ولاتينيون

هيرودوتس — (٤٨٤ — ٤٧٤ ق . م.) لقبه أبو التاريخ ، له تاريخ الغزوة الفارسية لليونان .

توسيديدس — (٤٨١ — ٤٠١ ق . م .) — تاريخ حرب البيلوبونيز .

زينوفون — (٤٣٠ — ٣٥٧ ق . م .) — مؤرخ — آناباسيس .

باوتوس — (١٨٤ ق . م .) — روائي هزلي ، أمفيترُوو .

تيرنس — (١٨٥ — ١٥٩ ق . م .) — روائي هزلي .

سينيكا — (٤ ق . م . — ٦٥ ب . م .) — روائي وفيلسوف .

ايطاليون

جيوفاني بوكاتشيو — (١٣١٣ — ١٣٧٥) — قصصي — الديكاميرون — (كان شاعراً) .

كارلو غولدوني — (١٧٠٧ — ١٧٩٣) — روائي — صاحبة النزل ، السيدات المرحات .

ايطالو سفيفو — (١٨٦٤ — ١٩٢٨) قصصي — ضمير زينون .

لويجي بيرانديللو — (١٨٦٧ — ١٩٣٦) — روائي وقصصي — ستة اشخاص

يبحثون عن مؤلف ، إنك على صواب اذا اعتقدت ذلك ، المرحوم ماتيا باسكال .

ديليدا غواتسيا — (١٨٧٥ — ١٩٣٦) — روائي — بعد الطلاق ، الأم .

روس

الكسندر غريبويدوف — (١٧٩٥ — ١٨٢٩) — روائي مسرحي ، مصيبة الذكي .

نيقولاي غوغول — (١٨٠٩ — ١٨٥٢) — قصصي وروائي مسرحي — أرواح ميتة ، المفتش العام .

ميخائيل سالتيكوف — (١٨٢٦ — ١٨٨٩) — قصصي ، أسرة غولوبوف .

ليونيد اندرييف — (١٨٧١ — ١٩١٩) قصصي وروائي مسرحي ، السبعة الذين شنقوا ، هذا الذي يُصفع .

ميخائيل ارتزيباشيف — (١٨٧٨ — ١٩٢٧) — قصصي وروائي مسرحي — سانين .

الكسي تولستوي — (١٨٨٢ — ١٩٤٥) — قصصي وروائي مسرحي — بطرس الاكبر .

أسبان

لوبه دوفيغا — (١٥٦٢ — ١٦٣٥) — روائي مسرحي وشاعر — صاحب ٢٠٠٠ مسرحية ، منها عقاب دون انتقام .

تيرسو دو مولينا — (١٥٧١ — ١٦٤٨) — روائي مسرحي ، مفسد اشبيلية .

كالديرون دولا باركا — (١٦٠٠ — ١٦٨١) — روائي مسرحي ، الحياة حلم ، الساحر صانع العجائب .

انطونيو دو سوليس — (١٦١٠ — ١٦٨٦) — مؤرخ وشاعر ، تاريخ احتلال المكسيك .

غوستافو بيكو . — (١٨٣٦ — ١٨٧٠) — قصصي وشاعر .

جوزيه ماريا دو بيريدا — (١٨٣٣ — ١٩٠٦) قصصي ، طعم الأرض .

فنشنتي بلاسكو — (١٨٦٧ — ١٩٢٨) — قصصي ، فرسان الرؤيا الاربعة .

ميغيل دو اونامونو — (١٨٦٤ — ١٩٣٦) — عالم ، معنى الحياة الفاجع .

أراماندو بالاتشيو — (١٨٥٣ — ١٩٣٨) — قصصي ، السلطة الرابعة .

فرنسيون

جان باتيست موليير — (١٦٢٢ — ١٦٧٣) — روائي ، وشاعر هزلي — تارتوف ، مدرسة النساء ، البخيل ، الطبيب رغماً عنه .

لاروشفوكو — (١٦١٣ — ١٨٦٠) — كتب في موضوع الآداب ، وترك مذكرات .

بيير كورناي — (١٦٠٦ — ١٦٨٤) روائي وشاعر ، ومن مؤسسي الثقافة الفرنسية في عصرها الذهبي — السّيد ، هوراس ، سِنّا .

الكونتيس ماريادو لافاييت — (١٦٣٤ — ١٦٩٣) — قصصية — اميرة كليف .

مدام دو سيفينييه — (١٦٢٦ — ١٦٩٦) مجموعة رسائل .

جان باتيست راسين — (١٦٣٩ — ١٦٩٩) — روائي وشاعر — فيــدر ، اندروماك .

مادلين دو سكوديري — (١٦٠٧ — ١٧٠١) — قصصية — كليلين .

انطوان غالاّن — (١٦٤٦ — ١٧١٥) — مستشرق ، نقل الى الفرنسية رواية « ألف ليلة وليلة » .

آلان رينه لوساج — (١٦٦٨ — ١٧٤٧) — قصصي — جيل بلا .

مونتسكيو — (١٦٨٩ — ١٧٥٥) — كاتب سياسي — روح الشرائع .

الأب بريفو	– (١٦٩٧ – ١٧٦٣) – قصصي – مانون ليسكو .
بيير بومارشه	– (١٧٣٢ – ١٧٩٩) – روائي – حلاق اشبيلية ،زواج فيغارو .
ركيف دولابرتون	– (١٧٣٤ – ١٨٠٦) – روائي ، وضع ٣٠٣ كتب ، أملى منها ١٥٢ كتاباً مباشرة على عمال المطبعة دون ان يخط بيده اي حرف منها .
برناردان دو سان بيير	– (١٧٣٧ – ١٨١٤) – قصصي – بول وفرجيني .
ستاندال	– (١٧٨٣ – ١٨٤٣) – روائي – الاحمر والاسود ، لا شارتروز دوبارم .
شاتوبريان	– (١٧٦٧ – ١٨٤٨) – قصصي – رينه ، آتالا .
اوجين سو	– (١٨٠٤ – ١٨٥٧) – روائي – اليهودي التائـــه ، أسرار باريس .
الكسيس دوتوكفيل	– (١٨٠٥ – ١٨٥٩) – كاتب سياسي – الديمقراطية في اميركا .
تيوفيل غوتييه	– (١٨١١ – ١٨٧٢) – قصصي وشاعر – مدموازيل دو موبان .
غوستاف فلوبير	– (١٨٢١ – ١٨٨٠) – قصصي – مدام دو بوفاري ، التربية العاطفية .
ايبوليت تين	– (١٨٢٨ – ١٨٩٣) ناقد ومؤرخ – تاريـــخ الأدب الانكليزي .
الكسندر دوماس الابن	– (١٨٢٤ – ١٨٩٥) –روائي وقصصي – غادة الكاميليا .
الأخوان غونكور	– (١٨٢٢ – ١٨٩٦) – قصصيان – جرميني لاسيرتو ، رينه موبيران .
الفونس دوده	– (١٨٤٠ – ١٨٩٧) – قصصي – الشيء الصغـــير ، صافو ، ترتاران دو تاراسكون .



مارسيل بروست	– (١٨٧١ – ١٩٢٢) – قصصي – تذكّر الاشياء الماضية.
بيير لوتي	– (١٨٥٠ – ١٩٢٣) – قصصي – صياد ايسلندا ، رحلة الى الشرق .
رومان رولان	– (١٨٦٦ – ١٩٤٥) – قصصي ومؤرخ موسيقي – جان كريستوف ، بتهوفن .

انكليز

دجيفري اوف مونموث	– (١١٠٠ – ١١٥٤) – مؤرخ – تاريخ الملوك الانكليز.
توماس مالوري	– (١٤٣٠ – ١٤٧٠) – قصصي – موت آرثر .
السر توماس مور	– (١٤٧٨ – ١٥٣٥) – سياسي – المدينة الفاضلة .
كريستوفر مارلو	– (١٥٦٤ – ١٥٩٣) – روائي وشاعر – الدكتور فاوستوس ، تمبورلاين ، يهودي مالطة ، البطل وليادر.
توماس ديكر	– (١٥٧٠ – ١٦٤١) روائي مسرحي – عيد الاسكافي .
دجون بنيان	– (١٦٢٨ – ١٦٨٨) – ناثر – سياحة مسيحي .. قضى اثني عشر عاماً في السجن بسبب تعاليمه الدينية ، فكان يصنع الدانتيلا لاعالة زوجته واولاده الاربعة . وفي حين كانت يداه منهمكتين بصنع التخريم كان رأسه يعج بالافكار فوضع كتابه المذكور الذي ضرب الرقم القياسي في عدد اللغات التي نقل اليها ، باستثناء الكتاب المقدس ...
دجون درايدن	– (١٦٣١ – ١٧٠٠) – شاعر وروائي مسرحي وناقد – أبشالوم وأتشيتوفل .
صموئيل بيبز	– (١٦٣٣ – ١٧٠٣) – كاتب يوميات .
ويليام كونغريف	– (١٦٧٠ – ١٧٢٩) – روائي مسرحي – الحب للحب ، طريق العالم .

دانيال ديفو	– (١٦٦١ – ١٧٣١) – قصصي – روبنسون كروزو.
دجو ناثان سويفت	– (١٦٦٧ – ١٧٤٥) – روائي ساخر – رحلات غوليفر.
لورنس ستيرن	– (١٧١٣ – ١٧٦٨) – قصصي – تريسترام شاندي.
الكونت فيليب تشستر فيلد	– (١٦٩٤ – ١٧٧٣) – اديب وسياسي، رسائل الى ابني.
اوليفر غولد سميث	– (١٧٢٨ – ١٧٧٤) – قصصي وشاعر وروائي مسرحي، اسقف ويكفيلد، تنحني لتغزو.
ادوارد غيبون	– (١٧٣٧ – ١٧٩٤) – مؤرخ – سقوط وانهيار الامبراطورية الرومانية.
رتشارد شيريدان	– (١٧٥١ – ١٨١٦) – روائي مسرحي – الاخصام، مدرسة الفضيحة.
تشارلز لام	– (١٧٧٥ – ١٨٣٤) – كاتب مقالات – مقالات ايليا، قصص من شكسبير.
صموئيل كوليريدج	– (١٧٧٢ – ١٨٣٤) – ناقد وشاعر – البحّار القديم، ترجمة الأدب.
باري ادوارد اومارا	– (١٧٨٦ – ١٨٣٦) – كان طبيب نابوليون الخاص في منفاه بجزيرة القديسة هيلانة، وهو صاحب المذكرات الشهيرة عن الامبراطور السجين، وتُعتبر أصدق ما كتب عن نابوليون في أواخر أيامه.
توماس ماكولي	– (١٨٠٠ – ١٨٥٩) – مؤرّخ – له كتاب « تاريخ بريطانيا ».. من أشهر الذين عُرفوا بقوة الذاكرة على الاطلاق. كان يقرأ فصلاً كاملاً من أي كتاب ليتلوه كلمة كلمة، وقد وضع المؤلفات التاريخية القيّمة دون أن يعود إلى أي مراجع. ويذكر مترجموه أنه حفظ عن ظهر قلب ملحمة ملتون المشهورة « الفردوس المفقود » في ليلة واحدة ليكسب رهاناً.
وليام ثاكري	– (١٨١١ – ١٨٦٣) – هنري إزموند، خيلاء لطيفة.

دجون ستيوارت ملّ	— (١٨٠٦ — ١٨٧٣) — كاتب مقالات — الحرية ، ترجمة حياته .
توماس كارلايل	— (١٧٩٥ — ١٨٨١) — مؤرخ وبحّاثة — الماضي والحاضر ، الثورة الفرنسية ، عن الأبطال وعبادتهم .
ماثيو أرنولد	— (١٨٢٢ — ١٨٨٨) — شاعر وبحّاثة — الثقافة والفوضى ، الأدب والعقيدة .
روبرت لويس ستيفنسون	— (١٨٥٠ — ١٨٩٤) — روائي — قضى آخر سني حياته سجيناً في جزيرة ساموى ، مسقط رأسه .. من أشهر رواياته جزيرة الكنز ، الدكتور جيكل ومستر هايد .
ويليام موريس	— (١٨٣٤ — ١٨٩٦) — كاتب مقالات وشاعر — أخبار من لا مكان .
دجون راسكن	— (١٨١٩ — ١٩٠٠) — ناقد وكاتب مقالات — حجارة فينيسيا ، رسامون حديثون .
جورج ميريديث	— (١٨٢٨ — ١٩١٩) — قصصي وشاعر — ديانا المفترق ، مصيبة رتشارد فيفريل ، الأناني .
كاثرين مانسفيلد	— (١٨٩٠ — ١٩٢٣) — قصصية — مجموعة قصص قصيرة .
جوزف كونراد	— (١٨٥٧ — ١٩٢٤) — قصصي وروائي — لورد جيم ، إعصار .. بولوني الأصل ، لم يكن في استطاعته التلفظ بأية كلمة انكليزية قبل الخامسة والعشرين من عمره ...
السر آرثر كونان دويل	— (١٨٥٩ — ١٩٣٠) — روائي بوليسي — مغامرات شرلوك هولمز .
دايفد هربرت لورنس	— (١٨٨٥ — ١٩٣٠) — قصصي وروائي — عشيق اللايدي تشاترلي ، أبناء وعشاق .
دجون غيلزوورذي	— (١٨٦٧ — ١٩٣٣) — قصصي وروائي مسرحي — كفاح ، عدل .. من الأدباء الذين وضعوا بعض نتاجهم الفكري في السجن .

غلبرت تشسترتون — (١٨٧٤ — ١٩٣٦) — قصصي وبحّاثة — الدجال الذي كان الخميس .

دجيمس باري — (١٨٦٠ — ١٩٣٧) — روائي وقصصي — كريكتون الرائع ، ما تعرفه كل امرأة ، بيتر بان ، الوزير الصغير .

فرجينيا وولف — (١٨٨٢ — ١٩٤١) — قصصية — السيدة دالووي ، إلى المنــــارة .

دجيمس دجويس — (١٨٨٢ — ١٩٤١) — قصصي — صورة الفنـــان وهو شاب ، يوليسيس .

أميركيون

دجوناثان ادواردز — (١٧٠٣ — ١٧٥٨) — لاهـــوتي — دراسة عن حرية الارادة .

دجيمس فنيمور كوبر — (١٧٨٩ — ١٨٥١) — قصصي — الجـــاسوس ، ذابح الغزال ، آخر الموهيكان .

واشنطن ايرفنغ — (١٧٨٣ — ١٨٥٩) — مؤرخ — كتاب اسكتشات ، تاريخ نيويورك .

هنري دايفد ثورو — (١٨١٧ — ١٨٦٢) — كاتب مقالات ومفكر — وولدن .

ناثانيال هوثورن — (١٨٠٤ — ١٨٦٤) — قصصي — الرسالة القرمزيـــة ، المنزل ذو الطبقات السبع .

لويزا ماي ألكوت — (١٨٣٢ — ١٨٨٨) — قصصية — نساء صغيرات .

هرمان ملفيل — (١٨١٩ — ١٨٩١) — قصصي — موبي ديك .

ستيفن كراين — (١٨٧١ — ١٩٠٠) — قصصي — شارة الشجاعة .

فرانك نوريس — (١٨٧٠ — ١٩٠٢) — قصصي — الاخطبوط .

هنري دجيمس	– (١٧٤٣ – ١٩١٦) – قصصي – صورة سيدة، الكأس الذهبية .
فرنون لويس بارنغتون	– (١٨٧١ – ١٩٢٩) – ناقد – التيارات الرئيسية في الفكر الاميركي .
توماس وولف	– (١٩٠٠ – ١٩٣٨) – قصصي – انظر الى الوطن ايها الملاك ، لا يمكنك العودة الى الوطن .
شيروود أندرسون	– (١٧٨٦ – ١٩٤١) – قصصي – واينزبرغ ، اوهايو ، انتصار البيضة .
ستيفن فنسنت بنيت	– (١٨٩٨ – ١٩٤٣)–قصصي وشاعر–جسد جون براون.
بوث تارنغتون	– (١٨٦٩ – ١٩٤٦) – قصصية – بنرود وسام .
تشارلز بيرد	– (١٨٧٤ – ١٩٤٨) – مؤرخ – نهضة الحضارة الاميركية .

أوروبيون مختلفون

ديزيديريوس ايرازمس	– (١٤٦٥ – ١٥٣٦) – هولندي – بحاثة وساخر – في مديح الجنون ، أحاديث .
هوغو غروشيوس	– (١٥٨٣ – ١٦٤٥) – هولندي – مشترع ولاهوتي ، وشاعر – قوانين الحرب والسلام .
يوهان هردر	– (١٧٤٤ – ١٨٠٣) – ألماني – فيلسوف وشاعر وناقد– آراء حول تاريخ البشرية .
هاينريش فون كلايست	– (١٧٧٧ – ١٨١١)– ألماني – روائي وشاعر – مايكل كولهاس .
ارنست هوفمان	– (١٧٧٦ – ١٨٢٢) – ألماني – قصصي – إكسير الشيطان .

فريدريك فون شليغل — (١٧٧٢ — ١٨٢٩) — ألماني — فيلسوف ، وروائي ، وناقد — لوسيند .

ادلبرت فون كاميسو — (١٧٨١ — ١٨٣٨) — ألماني — قصصي وشاعر — بيتر شليمل .

بيبوشتاين كازيمرسكي — (١٧٨٠ — ١٨٦٥) — بولوني — مستشرق ، له معجم قيّم باللغتين العربية والفرنسية ، نقل القرآن الكريم الى الفرنسية .

فرانز غريلبارتزر — (١٧٩١ — ١٨٧٢) — ألماني — قصصي روائي — عازف الكمان الفقير .

هانس كريستيان اندرسون — (١٨٠٥ — ١٨٧٥) — دنيمركي — قصصي — حكايات واساطير .

غوتهولد ليسنغ — (١٧٢٩ — ١٧٨١) ألماني — روائي وناقد — مينا فون بارنهلم ، ناتان الحكيم ، لاوكون .

غوتفريد كيلر — (١٨١٩ — ١٨٩٠) — سويسري — قصصي — هنري الاخضر .

تيودور مومسن — (١٨١٧ — ١٩٠٣) — ألماني — مؤرخ — التاريخ الروماني .

بيورنسن — (١٨٣٢ — ١٩١٠) — دنيمركي — قصصي وروائي — الصبية ، الصيادة ، المفلس .

فريدريك شبيلهاغن — (١٨٢٩ — ١٩١١) — ألماني — قصصي — المطرقة والسندان .

هنريك سنكيفتش — (١٨٤٦ — ١٩١٦) — بولوني — روائي — كوفاديس .

فرانز فيديكند — (١٧٦٤ — ١٩١٨) — ألماني — يقظة الربيع .

لويس كوبيروس — (١٨٦٣ — ١٩٢٣) — هولندي — قصصي — كتاب الأرواح الصغيرة .

فرانز كافكا	– (١٨٨٣ – ١٩٢٤) – ألماني – قصصي – المحاكمة، القلعة.
جورج براندیس	– (١٨٤٢ – ١٩٢٧) – دانيمركي – ناقد – التيارات الرئيسية في أدب القرن التاسع عشر .
ارتور شنيتزلو	– (١٨٦٢ – ١٩٣١) – نمسوي – روائي وقصصي – اناتول ، الجندي الظريف .
جيكوب فاسرمان	– (١٨٧٣ – ١٩٣٤) – نمسوي – روائي – وهم العالم .
اوسوفالد شبنغلر	– (١٨٨٠ – ١٩٣٦) – ألماني – فيلسوف – الانهيار في الغرب .
ستيفان تزفايغ	– (١٨٨١ – ١٩٤٢) – ألماني – قصصي وشاعر وكاتب تراجم – اختلافات ، ماري انطوانيت ، ٢٤ ساعة في حياة امرأة .
فرانز فرفل	– (١٨٩٠ – ١٩٤٥) – ألماني – قصصي وروائي – اغنية الماعز ، أيام جبحا الأربعون.



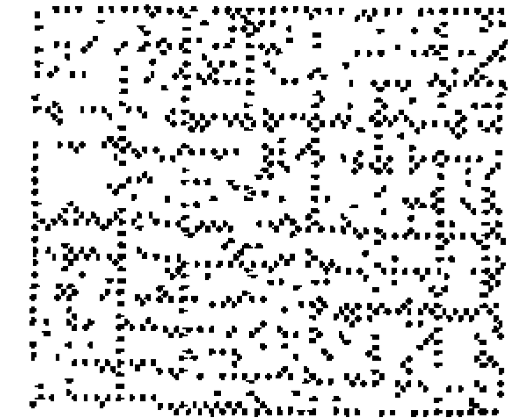
دافنتشي مايكل انجلو تيسيان رفائيل تشيلليني

إل غريكو روبنس فيلاسكيز رامبرانت

فيرمير مدام توسو روزا بونير

شارل‌فيلو هويسلر سيزان

رودان فان غو



مع الخالدين من الرسامين والنحاتين

دافنتشي

LEONARDO DA VINCI

شخصية من شخصيات التاريخ الفذة التي قلما يجود الزمان بمثلها . كان رساماً ، ومثالاً ،وموسيقياً ، ومهندساً ، وفيلسوفاً . ومع انه عاش قبل فرنسيس بايكون بزمن طويل فقد تفهّم مبادىء التجارب العلمية احسن من بايكون . وعرف ما سيكتشف العلماء امثال غاليليو واسحق نيوتن . **ويقدّر العارفون انه لو عرف عصر دافنتشي قوة من القوى الحديثة كالبترول ، مثلاً ، لاتيح لهذا العبقري انهاء عمله في عالم الطيران ، هذا العمل الذي يُعتبر ، بالنسبة الى عصره ، من أروع الاعمال.**

ولد ليوناردو في ايطاليا عام ١٤٥٢ من اب فلورنسي كان يتعاطى المحاماة ، ودرس الاصول الموسيقية والفنية في مسقط رأسه حيث كان تحت رعاية اسرة مديتشي الحاكمة . وكان حذراً فطناً فاحتفظ لنفسه بآرائه السياسية ولم يجهر بها ، بل اكتفى بتدوينها .

غادر فلورنسا سنة ١٤٨٥ متجهاً شطر ميلانو حيث رسم على جدار كنيسة **سيدة النِعم** رائعته **« العشاء السري »** .

ولم يغادر ميلانو الا في عام ١٤٩٩ فانطلق الى البندقية ، ومنها الى فلورنسا حيث صنع عدة تحف اكسبته شهرة عريضة ، منها لوحة **الجيوكنده (موناليزا)** التي نفض يده منها بعد جهد استغرق اربع سنوات .

خدم سيزار بورجيا بصفة مهندس عسكري مع انه كان يعتبر الحرب نوعاً من البربرية . وبين سنة ١٥٠٦ و ١٥١٣ اقام معظم وقته في ميلانو . ثم رحل الى روما حيث عاد يعمل تحت رعاية اسرة مديتشي .

قضى الشهور الثلاثين الاخيرة من حياته في خدمة ملك فرنسا فرنسوى الاول .. وكانت وفاته في ٢ ايار سنة ١٥١٩ .

لم يكن ليوناردو دافنتشي ، ويُعتبر من انبغ ما أنجبه الجنس البشري ، ليتذكر شيئاً ما لم يدوّنه ، فاذا ما فعل ذلك فقد رؤوس الاقلام التي يكون قد دوّنها ...

ويروى عن ليوناردو دافنتشي انه لما شاء أن يرسم صورة **المسيح** في لوحته الشهيرة **العشاء السري او العشاء الاخير** بحث طويلاً عن وجه مليح لرجل تتجلى في ملامحه امارات الطهر والالوهة ، الى أن اهتدى الى رجله المنشود .. ولكنه لما أراد أن يرسم صورة

الخائن يهوذا الاسخريوطي الذي باع معلمه بثلاثين من الفضة وقع في الحيرة نفسها .. كان الوجه الذي يتخيله ليهوذا وجهاً تتجسم فيه شهوات الدنيا وشرور الجحيم . فراح يتردد على الحانات الوضيعة والاماكن القذرة بحثاً عن هذا الوجه ، الى أن وجد ضالته المنشودة . فنقد صاحبه مبلغاً من المال لقاء رسمه . . وكم كانت دهشته عظيمة عندما بادره الشاب بقوله :

– ستعجب، ولا شك ، اذا علمت انك اتخذتني منذ أمد مثالاً لرسم صورة المسيح !

لقد انقلبت سحنة هذا الشاب ، مع الزمن ، لانغماسه في الموبقات ، من صورة إله الى صورة شيطان ! ..

كان فرنسوى الاول ، عاهل فرنسا، شديد الاعجاب بليوناردو دافنتشي الذي لقب بالرجل الكامل .. واتفق ان أصيب دافنتشي ، وهو في زيارة فرنسا ، بمرض ألزمه الفراش فكان فرنسوى الاول يتردد عليه يومياً .

وذات مرة ، وبينما العاهل الفرنسي يهم بمغادرة البلاط لعيادة العبقري الايطالي ، دخل عليه أحد النبلاء فلم يؤخر ذلك الملك عن القيام بزيارته اليومية المعتادة في موعدها . ولما استغرب احد رجال الحاشية تصرف الملك ، وسأله عن سبب تفضيله زيارة دافنتشي على استقبال النبيل ، أجابه :

– بوسعي ان اصنع النبلاء بالعشرات ، ولكن عبقرياً مثل دافنتشي فالله وحده يستطيع صنعه ! ..

مايكل انجلو

MICHELANGELO

يُروى عن هذا الفنان الأشهر انه حين نفض الازميل من تمثاله الرائع « **موسى** » وقف ساعة يسرح النظر فيه حتى صاح به في كثير من الانفعال: « تكلم » .. ولم يتكلم التمثال. كان الفنان قد أدرك أنه بلغ الكمال الفني الأعلى ، ولكنه في تلك اللحظة بالذات قذف التمثال بالمطرقة فكسر انفه .. كسره ليؤمن أن باستطاعته أن يبدع خيراً منه . جرح كماله لئلا يواجه بعد ذلك العقم الرهيب . **إنه انسان دائم الحركة والتطور ، دائم الطموح.**

أبصر **إزميل الله** مايكل أنجلو الرسام ، والنحات ، والمهندس ، والشاعر ، النور في

فلورنسا سنة ١٤٧٥ ، وتتلمذ وهو في الثالثة عشرة من عمره ، على الرغم من معارضة والده الشديدة ، على يد الفنان غيرلنديو الذي علّمه أصول الرسم . وقد بدأ دروسه في النحت فيما بعد تحت رعاية لورنزو دي مديتشي (لورنزو الجميل)،حاكم فلورنسا . وقــد أثّر في حياته أبلغ تأثير شعر دانتي ، ومواعظ سافونا رولا ، الراهب الثائر .

فلما توفي لورنزو سنة ١٤٩٢ ، وحدثت الاضطرابات السياسية ، اضطر إلى الفرار إلى بلدة بولوني (في ايطاليا) ، ثم إلى روما خوفاً من اغتياله . ولم يعد إلى فلورنسا إلا سنة ١٥٠١ حيث عكف على صنع تمثاله الشهير « داود » الذي انهاه في ثلاث سنوات . وفي سنة ١٥٠٥ طلب إليه البابا بيوس الثاني أن يصنع له ضريحاً ضخماً . وتمت الموافقة على خرائط الفنان ، إلا أن التنفيذ تأجل بسبب بعض المؤامرات والارتباطات . ولم ينجز العمل إلا بعد أربعين سنة ، وعلى نطاق مصغّر . وما زال إلى اليوم يقوم عليه تمثالاه الشهيران **موسى والعبيد (أو الأسرى) .**

ومن أشهر أعماله وآيات فنه الرائع نذكر : **قبة كنيسة القديس بطوس في رومـا ، وتمثال العذراء الأم الحزينة ، والنهار والليل في كابيلا مديتشي بفيرنزه ، وسقف كابيلا سيكستينا ، وقد نحت فيه تاريخ الكون كما جاء في التوارة من عهد الخليقة إلى يوم القيامة . وقد أنجز هذا العمل الأخير الجبار سنة ١٥٤١ ، فجاء أكبر لوحة في العالم وأبرز دليل على القوة البشرية الخارقة الطبيعة .**

ومع أنه لم يعتبر نفسه يوماً مهندساً إلا أنه بنى جسراً عبر نهر التيبر وحوّل أحواض ديوكليسيان للسباحة إلى كنيسة مديتشي . وقد بقي يعمل طوال حياته بالنشاط والحدّة اللذين عرف بهما . ولما بلغ الستين من عمره ربطت بينه وبين فيتوريا كولونا صداقة متينة ألهمته الشعر . وبلغ من العمر عتياً (٨٩ سنة) . وعمل في عهد تسعة من البابوات ، وتوفي في ١٨ شباط ١٥٦٤ .

هذا الجبار بين الجبابرة كتب عنه الشعراء ، والمؤرخون ، والنقاد ، والروائيون الكثير . ولا عجب فحياته كانت حياة تُصنع منها الأساطير . ولقــد قال عنه الروائي الفرنسي رومان رولان : « **لم يظهر مثيل لمايكل أنجلو .. فقد ألمّ بالرسم ، والنحت ، والهندسة ، والشعر جميعاً ، ونفخ فيها من نشاطه ، وحيويته ، ومثاليته القوية .. لم يفهمه أحد ، ولكن الجميع قلدوه !** »

تيسيان

TITIAN

ان غنى الألوان والغبطة في الأشياء المادية تصل إلى الذروة في أعمال هذا الفنان الذي تأثر — كما يبدو من لوحاته الأولى — بالرسام البندقي (من فينيسيا) جيورجيوني . ففيها يبدو أنه يعالج بجبن الأشكال الجامدة على نقيض ما يتجلى في لوحاته التالية من حيوية وقوة. وقد كسفت **ضربات ريشته السريعة الفن الفرنسي الحديث** .

أبصر تيزيانو فتشيليو (ويدعى تيسيان) النور في الألب الفينيسية حوالي ١٤٧٧ . درس الرسم على يد الفنان جيوفاني بيلليني في البندقية ، ثم دخل محترف جيورجيوني . وبين سنة ١٥١٤ و ١٥١٩ كان في فيريرا يعمل في بلاط الفونسو ديستي ، زوج الحسناء الساحرة، الداهية ، لوكريس بورجيا . وعاد إلى البندقية ليقيم قليلاً قبل دعوة الأمبراطور شارل الخامس له سنة ١٥٢٩ إلى بلاطه في بولوني . وقد صنع له عدة رسوم ، احدها وهو ممتطٍ صهوة جواده.. فكانت تلك الصورة نموذجاً يحتذى في رسوم الاشخاص على ظهور الجياد. وقد صنع كذلك رسوماً تعتبر دراسات نفسية عميقة كصورة **البابا بولس الثالث** ، **والرجل ذو القفاز** . ومن رسومه الكلاسيكية والرمزية نذكر **الحب المقدس والدنس** . وله من الرسوم الدينية الرائعة **صعود العذراء** ، **والدفن** . وقد توفي في البندقية في ١٧ آب ١٥٧٦ .

رفائيل

RAPHAEL SANTI

غالباً ما تمطر السماء نعمها وثرواتها التي لا تحصى على واحد من البشر ، مختار .. هذه النعم والثروات التي تـوزّع عادة على فترات طويلة من الزمن وعلى أفراد عديدين . وان ذلك ليصدق على **رفائيل سانتي .. أشهر فناني عصر النهضة الأوروبية الذي عُرف باسم الرسام الالهي ..** أبصر النور في مدينة أوربينو يوم الجمعة العظيمة سنة ١٤٨٣ ، وكان والده جيوفاني دو سانتي رساماً متوسطاً ، ولكنه ذكي ، مثقف . لم يشأ أن تعنى بـه مربية ، ولا أن يُرسل إلى أي مكان للدراسة . فتربّى في أحضان أمه ، وأظهره والده على

أصول الرسم ومبادئه منذ نعومة أظفاره . فلما شبّ أيقن الوالد أنه أعجز من أن يلقّنه هذا الفن الرفيع فأوكل امره الى أشهر رسامي العصر بييترو بيروجينو . وقد درس على يديه ردحاً من الزمن وتأثر بأسلوبه ، وقلّده تاماً ، حتى أن الكثيرين لم يكونوا ليفرّقوا بين لوحات الرسامين .

وسمع رفائيل بأعمال الفنانين ليوناردو دافنتشي ومايكل انجلو ، فآل على نفسه أن يدرسها ، فانطلق الى فلورنسا حيث كان لدراسته هذه الاعمال ، مع أعمال الرسام ماساكيو القديمة والراهب فرا بارتولوميو دي سان ماركو ، أبرز الاثر في تقدمه السريع في ميدان الفن . وما لبث رفائيل أن غادر فلورنسا الى روما بناء على دعوة البابا يوليوس لتزيين بعض حجرات القصر البابوي (الفاتيكان) .

وفي روما تعددت أعمال هذا الفنان ، فحفلت حياته القصيرة (٣٧ سنة) بجلائل الأعمال .. فقد كان المهندس المشرف على الفاتيكان ، وكاتدرائية القديس بطرس ، وعدد كبير من الأعمال الانشائية ، والمشرف على الحفريات في منطقة روما بأسرها ، ومنفّذ الكثير من الالتزامات التي كانت تتدفق على محترفه . وقد صمم عدداً من القصور في روما وفلورنسا .

وكان الكاردينال بيبينا ، صديق رفائيل الحميم يحثه، دائماً على الزواج . وكان وسيماً ، ذا حظوة لدى النساء . فكان رفائيل يؤجّل الزواج دون أن يرفض الفكرة نفسها . وأخيراً رضي بأن يقترن بابنة أخي الكاردينال ولكنه أجّل الزواج لسبب شريف ، وجيه . فقد قيل ان البابا ليو العاشر كان يود أن يكافئه على أعماله ويقدّر مواهبه بجعله كاردينالاً ...

وبينما كان رفائيل عائداً ذات ليلة من احدى زياراته السرية وقع فريسة حمى شديدة أخطأ الأطباء في تشخيصها وعالجوه على أساس أنه مصاب بزكام حاد . ففصدوه بينما كان المسكين في حاجة الى كل نقطة دم تقوّي جسمه الذي انهكه بالعمل المضني المتواصل . وعندها كتب وصيته ، تاركاً للفتاة التي كانت ستصبح زوجته مبلغاً من المال تتعيش به ، وقسم املاكه بين تلامذته . **ثم اعترف اعترافه الاخير وأسلم الروح في مثل اليوم الذي ولد فيه .. يوم الجمعة العظيمة سنة ١٥٢٠ ... ولعلّ هذا المعلّم الذي زيّن العالم بمواهبه العديدة يزيّن السماء بروحه الحلوة الطيبة .**

رسم رفائيل لوحة لا يمكن الحصول عليها اليوم بأقل من مليون دولار ، ولكنه باعها في حينه لقاء وجبة طعام لم تكلف إلا ربع دولار .. رسمها في احدى الامسيات الهادئة

عندما أبصر الرسام الشهير أماً تحتضن طفلاً، وقد وقف بجانبها طفلها الآخر . ولما لم يكن لديه اي قطعة قماش أو اي مسند للرسم عمد الى غطاء برميل للخمر . ونقل اليه هذا المشهد الرائع . ويقال انه لما فرغ منه أعطاه الى أحد اصحاب النزل لقاء عشائه .

وتُعتبر هذه اللوحة بين أروع ما أنتجه الفن في مختلف العصور . وتُعرف بلوحة « السيدة الجالسة » ، وهي معلقة في قصر بيّتي في فلورنسا . وقد عرضتها الحكومة الايطالية سنة ١٩٣٩ في معرض نيويورك الدولي على أنها تمثّل أثمن الروائع الفنية ...

تشـيلليـني

BENVENUTO CELLINI

حياة هذا الفنان الايطالي سلسلة متشابكة من الخلافات ، والمؤامرات، والعداوات ، والسجون ، والمصالحات ، والوقائع الغرامية ، تتوّجها جواهر عبقريته الخلاقة. مضى على زواج والده بأمه عشرون سنة قبل أن يرزق به في اول تشرين الثاني ١٥٠٠ . وعلى الرغم من أن والده كان يود أن ينصرف ابنه الى دراسة الموسيقى وعزف الناي ، الا أن الابن لم يظهر أي ميل للموسيقى ، فعمل في محل احد الصاغة بفلورنسا . وما لبث أن اضطر الى الهرب الى سيينا إثر احدى المشاحنات ، حيث راح يتدرب على شؤون الصياغة والحفر على المعادن .

أقام تشيلليني سنة ١٥١٩ في روما ، ودخل في خدمة البابا الذي كان يقدّر مواهبه حق قدرها. وقد صنع له «بروشاً» تحليه ألماسة، وهو يمثّل عرشاً يجلس عليه الله يحيط به الملائكة .

وعادت حياة هذا الفنان تتميز بالعنف عندما أخذ بثأر أخيه فقتل قاتله . واضطر فيما بعد إلى مغادرة روما فراراً من نتائج عراكه مع احد الكتّاب العدل . ولم يعد الى منصبه في ادارة سك النقود حتى اعتلى العرش البابوي البابا الجديد بولس الثالث . الا أن مؤامرات ابنٍ شرعي لهذا البابا اكرهته على الفرار الى فلورنسا ثم الى فينيسيا . ولكن سرعان ماعيد إلى روما . وقد سُجن بعد سنوات بتهمة سرقة مجوهرات من التاج البابوي . ولم تكن الأدلة كافية فبرئت ساحته . وقضى بعض الزمن في بلاط الملك فرنسوى الاول في فرنسا ، ولكن مؤامرات عشيقة الملك قززت نفسه بحيث انسحب الى فلورنسا سنة ١٥٤٥ . وقد توفي فيها سنة ١٥٧١ .

الى جانب اعماله الفنية الرائعة التي أتلف الكثير منها ، وضع تشيلليني ترجمة لحياته بدأها في فلورنسا سنة ١٥٥٨ ، يظهر فيها بمظهر الفنان الدعيّ ، والوغد الجـــذاب . ووضع كذلك رسائل مطوّلة في فن الصياغـة ، والنحت ، والتصميم . وكان تشيلليني شديد الاعجاب بمايكل انجلو .

إل غريكو

EL GRECO

لم يرسم احـــد روح اسبانيا المعذبة افضل مما رسمها ابنهـــا بالتبني إل غريكو (١٥٤١ – ١٦١٤) باشكالها المستطيلة ، ووجوهها الذاهلة .

كان يونانياً ، وُلد في جزيرة كريت ، واسمه الاصلي دومنيكو تيوتوكوبولي . الا انه كان من المدرسة الحديثة في الرسم ، ولا نتوقع ان نجد في لوحاته الهدوء الذي تتميز بـــه رسوم الفنانين اليونانيين القدامى امثال فيدياس وبراكيستيل . وهي أقرب ما تكون إلى رسوم طبقة الرسامين المتصوفين أمثال وبليام بلاديك ، وفنسنت فان غو ، والى طبقـــة المصلحين امثال لويولا اليسوعي .

قليلة هي المعلومات التي وصلتنا عن حياته . ففي سنة ١٥٧٠ كان في البندقية بايطاليا ، حيث درس مع بعض الرسامين امثـــال جاكوبو باسانو وتيسيان . واستقر في طليطلة في اسبانيا حوالي سنة ١٥٧٥ حيث بقي حتى وفاته . ومن اشهر اعماله تلك اللوحـات الدينية الرائعة : **العنصرة ، تتويـج العذراء ، الصلب ، القديس فرنسيس ، الى جانب لوحاته التي ترسم مناظر الطبيعة الخلابة المحيطة بطليطلة .**

روبنس

PETER PAUL RUBENS

بيتر بول روبنس ، رسام من الفلاندر (البلاط الواطئة) تتسم لوحاته بحرارة الرجل السعيد . بدأ بدراسة الفن في سن مبكرة ، وبعد اقامته مدة قصيرة في موطنه رحـل الى ايطاليا حيث عاش ثماني سنوات كان لها اثر بعيد في حياته الفنية . وقد عاد بعدها الى انتويرب

إثر وفاة والدته عام ١٦٠٨ ، حيث تزوج ايزابيلا برانت ، واصبح رساماً للارشيدوقات ، حكام بلاده .

كان روبنس دبلوماسياً الى جانب كونــه فنانـاً ، فكلف في سنة ١٦٢٧ اجراء مفاوضات من اجل عقد سلم بين انكلترا واسبانيا . وكانت الشهور التي قضاها في مدريد من اهم فترات حياته لانه التقى زميله الشهير فيلاسكيز . وخلال اقامته في انكلتره مُنح درجة علمية فخرية من جامعة كيمبريدج ، كما مُنح رتبة فارس .

ولما بلغ الثالثة والخمسين (وكان قد ترمل قبل اربع سنوات) تزوج من فتاة في السادسة عشرة من عمرها هي ايلين فورمان فأنجبت له خمسة اولاد . وكانت نموذجاً رائعاً ، فبدت في عدد غير قليل من لوحاته .

ويبدو ان روبنس خالف القاعدة التي تقول ان العبقرية لا تخلو من شذوذ .. فكان بين الرسامين العظام ، اسلمهم صحة عقل .

ولد روبنس في ٢٩ حزيران سنة ١٥٧٧ وتوفي في انتويرب في ٣٠ ايار ١٦٤٠ ، مخلّفاً نتاجاً فنياً بالغ الروعة نذكر منه اشهره : **لوحـــات عبادة الملوك ، تاريخ ماري دي مديتشي ، محاكمة باريس ، حديقة الحب ، النِعم الثلاث ...**

ڤيـــلاسْكيز

VELASQUEZ

ابصر فيلاسكيز النور في اشبيلية في ٦ حزيران ١٥٩٩ ، وهو يتحدر من عائلة برتغالية ارستقراطية . رغب والده بأن ينهل من العلوم ما يؤهله لاحتراف مهنة شريفة ، وفي رأسها اللغات والفلسفة . غير ان فيلاسكيز لم يعمل بارادة والده ، بل اعتزم ، في سن مبكرة ، ان يصبح رساماً . وكان ماهراً في هذا الفن ، فدخل مرسم هيريرا ، وهو بعـد في الثالثة عشرة من عمره .

وكان هيريرا يتمتع ببعض الشهرة الفنية في جنوبي اسبانيا ، لكنه كان نصف مجنون ، تنتابه سورات غضب لا مبرر لها الامر الذي تعـــذّر معه على فيلاسكيز مواصلة تدرّبه عنده . فغادره الى رسام لطيف المعشر ، رفيع الثقافة ، يدعى باتشيكو ، واقام في منزله خمس سنوات . ولم يشتهر باتشيكو كرسام اشتهاره بذوقه الرفيـــع ، وحسه المرهف ،

وطموحه واخلاصه . وكان له ابنة حسناء ، من اشد المعجبين برفائيل،على خلاف فيلاسكيز الذي لم يكن ليتأثر به او بأي رسام من فلورنسا . وحين كان المعلم يمجد الفن الكلاسيكي كان التلميذ يصوّر الفلاحين الاندلسيين ، ويهيم حباً بابنة استاذه « جوانا » .

فلما بلغ التاسعة عشرة وطبّقت شهرته جنوبي اسبانيا ، وطغت على شهرة زملائه الاسبانيين ، تزوج من جوانا التي جذبته – على حد قول والدها – بفضيلتها ، وجمالها ، وحميد خصالها .

لم يعرف فيلاسكيز الحرمان ، ولم يذق مرارة الفشل كالكثيرين من الرسامين .. ولم يستغرق نضوجه طويل وقت . اذ بدأت حياته وانتهت في بلاط الملك فيليب الرابع الذي سمح له بالسفر الى ايطاليا ، وخصص له مبلغاً من المال يستعين به على سداد نفقاته . وهناك رسم لوحات كثيرة مبتكرة كما نقل بريشته اروع لوحات الرسامين العالميين مايكل انجلو ورفائيل .

وفي سنة ١٦٣١ عاد الى البلاط الملكي الاسباني ، فصنع عدداً كبيراً من الرسوم لافراد العائلة المالكة والبلاط . وفي ذلك العهد الذي يُعرف بمنتصف حياته الفنية وضع لوحتين تاريخيتين شهيرتين هما **استسلام بريدا والصلب** . وقام برحلة ثانية الى ايطاليا كُلف خلالها شراء لوحات لاحدى الاكاديميات الفنية الاسبانية . وعاد الى البلاط الاسباني سنة ١٦٥١ .

وفي سنة ١٦٥٩ مُنح رتبة فارس ، الامر الذي جنّبه مراقبة محاكم التفتيش وسهّل له الاستمرار في عمله الفني. وفي سنة ١٦٦٠ طُلب اليه اقامة الزخارف والزينات لزفاف الاميرة الإسبانية ماريا تيريزا الى لويس الرابع عشر الفرنسي . وفي ٣١ تموز ١٦٦٠ اصابته حمى فقضى نحبه على اثرها في ٦ آب من السنة نفسها .

رامبرانت

REMBRANDT

وُلد رامبرانت في لايدن بهولندا سنة ١٦٠٦ ، من أب طحان . وقد عوّل منذ الصغر على أن يصبح رساماً . درس في لايدن وامستردام ثم أقام في لايدن ابتداءً من ١٦٢٦ . لم يذهب قط الى ايطاليا ، ولكنه كان يجمع عدداً من اللوحات والمحفورات من صنع

رفائيل وسواه من الفنانين الايطاليين . ومن بين رسومه الأولى التي صنعها عندما كان الهولنديون يؤسسون نيو امستردام التي أصبحت فيما بعد نيويورك ، نجد اللوحات ذات المواضيع الدينية ، ورسوم أسرته ، وبعض معارفه . وقد بدأت رسومه تجذب اليه انتباه محبي الفن ومقدّريه في امستردام الذين حثوه على الانتقال الى مدينتهم . وقد كان ، وبقي فيها حتى وفاته .

وفي سنة ١٦٣٤ تزوج ساسكيا فان اويلنبورخ ، وهي حسناء كانت نموذجاً لعدد كبير من رسومه . وقد رُزقا عدداً من الاولاد ، وكانت محور حياته حتى وفاتها سنة ١٦٤٢ . **وقد جمع رامبرانت في تلك الفترة العديد من الأصدقاء ، وقام بالكثير من الاعمال ، وحشد في منزله مجموعة رائعة من الأسلحة ، والملابس ، والكتب ، وروائع الفن بيعت كلها فيما بعد بأبخس الأثمان لتسديد ديونه . ومرت على رامبرانت بعد وفاة زوجته أيام سوداء ، ومالت الأنظار عن روائعه الفنية مع أنه كان في الذروة من حيث الجد والنشاط والانتاج . وتراكمت الديون عليه ، وزاد الطين بلة أنه في سنة ١٦٥٤ رُزق سفاحاً بابن من خادمته هاندريكه ستوفلز . وفي سنة ١٦٥٦ أشهر افلاسه ، وبيع منزله ، فانتقل مع خادمته وابنه تيتوس (من زوجته) الى مكان حقير مظلم في المدينة حيث عاش فقيراً منسياً حتى وافته المنية في ٤ تشرين الاول ١٦٦٩ .**

كان رامبرانت رسام هيئات – إفرادية ومجموعة – ومناظر طبيعية ، وأشياء جامدة . ومن أشهر لوحاته الافرادية **الرجل ذو المنظار المكبّر ، والرجل ذو الخوذة الذهبية ، ولوحة لهاندريكه في متحف المتروبوليتان ، وعدد من اللوحات تمثله ، وتمثل ابنه تيتوس ... وهناك لوحات المجموعات وأبرزها : دروس في التشريح ، الحراسة الليلية ، والعروس اليهودية .** وله عدد من اللوحات ذات المواضيع الاسطورية والدينية تبرز بجلاء ووضوح سيطرته التامة على الاضواء والظلال .

ولعل رامبرانت كان في طليعة الحفارين على المعادن ، ومن تحفه الرائعة في هذا الفن : أشجار ثلاث ، المسيح يبشر ، الصلبان الثلاثة ، المسيح يشفي المرضى ، والمسيح على جبل الزيتون .

ڤــيرمـــير

VERMEER

ليس من الغلو في شيء القول إن الرسام الهولندي جان فيرمير (١٦٣٢ – ١٦٧٥) كان أعظم رسام عرفه العالم من حيث ان مزاياه الفنية كانت أكثر من مزايا أي رسام في أي زمان ومكان، واخطاءه الفنية كانت أقل من اخطاء أي رسام في أي زمان ومكان. ومن هنا كان مقامه في طليعة الرسامين على الرغم من وجود إجبابرة أمثال فيلاسكيز، وروبنس ورامبرانت.

كانت مهارته في رؤية الاشياء وتصويرها كما هي، في حين أن سواه كان ماهراً إما في الرسم وحده، أو في توزيع الألوان فقط. كان ينظر الى الاشياء فينعم النظر، وينقل ما انطبع في بصره وبصيرته بكل أمانة، فجاءت جميع أعماله الفنية تصويراً صادقاً لطبيعة الاشياء، **حتى وُصفت أعماله – على حد قول غوستاف كوربه – بأنها الحقيقة الحقيقة .. ومردّ تصويره المثالي الى تفهّمه المثالي.**

لم يرسم فيرمير اي مشاهد دينية ولكن لوحاته الرائعة تفيض بالطيبة والخير والسلام الداخلي اكثر مما تفيض به أغلبية اللوحات الدينية الصرف. **فالنساء عنده أقل إثارة من قديسات روبنس وعذارى رفائيل.** ولقد انصرف فيرمير الى تصوير الحياة اليومية العادية. ففي لوحاته نشاهد تمجيداً للحياة العائلية الهادئة، والناس الصالحين. وقد ترك لسواه من معاصريه رسم حياة الحانات، أو تصوير الاساطير.

أما حياة فيرمير فقد اكتنفها الغموض، ولسنا نعرف عنها الشيء الكثير اللهم إلا أن أسرته كانت كبيرة العدد، فكان في سعي دائم لتحصيل معاشها .. يقترض المال احياناً، ويبيع روائعه بأبخس الاثمان أحياناً أخرى ثمناً لوجبة طعام، مع أن لوحاته كانت تباع باسعار لا بأس بها في بعض المناسبات.

وقد ظلّ فيرمير طوال قرنين من الزمن مطوياً في غياهب النسيان، تباع لوحاته كما تباع لوحات اي رسام عادي. **ولم يبق اليوم من ثروته الفنية سوى ٣٧ لوحة يقدر الخبير الاميركي دجيمس هنري دوفين ثمنها بخمسة وعشرين مليون دولار ...**

مَـدَام توسُو

Mme. TUSSAUD

مما لا شك فيه ان مدام توسو (١٧٦١ – ١٨٥٠) تعتبر أشهر امرأة في زمانها . فحين كانت النسوة في عصرها مغمورات ، لا شأن لهن ، استطاعت هي بفنها ومهارتها أن تتخطى كل العراقيل ، وأن تصنع لنفسها اسماً مـــا لبث أن أصبح على كل شفة ولسان في مختلف أرجاء العالم .

عاصرت مدام توسو في حياتها أشهر الاحداث الاوروبية .. فلقد شهدت وهي فتـاة سقوط الملكية في فرنسا وولادة الجمهورية وسط حكم الارهـاب ، واستطاعت بحنكتها وروحها التجارية أن تفيد من الثروات التي أحدثتها الثورة الصناعية في انكلترا ، فانشأت لها مقراً دائماً في لنـدن حيث أسست في شارع ماريلبون متحفها ، **متحف الشمع** ، الذي وهبت له حياتها .

ولدت ماري توسو (واسمها الاصلي ماري آن غروشولتز) في ستراسبورغ (وكانت وقتئذ فرنسية). وكان والدها جندياً محترفاً ، هجر الجيش بعد أن أصيب بتشويه فظيع في معارك السنوات السبع . ولكن ذلك لم يمنعه من الزواج من أرملة لهـا سبعة أبناء تدعى ماري ولتر ، وهي من أسرة عريقة . غير أن هذا الزواج لم يعمّر طويلاً إذ توفي جوزف غروشولتز فجأة بعد شهرين من ولادة ابنته التي كُتب لها أن تصبح من شهيرات النساء في التاريخ .

وحملت الام ابنتها الصغيرة الى « برن » حيث تقيم أسرتهـا وشقيقها الدكتور فيليب ناتان كرتيوس الذي كان في أوقات فراغـه يصنع بالشمع تماثيل صغيرة ، لبعض المشاهـير المحليين . وسرعان ما ذاعت شهرته كفنان أكثر منه كطبيب .

وبتشجيع من أصدقائه والمعجبين بـه أقام أول معرض لتماثيله الشمعية في ربيـع سنة ١٧٥٧ في احدى غرف منزله .

واتفق ان زار الامير دي كونتي ، ابن عم الملك لويس الخامس عشر ، سويسرا زيارة غير رسمية بعد ذلك بأربع سنوات . فزار « متحف كرتيوس » وأُعجب به الى درجة أنه دعاه الى باريس لينشىء فيها محترفاً له يتكفل هو بكل نفقاته . وقـــد كان . وانتقل

كرتيوس الى العاصمة الفرنسية حيث أقام محترفه الذي أخذ يتردد عليه كبار الشخصيات السياسية والادبية والفنية .

ومـا هي إلاّ سنة حتى افتتح معرض الشمع الذي ضمّ تماثيل بحجم الاشخاص الممثّلين فيه . وفي سنة ١٧٦٦ استدعى كرتيوس شقيقته الارملة وابنتها ماري لتؤنسا وحدته ، وكانت ماري طفلة جميلة في الخامسة من عمرها ، تقضي الساعات الطوال مراقبةً خالهـا في محترفه وهو منهمك في صنع تماثيله . ولاحظ اهتمامها الشديد بعمله الفني الدقيق ، وأنس منها رغبة فيه ، فصقل مواهبها حتى باتت مساعدته الاولى .

وازدهرت صناعة كرتيوس هذه ، فتبنّى ماري التي ما عتمت ان أصبحت أكثر منه مهارة في صنع تماثيل الشمع . وكان لها من العمر ١٧ سنة عندما كلفت صنع تمثـال لفولتير . وكان ذلك قبل وفاته بثلاثة أشهر . ولا يزال هذا التمثال يحتل مقام الشرف في متحفها الحالي الذي زودته مذ ذاك (١٧٧٨) بمئات التماثيل لشخصيات التاريخ البارزة .

وفي سنة ١٧٧٤ اعتـلى عرش فرنسا الملك لويس السادس عشر وماري انطوانيت ، وكانا من مشجعي الفنون ، فرغبا في زيارة متحف كرتيوس وماري . وشدت الصداقة أواصرها بين ماري ومدام اليزابيت ، اخت الملك ، التي دعتها الى الاقامة معهـــا في قصر فرساي على أن تلقنها أصول الفن وتكون سكرتيرتها ورفيقتها .

وكانت ماري في اوقات فراغها وبعدها عن أميرتها ، تصنع التماثيل لأفراد العـــائلة المالكة وسواهم من الشخصيات . ومن أبرز الشخصيات التي جلست أمامهـا في تلك الفترة بنيامين فرنـكلين (١٧٨٣) وكـان ، وقتئـذ سفيراً للولايات المتحـدة الاميركية في البلاط الفرنسي .

وفي سنة ١٧٨٩ ، وهي سنة الثورة الفرنسية ، طلب كرتيوس من ماري أن تغادر قصر فرساي ، فلبت طلبه مكرهة .

وكان مقتـــل الملك لويس السادس عشر وماري انطوانيت ومدام اليزابيت على المقصلة . وألقت جيوش الثـورة القبض على مـاري وزجتها في السجن ، وحُلق شعر رأسها ، وطلب اليها دافيد ، الفنان الرسمي لمجلس الثورة ، أن تصنع تماثيل للرؤوس الثلاثة المقطوعة ، تحت طائلة التهديد بالموت على المقصلة ... وصنعت رؤوس هؤلاء الثلاثة الذين احبتهم وعايشتهم ردحاً من الزمن في قصر فرساي .. وقد أُفرج عنها سنة ١٧٩٤ ، وحُملت

في الحال الى مقبرة المادلين حيث وجدت بانتظارهـــا رأس روبسبيير ينزف منه الدم . وبسقوط روبسبيير انتهى عهد الارهاب، وعادت الى ماري حريتها .

ومات خالها في هذه الاثناء ، ودُمّر متحفه ونُهب، فعكفت على اصلاحه واضافة تماثيل الشخصيات التي كانت تصنع الاحداث في فرنسا في ذلك الحين .

ووجدت نفسها وحيدة لا رفيق لها ولا انيس ، فتزوجت من أحد معارفها القدامى ، ويدعى فرنسوى توسو (١٧٩٥) ، فرزقا ابنان سمياهما جوزف وفرنسيس .

وكسدت الاعمال سنة ١٨٠٢ بسبب تفشي البطالة ، فاغتنمت مدام توسو الفرصة التي أتاحتها معاهدة اميان للسفر الى انكلترا حاملة معها ٣٦ من أشهر تماثيلها . وبقيت مدام توسو في انكلترا مذ ذاك .. فكانت تنتقل من مكان الى آخر في الجزر البريطانية حاملة تحفها لتعرضها على الجماهير ولتكسب عيشها . وما أكثر الاهوال التي تعرّض لها متحف الشمع المتنقل هذا . فكانت أكثر التماثيل تتحطّم أو تتلف . ولم تقرر البقاء في انكلترا نهائياً إلا بعـــد أن وصلتها سنة ١٨٠٨ الانباء بأن متحفها قد حُجز تسديداً للديون التي تراكمت على زوجها فرنسوى .

ومذ ذاك قطعت كل صلة لها به ، إلا أنها رجت ولديها أن يبرّا بوالدهما بحيث يقضي بقية أيامه في راحة .

وفي سنة ١٨٤٢ قررت اعتزال العمل ، وكان آخر ما صنعته تمثـــالاً لنفسها وهي في الحادية والثمانين من عمرها . وابتاعت منزلاً مقابل متحفها كانت ترقب منه بهدوء واطمئنان سيل الناس المتدفق على **متحف الشمع** لرؤية هذه الاعجوبة الفنية الفريدة في نوعها !

وتوفيت مدام توسو عام ١٨٥٠ إثر مرض لم يمهلها طويلاً . وبقي المتحف في عهدة ابنها فرنسيس الذي سلمه بدوره الى ابنائه الذين أكملوا هذه الرسالة الفنية الرائعة ...

روزا بُونـير

ROSA BONHEUR

لقرن مضى لم يكن العالم ينظر الى المرأة الفنانة نظرة جدية. فتزيين المراوح، وزركشة الاقمشة ، والرسم بالالوان المائية كانت الفنون الوحيدة التي تدخل ضمن نطاق مهارة النساء،

إلا أن امرأة واحدة حطمت هذا التقليد .. هي **روزا بونير (١٨٢٢ - ١٨٩٩) ، الفتاة الباريسية ، الضئيلة الجسم ، الجذابة الملامح .**

كانت روزا في الحادية عشرة من عمرها عندما توفيت والدتها ، تاركة اربعة اولاد هي أكبرهم ، وزوجاً فناناً لا يكاد يكسب قوت اسرته . فاذا بروزا تتدرب على يديّ خياطة لتساعد والدها في اعالة الاسرة . غير أنها كانت قد قررت بينها وبين نفسها أن تكسب معيشتها بالفرشاة بدلاً من الابرة ، وأقنعت والدها بأن يلقّنها ليلاً اصول الرسم .

وفي الحادية والثلاثين من سنيها ادهشت روزا بونير العالم بلوحتها الكبيرة الرائعة سوق **الخيل** التي عرضت في « صالون باريس » سنة ١٨٥٣ . **ويبلغ طولها ١٦،٥ قدماً وعرضها ٨ أقدام ، وقد استغرق صنعها ١٨ شهراً قضتها روزا في التردد على سوق الخيل ليلاً نهاراً متنكرة بلباس الرجال ، مختلطة بالسائسين والتجار والفرسان لتكوّن أصدق فكرة وصورة عما اعتزمت نقله على القماش** ... وقد باعت روزا هذه اللوحة بمبلغ ٤٠ ألف فرنك ، فلما أراد أحد الاثرياء الاميركيين أن يبتاعها ليهديها الى متحف متروبوليتان للفن في نيويورك دفع ثمناً لها ٢٥٠ ألف فرنك (حوالي ٧ أضعاف ثمنها الأول) .

ووقف في صالون باريس يتأمـل هذه التحفة الفنية الرائعة الامبراطور نابوليون الثالث وزوجته اوجيني ، وقد اخذتها الدهشة . وقد طلبت الامبراطورة الى زوجها ان يقوم بسابقة لا مثيل لها ، فيمنح روزا بونير ارفع وسام من اوسمة الاستحقاق — وسام جوقة الشرف . فاقتنع الامبراطور ، ولكن مستشاريه قاوموا الفكرة . الا أنه بعد اثنتي عشرة سنة ، وبينما كان الامبراطور بعيداً عن فرنسا واوجيني تتولى الوصاية على العرش ، ذهبت الامبراطورة ذات يوم تحفّ بها حاشيتها الى محترف روزا لتنعم عليها بالوسام الرفيع قائلة لها وهي تعلّقه على صدرها : **« لقد أسبغتِ على جنسك امتيازاً جديداً ! »**

ولكنه كان ينتظر روزا بونير تقديرٌ أسمى .. ففي سنة ١٨٩٥ سميت ضابطاً في جوقة الشرف ، فكانت أول امرأة تبلغ هذه المرتبة .

أقامت في ضواحي غابـة فونتنبلو حوالي اربعين سنة .. اقامت في مملكة للحيوان أنشأتها ، ضمت مختلف أنواع الحيوانات الاليفة التي كانت تحبها حباً شديداً ، وقد أطلق عليها اسم **ديانا فونتنبلو** . لم تتزوج مع أنه كان لها عدد كبير من المعجبين . وقد قال احدهم إنه يشعر بأنه **أشبه ما يكون بدودة الارض عاشقة النجمة !**

عاشت روزا بونير لفنها ، ولم تكن لتستطيع تلبية كل الطلبات التي كانت تردها من انكلترا واميركا .

وقد قال فيها فكتور هوغو : **إني أضعها كفنانة مبدعة خلاقة في المقام الأول بين النساء !**

شارل فيلو

CHARLES FELU

ولد شارل فيلو البلجيكي (١٨٣٠ – ١٩٠٠) بدون ذراعين ، ومع ذلك فقد اشتهر بأنه من اكثر فناني القرن التاسع عشر موهبة وأشدهم مرحاً وحبوراً . رسم برجله اليمنى عدداً من اللوحات الفنية الرائعة التي كان يوقعها باسم **بيدي بنكسيت** . قامت على رعايته الاسرتان المالكتان في كل من بلجيكا وروسيا ، وكان بين أصدقائه ثلاثة ملوك وامبراطور واحد ، **وكان يفخر بأن رجله صافحت الكثير من الايدي الملكية . ولطالما ردد الملك ليوبولد الثاني البلجيكي في هذا الصدد: «ان هذه المصافحة لتعتبر احر وأسعد مصافحة عرفتها في حياتي ! »**

هويسلر

JAMES ABBOTT Mc NEILL WHISTLER

الرسام الاميركي دجيمس ابوت ماك نيل هويسلر (١٨٣٤ – ١٩٠٣) رافق والده الى روسيا بناء على دعوة لبناء خط سكة حديدية ، فدرس هناك فن الرسم . ولما عاد الى الولايات المتحدة التحق باكاديمية وست بوينت الحربية ولكنه سرعان ما غادرها لرسوبه في الكيمياء . وحاول الالتحاق بالبحرية ففشل ، فعمل رساماً في مصلحة المساحة الخاصة والأراضي . ولكنه لم يُقم طويلاً في هذه الوظيفة اذ غادر اميركا لدراسة الرسم والتصوير في باريس . ومضت اعوام فاذا بهويسلر يشتهر بغرابة اطواره ونزاعاته اكثر منه بأعماله الفنية . واشهر نزاع كان بينه وبين الشاعر البريطاني دجون راسكن الذي أقام عليه هويسلر دعوى قدح وذم وتشهير . وكسب الدعوى فمُنح قطعة نقدية من فئة بنس كان يحملها معه دائماً

كتعويذة . وقد توفي في لندن ...

رسم هويسلر الكثير من اللوحات المائية الرائعة أشهرها **الليالي** . ومن أبرز رسومه رسم امه . إلا أن الكثيرين يعدّون **نقوشه** على النحاس أو المعادن من اروع مـــا انتج ، ويضعونها جنباً الى جنب مع نقوش رامبرانت الذي يعتبر أعظم نقّاش عرفه التاريخ. ومن رائع انتاجه الفني في ميدان تزيين الجدران **غرفة الطاووس** ، ذات اللونين الذهبي والازرق وقد كانت في احد المنازل اللندنية ، فنُقلت فيما بعد الى **غاليري فوير في واشنطن** .

كان هويسلر يقترض المـال يميناً ويساراً ويرهن لوحاته الفنية الرائعة . وكان كلما جاءه مطالب بدين وحمل كرسياً أو سريرا استمهله الفنان ريثما يرسم مكانه صورة له تحلّ محله . فلما جاء وكيل الحجز يوقّع الحجز على بيته طلب هويسلر اليه أن يرتدي لباس الساقي ويقدم اليه والى أصدقائه الشاي ...

سيزان

PAUL CEZANNE

كان هدف بول سيزان ، الرسام الفرنسي ، الجمع بين المدرسة التأثرية في الرسم والفن القديم . وقد كانت لوحاته الأولى تتميز بابراز سمو عواطفه الخاصة اكثر مما تمتاز بالألوان . الا أن اتصاله بالرسام التأثري كاميل بيسارو ساعده كثيراً على الاحساس بعلم الألوان . ومن اعماله الباكرة **بعث العازر والمأدبة** . وقد برع سيزان برسم الاشياء الجامدة ، التي لا حياة فيها ، وأشهرها **الساعة الرخامية السوداء وصحن الفواكه** . كما رسم الشخصيات (**غوستاف دجيفروي والسيدة سيزان**) وعدداً من الرسوم الشخصية ، والمناظر الطبيعية (**طريق القصر الاسود والسد النهري**) ، وعدداً من المناظر تبين جبل سانت فكتوار . ومن روائعه في سنواته الاخيرة لوحة **لاعبو الورق** .

ولد سيزان في إيكس سنة ١٨٣٩ ، وربطت بينه وبين الروائي اميل زولا صداقة منذ عهد الصبا ، وانصرف الاثنان الى الفن . عاشا في باريس ، ولكن سيزان لم يشعر يومـــاً بالراحة في العاصمة الفرنسية ، وكان يعود دائمـاً وباستمرار الى مسقط رأسه . **وظل اسمه مغموراً في باريس حتى لفت الانظار معرض له أقيم سنة ١٩٠٤ ، فكانت تلك المرة**

الاولى يذوق فيها طعم الشهوة وهو حيّ . وقد توفي سنة ١٩٠٦ ، دون أن يدري أنه سيكون له ولأعماله تأثير كبير في الفن الحديث .

رُودَان

AUGUSTE RODIN

ولد هذا النحّات والمثّال الفرنسي في باريس سنة ١٨٤٠ ،وقد ظهرت اولى الدلائل على اصالته وابتكاره في صنيعه الفني سنة ١٨٦٤ عندما فرغ من تمثاله **الرجل ذو الأنف المحطم.** وبين سنة ١٨٧١ و ١٨٧٧ عمل رودان في بروكسل لدى المثّال البلجيكي فان واسبورغ. بدأ تمثاله الضخم القوي **بوابة جهنم** سنة ١٨٨٥ ، وهو من أشهر أعماله ، وقد استوحاه من ملحمة دانتي المعروفة **المهزلة الالهية** .

وفي خلال معرض باريس سنة ١٩٠٠ اقامت العاصمة ، بكثير من التردد ، بناية خارج ابواب مدينة المعرض عرض فيها رودان عدداً كبيراً من تماثيله بينها **فقراء كاليه وبوابة جهنم** . ولرودان عدد من التماثيل والمحفورات ، أو النقوش ، اشهرهـا صورة **لفكتور هوغو وعصر البرونز والقبلة** ، التي عرضت للمرة الأولى سنة ١٨٩٨ ، **ويد الله** التي عرضت في لندن سنة ١٩٠٥ . وقد خلف رودان الرسام الاميركي دجيمس هويسلر سنة ١٩٠٤ في رئاسة الجمعية الدولية للنحاتين والرسامين والنقّاشين . وقد توفي قبل نهاية الحرب العالمية الأولى بسنة واحدة (١٩١٧) معروفاً بعد سنين طويلة من النسيان والحقد الذي قال هو فيه : **مما لا شك فيه أن باريس لو كانت أشبه بايطاليا على زمن آل بورجيا لكان دُس لي السم في الدسم !**

ڤان غُو

VINCENT VAN GOGH

على الرغم من شبح الجنون الذي عاش في ظله الرسام الهولندي فنسنت فان غو (١٨٥٣ — ١٨٩٠) في سني حياته الأخيرة فانه لم يمل يوماً عن عمله الفني ، ولم يتوقف عن الخلق والابداع . والواقع ان تلك المرحلة من حيـاته هي في عرف الكثيرين مرحلته

الذهبية . فقد ظل يرسم حتى آخر نفس من أنفاسه ، مبدعاً الرسوم التي بررت ايمان اخيه تيو به وبمقدرته .. وقد كان أحد القلائل الذين آمنوا به . ومن أشهر لوحاته : **آكلو البطاطا ، ساعي البريد ، سلسلة « الآرليزيين » ، حقول القمح عند غياب الشمس ، نهوض ألعازر من الموت ، وحديقة في آرل ...**

لقي فان غو مشقة وعناء كبيرين في احتراف مهنة من المهن . فقد عمل لحساب بائعي الصور والرسوم ، ودرس اللاهوت ، وعاش بين عمال المناجم في احدى مناطق الفحم الحجري بعد أن تشرّب بمبادىء الشيوعية المسيحية . واخيراً قرّ رأيه على دراسة الفن ، فلحق بأخيه تيو الى باريس سنة ١٨٨٦ ، حيث تعلّم أن يلقي جانباً الألوان الداكنة التي تميزت بها لوحاته السابقة ، ويلجأ الى الألوان الزاهية المشعة . وفي سنة ١٨٨٨ ذهب الى آرل في جنوب فرنسا حيث ما لبث أن وافاه زميله بول غوغان . **وفي احدى نوبات جنونه هدد غوغان بالقتل ، ثم قطع له احدى اذنيه ، وخشي أن يعاوده هذا الجنون الخطر فانتحر باطلاق الرصاص على نفسه .**

لما مات فان غو عن ستة وأربعين عاماً لم يمشِ في جنازته إلا سبعة أشخاص . في حين أن أحد المعارض التي أقيمت في نيويورك للوحاته جمع زهاء مئة وثلاثين ألف متفرج ، عدا الذين اضطرت إدارة المتحف الذي اقيم فيه المعرض المذكور الى رفض دخولهم.

ولم يتجاوز دخله من لوحاته ،طوال حياته ، المئة والخمسين دولاراً،في حين بيعت لوحة واحدة منها بعد وفاته بمبلغ ٨٥ ألف دولار . أما ثمن لوحاته كلها فيقدّر بحوالي عشرة ملايين دولار .

مع الخالدين من الرسامين والنحاتين واشهر اعمالهم

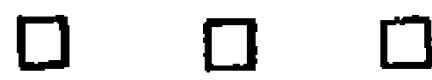
الرسامون

●

هوبرت فان ايك	– (١٣٦٦ – ١٤٢٦) – فلمنكي – عبادة الحمل .
جان فان ايك	– (١٣٩٠ – ١٤٤١) – فلمنكي – العذراء والطفل .
هانس هولباين	– (١٤٩٧ – ١٥٤٣) – الماني – ايرازموس ، توماس كرومويل ، السفراء ، كاثرين هوارد ، السر توماس مور .
فرا انجيليكو	– (١٣٧٨ – ١٤٥٥) – ايطالي – تتويج العذراء ، سلطانة السموات والارض ، عبادة المجوس .
ساندرو بوتيتشيللي	– (١٤٤٧ – ١٥١٠) – ايطالي – مولد فينوس ، العذراء والطفل ، الميلاد .
جيوفاني بيلليني	– (١٤٣٠ – ١٥١٦) – ايطالي – التجلي ، العذراء والقديسون ، آلام المسيح في البستان .
البريخت دورر	– (١٤٧١ – ١٥٢٨) ألماني – القديسان يوحنا وبطرس ، رسم سيدة ، عبادة الثالوث المقدس .
بيتر بروغل	– (١٥٢٥ – ١٥٦٩) – هولندي – الخريف ، الصيف ، الشتاء ، عبادة المجوس ، مأدبة الزفاف ، الطريق الى الخيالة .
جاكوبو تنتوريتو	– (١٥١٨ – ١٥٩٤) – ايطالي – المحاكمة الاخيرة ، الصلب ، زواج باخوس وادريان ، القديس اوغسطينوس الذي يداوي من الطاعون .

جان فرمير	–	(١٦٩١ – ١٧٢٨) – هولندي – السيدة ذات العقد اللؤلؤي ، الصبية وجرة الماء ، امرأة تقرأ رسالة .
فرنسيسكو زرباران	–	(١٥٩٨ – ١٦٦٢) – اسباني – الفرار الى مصر ، المسيح في بستان جسماني ، صورة فتاة .
برتولومي موريلو	–	(١٦١٧ – ١٦٨٧) – اسباني – القديس توما الشاب ، الحبَل بلا دنس ، رأس يسوع .
انطوان فاتو	–	(١٦٨٤ – ١٧٢١) – فرنسي – محاكمة باريس ، الممثلون الهزليون الفرنسيون .
جان باتيست شاردان	–	(١٦٩٩ – ١٧٧٩) – فرنسي – صبي ينفخ الفقاقيع ، زينة الصباح ، بركة ، مربية .
توماس غينزبورو	–	(١٧٢٧ – ١٧٨٨) – انكليزي – الملك جورج الثالث ، ويليام بت ، صموئيل دجونسون ، نزهة الصباح .
دجون سنغلتون كوبلي	–	(١٧٣٧ – ١٨١٥) – اميركي – موت تشيذام ، أسرة كوبلي ، فتى يُنقَذ من كلب البحر .
جاك لوي دافيد	–	(١٧٤٩ – ١٨٢٥) – فرنسي – تتويج نابوليون ، مارا ، مدام ريكامييه .
جوزف تيرنر	–	(١٧٧٥ – ١٨٣١) – انكليزي – معركة النيل ، رصيف ميناء كاليه ، فينيسيا (البندقية) ، الشمس تشرق خلال الضباب ، جسر التنهدات .
دجون كونستابل	–	(١٧٧٦ – ١٧٣٧) – انكليزي – حقل الذرة ، كاتدرائية ساليسبوري .
لويس دو كورنيه	–	(١٨٠٦ – ١٨٥٦) – فرنسي – من المتخصصين في الرسوم التاريخية ، وُلد بدون زراعين ، فكان يرسم برجله .

اوجين دو لاكروى	—	(١٧٩٨ – ١٨٦٣) – فرنسي – الشاعر ملتون يملي ملحمته « الفردوس المفقود » ، كرومويل في قصر وندسور ، عرس يهودي في مراكش .
جان كاميل كورو	—	(١٧٩٦ – ١٨٧٥) – فرنسي – نجمة المساء ، دانتي وفرجيل ، فيلا آفري .
اونوريه دوميه	—	(١٨٠٨ – ١٨٧٩) – فرنسي – العصيان ، المسيح والتلاميذ ، شباك التذاكر في المسرح .
ادوار مانيه	—	(١٨٣٢ – ١٨٨٣) – فرنسي – الصبي والسيف ، عازف الغيتار ، في القارب ، اولمبيا ، الشرفة .
هنري تولوز لوتريك	—	(١٨٦٤ – ١٩٠١) – فرنسي – اوسكار وايلد ، في الطاحونة الحمراء ، في سيرك فرناندو .
ادغار ديغا	—	(١٨٣٤ – ١٩١٧) – فرنسي – الراقصات يرتدين ملابسهن ، التبرّج ، بروفة على الباليه .
البرت رايدر	—	(١٨٤٧ – ١٩١٧) – اميركي – سُحب الليل ، الالاهة ديانا في الصيد ، ميدان سباق الخيل ، نزهة بحرية في ضوء القمر .
دجون سنغر سارجنت	—	(١٨٥٦ – ١٩٢٥) – اميركي – روبرت لويس ستيفنسون ، النعم الثلاث ، صورة السيدة المجهولة .
كلود مونيه	—	(١٨٤٠ – ١٩٢٦) – فرنسي – كاتدرائية نوتردام ، تكسّر الثلج ، جسر واترلو ، زنابق الماء ، شجر الحور .
ماري كاسات	—	(١٨٤٥ – ١٩٢٦) – اميركية – في الاوبرا ، أم وطفل ، فتاة في العاشرة .



النحاتون



فيدياس — (القرن الخامس قبل الميلاد) — يوناني — اتينا لمينـــا ، الاله زفس.

ميرون — (القرن الخامس قبل الميلاد) — يوناني — رامي الصحن ، لاداس العدّاء ، اتينا ومارسياس .

سكوباس — (القرن الرابع قبل الميلاد) — يوناني — الإله مارس ، كاهنات الاله باخوس .

براكسيتيلس — (٣٧٠ — ٣٤٠ ق . م .) — يوناني — هرمس مع الطفل ، ديونيسيوس ، افروديت ، ايروس ، ابولون .

لورنزو غيبرتي — (١٣٧٨ — ١٤٥٥) — ايطالي — أبواب المعمودية ، أبواب الفردوس .

دوناتيلو — (١٣٨٦ — ١٤٦٦) — ايطـــالي — داود ، القديس جاورجيوس .

أندريا دل فيروكيو — (١٤٣٥ — ١٤٨٨) — ايطالي — قطع رأس يوحنا المعمدان ، تكذيب القديس توما .

جون غوجون — (١٥١٥ — ١٥٦٦) — فرنسي — ينبوع الأبرياء .

فيلهلم لمبروك — (١٨٨١ — ١٩١٩) — ألماني — امرأة راكعة .

غاستون لاشيز	– (١٨٢٢ – ١٩٣٥) – فرنسي – امرأة .
لورادو تافت	– (١٨٦٠ – ١٩٣٦) – اميركي – مجموعة البحيرات الكبرى ، الصقر الاسود ، ينبوع الزمن .
فريدريك ماك مونيز	– (١٨٦٣ – ١٩٣٧) – اميركي – ناثان هيل ، شكسبير ، كاهنات الاله باخوس .
جورج غراي بارنارد	– (١٨٦٣ – ١٩٣٨) – اميركي – الطبيعتان ، الاله بان الكبير ، القاطع .
غتزون بورغلام	– (١٨٦٧ – ١٩٤١) – اميركي – لنكولن .
اريستيد مايو	– (١٨٦١ – ١٩٤٤) – فرنسي – امرأة جالسة ، فلورا ، فينوس .



مع الخالدين من الشعراء

هوميروس	صافو	فرجيل	دانتي	تشوسر	
ملتون	بوب	غوته	شيللر	بيرنز	
اللورد بايرون	شيلي	كيتس	هاينه		
ميكييفتش	بوشكين	اليزابيث باريت براوننغ			
لونغفيلو	هويتيار	تنيسون	روبرت براوننغ		
هويتمان	بودلير	طاغور	دانزيو	كبلنغ	

هوميروس

HOMER

ان ما نعرفه عن هوميروس ، **شاعر الملاحم الاغريقية** ، وصاحب الشهرة الادبية العالمية ، قليل جداً بالنسبة الى صيته الادبي الذائع . حتى اننا لا نعرف بالتأكيد هل كان هوميروس رجلاً فرداً او مجموعة من الرجال . والروايات العديدة عنه تقليدية ولكنها غير موثوق بها . **وهي تصفه بأنه كان ضريراً ، فقيراً معدماً ، ومتقدماً في السن ، يتسكع من مدينة الى اخرى .**

وتختلف الروايات حول تاريخ ولادته ، ويتراوح هذا التاريخ بين سنة ٦٨٥ الى ١١٩١ قبل الميلاد . وكثيرة هي المدن اليونانية التي تدّعي انها مسقط رأسه ، غير انها كلها تفتقر الى الدليل الحسي الذي يثبت ما تذهب اليه . وعلى اي حال فالذي لا يرقى اليه الشك ان القصائد الهوميرية كان لها ابلغ الاثر في الثقافة والادب والتربية الاغريقية . فقد كان يُنظر اليها على أنها اساس للاخلاق ، ومعين للعلم والمعرفة ، وكتاب للبلاغة ، ومقياس للنقد الادبي .

ان اروع ما خطه يراع هوميروس ملحمتاه **الاوذيسة والالياذة** اللتان تحتلان مقاماً مرموقاً في الآداب العالمية . انها عبارة عن مغامرات شيقة سُبكت في قالب قصصي ، تعطي فكرة واضحة عن اخلاق ومذاهب سكان اليونان في عهده مع العلم انها لا تلقي اي ضوء على حياة هوميروس نفسه .

أما الالياذة فتروي قصة الاسابيع القليلة التي جرى فيها حصار طروادة على أيدي الاغريق ، وتاريخ سنوات الحرب التسع .

وأما الأوذيسة فتسرد مغامرات البطل يوليس ، أحد المحاربين الاغريق ، خلال السنوات العشر التي هام فيها على وجهه بعد أن غادر طروادة قاصداً منزله في اليونان . وتختتم قصة حصار طروادة وسقوط المدينة في أيدي المحتلين بواسطة حصان طروادة الخشبي المعروف الذي يُعتبر من أشهر الخدع الحربية في التاريخ .

صافو

SAPPHO

لم يعش نتاج شاعرة الاغريق الكبرى صافو حتى مطلع هذا القرن الا في ما اقتبسه من شعرها قدامى الادباء والمؤلفين . الا انه اكتُشف في الخمسين سنة الماضية بعض المخطوطات

من البابيروس (ورق البردي) والرق تضم القصائد التي وضعتها صافو ، وكلها تدور حول الحب وجمال الطبيعة. **وتتميز شاعرية صافو بالانسجام التام بين العاطفة الجياشة وسهولة الاسلوب .**

وعلى الرغم من شهرتها الذائعة قليلة هي التفاصيل التي نعرفها عن حياتها . ابصرت النور حوالي سنة ٦٠٠ قبل الميلاد في ميتيلين من اعمال لسبوس ، في اسرة ارستقراطية على ما يرجح . وأُبعدت عن مسقط رأسها في جملة من أُبعد من الارستقراطيين عقب حدوث ثورة ديمقراطية . ويقال انها ذهبت الى جزيرة صقلية حيث راحت تدرّس فنها في مدرسة للعذارى كانت تكنّ لهن حباً شديداً. **وكانت تنظم قصيدة في كل عذراء تغادر المدرسة لتتزوج. ولا يُعرف شيء عن موتها ... فالاسطورة تقول انها ألقت بنفسها من صخرة لوكيديا للتخلص من حياتها بسبب حبها الفاشل للبحار فايون . ولكن ليس ثمة شيء ثابت في هذا الصدد ...**

ڤرجيل

VIRGIL

اثناء مرضه الاخير طلب الشاعر الروماني فرجيل (٧٠ – ١٩ ق.م.) **واسمه الكامل بوبليوس فرجيليوس مارو** – رؤية مخطوطة **الاينييد** التي كان قد أتم نظمها ولكن لم يستطع تنقيحها وهو على فراش الموت ، بغية احراقها لأنه خشي ان تأتي أقل كمالاً من سائر اعماله الادبية . ولم تنجُ هذه الملحمة التاريخية الا بأمر من الامبراطور اغسطس . فحُفظت هذه الرائعة الشعرية التي تعتبر أفضل ما خلّفه فرجيل ، وترفعه الى مصاف اعظم الشعراء في مختلف العصور . **انها ملحمة تدور حول الحياة القومية والشخصية الانسانية. ملحمة تمجد روما والامبراطور .**

وفرجيل ابن احد الملاكين في مانتوى ، درس الصرف ،والنحو ،والبلاغة ،والفلسفة في مسقط رأسه ، ثم اوفد الى ميلانو لمتابعة دراسته . ومن هناك ذهب الى روما حيث كان لاستاذه **الفيلسوف سيرو الابيقوري** اكبر تأثير عليه . والى جانب دراسته الادب، انهمك فرجيل في دراسة الرياضيات ، والفلسفة ، والطب . ولا نعرف الكثير عن حياة هذا

الشاعر الذي يرجح أنه عاد من روما الى مانتوى لادارة املاك والده قبل أن يستولي عليها المحاربون القدماء الرومان على عهد الحكومات الثلاثية. وقد توفي خلال رحلة له الى اثينا.
(في ملحمة « المهزلة الالهيـــة » جعل الشاعر الايطالي دانتي زميله فرجيل شخصية رئيسية من شخصياتها.)

دَانْـــتي

DANTE ALIGHIERI

على الرغم من أن دانتي أليغييري سبق عصر النهضة كما تؤرخ أحياناً، الا أنه كان بشيراً لهذا العصر الذهبي الأدبي. تفتحت عينا اكبر شاعر ايطالي للنور في فلورنسا في ايار ١٢٦٥. ولسنا نعرف عن عهد صباه اكثر من أنه التقى، وهو في التاسعة بالفتاة بياتريس التي احبها، فكانت وحيه وإلهامه طوال حياته. كان ذكياً، شغوفاً بالدرس والمطالعة، عقد العزم منذ نعومة أظفاره على اغتراف علوم عصره. ويبدو أنه اتقن فن الموسيقى، واشترك فعلياً في الشؤون العامة.

وما أن نشر ديوانه القيّم الاول **الحياة الجديدة** حتى أصبح في طليعة شعراء فلورنسا. وفي هذه المختارات من شعره الغزلي الغنائي في صباه ومستهل شبابه يروي دانتي قصة يقظته الروحية من خلال حبه لبياتريس. واتبع ذلك بقصائد رسخت أقدامه كأديب مرموق، إلاَّ أنه لم يتبوأ المقام الرفيع الذي يتبوأه حتى اليومّ الا بعـــد ظهور رائعته **المهزلة الالهية، التي تفرّد فيها بالاساوب الشعري والاوزان التي اوجدهـــا، والتي لم ينجح في النسج على منوالها اي من الذين عاصروه او جاؤوا بعده. الحكاية فيها أقل أهمية من فلسفتها.. ففيها أوجز الشاعر حكمة عصره، وكل نواحي مسيحية القرون الوسطى.**

وكان لدانتي نصيب رئيسي في حياة عصره السياسية. فقد أصبح عضواً في حكومـــة فلورنسا وهو في الثلاثين. وكانت الخصومة السياسية على اشدها بين حزب دانتي وخصومه، وسرعان ما انقلبت سنة ١٣٠١ الى عداء سافر انتهى بنفي دانتي وآخرين من حزبه مـــدة اربع عشرة سنة خارج البلاد. ولم يُسمح لهم بالعودة الا بعد أن يعلنوا على الملأ ندمهم على اعمالهم، فرفض دانتي الاذعان ومضى في تجواله خارج بلاده، فريسة للفقر والألم. وقد لجأ اخيراً الى رافينا حيث توفي في ١٤ تموز ١٣٢١.

تشـُوسـُر

GEOFFREY CHAUCER

كان دجيفري تشوسر ، **ابو الشعر الانكليزي** ، رجل أعمال ، وشاعراً في آن واحد . أبصر النور في لنـدن حوالي سنة ١٣٤٠ من أب يتعاطى صناعة الخمور . اشترك في الحرب ضد فرنسا وهو في العشرين من عمره ، وأُخذ أسيراً . فافتداه الملك ادوارد الثالث، ويقال أنه عُني بتعليمه وتأهيبه للوظائف الحكومية . وبفضل زواجه في سنة ١٣٦٧ أصبح من أنسباء أحـد أبناء الملك ، دجون اوف غونت ، الذي حظي برضاه السنوات الطوال . ولمناسبة وفاة زوجة دجون سنة ١٣٦٩ أصدر تشوسر ، في تكريمها ، « كتاب الدوقة » .

قـام تشوسر في المرحلة التي تمتد بين الثلاثين والأربعين من سنه بعدد من الرحلات الى الخارج موفدا في مهمات دبلوماسية . وقـد التقى في احدى رحلاته بالشاعر الايطالي الشهير بترارك ، وكانت تلك المرحلة من حياته من أكثر المراحل ازدهاراً . فقد كان يتناول مخصصات طائلة من الاسرة المالكة الى جانب مرتبه الضخم . وارتقى العرش رتشارد الثاني فثبتت رواتبه وتعويضاته ، وتدرّج في المناصب اللائقة . ولكن الدهر مـا لبث أن قلب له ظهر المجنّ ، ولم يبتسم له الحظ إلا بعودة دجون اوف غونت من اسبانيا سنة ١٣٨٩ . ولكنه لم يعد الى سابق عهده من الازدهار . وقد توفي سنة ١٤٠٠ ، ودفن في كاتدرائية وستمنستر ، فكان ضريحه نواة للركن الذي أصبح فيما بعـد « **ركن الشعراء** » .

فُقـد بعض مؤلفات تشوسر أو أتلف ، وبين مـا تبقّى **ترويلوس وكريسيدا** ، **واسطورة النساء الصالحات** ، وأشهر مؤلفاته على الاطلاق « **حكايات كانتربري** » **وهي اروع صورة للحياة في عصره ، فيها الكثير من التفهم للطبيعة البشرية** .

ملتـُون

JOHN MILTON

يحتل هذا الشاعر المقام الثاني في الأدب الانكليزي .. فالمقـام الأول يتربع فيه

شكسبير غير منازع . أبصر النور في لندن سنة ١٦٠٨ ، وكان شكسبير قد نفض يده من مسرحيته « انطوني وكليوباتره » ، والسر والتر رالي يعمل في « تاريخ العالم » . درس في مدرسة القديس بولس وفي كليــــة يسوع في كيمبريدج . قرأ في سن مبكرة الروائع الكلاسيكية كافة في الادبين الانكليزي والايطالي ، وقد ظهرت له قصيدتان بعد انتهاء دراسته تُعتبران من روائع شعره القصير وهما **قناع كوموس وليسيداس** ، وهـــذه الاخيرة مرثاة لزميل له في الدراسة .

وفي سنة ١٦٣٩ التقى بغاليليو في ايطاليا ، وفي اثناء تجواله في القارة الاوروبية بلغته أنباء ثورة الشعب الانكليزي على الملك شارل الأول ، فقفل عائداً الى انكلترا . وفي السنوات العشرين التي تلت وتميزت بالحرب الاهلية الضارية ، وقف ملتون كل موهبته على كتابة النشرات الدينية ، والاجتماعية ، والسياسية ، وأشهرها **خطاب من أجـــل حرية الطباعة غير المرخص بها** .

وعُيّن سكرتيراً للغات الاجنبية في مجلس الدولة في حكومة اوليفر كرومويل ، فوضع عدداً من الكتب للتوزيع في الخارج يدافع فيها عن الكومونويلث الانكليزي . وأصيب بالعمى سنة ١٦٥٢ ، فاضطر الى التخلي عن منصبه الرسمي ، ولكنه استمر في كتابة رسائله السياسية حتى سنة ١٦٦٠ عندما عاد فتسلّم الحكم الملك شارل الثاني وأكره زعماء الكومونويلث على النجاة بأرواحهم . **وأُحرق الكثير من مؤلفات ملتون وصدر الامر باعتقاله** . فخبأه بعض أصدقائه حتى هـــدأت الخواطر ضده . وفي عزلته التي تلت دخل مرحلة جديدة من حياته وضع خلالهـا **الفردوس المفقود ، والفردوس المستعاد ، وشمشون اغونستس** .

لم يكن ملتون ، نبي التجدد الاجتماعي ، ومبدع أروع وأنبل المقـاطع في الأدب الانكليزي ، سعيداً في حياته الخاصة. تزوج ثلاث مرات ولم يسعد مع أي من زوجاته .. فالاولى كانت امرأة سطحية لم تفهمه ، والثانية التي لم يرها قط يبدو أنها كانت تحبه إلا أنها توفيت بعد ١٥ شهراً من زواجها . أما الثالثة فكانت أصغر منه بثلاثين سنة ، وقد عنيت به في أواخر حياته ، سوى أنها لم تكن على المستوى الذي كان يتطلبه . وقـد أهملته بناته الثلاث من زواجه الأول في فترة عماه الأخيرة . كن يقرأن له بصوت عالٍ مـــا يريده ولكنهن يتذمرن دائماً من هذا العمل . وكانت وفاته في ٨ تشرين الثاني ١٦٧٤ .

پـوپ

ALEXANDER POPE

الكسندر بوب من ادباء انكلترا وفلاسفتها المرموقين في القرن الثامن عشر . **كانت له في عصره السيادة الأدبية . كتب نثرا وشعراً ، فأجاد في اللونين الادبيين . الا ان الكثيرين من نقاده تساءلوا ، وما يزالون الى يومنا هذا يتساءلون ، هل كان بوب شاعراً حقاً** . والى اليوم لم يصلوا الى الحل المنشود ، ولم يقولوا الكلمة الفصل في هذا الموضوع . ولكن ما الفائدة من حل هذه المشكلة ؟ فاذا لم يكن بوب شاعراً حقاً فانه بلا ريب اديب كبير تخوّله كتاباته النثرية احتلال ارفع مقام في دنيا الادب الانكليزي .

أحب بوب اللغات القديمة منذ نعومة اظفاره واظهر ميلًا شديداً الى درسها والتعمق فيها . وكان له ما اراد ، فقد تتلمذ لراهب كاثوليكي أظهره على كنوز الاغريق واللاتين الادبية فاتقن لغتي اثينا وروما القديمتين .

وفي الثانية عشرة من سنه نظم قصيدة بعنوان « نشيد العزلة » أهداها الى الشاعر دجون درايدن . ولم يكد يشرف على الحادية والعشرين حتى وضع مذهبه في النقد ، وهو شعر يذكّر بقطعة بوالو الفرنسي في الفن الشعري .

ونقل شعراً اوذيسة هوميروس الى الانكليزية ، فاكسبته شهرة فوق شهرته . وتُعد ترجمته لرائعة الشاعر الاغريقي من طرف الشعر الانكليزي الخالدة . **وصوّر بوب نفسه وهو على فراش الموت في حالة النزع الاخير بهذه الكلمات : « ليس ثمة شيء يستحق الذكر في هذه الحياة الدنيا كالصداقة والفضيلة . فالصداقة هي جزء لا يتجزأ من الفضيلة نفسها . » فقد كانت الفضائل الانسانية جميعاً مجسّدة في هذا الاديب الانكليزي، يعترف له بذلك خصومه قبل مؤيديه ومحبيه ، وقادري فنه .**

كان بوب يميل في كتابته الى الجد والصراحة والصدق ، وابراز الحقيقة المجردة . أما اسلوبه الكتابي فكان فاتراً ، بل بارداً بعض الشيء ، يمتاز بتنميق العبارات ، والتزويق ، والصناعة اللفظية .

كان ذكياً ، وذا ذوق ادبي رفيع .. **ولم يكن شاعر الطبيعة بقدر ما كان شاعر الفن ، وشاعر الشخصية .**

وشاعر الشخصية والحياة المصقولة ، يؤثر فيه زي العصر ، بل زي الساعة ، اكثر مما يؤثر فيه قانون الطبيعة الصارم الذي لا يتبدّل ، ويفضّل ما هو اصطناعي من الاشياء الخارجية على ما هو طبيعي .

ومما لاشك فيه أن تفوّق بوب الشعري كان في تصغير الاشياء بدل تكبيرها وتعظيمها ، في الصدّ بدل الحض والتشجيع على الاندفاع ، في التقطيب لأدنى تفريط في العواطف واظهار الشعور بدل غض النظر عنها .

بيد ان مؤلفات بوب الأديب لم تخلُ من هفوات متعددة في الصرف والنحو والاسلوب. **قال الناقد الانكليزي هازليت في معرض كلامه على اسلوب بوب الانشائي انه أسلوب أعوج في بعض المواضع ، وبعيد كل البعد عن الكمال من حيث التركيب الصرفي والنحوي .**

غُوتِه

JOHANN WOLFGANG VON GOETHE

ليس غوته أعظم شعراء المانيا ، إنما هو شخصية عالمية فذّة ، أمضى طفولته في فرانكفورت حيث أبصر النور في ٢٨ آب ١٧٤٩ . التحق بجامعة لايبزيغ وهو في السادسة عشرة من سنيه ، فأصدر في هذه المرحلة المبكرة من عمره ديواني شعر غزليين ألهمته أياهما علاقة غرامية . وقد درس في لايبزيغ الرسم ،وخلال فترة نقاهته من أحد الأمراض الخطرة اهتم كثيرا بالفلسفة والكيمياء واللاهوت . ومن ثم درس الحقوق في ستراسبورغ والهندسة القوطية سنة ١٧٧١ .

وتعرّف بالكاتب يوهان فون هيردر ، الجرماني المتحمس ، فأصبحا صديقين حميمين ، وكان لهيردر تأثير عميق في غوته .

وفي هذه المرحلة من حياته أحب ابنة أحد الكهنة ولكن علاقتها الغرامية لم تدم طويلاً . **وقد ألهمته هذه الفتاة شخصية مرغريت في رائعته الأدبية « فاوست » التي صدر الجزء الأول منها سنة ١٧٩٨ ، فاذا هي « مأساة فلسفية دينية اختصر فيها حياته العقلية ، وأهواءه ، وتأملاته ، ونضاله الداخلي . » ولم يُصدر القسمين الثاني**

والثالث من «فاوست» إلا في أواخر حياته التي انتهت في ٢٢ آذار ١٨٣٢ في بلدة فايمار ..

في سنة ١٧٧٤ اصدر روايته **آلام فرتر**، وهي تصوير لبعض احوال شبابه، وخلاصة لميول عصره، ومستهل عهد أدبي جديد .. وُصفت بأنها أشهر قصة حب فاشل جريح. وقد اعترف نابوليون لغوته بأنه قرأها سبع مرات متوالية ...

هجر المحاماة واعتكف في فايمار مساهماً في نهضة المانيا الادبية، فأصدر مأساته **الكونت ديغمون**، واتبعها سنة ١٧٧٧ بروايته **فيلهلم مايستر**، ورحل إلى ايطاليا سنة ١٧٨٦ وعاد منها بعد أربع سنوات.

أحب غوته ثلاث مرّات: في بلدة فتسلار حيث مارس المحاماة، وعلى ضفاف نهر الراين، وفي فرانكفورت حيث أحب إحدى سيدات المجتمع وخطبها فترة من الزمن.

ودعي إلى بلاط دوق فايمار حيث أصبح وزير دولة (١٨١٥)، فأدار مسرح البلاط الخاص، وأبدى اهتماماً جماً بالزراعة والمناجم. وفي البلاط أحب زوجة أحد الموظفين فترة من الزمن. ثم اتخذ له عشيقة فتاة صبية تدعى كريستيان فولبيوس، ورُزق منها ولداً، وقد جعل زواجه منها، فيما بعد، شرعياً.

وفي سنة ١٧٩٤ تعرّف إلى الشاعر شيللر وأصبحا صديقين حميمين أثّر أحدهما في الآخر أفضل تأثير. وبتشجيع من شيللر وضع ملحمته الشهيرة **هومان ودوروتيا**. **ثم نشر عدداً من قصائده الغنائية ومنها «ملك تولي» و «رقص الأموات» و «هدوء البحر»**. وقد كانت هذه القصائد وسواها حافزاً للتأليف الغنائي في المانيا. **قابل نابليون سنة ١٨٠٨ في ارفورت وتحدثا طويلاً عن «فرتر»، وفي النهاية قال له الأمبراطور تلك العبارة المأثورة: «أنت رجل، يا سيد غوته». ومنحه صليب جوقة الشرف.**

ولغوته أقوال مأثورة هي أبلغ دليل على تكامل شخصيته، منها: «كيف يستطيع الانسان أن يعرف نفسه؟ انه لن يعرفها بالتفكير، بل بالعمل. فحاول أن تؤدي واجبك وستعلم من فورك قدر نفسك.»

و «خطأ فاحش من المرء أن يعلو بنفسه عن قدرها، أو أن ينزل بها عما هي به جديرة.»

و «ليست التقوى غاية في ذاتها، لكنها وسيلة .. وسيلة يبلغ بها المرء ذروة الثقافة إذ يهيىء أخلص ما يستطيع لها من سكون ...»

شيللر

JOHANN VON SCHILLER

شاعر الحرية ، و« بطل الأدب الالماني » ـ على حد تعبير الكاتب توماس مان ـ والكاتب المسرحي يوهان كريتسوف فردريك فون شيللر ، أبصر النور سنة ١٧٥٩ ، وكان أبوه ضابطاً في جيش فرتمبرغ الأمر الذي أتاح له الدراسة المجانية في اكاديمية دوق فرتمبرغ .غير ان هذه الميزة حتمت عليه واجبات وفروضاً كثيرة اذ كان ميالاً الى دراسة اللاهوت ، فألزم بدراسة القانون ثم الطب، فضلاً عن خدمته الدوق بعد الانتهاء من الدراسة .

وفي سنة ١٧٨٠ انخرط شيللر في الجيش، وبعد سنة وضع اولى مسرحياته **قطاع الطرق** فجاءت ثورة على أوضاع المجتمع . وحرص على مشاهدة الحفلة الأولى لعرض مسرحيته فذهب الى مانهايم دون اذن مسبق ، فكلفه خروجه على النظام اسبوعيّ سجن .

ولم يكن شيللر ليطيق نظام الجندية الصارم ، وكان رفاقه في الجيش يعيّرونه بطول قامته وبزته العسكرية التي لم تكن تناسبها ويطلقون عليه لقب « البجعة » . وقد زاده تبرماً بحياته العسكرية الصارمة أنه حُرم في طفولته من الحرية، فلا يسعه ان يحرم منها في شبابه .. فقد حرّم عليه الدوق الاشتغال بالأدب .

وفي ذات يوم فرّ شيللر من الجندية ، فقاسى خلال العامين التاليين مرارة البؤس والشقاء والوحدة . ومع ان الجوع والبرد أثرا أسوأ أثر في صحته الا أنه ثابر على الكتابة ووضع مسرحيته الثانية **المكيدة والحب** ، وهي ثورة على الطغيان كسابقتها ...

وذاعت شهرة هذا الكاتب والشاعر الشاب الذي كرّس حياته مدافعاً عن الحرية وحقوق الانسان .

وأقام في فايمار ، مسقط رأس غوته ، وعُقدت أواصر الصداقة بين الاديبين حتى عُرفت بانها كانت أشهر صداقة بين الأدباء وأثمرها . فكان لأفكار شيللر الثائرة بعض التأثير على غوته ، في حين ساهمت كلاسيكية غوته في طبع أسلوب شيللر بطابع أوضح وأدقّ .

وكانت الثورة الفرنسية ، فإذا بشيللر يصبح أثير الجماهير ، واذا بحكومة الجمهورية الفرنسية تمنحه سنة ١٧٩٣ لقب مواطن شرف فرنسي تكريماً له واعترافاً بأنه **شاعر الحرية العظيم** .

بيد أن شيللر لم يكن قد انتج بعد روائعه الخالدة التي تعتبر في طليعتها **ثلاثية فالنشتاين** ، وهي لوحة رائعة لحرب السنوات الثلاثين ، **ووليام تل** ، وهي قصة ذلك الانسان الحر الذي لم يحن هامته قط امام أي قوة غير مشروعة .

ولم يعمّر شيللر الا ستة وأربعين عاماً ، اذ ساءت صحته ووهنت قواه ، فكانت وفاته سنة ١٨٠٥ .

ولمناسبة مرور مئة وخمسين عاماً على وفاته احتفلت ألمانيا بأسرها بتخليد ذكراه ، وأعادت بناء منزله الذي دمّرته قنابل الحرب العالمية الاخيرة ، فغدا متحفاً يقصده المعجبون بشاعر الحرية ...

وهناك حكاية عن الشاعر يرويها اصدقاؤه عنه وهي انه ما كان يستطيع الكتابة الا اذا وضع قدميه على لوح ثلج واستنشق رائحة تفاحة عفنة .

بيرنز

ROBERT BURNS

وُلد الشاعر الشعبي روبرت بيرنز في اسكتلندا في ٢٥ كانون الثاني ١٧٥٧ ، وكان له من العمر سبع عشرة سنة عندما نظم قصيدته الاولى . كانت اسرته فقيرة معدمة ، فعمل حارثاً في احدى المزارع ليكسب قوته . وكان شديد الولع بالخمرة ، والنساء ، والغناء . وقد تزوج احدى حبيباته ، دجين آرمر ، التي اصبحت زوجته فيما بعد . وكان يحب فتاة اخرى تدعى ماري كامبل توفيت بالحمى ، فالهمته قصيدته الرائعة **الى ماري ، في السماء** .

وفي سنة ١٧٨٦ نشر ، وهو معدم محطم ، ديوان شعر ليجمع مبلغاً من المال يؤمّن له السفر الى جزيرة جامايكا حيث كان سيعمل في احدى المكتبات العامة . ولكن رواج ديوانه فتح له باب المفاوضات من اجل نشر ديوان آخر ، فنزع من رأسه فكرة السفر ، وبقي في اسكتلندا .. واقام في ادنبره حيث عاش عيشة بوهيمية .

ولم تكن ايامه الاخيرة سعيدة . فقد ملّ وظيفة الجباية التي كان قد تسلّمها عقب زواجه ، واكسبه عطفه الصريح على الثورة الفرنسية عداء الحكومة .

كثيرة هي روائع بيرنز الشعرية ، وكلها تفيض بالاخلاص العميق للشؤون اليومية التي يمارسها الرجل العادي ، ويشعر بها ، ويفكر فيها ...

بـايرُون

LORD GEORGE GORDON BYRON

شاعر القوة ، والعاطفة ، والظرف .. جورج غوردون المعروف باسم اللورد بايرون ، هو في طليعة شعراء القرن التاسع عشر الذين تحوّلوا من الكلاسيكية الى الاشكال الحديثة التي تتميز بالتعبير الحرّ ، وبروز الشخصية الفردية ، والتأثر الشديد العميق بجمال الطبيعة .

أبصر النور في لندن سنة ١٧٨٨ ، وعاش مع أمه لانفصال والديه أحدهما عن الآخر . وكان وسيماً ، ثاقب النظر ، رخيم الصوت . درس في دلوتش ، وهارو ، وكلية ترينيتي . وورث لقب لورد عن عمه لابيه وهو في العاشرة من عمره .

نشر سنة ١٨٠٧ ديوانه الأول **ساعات الفراغ** فاستقبله النقّاد بفتور أقرب ما يكون الى العداوة . فكان رده الساخر على الذين هاجموا ديوانه قصيدة تهكمية بعنوان **شعراء بريطانيون ومراجعون اسكتلنديون** ، ثبتت مكانته الأدبية . وبعد رحلة قام بها الى القارة الاوروبية عاد حاملاً نشيدين من ملحمته **تشايلد هارولد** التي نشرها سنة ١٨١٢ ، ولاقت رواجاً منقطع النظير . وأتبع ملحمته بمؤلفات عدة أقلّ منها قيمة وضخامة في حين كان منهمكاً بمغامراته الصاخبة في المجتمع اللندني .

تزوج سنة ١٨١٥ الآنسة ملبانك فرزق منها ابنة ، ولكنهما انفصلا بعد حوالي سنة من زواجهما . وتراكمت عليه المشاكل – الى جانب مشاكله العائلية – فهجر انكلترا الى الابد . . .

التقى شيللي في جنيف وأصبحا صديقين حميمين . وكانت هذه الفترة من حياته في اوروبا عاصفة . وقد صوّرها في شعره أصدق تصوير وأروعه . فأتم **تشايلد هارولد**، ونظم **سجين شيّون** ، **ومانفريد**، **ونحيب تاسو**، وكلها قبل سنة ١٨١٩ التي وضع فيها **مازيبا** ، واكمل قصيدته **دون جوان . ووضع في هذه الفترة من حياته عدداً من المسرحيات .**

وفي سنة ١٨٢٣ رحل الى اليونان ليساعدها في حربها للتحرر من السيطرة التركية ، فكان عمله رائعاً في تنظيم الكفاح . وقد اصيب بالمرض اثناء عمله ، وتوفي بالحمى في١٩نيسان ١٨٢٤ . وذاعت شهرته في فرنسا ، وكانت قصائده مصدر وحي للكثيرين من

الكتّاب والرسامين الذين أنصفوه اكثر من زملائه البريطانيين ...

كان اللورد بايرون قوي الحافظة ، يمكنه ترديد كل ما نظم من قصائد حرفاً حرفاً ، في حين كان السر ولتر سكوت ضعيف الذاكرة الى حد بعيد . ومن طريف ما يؤثر عن هذا الأخير في هذا الصدد انه أطرى يوماً قصيدة من نظمه ظناً منه انها للورد بايرون .

في ٣٠ تموز ١٩٣٠ ظهرت في احدى الصحف صورة من الصور اليومية التي كان يرسمها روبرت ريبلي تحت عنوان **صدّق أو لا تصدّق** وقد رافقتها العبارة التالية : « **بوتسواين — كلب بايرون له ضريح فخم ، في حين أن الشاعر نفسه اللورد بايرون ليس له ضريح** » !

وكان لذلك تأثير عميق الأثر في نفوس أبناء المدارس في انكلترا ، واعتبروا ذلك اهانة لشاعرهم الكبير ، فتنادوا الى فتح حملة اكتتاب لجمع مبلغ من المال يبنون به ضريحاً للشاعر يليق بمكانته ، يعلوه تمثال مناسب .

شيللي

PERCY BYSSHE SHELLEY

الشاعر الانكليزي شيللي ، شاعر البوهيمية والجمال (١٧٩٢ — ١٨٢٢) ، ورث المجد والثروة ولكنه منذ نعومة اظفاره تمرّد على التقاليد ، والسلطة ، والدين . طُرد من جامعة اكسفورد وهو في الثامنة عشرة ولم يُسمح له قط بالعودة الى مسقط رأسه بسبب كراس اصدره بعنوان **ضرورة العودة الى الالحاد** . وفي السنة نفسها تزوج من هاربيت وستبروك شقيقة زميلته في الدراسة ، وانتقلا سنة ١٨١٣ الى لندن حيث طبع كتابه **الملكة ماب** للتوزيع الخاص . وهرب شيللي سنة ١٨١٤ الى فرنسا برفقة ماري غودوين ، ابنة فيلسوف شهير وزوجة لا تقل عنه شهرة هي **ماري ولستونكرافت** . اما زوجته الاولى هاربيت فقد انتحرت بعد سنتين ، فاتيح له هكذا الاقتران بماري وقضاء السنوات الباقية من عمره القصير معها في سويسرا وايطاليا .

وفي سنة ١٨١٦ وضع شيللي كتابه **آلاستور** واصبح صديقاً للشاعر بايرون . وكان سر صداقته لبايرون ولعهما المشترك الشديد بالتجذيف على الرغم من ان شيللي كان دائم

الخوف من الغرق . ولقد تكهن مراراً بأنه سيموت غرقاً ...

وفي السنة التالية اصدر **ثورة الاسلام** التي صب فيها كل كرهه على الظلم والطغيان. ولقد قال مرة ساخراً انه لولا حملاته العنيفة التي اكسبته لقب **وحش الثورة المخيف** لما ذاع اسمه، ولبقي اديباً مغموراً . ونظم مرثاة **ادونيس** الشهيرة لدى وفاة صديقه الشاعر كيتس الذي كان قد أعجب به اشد الاعجاب بعد صدور كتابه **هايبيريون** . فدعاه للاقامة معه في روما ، فرفض .. ولكنه سافر فيما بعد الى ايطاليا بعد ان اصيب بداء الصدر . ولقد مات شيللي غرقاً وهو يجذف في احد القوارب ، ودفن بجوار ضريح كيتس في روما بعد أن احرقت جثته في مشهد مهيب . ولم يستطع بايرون تحمّل وطأة المشهد ، وخانته اعصابه فمضى في سبيله .

كان شيللي ينظر باحتقار الى ملاذ الطعام — على الرغم من بوهيميته — حتى لقد كان ينسى غالباً ما إذا كان أكل ام لا .. وكان زاهداً تماماً في الاطعمة الفاخرة .

« كانت حياة شيللي عبارة عن فترات متعاقبة من النوم والقراءة .. وكان يبلغ به الاعياء من فرط السهر للمطالعة ان النعاس كان يغلبه في النهار فينام فجأة في اي مكان كالطفل !.. واثناء دراسته في اكسفورد كان ينفق في القراءة ست عشرة ساعة من كل اربع وعشرين ، بحيث كانت عيناه لا تفارقان الكتاب حتى وهو يأكل او يمشي في شوارع المدينة او طرقات الحقول . وكانت عادته المفضلة في تلك الفترة ان يقرأ وهو واقف ما استطاع ! .. **وقد روى صديقه « تريلوني » أنه ترك شيللي في الساعة العاشرة من صباح أحد الأيام وكان واقفاً بجوار مدفأة غرفة مكتبه يقرأ.. ثم عاد اليه في الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه فوجده ما يزال واقفاً في الموضع نفسه يقرأ وهو بادي الشحوب والاعياء، وعلم منه الصديق انه لم يغادر مكانه أو يجلس أو يأكل منذ تركه في الصباح!»**

كيتس

JOHN KEATS

ظهرت منذ سنوات في السوق البريطانية الادبية ثلاثة كتب عن الشاعر دجون كيتس (١٧٩٥ — ١٨٢١) دفعة واحدة هي : **« دجون كيتس: مقدمة ومختارات شعرية » لريتشارد تشرش** ، و **« دجون كيتس : عنوان الجمال » للورد غوريل** ، و **« أشعار**

دجون كيتس » نشرها وقدّم لها دجون مدلتون موري . وليس ادل على صحة ما ذهب اليه ريتشاود تشرش في كلامه عن كيتس من ان لهذا الشاعر رسالة خاصة الى العصر الذي عاش فيه من ظهور ثلاثة مؤلفات في وقت واحد عن شاعر الجمال الشاب .

فكيتس ، كما يقول تشرش ، عاش وكتب في نهاية عصر من الحروب ، وان تكن هذه الحروب تبدو تافهة بالقياس الى الحربين العالميتين الاخيرتين . فهي ، مع ذلك ، حروب لا تختلف في شيء من الحربين المذكورتين من حيث النوع ، وان اختلفت درجة الوحشية والتقتيل والدمار في كل منها . ويخلص تشرش الى القول ان كيتس عرف داء عصره . واورد مقطعاً من الرسائل التي تُظهر بوضوح ان الشاعر لم يكن غريباً عن الاخطار الخارجية التي كانت تتهدد سلامة اوروبا وآسيا . وجاء في احدى رسائله : « ان اسوأ ما فعله (الضمير عائد الى نابوليون بونابرت الذي يتحدث عنه الكاتب) تعليمه الروس كيف ينظمون جيوشهم الجرّارة ... واذا استطاع الروس ان يحافظوا على الامن الداخلي ويقضوا على قلاقلهم في غضون سنين قليلة ، فلا يُستبعد ان تمضي روسيا في فتوحاتها فتبلغ الصين . ولا استبعد ان تنهزم الصين امام روسيا ... وعندئذ تقف روسيا الشمالية الاوروبية وتكشر عن انيابها في وجه سائر اوروبا . »

كان كيتس في الواقع يعكس الرأي العام في ايامه ، ومخاوفه ، فلم يبتدع شيئاً ... غير ان المقطع السابق يحمل على الاعتقاد بأن ليس ثمة شاعر شاب ، مهما يكن مخلصاً لمبدأ الجمال ، يستطيع ان يتجاهل الاحداث التي يعيش في وسطها . ويتساءل تشرش الى اي حد ينبغي للشاعر نفسه ولشعره ان يتأثرا بما حولهما ، فيجيبه كيتس افضل جواب اذ يقول : **« ان السبيل الوحيد لتنمية تفكير المرء وتقويته هو العزم على عدم الاهتمام بشيء ، وترك العقل صفحة بيضاء ، بل ممراً لمختلف الآراء ، دون أن يحاول الانحياز الى جبهة معينة . » وهنا السر في الحياة الشعرية الخالصة .**

هـايـنـه

HEINRICH HEINE

هاينه (١٧٩٧ — ١٨٥٦) من اشهر شعراء الالمان في قرض الشعر الغنائي والاناشيد.

ضرب في ديوانه المعروف كتاب الأغاني على وتر جديد في هـذا اللون الادبي الجميل ، فتراقصت اوروبا من اقصاها الى اقصاها طرباً على انغام الشاعر الشاب . وكانت مصدر وحيه والهامه ابنة عمه « آمالي هاينه » التي احبها حباً يقرب من العبادة ، فانبعثت انفاسه قصائد رائعة اكسبتها الالحان والموسيقى روعة على روعة ، حتى باتت على كل شفة ولسان ، شعراً ولحناً ...

وبزواج آمالي فقد هاينريش مرحه ، واسودت الدنيا في عينيه ، واضطربت حاله . ولكنه سرعان ما احب تيريزا ، شقيقة آمالي .

اندلعت نيران الثورة الفرنسية في باريس العام ١٨٣٠، فرّحب بها الشاعر هاينه ترحيباً حاراً ، واعتبرها فاتحة عهد جديد من الحرية . فغادر وطنه ، مما اغضب عمه سولومون هاينه احد اغنياء همبورغ ، وصاحب مصرف كبير فيها ، فخفض مرتبه . وفي باريس تزوج الشاعر من اوجيني ميرا التي كان يدعوها « نونوت » للتحبب . وكانت نونوت هذه خليلته قبل ان تصبح حليلته ، وهي امرأة امية ، متلاف ، ولكنها احبته حباً عميقاً ، والهمته الكثير من روائعه الشعرية .

وما هي إلا سنوات حتى اصيب الشاعر بمرض في سلسلته الفقرية الزمه الفراش الذي كان يدعوه قبر الاحياء . وفي آخر شهور حياته تعرّف الى اليز فون كراينتز ، الكاتبة الشهيرة التي كانت توقع مقالاتها باسم مستعار هو كاميل سيلدان ، فكانت الشعاع الذي اطبقت عليه عيناه ، ومصدر الالهام الاخير . وكان يلقبها بالذبابة ...

لم يحظ َشاعر من شعراء الالمان بمثل ما حظي به هاينه من مكانة عالية في قلوب الالمان الذين كانوا وما زالوا يتغنون بقصائده وأبياته في أناشيدهم وترانيمهم . بل لقد انتحل رجال الدولة الالمانية الثالثة قصيدته المسماة « لورلاي » وطبعوها في كتاب التلاميذ بتوقيع « شاعر مجهول » .

والحقيقة ان هذا الشاعر وان عاش غريب الديار، إلا أنه خدم اللغة الالمانية خدمة كبيرة . فاذا كان مارتن لوثر صاحب الفضل في تكييف اللغة الالمانية لتكون صالحة للتعبير عن المعاني السماوية العميقة ، وكان فيلاند صاحب الفضل في جعلها لغة سهلة اللفظ ، كما كان فضل غوته واضحاً في توسيعها وتسليطها على جميع المسميات والمدلولات ، كذلك كان هاينه صاحب الفضل في اعطائها شيئاً من اللطف والرونق الشاعري .

ميكيفتش

ADAM MICKIEWICZ

يحتل آدم ميكيفتش (١٧٩٨ – ١٨٥٥) ، الشاعر البولوني الاشهر ، الذي احتفل بذكرى ميلاده الخمسيني بعد المئة في كل من بولونيا وروسيا منذ سنوات ، مقاماً مرموقاً في تاريخ الادب العالمي ، الى جانب **بوشكين** ، **وغوته** ، **وشيللر** ، **وبايرون** ، **وهوغو** .

ظهر له اول ديوان عام ١٨٢٢ . وفي العام التالي اتبعه بديوان آخر . فكانت قصائده حدثاً جديداً في الادب البولوني . فقد استوحى فيها الاغاني والاساطير الشعبية المحليـــة . اما قصيدته **قصيدة الشباب** التي يتطلع فيها الى يوم يبزغ فيه فجر الحرية والاستقلال فقد اصبحت النشيد الوطني للشباب البولوني التقدمي ...

في روسيا توطدت عرى الصداقة بين ميكيفتش وشعراء الثورة كريلييف وبستوتشيف وتومانسكي وسواهم ، وفي مقدمتهم امير شعراء روسيا الكسندر بوشكين . ومما زاد عرى الصداقة وثوقاً بين ميكيفتش والشعراء الروس الوحدة الفنية والعقائدية المشتركة فيما بينهم . أعجب ادباء روسيا بعبقرية زميلهم البولوني الشعرية ، وقدروا فيه حبه الشديد لوطنه المتألم. وازهرت شاعرية ميكيفتش في هذا الجو المشبع بالود الخالص ، والصداقة الخلاقة . فاذا به ينظم اروع قصائده الوطنية وفي طليعتها ديوانه **قصائد مـن شبه جزيرة القرم** ، وملحمة **« كونراد فالنرود »** .

وبينما كانت الاوساط الادبية التقدمية ترحب بمنظومات ميكيفتش ، كانت الاوساط الادبية البولونية الرجعية تفرض رقابة شديدة عليها وتتناولها بالنقد اللاذع والتجريح .

وفي روسيا اتسع افق تفكير ميكيفتش ، وعمقت شاعريته ، واصبحت نظرياتـــه وافكاره اشياء ملموسة . وقد صدق الشاعر الروسي كوزلوف في مـا قاله لزميله البولوني اودينيك في ايار ١٨٢٩ عندما قفل ميكيفتش راجعاً الى بولونيا : **«كان قوياً عندما هبط روسيا ، ولكنه عاد الى بولونيا جباراً ! »**

وفي العام ١٨٣٨ – ١٨٣٩ بدأ سلسلة محاضرات في جامعة لوزان بسويسرا . وفي العام التالي انتقل الى باريس حيث درّس في « كوليج دو فرانس » الادب السلافي . وقد انضم في اثناء اقامته بالعاصمة الفرنسية الى حلقة توفيانسكي الصوفية . فلما هبت عاصفة الثورة سنة

١٨٤٨ رحل الى ايطاليا لتنظيم الفرق البولونية في صراعها ضد النمسا من اجل حرية ايطاليا وبولونيا معاً . وفي العام ١٨٤٩ اسس في باريس جريدة يومية دعاها **منبر الامم** راح ينشر فيها اراءه التقدمية ، منددّاً بالظلم والطغيان ، وتحكّم الطبقة البورجوازية ، مؤيداً نظام الحكم الديمقراطي .

وكانت وفاته بداء الهواء الاصفر (الكوليرا) في القسطنطينية .

پُوشكين

ALEXANDER PUSHKIN

شاعر روسيا الاكبر ، بل امير شعرائها وواضع الحجر الاساسي في الادب الروسي ، ابصر النور في موسكو في ٢٦ ايار ١٧٩٩ . وقد نشر اول مقال له في مجلة « اخبار اوروبا» وهو بعد في الخامسة عشرة من عمره ، وكان بعنوان«الى الصديق الشاعر».

تخرّج في الكلية الثانوية سنة ١٨١٧ . وفي سنة ١٨١٩ اشترك في جلسات جمعية « المصباح الاخضر » الادبية التي كانت على اتصال بجماعة الدسمبريين السياسية ، وهي « جماعة من الثوريين النبلاء الذين كانوا يستهدفون ضرب الاوتوقراطية القيصرية ونظام القنانة في الزراعة واقامة نوع من حكم ديموقراطي في روسيا . وقد اعلنوا عصياناً سنة ١٨٢٥ في شهر « دسمبر » ، فعرفوا من ثم بالدسمبريين . واستطاع القيصر نقولا الاول اغراق هذا العصيان في الدم ، لان الدسمبريين كانوا معزولين عن الشعب ، ولا قوة لهم الا في بعض اوساط الجيش . على ان حركتهم كانت مقدمة للنهوض الثوري العظيم في روسيا . »

وقد نفي بوشكين سنة ١٨٢٠ الى جنوب روسيا فقضى زهاء سنتين متنقلاً في هذا الجزء من روسيا حتى وصل الى شبه جزيرة القرم . وكان دائم التنقل بسبب نشاطه الثوري ، الا ان تنقله هذا لم يحل بينه وبين الانتاج الادبي الغزير. ومن روائعه نذكر روايتيه الشعريتين: **اوجين اونيجين ، وروصلان ولودميلا ، والمأساة التاريخية بوريس غودونوف ، والرواية التاريخية بنت الضابط ، وحكايات بيليكين ، وموتسارت ، وساليري ، وضيف من حجر ، وحكاية الملك سلطان ، وسواها** ...

كان بوشكين عبقرياً تحسس عبقرية الشعب الذي نبت منه وجلاها في اسمى معانيها

وادقّها . وكان شديد الاعجاب ببطرس الاكبر، باني مجد روسيا ومجددها .

يقول ميخائيل نعيمه عن بوشكين :

« قيل عن ذي القرنين انه كان يحسد بطل طروادة لان الاقدار قيضت له هوميروس شاعراً يذيع اخباره في الخافقين. ويقيني انه لو جاء بعد بطرس الاكبر لحسده على بوشكين. فانتم اذ تقرأون كل ما نظمه بوشكين في بطرس الاكبر تشعرون ان هذا الشاعر الفذ ما مجّد باني « بلميرة الشمال » الا لأنه شام فيه عبقرية تضاهي عبقريته حتى انكم لتحارون في الرجلين ايها الاعظم . ان يكن بطرس الاكبر قد بنى امبراطورية قوية فبوشكين قد خلق لغة غنية وشاد مملكة ادبية . واكاد اقول انه قد خلق امة جبارة . فليس من يعلم مدى تأثيره في بعث القوى الروحية والمادية الهائلة الكامنة في اعماق الطبيعة الروسية . »

كتب **أمير شعراء روسيا** الرسالة التالية الى امرأته بعد زواجها بسنتين، وكان الشاعر العظيم ملحقاً بوزارة الشؤون الخارجية ، يقيم بعيداً عن زوجته . وفي هذه الرسالة التي تتجلى فيها روح الدعابة والنقد التي اشتهر بها الشاعر ، يلوم بوشكين زوجته على تماديها في العبث والاستهتار . ووقف الشاعر من كتاب غفل من التوقيع على علاقة زوجته بالبارون جورج دانتس هيكرن ، من رجال الحرس القيصري ، فبعث اليه بكتاب يزخر بالسباب والكلام المقذع . فدعاه الكونت الى البراز ، واصيب بوشكين بجراح مميتة ، وكانت وفاته في ٢٩ كانون الثاني ١٨٣٧ .

وهذه رسالته :

« انتهى الي امس كتابك ، فشكراً لك يا عزيزتي . ولكن يبدو انك ارخيت العنان قليلًا لطيشك، فالرجاء ان تقلعي عن هذه الخطة غير الجديرة بك لانها لم تبقَ مألوفة ، ولانها دليل على سوء التربية ، ولا فائدة منها . انت جد مسرورة لان الرجال يتوددون اليك ، وليس ادعى الى سرور المرأة من تودد الجنس الخشن اليها . لستِ الوحيدة بين بنات حواء التي تستطيع ان تكتسب ود الرجال . فبراسكوفجا بتروفنا صيادة ماهرة ، لا يقوى رجل على تجنب شباكها . واين انت من براسكوفجا ؟ لمَ تستقبلين في البيت الرجال الذين يظهرون لك الحب والاعجاب ويتوددون اليك ؟ فهل ثمة مبرر لهذا التصرّف ، يا عزيزتي ؟

بلاد الله واسعة ، وابناؤه كثر ، ولا يدري المرء اي نوع من الناس يلتقي في هذه الحياة الدنيا . اقرائي ، يا عزيزتي ، حكاية فوما وكوسما . فقد دعت فوما صديقها كوسما الى تناول الطعام في بيتها ، وقدمت اليه نوعاً شهياً من السمك وبعض « الكافيار» . وطلب

كوسما اليها ان تأتيه بشراب ، فلم تلبّ فوما الطلب . فلم يكن من « الضيف » الا ان ضربها ضرباً مبرحاً ! وانصرف حانقاً ، تاركاً فوما تولول وتملأ المنزل صياحاً .

في هذه الحكاية يلقي الشاعر اسماعيلوف الامثولة التالية : اينها النساء الجميلات ، لا تقدّمن الى المعجبين بكنّ سمكا اذا لم تكنّ مستعدات لتقديم الشراب ، فقد يتفق ان يكون ضيوفكنّ من طراز كوسما .

هذا ما اريد ان تنتهي اليه ، يا عزيزتي ،مهيباً بك ان تختاري للمآدب مكاناً غير بيتي ... وبعد فاني اقبّلك يا ملاكي كأن لم يك شيء ! ولا يسعني الا شكرك لانك لم تخفِ عني شيئاً ، بل وصفت لي حياتك في غيابي بكل اخلاص . »

أليزابث باريت براوننغ

ELIZABETH BARRETT BROWNING

لما بلغت الشاعرة الانكليزية اليزابت باريت (١٨٠٦ – ١٨٦١) الخامسة عشرة اصيبت في سلسلتها الفقرية وهي تحاول امتطاء جوادها ، فكان ذلك الحادث ، بالاضافة الى مرضها الرئوي والصدمة التي أصابتها إثر غرق شقيقها الأعزّ ، سبباً في بقائها سقيمة طوال حياتها . **وأصبحت الكتب عالمها** . وفي سنة ١٨٤٤ نشرت ديوانيّ شعر ، فاجتذبا أنظار **الشاعر روبرت براوننغ** الذي رغب في التعرّف الى صاحبتها. **وتُعتبر قصة غرامها من اروع القصص في تاريخ الأدب** . تزوجا سراً ليقينهما من أن والدها لن يسمح بهذاالزواج. وهربا الى ايطاليا حاملين معها خادماً امينة وكلباً كانت تعنى به اليزابت . ورزقا ابنهما الوحيد روبرت وايدمان براوننغ في فلورنسا . وقد توزعت سنوات سعادتهما بين لندن والقارة الاوروبية . ومن أروع ما انتجته هذه الشاعرة **قصائد من البرتغالية** التي وضعتها بعد لقائها بروبرت وتبادلهما الحب . وقصة هذه الفترة التي سبقت الزواج وظلم والدها الغريب روتها لنا السينما الاميركية مؤخراً في فيلم **آل باريت في ومبول ستريت ...**

قال روبرت براوننغ في شعر زوجته اليزابت : « يكشف شعرها عن طبيعة جد ملائكية تصدر عن قلب فيه قبس من النور الالهي .»

وقال عنها الناقد باري كورنوول : « كان شعرها أجمل شعر كتبته امرأة منذ قيل الشعر . »

وقال ولتر سافيدج لاندور : « لست أعلم أن احداً قال شعراً او يستطيع ان يقول شعراً كهذا الشعر في اي عصر من العصور .. وقد أصبحتُ به نصف سكران . »

أما اليزابت نفسها فكانت تقول ان زوجها يستحق المديح اكثر منها عشرين مرة !

لونغفيلو

HENRY WADSWORTH LONGFELLOW

من أحب الشعراء الاميركيين الى قلوب أبناء وطنه ، وقد دُعي **شاعر العائلة**.. أبصر النور في بورتلاند بولاية ماين سنة ١٨٠٧ ، وتعلّم في أكاديمية هـذه البلدة ثم انتقل الى جامعة بودوين سنة ١٨٢١ . ومع أنه في أواخر أيامه في الجامعة أظهر عناية فائقة بالأدب وفكّر في احترافه ، إلا أنه إثر تخرّجه (١٨٢٥) شرع في دراسة الحقوق في مكتب والده . وطلبت اليه الجامعة بعد حين أن يدرّس فيها اللغات الحديثة ، فوافق بعد أن قام بجولة دراسية واستطلاعية في اوروبا قابل خلالها الكاتب واشنطن أيرفنغ مؤلف كتاب **الاسكتشات** الذي كان قد قرأه وهو في الثانية عشرة من عمره فأعجبه كثيراً ، ولعلّه الكتاب الذي ألقى ضوءاً على شاعريته المتفتحة .

وقد تميزت فترة تدريسه في جامعة بودوين بعدد من المؤلفات الشعرية وضعها لونغفيلو واكسبته شهرة في الداخل والخارج ، وعرضاً من جامعة هارفرد لتدريس اللغات الحديثة والأدب فيها ، وهو بعد في الثامنة والعشرين من سنيه . وانطلق الى اوروبا مجدداً تأهباً واستعداداً لعمله الجديد ، فتعرّف هـذه المرة الى توماس كارلايل وروبرت براوننغ ، وكانت ترافقه زوجته التي توفيت في روتردام . وفي صيف العام التالي (١٨٤٣) تعرّف في سويسرا الى فرانسيس اليزابت آبلتون ، من بوسطن ، فتزوجها .

بدأ عمله في جامعة هارفرد سنة ١٨٣٦ واستمر ثماني عشرة سنة كانت ملأى بالجهد الأدبي. **وفي هذه المرحلة من حياته ألنتج أروع شعره .**

وفي سنة ١٨٦١ أصابته الكارثة الثانية في حياته عندما اشتعل ثوب زوجته الصيفي من احدى الشمعات فقضت احتراقاً قبل أن يستطيع أحد إنقاذها . ولما أصبح في وسعه استئناف عمله بعد هذه الفاجعة عكف على ترجمة ملحمة دانتي **المهزلة الالهية** التي أنهاها سنة ١٨٧٠ ، فكانت آخر عمل أدبي قيّم ينتجه قبل وفاته في ٢٤ آذار ١٨٨٢ ...

هـُـويتيـــار

JOHN GREENLEAF WHITTIER

بدأ هذا الشاعر الاميركي الذي أبصر النور في ١٧ كانون الاول ١٨٠٧ حياته الأدبية شاعراً محلياً ، تخطى الكثير من العقبات قبل إن تصبح له الشهرة التي أصبحت له فيما بعد. ولم يكن والده راضياً عن انصرافه الى الشعر ليقينه ان الأدب لا يطعم خبزاً. ولم يسمح له بأن يدخل المدرسة إلا بعد أن ساءت صحته وهو فتىً من شدة التعب الذي ناله في عمـــله الشاق المضني في إحدى المزارع . ولكنه لم يستطع دخول الجامعة ، فاكتفى بما حصله من دروس ثانوية ، والتحق محرراً في الصحف والمجلات بسبب بنيتـه الضعيفـة التي كانت تضطره أحياناً الى التخلي عن العمل والاقامة في المزرعة لاستعادة بعض نشاطـه . وفي سنة ١٨٣١ نشر **أساطير نيو انغلاند ، نثرا وشعراً .**

وانضم الشاعر بعد سنتين الى حركة تحرير العبيد مع علمه الأكيد بأن عمله هذا لا بدّ أن يحطم شاعريته وطموحه السياسي . فلما عزم على نصرة هذه القضية الانسانية كان يعتقد أن عليه أن يهجر الشعر ، ولم يفطن الى أهمية الشعر كوسيلة للدعاية إلا فيما بعد . والى جانب انهماكه بقضية تحرير العبيد وسائر قضايا الاصلاح نظم أبدع روائعه الشعرية . **ولم ينصرف تماماً الى الشعر إلا بعد نهاية الحرب الاهلية** . ولكن كانت هناك عوائق كثيرة في سبيله. فهو مصاب بعمى الألوان لا يستطيع تميز اللونين الأحمر والأخضر ، وقـد أصيب بالصمم الجزئي في سني حياته الاخيرة . **وعلى الرغم من أنه كان محبوباً من الرجال والنساء على السواء ، إلا أن الحب العفيف هو الذي تميّز به سلوكه وشعره .**

تنيسُون

ALFRED TENNYSON

في سنة ١٨٥٠ خلف اللورد الفريد تنيسون (١٨٠٩–١٨٩٢) ويليام ودرزوورث في امارة الشعر في انكلترا . **وقد بدأت حياته الادبية بملحمة شعرية من ٦ آلاف بيت نظمها وهو في الثانية عشرة من عمره ، ووضع مسرحية شعرية وهو في الرابعة عشرة .**

كان تنيسون محظوظاً إذ ولد في أسرة رفيعة الثقافة ، تملك خزانة كتب قيّمة . درس

في بادىء الأمر على والده الذي لم يرسله الى الكلية الا بعد أن صار بوسعه أن يتلو عن ظهر قلب كل قصائد هوراس . وفي كلية ترينيتي ، في جامعة كيمبريدج ، أنشأ عدداً لا بأس به من الصداقات التي لم يفصم عراها إلا الموت . **وكان من اصدقائه الحميمين ويليام ثاكوي ، وويليام غلادستون ، وتوماس كارلايل،وآرثر هنري هالام الذي رثاه تنيسون بقصيدته «للذكرى» المعروفة التي تُعتبر أروع ما قيل في الرثاء في الأدب الانكليزي بعد موثاة ليسيداس لملتون .**

كان تنيسون وسيم الطلعة ، وصفه غلادستون بأنه **«كان من أجمل الرجال منظرا في العالم .»** الا أن صحته كانت سقيمة ، وكان عصبي المزاج . قام بعدد كبير من الرحلات ، وانزوى طويلاً عن الناس . رفض لقب بارون مرتين : من الملكة فكتوريا سنة ١٨٦٥ ، ومن دزرايلي سنة ١٨٦٨ . ولكنه رضي بأن يصبح عضواً في مجلس اللوردات بنـــاء على طلب صديقه غلادستون سنة ١٨٨٣ . وقد بقي تنيسون متمتعاً بقواه العقلية والجسدية حتى وفاته . وقد انسكب شعاع القمر على سرير موته وهو يمسك بمجلد لشكسبير كان يطالعـه بشغف ومتعة في ساعاته الاخيرة . ودُفن في ركن الشعراء في كاتدرائية وستمنستر .

رُوبرت براونِنغ

ROBERT BROWNING

وُلد روبرت براوننغ في احدى ضواحي لندن في ٧ أيار ١٨١٢ . وكانت دراسته مزيجاً من الدراسة الرسمية في المدرسة والمطالعات الشخصية التي استطاع بواسطتها أن يتقن اللغات الفرنسية ، واللاتينية ، واليونانية ، ويتعلم الموسيقى ، والتصوير .. وقد اشتهر كراقص ، وراكب خيل ، وملاكم ، ولاعب سيف . **تأثر كثيراً بكتابات الشاعر شيللي** ، ونشر وهو في العقـــد الثاني قصيدة لم يوقّعها باسمه ، هي مديح في شيللي . وكانت قصيـدة **باراسيلوس** أولى قصائده التي حملت اسمه ، وقد نشرها بعـد سنتين . **وكان روائيـــاً مسرحياً ناجحاً وضع العديد من التمثيليات الشعرية أشهرها بيبا تمر التي تتضمن هـذا البيت المعروف : « الله في السماء ، كل شيء على ما يرام في العالم ! » الذي يلخص تفاؤل براوننغ المرح .**

وتؤرخ هذه الفترةُ من حياته تعرّفَه بايطاليا حيث قضى أسعد أيامه . ذلك أنه في سنة

١٨٤٦ تزوج ، هذا الذي اشتهر بين الشعراء برجولته وقوته ، من الفتاة النحيلة السقيمة اليزابت باريت وحملها الى ايطاليا . وقد كانا ، كلاهما ، مخلصين لهذه البلاد ، واهتما اهتماماً خاصاً بحركة تحريرها وتوحيدها .

وعلى أن نتاج براوننغ الأدبي خلال حياته الزوجية لم يكن غزيراً ، إلا أنه بعد وفاة زوجته وضع أروع قصائده .

وعاد الى انكلترا حيث احتل مقامه المرموق في عالم الشعر . وقد حصل على شهادة فخرية من جامعة اكسفورد سنة ١٨٦٧ . وفي أواخر أيام حياته عاش حياة شبه منعزلة ، ومات في منزله في البندقية (فينيسيا) سنة ١٨٨٩ . وهو مدفون في ركن الشعراء في كاتدرائية وستمنستر .

هويتمان

WALT WHITMAN

عُرف باسم **شاعر الديمقراطية** (١٨١٩ – ١٨٩٢) . . انتقل والداه للسكنى في بروكلين وهو طفل . كان والده نجاراً ، فلم يتلقَ إلا دروساً ابتدائية . ولما اصبح في الثانية عشرة من عمره راح يساعد أباه في عمله ، ويعمل في تنضيد الاحرف في احدى المطابع وينشر بعض القصائد في الصحف ، ومن هنا كان ميله الى احتراف الأدب . وفي سنة ١٨٤٨ قام برحلة الى نيو اورليانز حيث اشتغل في تحرير احدى الصحف ، فأفاد كثيراً من هذه الرحلة . ونشر اول ديوان شعر له سنة ١٨٥٥ بعنوان **اوراق العشب** فلم يلقَ رواجاً . فأهدى نسخاً منه الى عدد كبير من الكتّاب الذين تراوح استقبالهم له بين اللامبالاة والتقدير . فقد ألقاه الشاعر هويتيار في النار فور مطالعته ، **بينما قال عنه الفيلسوف رالف والدو إمرسون : « لقد وجدت فيه مادة زاخرة بالحكمة وخفة الروح لم يصدر مثلها من قبل في الأدب الاميركي ! »**

ولكن سرعان ما طُبع هذا الديوان ثلاثاً ، وظل يلقى الرواج المنقطع النظير حتى ثورة التحرير التي كانت ذات تأثير بالغ في نفسه وادبه . فأصدر سنة ١٨٦٥ ديوانه **قرع الطبول** الذي اعتُبر أفضل ما نُشر بوحي من هذه الحرب الاهلية .

وفي سنوات الحرب الاخيرة قام هويتمان بالتمريض في مستشفيات البلدة التي كانت

تؤوي الجنود . وفي سنة ١٨٦٥ صُرف من وظيفته العادية في وزارة الداخلية. ولكن بفضل تدخّل بعض اصدقائه عُيّن في منصب في مكتب النائب العام . وقد أصدر سنة ١٨٧١ كتابه **نافذة الديمقراطية** .

كانت اكثرية الاميركيين تنظر اليه على أنه شاعر متطرف ، وكان له عدد لا بأس به من المعجبين في الولايات المتحدة واوروبا .

وقد أُصيب سنة ١٨٧٣ بالشلل الجزئي ، وعاش في اواخر أيامه في كامدن ، في نيو دجرزي ، فقيراً معدماً الى درجة أنه اضطر الى بيع كتبه بنفسه على رصيف كامدن وفيلادلفيا ليكسب لقمة العيش . ولكنه احتمل بصبر جميل سوء صحته ، وبؤسه ، وعدم تقدير الناس له ولأدبه .

بودلير

CHARLES BEAUDELAIRE

شارل بودلير (١٨٢١ — ١٨٦٧) ، **زعيم الرمزية** ، او المدرسة الشعرية الحديثة ، **شاعر اللذة والالم** ، من ابرز شعراء فرنسا في القرن التاسع عشر ، صاحب مجموعة **ازهار الشر** .. قصائد غنية بالصور ، والخيال البكر ، والعاطفة المتأججة الجامحة ، لها رنة موسيقية عذبة . قيل بحق ان المأساة التي دارت فصولها في نفس بودلير وضميره هي المأساة نفسها التي تعاقبت مشاهدها على مسرح القرن التاسع عشر منذ بزوغ فجره الى غروب شمسه .

كان بودلير فناناً ماهراً يرمي الى الكمال في قصائده ، فاذا اخطأ هذا الهدف الاعلى ترك الشعر والقافية الى الشعر المنثور ، فاجاد في النوعين . **وهو في شعره يذكر براسين اكثر مما يذكر بفكتور هوغو** .

وكان يتقن الانكليزية فنقل الى الفرنسية ما خطته يراعة الكاتب الاميركي ادغار آلن بو . وصنف عدة قصائد باللغة الانكليزية .

عندما ظهر ديوانه **ازهار الشر** شنت الصحف عليه حملة عنيفة فسحت السبل للملاحقات قضائية . فصودر الديوان بتهمة انتهاك بودلير حرمة الآداب العامة . ومثل امام المجلس التأديبي فحكم عليه بجزاء نقدي قدره ٣٠٠ فرنك ، وحذف بعض قصائد الديوان .

على ان اشهر ادباء العصر قابلوا بالاستنكار هـذا الحكم الذي لم يسبق لقضاء ان اصدر مثله . وكتب فكتور هوغو اليه يقول : « **لقد قلدت واحداً من اندر الاوسمة التي يستطيع النظام الحالي ان يمنحها . فما يسميه عدلـه حكم عليك باسم ما يسميه آدابه . وهذا اكليل آخر . فانا اصافحك ايها الشاعر !** »

لم يكف بودلير يوماً عن المطالبة برد شرفه اليه ، وظل فريسة الالم والقنوط ، يعيش في عزلة ، على الرغم من مختلف مظاهر التشجيع التي احاطه بها كبار الادباء .

كتب شارل بودلير في عام ١٨٥٧ يصف قضاته بعد ان تفرّس في ملامحهم في احدى المحاكم الباريسية : « انهم دميمون ، ولا تختلف قلوبهم عن وجوههم ! » ذلك بأن بودلير كان قد أوقف بتهمة افساد الاخلاق بنشره ديوانه « ازهار الشر » . وقد احتج بشدة على الغرامة التي فرضت عليه .

وفي الاسبوع الاخير من ايار ١٩٤٩ تقدم **جماعة الأدباء** بعريضة الى محكمة النقض والابرام الفرنسية ، بموجب القانون الصادر قبل ذلك بثلاث سنوات ، يطالبون فيها بازالة اللطخة التي علقت بالشاعر بودلير ونقض الحكم الجائر . وقد برئت ساحـة صاحب « ازهار الشر » بعد مرور ٩٢ سنة على « تجريمه » . ومما يذكر ان المدعي العام كان من مؤيدي طلب جماعة الادباء ..

وهذه احدى روائع شعره المنثور باللغة الانكليزية :

دعيني اتنشق طويلاً عبير شعرك ،

دعيني ادفن في شعرك وجهي ورأسي ، كما يدفن الظمآن شفتيه في الينبوع الرقراق الصافي يعبّ منه حتى يرتوي ،

دعيني اداعب بأناملي خصله المتجعدة البديعة لأبعث في الجو الذكريات الحلوة !

آه لو تعلمين كل ما ارى ! وكل ما اسمع ! وكل ما اشعر به في فرعك ! ان نفسي تسبح فوق سحب العطر كما تسبح نفوس بعضهم على انغام الموسيقى .

في شعرك حلم جميل كامل ،

ملؤه الاشرعة والسواري ،

فيه بحار فسيحة تهبّ فوقها نسمات لطيفة تحملني على أجنحتها الى حيث الطقس البديع .. الى فضاء أعمق وأشد زرقة ، الى حيث الجو يعبق بانواع الاريج ... أريج الأثمـار ، واوراق الشجر الخضراء ، والبشرة البشرية . في خضم شعرك تمرّ تحت ناظري رؤى ميناء

تتعالى منه أناشيد شجية مؤثرة ، تتجاوب أصداؤها هنا وهناك ،

أناشيد بحارة من جميع الامم تقلّهم سفن من مختلف الاشكال والاحجام تعكس دقيق صنعها وهندستها على أجواء واسعة تتراقص عليها بلطف مويجات دافئة مغناج !

في مداعباتي لشعرك الناعم استعيد ذكرى تهالكي ، متعباً ، على مقعد وثير في حجرة من حجرات سفينة رائعة تتهادى على صفحة الميناء المتاوجة ، في تلك الحجرة المزدانة بآنية الزهور اليانعة والماء المنعش !

في شعرك الدافيء انشق رائحة التبغ تخالطها رائحة الافيون والسكّر ،

في ليل فرعك أرى أفق المناطق الحارة اللازوردي اللامتناهي يشعّ باهراً ،

على ضفاف شعرك أتمرّغ في رائحة القار تخالطها رائحة المسك الزكية ، ورائحة زيت الفستق ...

دعيني اطبق طويلاً شفتيّ على خصل شعرك الفاحم أخضمها شيئاً فشيئاً ، فكلما خضمت هذا الشعر المطاط المتمرّد يخيل الي اني ألتهم ذكريات !

طاغـــور

RABINDRANATH TAGORE

شاعر وفيلسوف هندي من أعلام الأدب العالمي (١٨٦١ — ١٩٤١) ، كان شديد الوطنية في صباه ، تجاوبت اصداء التحرر في قصائده العديدة وأناشيده . إلا أن وطنيته هذه لم تكن لتقف عند حدود الهند ، بل كان في كتاباته يرجّع صدى العاملين على تحرير بلدانهم في العالم أجمع .

كانت أسرة طاغور من الأسر الاولى التي تفتحت على نفوذ الأدب الغربي وأصبحت مرتكز الحركة الكبرى التي تدعى اليوم **النهضة الهندية** ، هـذه الحركة التي أطلقت قوى اجتماعية وروحية جبـارة ، وأنجبت عباقرة في كل ميدان من ميادين النشاط الانساني . وقد بلغت هذه الحركة ذروتها في رابندرانات الذي جمعت شخصيته الفنية ، الى أفضل ما في التقاليد الثقافية الهندية والشرقية، النظرةَ العلمية الغربية الحديثة .

ولطاغور على الهند ، وبالتالي على العالم ، فضل مزدوج .. فقد خلق للهند عالماً أوسع مما كانوا يعرفون ، وجعل من العالم كله بلداً واحداً يقطنه جنس واحد هو الجنس البشري .

ولم يتحدث قط أحد قبله باستمرار عن وحدة الروح الانسانية في كل زمان ومكان . وكان يرى ان هذه الثقافات العنصرية ليست سوى اختلافات سطحية أوجدتها التربة والمناخ .

ولم يُثر اهتمام طاغور شيء بقدر ما أثاره اعادة اكتشاف الحلقات المفقودة في العلاقات الانسانية السابقة . ويذكر السكان في جنوب شرقي آسيا كيف ذهب طاغور سنة ١٩٢٧ سفيراً ثقافياً الى بلدانهم لاعادة العلاقات والاتصالات التي كانت بين شعوب هذا الجزء من العالم في الماضي البعيد .

وكما جال فيلسوف الهند وشاعرها في آسيا ، كذلك جال ، في العقد الثاني من هذا القرن ، في اوروبا واميركا والشرق الاقصى ، حاملاً رسالة السلام العالمي ، مبشراً بالارادة الطيبة والتفاهم بين الشعوب . فاستقبلته اوروبا التي مزقتها الحروب العالمية الاولى استقبال المنقذ .

فاز سنة ١٩١٣ بجائزة نوبل للآداب تقديراً له على قصائده الانسانية المشبعة بروح التدين والوطنية . وقد أنشأ في الهند موئل السلام ، في شنتينيكتان ، حيث أسس مدرسة **الغابة الصغيرة** وراح يختبر فيها ، على نطاق مصغّر ، تجربته في الالفة الدولية . وقد دعا مدرسته هذه **فسفا – بهاراتي (الجامعة الدولية)** ، فكانت موطن ثقافات الشرق والغرب جميعاً . وتجري الدراسة فيها تحت ظلال الاشجار المزهرة ، وفي جو يكتنفه الجمال والمحبة والبساطة .

كان طاغور انساناً رقيقاً ، طيب القلب ، وكبيراً في الوقت نفسه .. كبيراً في كل شيء ، وفي مختلف الموازين . وقد قال عنه نائب وزير الخارجية الهندية الذي عرفه معرفة وثيقة ولازمه فترة من الزمن غير قصيرة : **« ان حياتنا اليوم ، بلا شك ، أحلى كثيراً مما كان يمكن أن تكون لأن طاغور عاش بيننا ! »**

دانـــنزيو

GABRIELE D'ANNUNZIO

عندما دخلت ايطاليا الحرب العالمية الأولى تحوّل غبريللي دانتزيو (١٨٦٣ – ١٩٣٨) فجأة من شاعر ماجن ، محب للجمال ، الى جندي صلب العود ، رابط الجأش ، فحارب في

سبيل بلاده في الاسلحة الثلاثة : الجيش (الخيّالة والمشاة) ، والبحرية ، والطيران . فأبلى فيها جميعاً احسن البلاء .. وكانت مغامراته خطرة ، تكاد لا تُصدّق . وقد فقد احدى عينيه في معركة جوية ، واستطاع النجاة بحياته في كثير من الرحلات الجوية التي تعرضت فيها طائرته الى الرصاص .

ووضعت الحرب اوزارها فاحتل دانتزيو مدينـــة فيومي الساحلية وأعلن نفسه حاكماً عليها طوال خمسة عشر شهراً ، متحدياً بذلك الحكومة الايطاليـة والقوات الحليفة ، صامـداً في وجــه اوروبا جميعاً ... وكان مـن أشد المتحمسين للحركة الفاشستية الايطالية .

هذا البطل القومي الايطالي كان شاعراً رقيقاً ، خصب الخيال ، وكان ناثراً لا يقـلّ في نثره رقةً عن شعره .. وهذه رسالة غرام كتبها الى سيدة مجهولة بعد الحرب،زمن استيلائه على فيومي (٢٠ آذار ١٩٢٠) ..

« استيقظت هذا الصباح وفي دمي شيء جديد مضطرب يسري . شممت أريج السوسن فأسكرني ، وشعرت بالألم في صدغيّ . فهل سبب ذلك قرب الزهور من وسادتي ؟ أم لأن النشوة لم يذهب بها نسيم الليل ؟ لست ادري .

سيدتي .. ان وجهك هذا الصباح لهو محور نفسي ، ولكنه كان فيها منذ اللحظة الأولى.

ليس في العالم من هي أحلى منك .

ليلة امس عندما كنت اجثو على ركبتيّ ، انساب الي صوتك الخافت انسياب الساقية في الليل .. فرجعت بي الذكرى الى الليالي التي كنت اسبح فيها وحيداً في نهر اللاند الصغير الجاري بين ضفتيه المرتفعتين ، وفوق الرمال اللامعة البرّاقة .

انني أتوق الى رؤياك من جديد .. الى احتضانك .. الى منحك الصمت ، واخـــذي الصمت منك ، هذا الصمت الذي ليس مكانه حنجرتك او فمك،بل وراء اهداب عينيك...

عيناك هما الصمت والكآبة ...

ماذا أفعل ؟ أنا خارج الآن .. ذاهب الى التلال برفقـة أناس اشداء جشعين . سأنزع غصناً من شجرة كبيرة .. وسأقطف زهرات البنفسج القائمـة من بـين الصخور .. سألفظ كلمات بطولية .. وسأرى العطف الخشن في عيون الجنود الذين يرونني شاباً مثلهم .

ولكنني أود أن اكون وحدي معك في مرج يسبح بالشمس ، يدي في يدك ! ..

عاش دانتزيو خمساً وسبعين سنة وضع خلالها خمسين كتاباً اكسبته الشهرة العريضة في عالم الأدب (الشعر والمسرحية والرواية) .

وجمع ثروة طائلة انفقها بلا حساب . . فقد كان مسرفاً الى حد يفوق التصور .

روى صديقه وكاتم سره توم انتوغيني في كتابه الخاص عنه انه كان اذا دخل حانوتاً يخرج حاملاً ستين منديلاً . وفي حين يقول احدنا للتاجر وهو يتأمل احدى السلع : أعندك ارخص من هذه قليلاً ؟ كان دانتزيو يقول :

— اعندك ما هو اغلى وأنفس ؟

ولم يدخل ابدا محلاً الا ابتاع منه شيئاً . فقد كان يقول انه من العار ان يغـادر المرء المكان وهو فارغ اليد !..

وكان كذلك مسرفاً في اناقته . فاذا لم يجد ما يشغله انصرف بكل اهتمامه الى الاستحمام والتعطر وتبديل الملابس من مطلع الصبح الى غروب الشمس .

.. وكانت خزانة ملابسه تضم اكثر من مائة بزة دفعة واحدة . وقد بلغ معدل ما كان يصل الى دانتزيو يومياً خمسين رسالة وخمساً وعشرين برقية وخمس عشرة مخطوطة . وكان شغوفاً في ارسال البرقيات ، فكتب مرة مئة برقية في جلسة واحدة بعضها يناقض بعضاً .. ففي بعضها يقول أنه مستلق في فراشه ، وفي بعضها الآخر يقول انه يترجل لتوه عن ظهر جواده .

وعُرف عنه كثرة مواعيده واخلافها . فقد عنّ له ذات مرة أن يخلف موعداً رسمياً فأوفد سائقه الى مدينة بعيدة ليبرق منها الى صاحب الدعوة .. وكانت البرقية تنص على أن السيد دانتزيو معلق فوق هذه المدينة في منطاد استكشاف ولا يدري متى يُقدّر له الهبوط الى الارض .

ولم تكن مواعيده مع النساء لتختلف عن سائر مواعيده الرسمية والعادية ، ومع ذلك فقد تمتع بحظوة غريبة لدى الجنس اللطيف .

ومن أطرف ما يروى عنه في هذا الصدد أنه أرسل مرة برقية اعتذار الى سيدة كان على موعد معها ، ولكنها كانت معه في منزله عندما أرسل اليها البرقية ...

وقد أوصى دانتزيو قبل وفاته بأن تحفر العبارة التالية على ضريحه :

« غبريللي دانتزيو يتقدم الى الآلهة ليعرّفها بنفسه ! »

كبلنغ

RUDYARD KIPLING

أبصر رديارد كبلنغ ، الشاعر والروائي الانكليزي المعروف ، النور في بومباي بالهند في ٣٠ كانون الأول سنة ١٨٦٥ ، حيث نشأ وترعرع فترة طويلة من الزمن في حداثتــه مكـّنته من التشرّب بالحياة الهندية وتقاليدها وعاداتها ، وجعلته يُولي كل مـا هو هندي وشرقي عناية فائقة ...

وقد أوفده والده إلى انكلترا للدراسة فذاق في سنواته الأولى ، في انكلترا ، صنوف العذاب والشقاء على يديّ السيدة التي وُضع في رعايتها . فقد كانت شديدة القسوة عليه ، لا تتورع عن ضربه ، وتعنيفه وتوبيخه لسبب أو لغير سبب ، الأمر الذي حمله على اللجوء الى الكتب ، والمطالعة بشغف ليبتعد عن هذا الجو الرهيب الذي كان يعيش فيه . إلا ان هذا الملجأ الامين لم يدم له طويلاً إذ بدأ نظره يشح . فلما عادت أمه الى انكلترا ألفته فتى نصف اعمى ، وجباناً وعديداً . فما كان منها إلا أن اوفدته الى مدرسة اخرى بعد فترة نقاهـة استعاد خلالها بعض نشاطه ، وثقته بنفسه . وفي هذه المدرسة الجديــدة ، التي كانت تضمّ اساتذةً واعين اذكياء ، أدركوا ما تنطوي عليه نفسهُ من امكانيات أدبية فذة ، فشجعوه واخذوا بيده ، وصقلوا مواهبه ، وفتحوا أمامــه الآفاق الواسعة التي برزت فيها شهرته فيما بعد .

وقد روى كبلنغ في أحد كتبه **ستوكي وشركاه** حياته في هذه السنوات التي انتهت بعودته الى الهند حيث عمل محرراً في **الجريدة المدنية والعسكرية** الصادرة في لاهور . وقد زاده عمله الصحفي هذا اطلاعاً على الهند ، وتعمقاً في شؤونها ، فراح يضع القصص والروايات عن بلاد السحر والارواح . فكانت قصصُه الأولى **قصص التلال البسيطة** التي شرع بكتابتها سنة ١٨٨٥ تُستخدم « سدّات » في الصحيفة التي يحررها عندما تعوزه الانباء .

وفي السنة التالية نشر أول ديوان شعري له ... وما لبث ان انتقل الى مدينة الله آباد لتحرير جريدة **الرائد** ، شقيقة **الجريدة المدنية والعسكرية** .

وقبل ان يعود كبلنغ الى انكلترا سنة ١٨٨٩ طاف بالصين ، واليابان ، واميركا . وكانت شهرته قد طبقّت الآفاق وهو بعد لم يتجاوز السابعة والعشرين .

وارتحل الى اميركا سنة ١٨٩٢ حيث تزوج فتاة اميركية عاش واياها في فيرمونت اربع سنوات ، وضع خلالها عدداً من مؤلفاته القيّمة . وخلال حرب البوير ذهب كبلنغ الى افريقيا الجنوبية حيث مثّل ، خلال هذه الحرب ، دوراً ايجابياً ولو أنه لم يكن رسمياً . وظل سنوات طوالاً يتناوب ، مع أسرته ، الاقامة بين انكلترا ومنطقة « الكاب » في جنوب افريقيا شتاءً . وكان صديقاً لسيسيل رودس ، فتعاون مع باني الامبراطورية في تنمية افريقيا وتعميرها . وقد توفي في ١٧ كانون الثاني سنة ١٩٣٦ .

نال رديارد كبلنغ سنة ١٩٠٧ جائزة نوبل للآداب . ومن بين أشهر مؤلفاته نذكر روايتيه « كيم » و « غنغادين » اللتين أخرجتها هوليوود على الشاشة البيضاء في السنوات الاخيرة ... وله عدد من المجموعات القصصية للصغار ، والدواوين الشعرية .

•

يونانيون

هيسيود – (٧٣٥ ق. م.) – عمل وايام .

اسخيلوس – (٥٢٥ – ٤٥٦ ق. م.) – في طليعة الشعراء ، ابتكر المأساة فلُقّب عن جـدارة بأبي الفن التمثيلي .. من مسرحياته المترجيات ، الفرس ، بروميتوس المقيّـد بالسلاسل ، اغاممنون .

بنـدار – (٥٢٢ – ٤٤٣ ق. م.) – ديوان غزلي .

يوريبيديس – (٤٨٠ – ٤٠٧ ق. م.) – ثالث من ذكره التاريخ من عظماء الشعراء الاغريق .. من مسرحياته اندروماك ، الطروادیات ، الفينيقيات ، إلكترا .

سوفوكليس – (٤٩٥ – ٤٠٥ ق. م.) – مسرحيتا انتيغونه واوديب الملك .

ارسطوفانيس – (٤٤٥ – ٣٨٦ ق. م.) – شاعر وروائي مسرحي ، يُعتبر أبا المسرحية الهزلية . كان يقدح برواياته (الغيوم ، الزنابير ، العصافير ، الضفادع) رجال الدولة ، والفلاسفة ، والشعراء ، والشعب . سخر من الجميع الى ابعد الحدود فأمر القضاة في أثينا بمنع تمثيل رواياته وهو حي يُرزق .

لاتينيون

فرنشيسكو برترارك — (١٣٠٤ — ١٣٧٤) — ديوان شعر ريفي .

اريوسطو لودوفيكو — (١٤٧٤ — ١٥٣٣) — اورلاندو فوريوسو .

لوران ارتيموس — (القرن السادس عشر) — مؤلف القصص الشعرية ذات المغزى .. نسج لافونتين الفرنسي على منوال بعضها .

توركواتو طاسو — (١٥٤٤ — ١٥٩٥) — انقاذ أورشليم ، آمنتا .

فرنسيون

فرنسوى فيّون — (١٤٣١ — ١٤٦٣) — ديوان غزلي ..

يواكيم دو بيليه — (١٥٢٤ — ١٥٦٠) — له فصول في النقد .

بيير دو رونسار — (١٥٢٤ — ١٥٨٥) — ديوان غزلي .

جان دو لا فونتين — (١٦٢١ — ١٦٩٥) — الحكايات المعروفة باسمه .

نيقولا بوالو — (١٦٣٦ — ١٧١١) — كان ناقداً ، وله « فن الشعر » .

الفريد دو موسيه — (١٨١٠ — ١٨٥٧) — الليالي ، لا مزاح في الحب .

الفونس دو لامارتين — (١٧٩٠ — ١٨٦٩) — التأملات .

بول فرلين — (١٨٤٤ — ١٨٩٦) — ديوان غزلي .

جان ارتور رانبو — (١٨٥٤ — ١٨٩١) — ديوان غزلي .

ستيفان مالارمه — (١٨٤٢ — ١٨٩٨) — ديوان شعر ريفي .

رينه سولي برودوم — (١٨٣٩ — ١٩٠٧) — ديوان غزلي .

فريدريك ميسترال — (١٨٣٠ — ١٩١٤) — ديوان شعر ريفي .

انكليز واميركيون

السر فيليب سدني — (١٥٥٤ — ١٥٨٤) — انكليزي — آركيديا ، سيدة أيـار .

ادموند سبنسر — (١٥٥٢ — ١٥٩٩) — انكليزي — ملكة الجن ، روزنامة الراعي .

توماس تشاترتون – (١٧٥٢ – ١٧٧٠) – انكليزي – نسج في كتاباته على منوال أدباء القرون الوسطى وشعرائها .. عاش في بؤس وشقاء ، ووضع حداً لحياته بتجرّع السم .

ويليام وردزوورث – (١٧٧٠ – ١٨٥٠) – انكليزي – ديوانه المعروف .

ويليام بليك – (١٧٥٧ – ١٨٢٧) – انكليزي – ديوان غزلي .

دجيمس لويل – (١٨١٩ – ١٨٩١) – اميركي – رؤيا السر لونفال .

روس

ميخائيل لومونوسوف – (١٧١١ – ١٧٦٥) – ديوان غزلي .

ميخائيل لرمنتوف – (١٨١٤ – ١٨٤١) – شاعر غزلي وقصصي ، له الشيطان.

أسبان وألمان

الونسو دي اركيلا – (١٥٣٣ – ١٥٩٥) – شاعر ملاحم .

فراي لويس بونتشي دو ليون – (١٥٢٧ – ١٥٩٧) – شاعر لاهوتي وكاتب .

غوتفويد فون ستراسبورغ – (١٢٠٠) – ألماني – تريستان وايزولت .

فولفرام فون ايشنباخ – (١١٧٠ – ١٢٢٠) – ألماني – شاعر ملاحم ، له برسيفال .

اوغست فيلهلم شليغل – (١٧٦٧ – ١٨٤٥) – ألماني – شاعر وعالم .

راينر ماريا ريلكه – (١٨٧٥ – ١٩٢٦) .

مع الخالدين من السياسيين

سميرامس بيريكليس ديموستينيس شيشرون يوليوس قيصر
كليوباتره شجرة الدر الملكة ايزابيلا مكيافيلي الملكة اليزابت
ماري ، ملكة الاسكتلنديين ريشيليو كروموبل الملكة كريستينا
لويس الرابع عشر بطرس الأكبر فريدريك الكبير كاترين الروسية
واشنطن دجيفرسون تاليران روبسبير دانتون ويليام بت
دانيال وبستر دزرايلي ماتزيني غلادستون لنكولن كارل ماركس
الملكة فكتوريا لاسال كليمنصو ويلسون ثيودور روزفلت
لويد جورج صن - يات - صن غاندي لينين ستالين موسوليني
هتلر



سَمـيراميس

SEMIRAMIS

سميراميس (واسمها بالاشورية سيمورامات) ، الملكة الحسناء التي الهمت العديد من الكتّاب ، ومنهم فولتير ، كانت في نظر الكثيرين ، ولمدة من الزمن طويلة ، اميرة من اميرات الاساطير . وكثيرون هم الذين شكّوا في وجودها الحقيقي في غير مخيّلة الشعراء . **سوى ان علماء الآثار والمنقّبين اكتشفوا ، في غرود (كلخ اليوم) في ايران ، نصباً لا يثبت وجود سميراميس وحسب ، بل يلقي ضوءاً على حياتها . وهذا النصب محفوظ في المتحف البريطاني في لندن .**

نحن في دمشق ، حوالي السنة ٨٠٠ قبل الميلاد .. في منزل مجاور لهيكل إلاهة الشمس وقفت صبيّة رائعة الجمال تحدّق ، بامعان ، في احد العرّافين الملكيين . وقد ذبح ، ليكشف لها طالعها ، ثلاث دجاجات كان دمها ما يزال يسيل على ثوبه الكتاني الابيض . وكانت تُسمع من قريب اناشيد حارقي البخور امام آلهتهم . وتكلم العرّاف فقال : « ستحكمين شعوباً ، يا سيمورامات ، وسيكون العالم عند قدميك ، ولكن الرجل الذي ستحبينه اكثر من حياتك ستكون نهايته على يدك ! »

وتحلم سيمورامات : « الرجل الذي سأحبه ؟! » انها تعيش في حريم حاكم دمشق ، ولكنها لم ترَ سيدها قط .

ويهاجم دمشق جيش اشوري ، لان المدينة ثارت على مليكها البعيد نينوس ، عاهل آشور . ويبدأ النهب ، والحريق ، والاغتصاب . ويلمح قائد الحملة ، الجنرال جنزو ، سيمورامات وهي تحاول الهرب ، فيصيح بها : « تعالي الى هنا . ازيحي النقاب عن وجهك ... انك حسناء ! »

وتتوسل اليه ، ولكن على غير جدوى : « دعني وشأني ، انا لست سورية ... »

إلا ان جنزو تصعقه نظرات هذه الحسناء المجهولة ... نظراتها الغريبة ، فلا يبالي بتوسلاتها .

ويحمل جنزو سيمورامات الى خيمته ، ويحاول معانقتها ، فتبعده عنها مرددة :

— يمكنك ان تنال مني بالقوة ، ولكنني لن اكون لك باختياري !

وتصل القوات الاشورية الغازية الى اطراف آسيا . وها هي سيمورامات ، بعد ظهر

أحد الايام ، وحيدة في خيمة جنزو ، فاذا بابها الجلدي يُفتح ، ويطل منه شاب غريب . وتتلاقى نظراتها لحظة . انه شاب طويل القامة ، وسيم الطلعة .

كان هذا الشاب الجميل الغريب نينوس ملك آشور ، وابن الملك سلمانازّر الثالث . إنه ملك قوي ، وفاتح عظيم . الحرب في نظره فنّ مقدس ولكن حبه يطغى على كل شيء ، فيخطف سميراميس في اليوم التالي ، وقد أيقن ، بعد ليلة كاملة قضاها مؤرقاً متأملاً ، انه اذا لم تصبح سميراميس له ، فلا معنى البتة لفتوحاته وانتصاراته . وسيعلم كيف يتخطّى القوانين المقدسة بانتزاعه عبدة رقيقة من احد اتباعه . ولكن ذلك لا يهمه في قليل او كثير ، وينسى كل شيء وهو يحمل الى خيمته الصبيّة الحسناء بملء رضاها .

ويتحابّ الاثنان حباً عارماً . فسميراميس تردد همساً برقة وعرفان جميل : « أحبك اكثر مما احب حياتي ! » ولكنها تضطرب فجأة اذ تتذكر أقوال العرّاف الرهيبة .

وينجح جنزو في الوصول الى بابل ، ولا يحلم الا بالانتقام من نينوس لأنه انتزع منه سميراميس وهي ملك له . لقد ملكت عليه لبّه ، وبات لا يسعه ان يطردها من خياله .

وينقض نينوس وسميراميس كل القوانين ، ويهزآن بكل التقاليد ، فلا يفترقان حتى في الاحتفالات الدينية المقصورة على الرجال دون النساء . ولكي تتبع سميراميس الرجل الذي تحب في رحلات الصيد ، والصيد فنّ يعادل في قدسيته فن الحرب لدى الآشوريين ، كانت تتزيا بزي الرجال . وذات يوم يهاجم نينوس أسداً برمحه ، ولكنه يخطئه ، فتصيح سميراميس : «احترس ، يا نينوس !» وتقفز من عربتها وتطعن الأسد الهائج بالرمح معرّضة نفسها للخطر ، فيسقط ملك الحيوانات الذي اسقط مليكها...ويضاعف هذا العمل الجريء حب نينوس لها ، وقد رآها تجمع جرأةً وشجاعةً الى ذكاء وقوة شخصية . **ويبسطان سلطانهما على اراضي شاسعة وشعوب عديدة، ولكنهما يحلمان بمدّ رقعة حكمهما ،تدفعهما الى ذلك وطنية متطرفة . وتمجّد سميراميس أحلام نينوس : « انت لا تُقهر يا مليكي. يمكنك ان تذهب بجيوشك الى نهاية العالم ، فأتبعك ! سنبني قصوراً شامخة ، ومدناً عجيبة غريبة تخلد على الدهر ! »**

ويبتسم نينوس ويقول: «ستجعلين ، يا مليكتي ، الحدائق الغنّاء تنبت في الصحارى! ولكن في انتظار ذلك ، ينبغي لنا القضاء على ثورة البابليين . سيدفعون غالياً ثمن جرأتهم ... ولقد جمعت قادتي لهذه الغاية » .

ان بابل ، منافسة آشور ،والمدينة التي تقع تحت سيطرة الآشوريين،تقلق بال سميراميس.

ففيها يعيش جنزو . ولكن لا وقت لديهـا للتفكير في مثل هـذه الامور ، فالحب الذي يشدّها الى نينوس كافأها اجمل مكافأة. فقد رُزقت ابناً دعته نيراري أداد. ويصيح نينوس: « سيكون لك الملك ، ياعزيزتي ! »

فتتنهد مرددة : « بعد أمد بعيد ، لان ذلك يعني انك تكون قد غادرت هذه الدنيا».

وترتعد فرائصها دون ان تدري سبباً لذلك ، وتقرر مراجعة العرّاف الملكي ابراميس حالما تنهض من فراش الوضع .

ويقول لها العرّاف : « ان سعادتك مهدّدة ، ايتهـا الملكة ، لأن الآلهـة غيرى ، وستضربك ضربة مؤلمة ، لان العاطفة التي تجمع قلبـك الى قلب الملك نينوس قد تخطت الحدود البشرية ! »

وفي احدى الليالي يخفّ أحد الجواسيس الى نينوس قائلًا :

— جنزو جاء الى القصر . انه في الحدائق ، ويتجه نحو جناح الملكة .

ويهرع نينوس على الفور دون أن يفطن الى دعوة حرسه . انه لا يشك في أمانـة سميراميس ، ولكنه يخشى انتقام خصمه العنيد منه . ويلتقي الخصمان في احد ممرات القصر ، وتلتقي نظراتهما . وسرعان ما يلقي نينوس خنجرا عند قدميّ جنزو وينتضي خنجراً . ويفهم القائد معنى ذلك ، فيهاجم نينوسَ بعنف ، فيرد عليه الملك باستماتة ويطعنه في عنقه. وبعد أن يلقي عليه نظرة اخيرة ، ينسحب ليبلغ سميرامنس النبأ ، وهو يكاد يطير فرحـاً للسرور الذي سيتملكها لدى اطلاعها على مقتل من سامها صنوف العذاب !

وكانت سميراميس في الظلمة ، لا تستطيع ان تتميز الظل الذي يقترب من مقعدها. وينحني الظل عليها ويأخذها من ذراعها ، ويروح يبحث عن شفتيها . فتنتضي خنجرها وتطعنه به . وعندما تسمع صيحة الالم والموت ، تدع الجثة تقع على الارض ، وتنادي احد العبيد من حاملي المشاعل ، وتلقي آخر نظرة على المغلوب ، الميت! ولا تلبث ان تشق هدوء الليل صيحة منكرة ، وتلقي سميراميس بنفسها فوق جثة نينوس . وتتحجر الدموع في مقلتيها ، وتحس كأنها انتقلت الى دمشق ، وتطن في اذنيها عبارات العرّاف : « ان الرجل الذي ستحبينه اكثر من حياتك ستكون نهايته على يدك ! » ففي هذه اللحظة قررت الآلهة مصيرها ومصير نينوس . ويقبل عبدٌ فيخبرها انه اكتشف جثة جنزو . فتفهم كل شيء . نيراري ينبغي ان يحكم ، ولا ينبغي ان تحوم حولها الشبهات . فتأمر بنقل جثة نينوس الى الحدائـق ... وجثة جنزو الى مخدعها . ثم تستدعي الكهنة الكبار وضباط القصر .

وتبسط سميراميس سيطوتها على آشور والبلدان الخاضعة لها : ايلام ، وميديا ، وسوريا ، وفينيقيا ، وبلاد شعب البحر . وكان يخيل اليها ان نينوس بالقرب منهـا يوجهها ويمنحها القوة . وقد اخلصت لذكراه ، فحاربت البابليين وقهرتهم على الرغم من تحالفهم مع الكلدانيين والعقاديين.وجعلت من بابل عاصمة امبراطوريتها، وأقامت قصراً منيفاً ، وانشأت جنائن معلقة . ولطالما اخبرت نيراوي بما كان يردده والده : « ستجعلين الحدائق الغنّاء تنبت في الصحارى ! » وتضيف قولها : «عما قريب تصبح، يا نيراوي العزيز ، في سن تخوّلك الملك ، كما شاء لك والدك ! »

پـيريكليس

PERICLES

غالباً ما يقترن اسم بيريكليس بعبارة **عصر اثينا الذهبي** . فلقد بقي هذا السياسي لاكثر من ثلاثين سنة أبرز شخصية في أثينا حيث أبصر النور حوالي سنة ٤٩٥ قبل الميـلاد . وفي حياته كان الفن الاغريقي والنشاط الفكري في أعلى ذروتهما . تدرّب على أيدي معلمـين افذاذ من أبناء العصر . دخل المعترك السياسي سنة ٤٦٩ . وقـد كانت المناصب العامة حتى ذلك الوقت وقفاً على المواطنين ذوي النفوذ ، فاذا به يوطد دعائم الديمقراطية في الدولة ، ويحمـل لواء الدفـاع عن حقوق الشعب ضـد صديقه الشخصي شيمون ، زعيم الحزب الارستقراطي . وفي جملة التغييرات التي احدثها بريكليس الانظمة التي تقول بدفع المرتبات للمواطنين الذين يخدمون وطنهم جنوداً ، ومحلّفين ، وقضاة ، فضلاً عن دفع الخزينة اجور الدخول الى المسارح لأولئك الذين لا يستطيعون ذلك .

وكانت سياسته الخارجية تهدف الى جعل اثينا زعيمة اليونان ، ولكنه عندما فشل في تثبيت قوتها العسكرية المطلقة ، تحوّل الى تدعيم قوتهـا البحرية . **الا أن انتصارات بريكليس الحقيقية الخالدة كانت في الميدان الفني.** ففي جملة المباني العامة التي شُيدت باشرافه على الاكروبوليس **البارثنون** الذي زينه النحات الشهير فيدياس .. **وقـد أصبحت اثينا بفضل بريكليس اجمل مدن العالم .**

كانت اواخر سني حياة بريكليس عاصفة ، فحروب اثينا واسبرطة شغلته بالشؤون العسكرية ، الى جانب بعض القلاقل التي كان يعانيها في اثينا . أما صديقه فيدياس فقد حوكم

بعد أن أُلقي القبض عليه بتهمتين خطيرتين .واضطر صديقه الثاني الفيلسوف اناكساغوراس الى هجر اثينا بعد أن هُدد بالقتل لآرائه الملحدة . وكانت ثالثة الاثافي تلك التهمة الشائنة المتعلقة بعشيقته آسبازيا ،وقد اثـّرت في نفسه ابلغ الاثر .ورأى الشعب أرضه ينهبها العدو، ووباء الطاعون يتفشى فيها ، ففقد مكانته، ونُحّي عن الحكم ردحاً من الزمن ، ثم لم يلبث أن اعيدت اليه السلطة . ولكن الطاعون كان قد ترك آثاره فيه فتوفي في خريف العام ٤٢٩ ق. م.

كان بريكليس خطيباً مصقعاً ، وزعيماً عسكرياً، ومحور جماعة فذة من الشخصيات اللامعة امثال الروائيين والشعراء اخيلوس ، وسوفوكليس ، ويوريبيديس ، وسقراط الحكيم وسواهم ...

ديموستنيس

DEMOSTHENES

أبصر ديموستينيس ، **ويُعتبر من أعظم خطباء العالم القديم**، النور في اتيكا (باليونان) حوالي العام ٣٨٣ قبل الميلاد . وقد قرر منذ نعومة أظفاره تكريس حياته لخدمة مصالح بلاده ، وانصرف الى الشؤون العامة وهو في منتصف العقد الثالث . فتميّز الشطر الاول من حياته بمحاولة اقناع مواطنيه بالاتحاد ومقاومة تدخلات فيليب ، ملك مقدونيا . فلم يحالفه النجاح في هذا المسعى ، وانتصر الملك فيليب في النهاية على الاثينيين ، ولكنه عاملهم باعتبار وروية زائدين . وقد رثى ديموستينيس بخطب رائعة اولئك الذين لاقوا حتفهم في المعارك التي دارت رحاها بين مواطنيه وقوات الملك فيليب .. **وخطبه التي يهاجم فيها الملك المقدوني عديدة وعنيفة ، وتُعرف بالفيليبية .**

ناصب **امير الخطابة** الملك فيليب المقدوني العداء طوال خمس عشرة سنة لأنه أراد استعباد وطنه اثينا . ومكافأة له على وطنيته الصادقة ، واصلاحه أسوار اثينا على نفقته الخاصة ، اقترح السياسي ستيسيفون على الاثينيين منحه تاجاً من ذهب . فاتهم اشينس زميله ستيسيفون بخرق قوانين الدولة ، مما حمل ديموستينيس على إلقاء خطابه الشهير « من اجل التاج » الذي بُرئت على أساسه ساحة ستيسيفون .

ولما توفي الاسكندر ذو القرنين وضع ديموستينيس بلاغته في خدمة اليونانيين الاتحاديين،

الا أنه لما شعر بعجزه عن القيام بكل واجباته على الوجه الأكمل انتحر للتخلص من بطش القائد المقدوني أنتيباتر ، نائب الاسكندر الكبير ، الذي حكم مقدونياً اثنـــاء انهاك ذي القرنين في فتوحاته الشرقية .

ومما يروى عن امير الخطابة هذا انه لم يكن بطبيعته مؤهباً ومؤهـلاً لاعتلاء المنابر ، ومواجهة الجماهير في المجالس والندوات العامة .. فقد كان ألثغ، الأمر الذي حمله على خوض معركة لا هوادة فيها ، مع نفسه ، لتحسين صوته ، وتقوية صدره ، واصلاح حركات يديه وإشاراته . فكان يتلو الخطب الطويلة بعد أن يمـــلأ فمـه حصىً صغيراً ، ويقف على شاطىء البحر محاولاً السيطرة بصوته على صخب الامواج الهادرة ، وكل غايته من ذلك ، على حد تعبيره ، تعويد نفسه على مجابهة عواصف المجالس التي تصطخب فيهـــا المناقشات . **وغالباً ما كان يقف تحت حـــد السيف ليصلح من بعض حركات جسده ويديه اثنـاء الخطـابة ...**

شيشرون

CICERON

كان ماركوس توليوس شيشرون (١٠٦ — ٤٣ ق. م.) أكبر خطيب في روما ، وأحد ادبائها ورجال السياسة البارزين فيها . كان يعتقد ان على الخطيب أن يتمتع بالمعرفة الشاملة ، فتأهب لذلك بدراسة اللغات ، والأدب ، والقانون ، والفلسفة ،وبالتنقل في ارجاء اليونان وآسيا . **وكانت اولى مرافعاته وهو في السادسة والعشرين .**

إلا ان طبيعة شيشرون العاطفية المرهفة التي أتاحت له امتلاك زمام البلاغـة اضعفت مقامه في الحياة العامة حيث الحاجة الى الشجاعة الادبية والاستقرار الفكري . مثال ذلك أنه كان يشمئز من القسوة التي تتجلى في السيركات الرومانية ، ولكنه ، مع ذلك ، كان يشهدها حاملاً معه ألواحه ، فيكتب دون أن يتابع الالعاب الجارية أمامـه . وفي حياته السياسية عرف الشعبية والنفي . وقد عاش في العزلة منصرفاً الى الكتابة طوال حكم يوليوس قيصر . رسم في كتابه الجمهورية الدولة الجمهورية المثالية الحرة . وتبلغ عـــدد خطبه المعروفة اليوم سبعاً وخمسين أشهرها تلك التي ألقاها ضد الخائن لوشيوس كاتيلـين ، وضد مارك انطونيو . وقـد سببت هـذه الخطب الاخيرة موته ، ذلك بأن مـارك

انطونيو ، عندما تولى السلطة بعد مقتل يوليوس قيصر ، أرسل من يطارد شيشرون ويقتله.

ولا تزال خطب شيشرون تُدرّس الى اليوم في مختلف المعاهد على أنها نماذج من الادب الرفيع .. ومن خلالها يحيا شيشرون رجلاً قويم المبادىء ، مكافحاً باستمرار ، وبدون جدوى ، ضد الفساد الذي استشرى في عصره .

يوليُوس قيصَر

JULIUS CESAR

سياسي ، وقائد عسكري روماني ، يقترن اسمه بالحكم المطلق ، إلا أنه اكتسب شهرته وقوته ومجده على أساس نصرته للديمقراطية .

أبصر النور سنة ١٠٠ قبل الميلاد في أسرة نبيلة ، وتلقّى العلوم المناسبة لمقامه . تزوج في السابعة عشرة من كورنيليا ، ابنة لوشيوس سينّا ، زعيم الحزب الشعبي ، مما أغضب سولا ، رئيس حكومة الاعيان، الذي طلب اليه الطلاق فوراً . فرفض يوليوس قيصر وهرب ، ولم يعد الى روما إلا بعد وفاة سولا سنة ٧٨ ق. م .

بدأت حياة قيصر العامة سنة ٧٤ عندما انتُخب لأول منصب سياسي . وفي سنة ٦٧ طلّق كورنيليا بسبب الشائعات التي ترددت عنها ، وتزوج بومبيا ، احدى نسيبات بومبي ، احد أنصار الديمقراطية المتحمسين في ذلك الحين . وبفضل حكمته ودهائه استطاع التوفيق بين حزبي بومبي وكراسوس المتخاصمين ، مما أتاح له سنة ٦٠ أن يؤلف اول حكومة ثلاثية تحكم روما . واقتسم الثلاثة الامبراطورية فيما بينهم ، فكان من نصيب بومبي القسمان الاوسط والجنوبي بما في ذلك ايطاليا بأسرها ، وكان من نصيب قيصر القسم الغربي بما فيه بلاد الغول ، وأصاب كراسوس المنطقة الشرقية بما فيها بلاد فارس حيث لاقى حتفه فيما بعد ...

ضاعف قيصر في بلاد الغول،بقوة السلاح ، رقعة الاراضي الواسعة تحت الحكم الروماني. **وقد دوّن قصة هذه الحملة في كتاب دعاه « التعليقات » يطالعه الى اليوم كل طالب يتعلم اللاتينية** . ومن ثم استطاع اخضاع القبائل الرئيسية في بريطانيا . وتملّك الحسد من نفس بومبي ، وخشي من تزايد شعبية قيصر ، فاقترح على مجلس الاعيان أن يصدر الأمر الى قيصر بحل جيشه . وبدلاً من أن يذعن قيصر للامر زحف بجيشه اللجب الى روما ففر

بومبي من وجهه تاركاً اياه حاكم روما الفرد المطلق . وما هي إلا سنة حتى حطم قوات بومبي شر تحطيم في سهول تيساليا . وواصل حملاته العسكرية في افريقيا وآسيا الصغرى فقضى على جميع اعدائه . ومن ثم عاد الى روما حيث بالغت الجماهير المتحمسة في استقباله .

وهكذا جمع قيصر السلطة كلها بين يديه مع أنه حاول المحافظـــة على اسم الجمهورية وشكلها . **وقد انتُخب دكتاتوراً مدى الحياة . ولكنه ادخل الكثير من الاصلاحات الديمقراطية على الحكم في الوطن والمستعمرات معاً . واقاقت قوته وعظمته اصدقاءه واعوانه فاجتمعوا عليه وقتلوه سنة ٤٤ ق. م. بطعنة قاتلة كانت على يد بروتوس ...**

كليوبَاتره

CLEOPATRA

كليوباتره ! ... اكبر عاشقة عرفها التاريخ . . ملكة مصر وساحرة النيل ، توفيت لاكثر من الفي سنة ولكن شهرتها ما تزال تلمع وهاجة عبر الاجيـــال الطويلة المظلمة . انتحرت وهي في التاسعة والثلاثين ، إلا أنها في حياتها القصيرة الصاخبة قد سيطرت على مشاعر رجلين من اعظم الرجال في التاريخ البشري ، وأحبت قائدين عسكريين من أبرز القادة هما يوليوس قيصر ومارك انطونيو .. **قال عنهـــا الكاتب الفرنسي بليز باسكال (١٦٢٣ – ١٦٦٢) في كتابه « الخواطر » : « لو كان انف كليوباتره أقصر مما هو عليه لكان غيّر وجه العالم ! »**

فتح يوليوس قيصر معظم البلدان التي كانت معروفة آنذاك واحتلها احتلالاً تاماً ،سوى ان حسناء وادي النيل استطاعت ان تتغلب عليه وتحتلّ فؤاده بسهولة وسرعة .

كان القيصر الروماني زير نساء ، يفخر بأنه خبير ببنات حواء وبأنه من سلالة عشتروت، إلاهة الحب . وعندما بدأت علاقتها الغرامية كان في الرابعة والخمسين . وأخبرته ان اخاها يريد الفتك بها فما كان منه الا ان مشى بجحافله الرومانية الجرّارة لمحاربة الجيش المصري ، فانتصر عليه ، وظل يطارد الاخ حتى اضطره الى الموت غرقاً في النيل .. عندئذ اصبحت كليوباتره ملكة مصر غير منازعة ، وسيدة بلاد الفراعنة .

وانجبت له كليوباتره طفلاً ذكراً ، وهو الابن الوحيد الذي رُزقه قيصر طوال حياته . ولما كان متزوجاً ، وكانت زوجته في روما ، فلم يكن بالامكان اقترانه بكليوباتره . ولكي

تختنق كليوباتره الفضيحة في المهد وتجعل طفلها ابنــاً شرعياً امرت الكهنة بأن يعلنوا ان يوليوس قيصر ليس انساناً بل إله .. فهو الاله آمون إله الشمس ، وقد عاد الى الارض في جسد قيصر ليهب الملكة ولداً . وأعلن ذلك ، فصدقه المصريون على علاته.

ولم يمض طويل وقت على ذلك حتى قُتل قيصر فخلفه القائد مارك انطونيو الذي لا يفيق من السكر ، واصبح اقوى رجل في الامبراطورية الرومانية . واسكرتـــه خمرة النصر ونشوته ، فقاد جيوشه الجرارة الى الشرق .

وبلغ من هيام انطونيو بكليوباتره أنه اهداها ساحل فينيقيا بكامله ، واتبعـه بمقاطعة اريحا وجزيرتي قبرص وكريت . ولم يتورع عن اهدائها آسيا بأسرهـا ، مما اقام روما واقعدها .

ورأى الرومان ان لا مفر من القتال للتخلص من هذه الحالة . وأُعلنت الحرب ودارت الدائرة على انطونيو وكليوباتره اللذين تحطمت سفنهما وتشتتت جيوشهما ايدي سبأ .. وعرفا ان تلك نهايتهما . فطعن انطونيو نفسه طعنة مميتة ، ولفظ انفاسه الاخيرة في أحضان كليوباتره.

واما كليوباتره فخشيت ان تقاد الى روما مقيدة بالسلاسل ليطاف بها في الشوارع وتصبح هدفاً للهزء والسخرية ، فانتحرت بالسم دون ان تُعرف الطريقة التي لجأت اليها لادخال السم الى جسدها . فالذين رأوها بعد موتها بعشرين دقيقة مختلفون في ذلك .. فمنهم من يقدّر أنها عضت نفسها ثم أفرغت في الجرح سم افعى ، ومنهم من يجزم بأنها طلبت أن تُحمل اليها افعى داخل سلة مملوءة زهوراً ، وانها جعلت هذه الافعى تلسعها في صدرها ! ..

وكليوباتره ومارك انطونيو يرقدان اليوم جنباً الى جنب في مكان مـا من أرض مصر ...

شجرة الدّر

هي قصة حب وبغض ، قصة حسد وثأر ، قصة حياة ترف ، وتنعّم ، وموت مروّع ، في اطار من الدم والمذابح .. قصة السلطانة الفاتنة **شجرة الدر** التي تحتل مقاماً رفيعاً في امبراطورية النساء في الشرق . تزوجت من السلطان الملك الصالح ونعمت معه برخاء عميم ، وسعادة وارفة الظلال ، تشاطره مجده ، وقوّته ، ورفعة شأنه .

كانت مصر ، تلك البقعة الغنية من الشرق ، ترتع في أمن ، وسلام، وطمأنينة لما بدأت الحروب الصليبية .

ووصـــل الملك القديس لويس الفرنسي بجيشه الى المنصورة حيث دارت رحى معركة طاحنة .

وفي وسط هذه المعمعة الهائلة، وبينا كانت النفوس مضطربة تتوق الى معرفة النتيجة ولمن ستكون الغلبة ، توفي السلطان الملك الصالح أيوب على حـــين غرّة ، فكان موته خنجراً مصوباً الى صميم زوجته الحسناء شجرة الدرّ . فاسودت الدنيا في عينيها ووقعت فريسة لألم نفسي شديد . وعملت جهدها للاحتفاظ بالنبأ الفاجع ، وحبسه عن شعبها المناضل .

وكان لشجرة الدّر في سوريا خصم عنيد يدعى طوران شاه ، ابن زوجها السلطان الملك الصالح . وكانت تعرف انه من الدّ خصومها واكثرهم شعبية ، وقوة ، ونفوذاً ، فلم يكد طوران يسمع بنبأ وفاة والده حتى خفّ الى مصر يطالب بوراثة العرش . ولم يكتفِ بهذا، بل راح يلصق بشجرة الدرّ زوج ابيه ، التهم الشنيعة . ولم يستغرق تدبيرهـــا المؤامرة لاغتيال طوران شاه وقتاً طويلاً .

ولما تخلصت شجرة الدر من غريمها ، اعلنت نفسها سلطانة على مصر، وتسمّت **« المعتصمة الصالحية أم خليل ، عصمة الدنيا والدين وملكة المسلمين » . . وهي المرأة الوحيدة التي جلست على عرش الخلفاء في مصر** ... واذ كان من المتعـــذر ، بل من المستحيل عليها ان تمارس السلطة ، لانها امرأة ، فقد تزوجت من الشاب الجميل أيبـاك ، احد الامراء المماليك .

وكانت الحياة السعيدة قد بدأت تبسم لشجرة الدرّ لما اخذت الغيوم تتلبد قاتمة في الجو . فهذا زوجها ايباك يفكر في زواج جديد .

وثارت ثائرتها حين ظهرت لها خيانة زوجها اياها ونكرانـه جميلـها ، وجالت في خاطرها فكره الثأر ، وملكت عليها مشاعرها . وسرعان ما دبّرت قتله على ايدي عبيدها .

وعرف الامراء المماليك بقتل الامير ايبـاك فتملكهم غضب شديد ، فجمعوا جموعهم واقتحموا القلعة الملكية وقتلوا السلطانة الشابة ، وتركوا جثتها الجميلة على قارعة الطريق بعد ان نهبوا قصرها ولم يتركوا لها إلا فرسها وحزامها المزركش. فكانت في مماتها (سنة ١٢٥٧) لا تقلّ روعة ، وبهاء ، ونضارة عنها حين كانت حية تُرزق .

الملكة ايزابيلا

ISABELLA OF SPAIN

بعض الملكات عظيمات لانهن يحكمن بلادهن في أوج عزها كالملكة فكتوريا مثلاً .. وبعضهن يكتسبن عظمتهن من الرجال الذين حولهن كاليزابت الاولى ، ملكة انكلترا .. **اما ايزابيلا ، ملكة اسبانيا ، فهي التي صنعت بلادها بنفسها ، وصنعت كذلك عصرها ومجدها ...**

هذه الملكة التي تُعتبر احب البطلات الى نفوس الاسبانيين ، والتي كانت وراء كريستوفر كولومبوس مكتشف العالم الجديد ، أبصرت نور الحياة في ٢٢ نيسان ١٤٥١ . توفي أبوها ، ملك قشتالة (كاستيل) ، وهي بعد طفلة ، فملأت الكآبة نفس والدتها ، وتربّع على العرش اخو ايزابيلا (غير الشقيق) هنري الذي عُرف بالعاجز . وقد ترعرعت الطفلة الجميلة في البلاط الملكي في مدريد حيث عرفت بتفكك اسبانيا : فهناك ملك على قشتالة ، وآخر على آراغون . . والعرب ما يزالون مخندقين في غرناطة الى الجنوب .

ولما بلغت السابعة عشرة من عمرها تقدم لطلب يدها ثلاثة .. اميران وملك : ملك البرتغال العجوز الغني ، ودوق غويين ، شقيق ملك فرنسا ، والامير فرديناند الآرغوني ، وهو الشاب الوسيم الذي كانت تحلم به منذ طفولتها . ولم يكن اختيارها هذا الشاب اختيار قلبها فحسب ، بل كان اختيار سكان قشتالة .

وجنّ جنون اخيها هنري وهددها بالاعتقال ،ففرت الى مسقط رأسها وأرسلت تعرض على فرديناند يدها وقلبها . فاغتنم هو الفرصة لتوحيد شطريّ اسبانيا المسيحية ووقّع وثيقة الزواج ، واعادها الى ايزابيلا مرفقة بعقد من الياقوت كان لأمه . وعرف هنري من جواسيسه بما حدث فحشد جنوده على الحدود وأمر بالقبض على فرديناند . ولما تمّ زواج ايزابيلا وفرديناند في ١٩ تشرين الاول ١٤٦٩ تم توحيد قشتالةوآراغون، وبوحدتهما ولدت دولة جديدة : **اسبانيا الحديثة** :

وتوفي هنري فاعتلت العرش ايزابيلا خوفاً من أحد المطالبين به اثناء وجود فرديناند في آراغون لقمع احدى الثورات ، وكان ذلك في ١٣ كانون الاول ١٤٧٤.

وزحف ملك البرتغال الطامع بعرش ايزابيلا الى قلب قشتاله على رأس جيش قوامه ٤٠ الف رجل . فـلم يكن من الملكة الا ان اقتدت بجان دارك ، فامتطت جواداً ، وتدرّعت ، وراحت تجوب انحاء البلاد طالبة الاموال والرجال للدفاع عن المملكة ، فجيّش منهم فرديناند قوة عسكرية ضمنت له الفوز المبين على الغزاة .

كانت ايزابيلا زوجة مخلصة وأماً رؤوماً . أنجبت خمسة أولاد حملتهم معها الى كل مكان ذهبت اليه خـلال الحروب والمعارك . وكانت تصنع بنفسها كل قمصان زوجها المزركشة ، وتبادله خياناته العديدة لهـا ولرباط الزوجية المقـدس باخلاصها اللامتناهي ... وفوق ذلك كلـه كانت تغدق الهدايا الثمينة على عشيقاته ، وتسعى الى تزويجهن من رجال يقيمون بعيـداً بعيداً ...

وساعدت كولومبوس على اكتشاف اميركا فأمدّته بالسفن ، والمال ، ووعدته بعشر مداخيل هـذه البلاد الجديدة ، وبلقب « اميرال المحيط » . ونجح كولومبوس في رحلته الاستكشافية وفتح لاسبانيا ، ولملكتها المؤمنة بالقوة والمغامرة ، باباً عريضاً للثروة والاستعمار .

ولما عاد كولومبوس من ثالث رحلة له الى اميركا في ٢٦ تشرين الثاني ١٥٠٤ لم يجد ايزابيلا في قيد الحياة ... فقد ماتت هذه المرأة التي رفعت ، في جيل واحد ، بلادها من الفوضى والفقر الى الوحدة والعظمة ... والتي بايمانها وقوتها فسحت المجال امام اكبر مغامرة من نوعها فتحت العالم الجديد ، وآذنت بميلاد عهد جديد ! ..

مَاكيَافيلي

MACHIAVELLI

نيقولو ماكيافيلي (١٤٦٩ - ١٥٢٧) السياسي والاديب الايطالي هو اول من وضع قواعد الوطنية الايطالية ، وأول من فكّر في توحيد الوطن الايطالي دون مـا بحث أو نظر في ترميم الامبراطورية الرومانية.

وكان الى ذلك عبقرية فكرية فعالة .. دك صرح قواعد العصور الوسطى في بنائهـا

الاخلاقي والسياسي .. عنده نجد الفضيلة الفاعلة تقوم ، للمرة الاولى ، مقام التأمل الديني ، وعلى يديه يحل العلم التجريبي محل اللاهوت .

تُعزى هذه الثورة الفكرية التي كانت اساس التفكير الحديث الى ديكارت، وغاليليو وبايكون ، وقلما يُذكر فيها اسم ماكيافيلي كمؤسس...

« يكره الناس اليوم ماكيافيلي لاسباب ثلاثة هي : اولاً ان أشهر كتبه، وهو الكتاب السياسي **الامير** ما يزال موضع نقاش منذ اربعة قرون ، وثانياً انهم لا يلحظون فيه الجو الاجتماعي الذي صدر عنه ولا الاطار الروحي الذي أحاط به — (اي اوروبا القرنين الخامس والسادس عشر) ، وثالثاً ان الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتية اتفقتا ، لأول مرة في التاريخ ، على شجب هذا الكتاب وحرم مؤلفه .

« لقد تأثر ماكيافيلي بأحداث عصره ، ولو أنه عرف جورج واشنطن ، وماتزيني ، وكافور ، وغاريبالدي ، لكان وضع «أميراً » آخر يختلف عن « اميره » الذي أساء الى سمعته ، بل كان أدرك أنه لا يكفي انشاء امة واحدة متسلطة توهم الشعب أنها تعمل لخيره ، وعرف اخيراً ان المهم في بناء الأمة هو انسجام الارادات الفردية في مثل أعلى ، وتوحّدها في العمل على نيله وتحقيقه ... »

ان قوام كتاب « الامير » هو تحليل للوسائل التي تكفل للرجل الطموح أن يكسب القوة والسلطان ويحافظ عليها .. أما موضوعه فهو ان الضعف هو الجريمة الوحيدة .

وقد تقلب ماكيافيلي في الحياة السياسية العامة في مناصب عدة منها سكرتيرية الجمهورية ومنصب المستشار الثاني ، وأُوفد في بعثات لتمثيل فلورنسا في البلاطات الايطالية الصغيرة والعواصم الاوروبية . وعُيّن مرة سكرتيراً لدائرة خاصة أنشئت من أجل تعبئة قوة ميليشيا لمدينة فلورنسا . أتهمه آل ميدتشي خصومه ، لدى تسلمهم زمام الامور مجدداً سنة ١٥١٢ ، بأنه من المتآمرين عليهم مع جماعة من الجمهوريين ، ولكن التهمة لم تثبت عليه ، وبرئت ساحته . وعندها انسحب الى مزرعته في ضواحي فلورنسا حيث كرّس وقته كله للكتابة والتأليف ، **فوضع القصائد الشعرية ، والمسرحيات الهزلية ، ثم عكف على التأليف الجدي فوضع « الامير » في تلك المرحلة من حياته (١٥١٣). ولولا مساعدات الدولة له لوجد صعوبة في العيش الكريم .**

الملكة اليزابث

QUEEN ELIZABETH

وُلدت الملكة اليزابث ، ابنة الملك هنري الثامن البريطاني وآن بولين ، زوجته الثانية بين زوجاته الست ، في ٧ أيلول ١٥٣٣ . وعندما فسخ هنري زواجه من آن بولين وقطع رأسها كانت اليزابث في الثالثة من عمرها ، ففقدت حقها بالعرش ، كما فقدت شرعيتها . إلا أنه بعد بضع سنوات صدر قانون ، اثبته هنري في وصيته ، يعلن حق اليزابث بتولي العرش بعد أخيها الصغير ادوارد ، واختها الكبرى ماري .

تميزت اليزابث منذ نعومة اظفارها بتعلقها الشديد بالبروتستانتية وميلها الى التعاطي بالسياسة . وفي خلال حكم اختها الذي استمر خمسة أعوام كانت من اليقظة بحيث تقبّلت الكاثوليكية عندما صدر قانون بها . وسُجنت مرة ولكن سرعان ما عادت فحظيت برضى الملكة . وكان قربها من العرش خطراً على حياتها في تلك الايام ، فكانت تحاذر تعريض نفسها وتتحاشى ما وسعها المداخلات الضارة .

وكان موت الملكة ماري سنة ١٥٥٨ وارتقاء اليزابث العرش مناسبة سارة للكثيرين ، ذلك بأن حكم ماري جرّ الكثير من النزاعات الدامية في الخارج ، والاضطهادات الشديدة في الداخل . وقد رأوا في اليزابث ، وهي الملكة الانكليزية الصرف مائة في المائة منذ خمسماية سنة ، بشيراً بعهد جديد في مختلف الميادين . وقد حققت الكثير من الآمال التي عُقدت عليها . ففي عهدها نفضت الدبلوماسية البريطانية عنها السيطرة الاجنبية ، وفي عهدها تبوأت انكلترا مركزها كقوة بحرية بعد ان حطم الاسطولُ البريطاني سنة ١٥٨٨ الاسطولَ الاسباني الضخم المعروف بالأرمادا . وفي عهدها كذلك بلغ الأدب الانكليزي الذروة .

وكانت اليزابث الى جانب دهائها السياسي وذكائها ، جذابة الملامح ، خفيفة الروح ، وراقصة من الطراز الاول .. لم يستطع أحد من وزرائها حملها على الزواج . وتقول الشائعات ان السبب يعود الى عاهة جسدية . إلا أن السبب المعقول ربما كان الحالات النفسانية الفظيعة التي عانتها في طفولتها . وقد كان لها علاقات مع بعض الشخصيات وأشهرهم الايرل اوف ايسيكس الذي كان يصغرها بثلاث وثلاثين سنة . وكانت علاقتها عاصفة

انتهت باعدام ايسيكس بعد محاولته اشعال نيران الفتنة . وقد ماتت وحيدة ، عازبة، في ٢٤ آذار ١٦٠٣ .

ماري ، ملكة الاسكتلنديين

MARY, QUEEN OF SCOTTS

المعروف عن ماري ، ملكة الاسكتلنديين (١٥٤٢ – ١٥٨٧) أنها كانت فتاة صبية وجميلة ، حُكم عليها ان تموت ميتة شنيعة على يد امرأة لا ترحم هي الملكة اليزابث . والواقع أن ماري غذّت في يوم من الايام فكرة انتزاع عرش انكلترا من اليزابث ، وتآمرت على حياتها. **ومثل هذه الجرائم عقابها دائماً الموت .**

توفي والدها الملك دجيمس الخامس الاسكتلندي بعد ولادتها ، فأُرسلت الى البلاط الفرنسي وهي بعد حدثة ، حيث تلقت دروسها على أيدي أشهر المعلمين ، وتلقنت أصول الايمان الكاثوليكي ، وزُوّجت ببكر أبناء ملك فرنسا في كاتدرائية راينس ، وكان لها من العمر وقتئذ ١٥ سنة ، وكان هو في السادسة عشرة . وتوفي الملك بعد ذلك بسنة فاعتليا العرش . **وكانت الخطط التي تقضي باغتصاب العرش الانكليزي من نتاج تلك الفترة .**

ولما توفي زوجها عادت ماري الى اسكتلندا حيث تزوجت ابن عمها هنري ستيوارت ، لورد دارنلي ، ولكنها رفضت أن تمنحه لقب ملك . وكان دارنلي شديد الغيرة من سكرتيرها السري الايطالي ريزيو ، فقتله . ومرت فترة مصالحة بين الزوجين بسبب ولادة ابنهما سنة ١٥٦٦ ، ولكن ما ان أقبلت السنة التالية حتى نُسف المنزل الذي كان يقيم فيه دارنلي ، وكان مريضاً بالجدري وملازماً سريره ، وماري في احدى الحفلات الراقصة . ويقال ان دارنلي حُذّر في آخر لحظة ، فحاول الهرب ، ولكنه وُجد ميتاً في حديقة مجاورة . ولم يُعرف بالضبط دور ماري في هذه القضية ، ولكن الجميع شكّوا في أحد مستشاريها وعشيقها **ايرل اوف بوذويل** . وما هي إلا ثلاثة شهور حتى تزوجت بوذويل ، فثارت ثائرة اللوردات ، وحاصروا قصر بوذويل الذي هربت منه ماري متنكرة بملابس الفتيان . ولكن ألقي القبض عليها ، واسيئت معاملتها ، وهُددت بالقتل . **وأُكرهت على التنازل عن العرش** . ونجحت في الفرار من السجن بمساعدة خادم في السادسة عشرة من عمره . ونظمت جيشاً كان نصيبه الهزيمة . فلم ترَ بداً من الهرب الى انكلترا والارتماء تحت

رحمة الملكة اليزابث . وبقيت في السجن طوال حياتها . وقبيل مهاجمة الاسبان لانكلترا تبين أنها كانت تتآمر على حياة اليزابث ، فحوكمت ، وأعدمت في ٨ شباط ١٥٨٧ . فمشت الى المشنقة رابطة الجأش بثوبها الاسود الذي نزعته في اللحظة الاخيرة ليبدو تحته ثوب قرمزي ساطع .

ريشــيليو

RICHELIEU

وُصف هذا السياسي الفرنسي الداهية (١٥٨٥ — ١٦٤٢) بأنه لم يكن له حليف إلا شخصيته الفذّة . كان عنيداً ، وعادلاً ، وذا ارادة من حديد. وعلى الرغم من أنه لم يكن قوياً بدنياً ، إلا أن جسمه الهزيل المكسو بملابس الكرادلة الحمراء القرمزية كان يفرض الاحترام والطاعة حتى من أولئك الذين كانوا يكرهونه ويهابونه . وقد عاش حياة بــذخ وفخفخة بعد أن حالف النجاح المادي سياسته .

كان ريشيليو تواقاً الى الشهرة الادبية ، ولكن عطفه على الادباء ، ومن أبرزهم بيير كورناي ، كان اهم من كتاباته . وهو مؤسس الاكاديمية الفرنسية ، وبــاني العديد من بنايات السوربون .

رُسم ريشيليو اسقفاً سنة ١٦٠٧ بعد أن حصل على تصريح من البابا لصغر سنه. وأصبح كاردينالاً سنة ١٦٢٢ . ولم يجد كبير صعوبة في الحصول على رضى وعطف الملكة الام ماري دي ميدتشي . وما لبث أن أصبح بدهائه وذكائه رئيس وزراء الملك لويس الثالث عشر ، في آب ١٦٢٤ . وقد عمل جهده طوال الثاني عشرة سنة التي تلت ليجعل السلطــة الملكية ، التي كانت في الواقع سلطته ، مطلقة في فرنسا والخارج . ونجح في كسب تأييد عدويه الرئيسيين في فرنسا دون ما كبير عنـاء ومعارضة : البروتستانت (الهوغونو) ، والنبلاء الاقطاعيين .

وغضبت عليه الملكة الام بسبب بعض الشائعات حول عدم مبادلتها الحب . وعلم الملك بذلك ، وكان شديد التعلق بالكردينال ريشيليو ، فأوهم امه أنه سيطرده من بلاطــه وخدمته . فاستدعاه وأكد له ثقته فيه ، وتأييده التام له . ولـما لم تستطع ماري دي ميدتشي مصالحة الكاردينال غادرت باريس ولم يُسمح لها بالعودة.

أما التهديد الثاني الذي تعرّض له ريشيليو فكان من شقيق الملك الذي كان يسانده هنري ، دوق دو مونمورنسي ، فأرسل ريشيليو الدوق الى المقصلة ، فكان أول نبيل يُعدم ، وآخر حلقة من سلسلة أسرة شهيرة يرجع تاريخها الى سبعة قرون .

كانت سياسة ريشيليو في الخارج شبكة من التآمر السياسي غايتها إضعاف اعداء فرنسا ، فكانت ناجحة لا تعرف الهوادة ، كما كانت في فرنسا ، وقد توفي هذا الوزير في ٤ كانون الاول ١٦٤٢ .

كرومويل

OLIVER CROMWELL

قليلة هي المعلومات التي وصلتنا عن حياة اوليفر كرومويل الاولى . فقد أبصر النور في هنتنغدون سنة ١٥٩٩ ، ودرس على أيدي أساتذة متزمتين . ولم يكن على درجة كبيرة من الذكاء ، ومع ذلك فقد درس القانون ، وتزوج سنة ١٦٢٠ . ومضت سنون قبل أن يستقر على نوع من المعتقدات الدينية . ولكنه عاش حياة تقىً وورع . انتُخب عضواً في البرلمان سنة ١٦٢٨ فاهتم بالشؤون الدينية أكثر من اهتمامه بالشؤون السياسية . وثمة دلائل تشير الى أنه لم يكن راضياً عن سياسة الملك شارل الاول ، ويقال أنه كان ينوي الهجرة الى نيو انغلاند (في اميركا) .

وعندما اندلعت نيران الثورة الايرلندية سنة ١٦٤١ اقترح كرومويل أن يشرف البرلمان على الميليشيا وأصبح هو قائد الجيش المعترف به . وعندما طالب المجلس برأس الملك شارل تردد كرومويل في البـــدء ولكنه صرح اخيراً بقوله . « أتعلمون ماذا تفعلون ؟ اقطعوا رأسه والتاج فوقه ! » وقد كان الزعيم في كل الاحداث التي أدّت الى اعدام الملك في ٣٠ كانون الثاني ١٦٤٩ . وواجه الكومونويلث بالغاء الملكية موقفاً حرجاً خطيراً . **وقد أمر كرومويل عندمـــا قمع الثورة الايرلندية بذبح حامية دبلن وتتألف من ٢٨٠٠ رجل ، وهو عمل ما تزال نتائجه السيئة ملموسة حتى وقتنا الحاضر** . وقد عامل الاسكتلنديين ايضاً بالعنف ليفرض عليهم الطاعة .

بقيت قضية انشاء حكومة دستورية .. اتخذ كرومويل لنفسه في ١٦ كانون الاول

١٦٥٨ لقب **«حامي انكلترا»** . ولكنه واجه مصاعب برلمانية جمة . وفشل في تحويل الدولة العسكرية الى دولة مدنية ، فحل البرلمان في ٤ شباط ١٦٥٨ . ولم يرض أحد عن سياسته الخارجية .. فقد جعل انكلترا مهابة بقوة السلاح ، ولم يفهم السياسية الاوروبية . وتوفي في ٣ أيلول ١٦٥٨ . **وقد شُنق بعد وفاته** ... ويستدل من الجدل العنيف الطويل الذي جرّته اقامة تمثال تخليداً لذكراه في وستمنستر سنة ١٨٩٩ ، على مدى شعور الانكليز في ما يتعلق بقضايا كروموبل ...

الملكة كريستينا

QUEEN CHRISTINA

كريستينا ، ملكة اسوج ، (١٦٢٦ — ١٦٨٩) وتدعى **ملكة النقيضين** ، هي ابنة الملك غوستاف ادولف الثالثة . ماتت ابنتاه الاوليان في طفولتها ، فتنبأ له المنجمون بأن المولود الجديد سيكون ذكراً ، ولكن وُلدت كريستينا ، اشبه ما تكون بالذكور .. بشرتها داكنة ،وجلدها أشعر ،وصوتها خشن. **وعاشت طوال حياتها تغلب عليها خصائص الذكور . وركبت الخيل ، وقاتلت قتال الفرسان ، وكانت تروي بلا خجل أو استحياء الاقاصيص المخزية ، وتجلس وساقاها مرفوعتان فوق مسند الكرسي،وتفضّل من الملابس ما شابه الملابس الرجالية قائلة انها لا تطيق ملابس النساء واساليبهن .**

وفضلاً عن ذلك كان لها صبر الرجال وجلدهم ، تكتفي من النوم بأربع ساعات أو خمس ، لا تكل من العمل مهما يكن مضنياً شاقاً ... لذلك أبى كل من عرفها أن يناديها بلقب المؤنث ، بل كانوا ينادونها بالامير كريستينا بدلاً من الاميرة كريستينا .

توفي عنها والدها وهي في الرابعة من العمر . وظلت طوال حياتها تكره الحرب لأنها وُلدت في منتصف حرب السنوات الثلاثين ، وسمعت الكثير من الروايات والقصص المفزعة عن اعمال السلب التي يأتيها الجنود ، وعذاب المدنيين وآلامهم .

في السادسة من عمرها انتُزعت من أحضان أمها ليتولى تربيتها وتثقيفها وزير المملكة اوكسنستون ، فكان تعليمها تعليم رجل يقوم به رجال . وما كانت تستريح الى مجالس النساء او الى طرقهن الملتوية ، ولا الى دراساتهن التي تدعو الى الدهشة ، كدروس التطريز

وتثقيفهن في آداب الدلال والغزل ... »

كانت غريبة الاطوار ، ذكية ، وتحسب في عداد العبقريات ، وكان بين أساتذتها سالفايتوس ، وستيرنهلم ، وديكارت . وقد ادهشت حاشيتها بانصرافها عن شؤون الحكم والملك وواجباتها الى العناية بادبائها وكتبها ودروسها . وأدهشتهم أكثر فأكثر عندما تخلت ذات يوم عن العرش ، وجعلتهم يقولون : « ان هذه المرأة قد قلبت أوضاع الطبيعة . فان معظم الناس يودون لو فقدوا حياتهم في سبيل الوصول الى العرش . وكريستينا تفقد عرشها لتكسب الحياة . »

وكانت يومئذ في الثامنة والعشرين من سنيها . فراحت تنتقل من بلد الى بلد في اوروبا تحفّ بها حاشيتها التي لم تتخلّ عنها بتخلّيها عن العرش ، وتطلع على الناس كل يوم بمفاجآت ومفاجآت . وقد نهبت قبل مغادرتها اسوج كل ما في القصر من تحف ومجوهرات حتى أن خلفها الملك شارل غوستاف لم يجد في القصر إلا سجادتين وسريراً قديماً .

كان شعارها في كل أعمالها هذه ان على المرء أن يجدد دائماً في كل شيء . . ولقد جددت هي في كل شيء حتى في اعتناق مذهب ديني جديد . (كانت لوثرية فأضحت كاثوليكية) . وذهبت الى روما لتناول الاسرار المقدسة في كاتدرائية القديس بطرس وهي في ملابس الفرسان تعتمر قبعة غريبة الشكل زاهية الألوان ، مما أثار استياء الحبر الاعظم والكرادلة .

وفي سنة ١٦٥٦ عادت الى بلادها اسوج بعد أن ملّها مجتمع روما ، ورأت بأم عينها زوال مجدها ونضوب معين ثرائها . وقد قدّم لها البابا مبلغ ١٠ آلاف كراون على سبيل المساعدة .

وحنّت الى الشهرة والملك ، فحاولت عبثاً أن تصبح ملكة على نابولي ، ثم على بولونيا . ولما عجزت عن تمثيل هذا الدور من مسرحية حياتها الكبرى شاءت ان تختتم روايتها بفصل من فصول الحب مع كبير المشرفين على شؤون بيتها الكاردينال أزوليني الذي أبى أن ينظر اليها نظرة ود واحدة . وقد خدعها إذ جعلها توقّع وثيقة دون أن تقرأ ما فيها لعجزها عن القراءة في تلك السن المتقدمة . وكانت الوثيقة تنازلها اليه عن كل إرثها ، ويبلغ الملايين من الكراونات ...

« وهكذا كان ازوليني المتفرج الاخير والمصفّق الاخير لنهاية هذه الممثلة ! »

لويس الرابع عشر

LOUIS XIV

هذا الملك الفرنسي (١٦٣٨ — ١٧١٥) الذي عُرف باسم الملك العظيم ، أو **الملك الشمس**، بدأ حكمه وهو في الرابعة من عمره، فكان اطول حكم سجّله التاريخ الاوروبي، وقد تجاوز من حيث الطول حكم الملكة فكتوريا البريطانية . **وعُرِف بالعصر الذهبي في فرنسا .**

كانت السلطة في مستهل حكمه بيد والدته والكاردينال مازاران ، رئيس الوزارة ، الذي أتم العمل الذي بدأه الكاردينال ريشيليو . وكانت فرنسا وقتئذ تعــاني من حرب أهلية ، واضطرت الاسرة المالكة أن تفرّ من باريس مرتين اثنتين . ولكن السلام ما عتم أن خيّم ، في الداخل والخارج ، وكرّسه سنة ١٦٦٠ زواج لويس الرابع عشر من ماريا تيريزا ، ابنة ملك اسبانيا وولية عهده . فلما مات مازاران سأل رجال البلاط والحاشية لويس عمن سيُستشار في شؤون الدولة فأجاب « أنا ». وهو الذي اوجد هذه العبارة الشهيرة **أنا الدولة** . وكان الوزراء تحت رقابته وسيطرته التامة .. لم يعرف جيشه الهزيمة ، وقد انتصرت دبلوماسيته في كل مكان . **وفي عهده قادت فرنسا القارة الاوروبية في الفنون، والآداب ، والعلوم ، وازدهرت اقتصادياً . وقد بنى لويس قصر فرساي الفخم الذي كلف انشاؤه ١٥٠ مليون فرنك .** ومع أن هذا القصر تلألأ بالعبقريات الفنية والادبية والعلمية ، إلا أنه كان مرتعاً لسلسلة من الفضائح بطلاتها عشيقات العاهل الفرنسي .

في سنة ١٦٦٧ بدأت سلسلة حروب دامت طوال حكم لويس الرابع عشر ، كانت أشهرها الحرب الهولندية ، وحرب التحالف الكبير ، والحرب الاسبانية التي انهزمت فيها فرنسا على يد انكلترا . ولم ينقذ فرنسا من التفكك إلا حنكة الملك الشمس ومستشاروه.

وقد تميزت السنوات الاخيرة من حكمه بالسلام ، ولكنها كانت سنوات كئيبة إذ أثقل كاهل فرنسا بالديون ، واشتدت المعارضة للملكية . وفقد لويس ابنه البكر ، وحفيده البكر ، وابن حفيده . ولما توفيت زوجته ماريا تيريزا ، اقترن بآخر عشيقاته مدام دو مانتينون ، وكانت سيدة تقية ورعة ، ففقد قصر فرساي بتأثيرها بهجته ومرحه .

وتوفي لويس الرابع عشر فقال فيه مونتسكيو : **« كانت روحه أعظم من فكره ! »**

بُطرُس الاكبَر

PETER THE GREAT

كان بطرس الاول (١٦٧٢ — ١٧٢٥) قيصر روسيا ، المعروف باسم **بطرس الاكبر**، شخصية تتميز بالتناقض الغريب.. وُصف بأنه كان تقياً ورعاً، شديد التديّن، ولكن الكثير من أعماله يدل على الوحشية والبربرية . ولقد كانت حياته فساداً وفجوراً .

إلا أنه عمل كحاكم باخلاص شديد لما اعتقده في مصلحة روسيا وتقدمها . كان معلمه الاول الشخص الذي أصبح فيا بعد مهرج البلاط . وفي خلال ثورة جرت سنة ١٦٨٢ رأى بطرس عمه يُقتل على أيدي الجماهير ، ورأى أحد أصدقائه يُقطع ارباً ارباً . ولعل هذه الفظائع هي سبب النوبات التي كانت تنتابه في آواخر حياته . وكانت تلك السنة التي أصبح فيها قيصر روسيا .

ولم يكن متحمساً للملك في بادىء الأمر تحمسه لبناء السفن ، والملاحة ، والترويض . أما المسؤول عن حياة العبث والفساد التي انغمس فيها فمغامر سويسري يدعى فرنسوى لوفور . تزوج ، ولكنه هجر زوجته بعد سنة واحدة . ولما أيقن أن روسيا متخلفة عن ركب الحضارة الاوروبية عكف على تعبئة جيش وبناء اسطول بحري ، هاجم بهما قلعة آزوف التي كان يحتلها الاتراك . وفي سنة ١٦٩٧ قام بجولة في ارجاء اوروبا حيث تعلم الكثير عن المدفعية ، وبناء السفن ، والتشريح ، والحفر ، وتنظيم الجيوش . وكان أنّى ذهب يتعاقد مع الخبراء للعمل في روسيا . واضطر الى العودة الى وطنه بسبب نشوب ثورة ، فقمعها بقسوة . **وما لبث أن أدخل العادات الغربية الى الحياة الروسية ، الأمر الذي اكسبه نقمة بعض رعاياه** . وكان في جملة الاصلاحات التي اقتبسها عن الغرب وفرض تطبيقها ارتداء الملابس الاوروبية ، وحلق اللحى (وقد تولى شخصياً حلق لحى جميع النبلاء من حاشيته) ، وتحرير المرأة من العزلة الأسيوية ، وايفاد الشبان الروس في بعثات الى الخارج ... فضلاً عن إدخاله بعض الاصلاحات على الحياة الصناعية والسياسية . وكان أسوأ ما قام به تتويج زوجته ، ولم تكن قد تُوجت أية امرأة من قبل في روسيا . وكاترين الاولى ليست إلا فتاة فلاحة وخادمة ! **ولم يشعر بطرس الاكبر بالراحة إلا بعد أن أمّن لروسيا منفذاً الى البحر** . وقد فعل ذلك على حساب اسوج بعد أن استولى على مقاطعات البلطيق . وقد أنشأ سان بطرسبورج وجعلها عاصمة روسيا الجديدة وميناءها

الحقيقي سنة ١٧٠٣ . وفي هذه الاثناء خسر كل ما كسبه في تركيا . وفي سنة ١٧٢٤ أصيب بنوبة قضت على حياته في مستهل العام التالي .

فريدريك الكبير

FREDRIECK THE GREAT

فريدريك الثاني ، المعروف بفريدريك الكبير ، ملك بروسيا ، ولد سنة ١٧١٢ ، فكانت طفولته بائسة الى حد أنه حاول الهرب الى انكلترا . فألقي عليه القبض ، واجبره والده الذي أساء معاملته ، على مشاهدة عملية اعدام صديقه الذي ساعده على الهرب . وقد أقطعه والده مدينة راينزبرغ حيث كرّس وقته للدرس حتى أصبح ملكاً لدى وفاة والده سنة ١٧٤٠ . **وكان شغوفـــاً بالكتابة ، فانهمك بمراسلة فولتير الذي كان شديـد الاعجاب به .**

تميز حكم فريدريك بالحروب السيليزية الثلاث ، الى جانب عدد من النزاعات الصغيرة . وكان في فترات السلم يجهد في تحسين الحالة الداخلية . **وكان أكبر عمل حققه بسياسته الخارجية انشاء اتحاد الامراء الألمان .** فلما توفي سنة ١٧٨٦ كانت مملكته قد زادت ٢٩ ألف ميل مربع ، و٤ ملايين نسمة ، وأكثر من ٧٠ مليون دولار بروسي . وكان قوام جيشها ٢٠٠ ألف جندي ، (من أقوى جيوش اوروبا) . وقد اشتهرت بلاده بالصناعة ، والثراء ، وتقدم العلوم الطبيعية . **ويُعتبر فريدريك واضع أسس العسكرية الجرمانية (الالمانية) .**

عُرف عن فريدريك الكبير أنه كان يبالغ في تكريم رجال الفكر والعلم والأدب والفن .. يؤثر صحبتهم على صحبة رجال السياسة والمال ، وربات الظرف والحسن والاناقة. إلا أنه كان يؤثر على صحبة هؤلاء واولئك صحبة العسكريين قادة وأنفاراً . **فكان يُجلس عن يمينه قائد الفرسان وعن يساره قائد المشاة ، في المآدب النادرة التي كان يقيمها ، مبالغة منه في تكريم الجندية في شخصيها .**

وذات يوم سأل فولتير صديقه العاهل البروسي عن سبب مبالغته في اكرام الرجـــال العسكريين وليس لهم إلا ميزة واحدة وهي أنهم رجال سيف .

فما كان من فريدريك إلا أن ابتسم وأجاب فولتير بقوله :

ـ العسكريون هم صفوة خدّام الوطن والعرش ، يخدمونها باخـلاص ، ويفتدونها بالارواح . وعندما يجـــدّ الجد لا يفيد الوطن والعرش غير السواعد القوية والسيوف المـاضية !

كاترين الروسيّة

CATHERINE THE GREAT

كانت كاترين الكبرى (١٧٢٩ ـ ١٧٩٦) أشهر امبراطورة تربعت على عرش القياصرة الروس . **إلا أنها لم تكن روسية الاصل ، ولم يكن اسمها كاترين . وثمـة مؤرخون لا يعتقدون أنها تستحق لقب « الكبرى » .**

لم تكن لدى مجيئها الى روسيا إلا أميرة جرمانية حقيرة ، بائسة ، لا صديق لهـا ولا مال لديهـــا ، ولا تملك سوى ثلاثة أثواب . ومع ذلك استطاعت أن تتزوج من الدوق بطرس الاكبر ، ولي عهد روسيا . ولم يكن الدوق هذا شخصاً يستحق الاهتمام ، إذ كان أبله ، قبيح المنظر لآثار الجدري التي تشوّه وجهه . وكثيراً مـا كان يأوي الى فراشه منتعلاً حذاءه .

تربعت على العرش زهاء اربعة وثلاثين عاماً .. وروسيا في ذلك الوقت من أكبر الامبراطوريات في العالم ، تضم حوالي خمسين جنساً بشرياً مختلفـاً ، ومع ذلك كانت كاترين تتحدث عنها فتقول : « منزلي الصغير » !

عرفت المئات من العشاق المولهين . وكانت شديدة التحفظ أمام أحفادها ، فمنعتهم من دراسة علم النباتات لانهم كانوا يحرجونها في أسئلتهم عن التناسل في هذه المملكة . ولم تبخل على عشاقها بشيء ، وقـد بلغ ما انفقته عليهم وفي سبيلهم خمسمائة مليون دولار . صنعت منهم القادة الكبار ، والوزراء ، ورؤساء الوزارات ، والحكام . واحتلت بولونيا فنصّبت على عرشها أحد عشاقها رغماً عنه للتخلص منه بعد أن اشبعت رغباتها منه . وسرعان ما عملت على تحطيمه ، فنقلت عرشه المذهب الى روسيا واستعملته في حمامها الخاص ...

لم تذق الخمر مطلقاً ، ولم تعرف طعم المشروبات الروحية ، ولم تدخن التبغ ، بل كانت تكتفي بشرب خمسة فناجين قهوة كل صباح يُستخدم في صنعها نصف كيلو من البن .

كانت محاطة بالخدم والحشم ، ولكنها كانت تفضّل أن تشعل نيران موقدها بنفسها .

وكانت شديدة الكبرياء والانفة ، لم تفتح قط رسالة لم تتوّج بعبارة « صاحبة الجلالة الامبراطورية » .

وتقدمت في السن ، ولم تعد رجلاها تقويان على حملها لثقل وزنها مما اضطرها الى الجلوس على كرسي ذي عجلات يجره الخدم . وأمست عجوزاً دردبيساً فلم تتورع عن حب شاب على عمر أصغر احفادها اصبح في اواخر ايامها الحاكم بأمره في روسيا كلها كأنه القيصر .

وأحبت كاترين في جملة من احبت جباراً قبيحاً اعور يدعى بوتمكين ، لم يصفف شعره مرة ، يقضم اظافره بأسنانه ، ويحب أكل الثوم والبصل ، ويكره الاغتسال ، على جاهه وماله .

كان حكم كاترين لروسيا خيراً وبركة عليها لا سيما في اوائل سني حكمها .. وقد حاولت أن تفرض الآراء والأفكار والثقافة الغربية على شعبها حتى بعد الثورة الفرنسية عندما حرّمت بيع الكتب الفرنسية في روسيا . وقد نجم عن حسن سياستها الخارجية ازدياد رقعة الارض الروسية ...

اجادت فن الحكم والسياسة وامتازت بحصافة الفكر ، وسداد الرأي ، وبعد النظر . وقد أسست ندوتين ادبية واجتماعية ، وأقامت مراسلة مع ادباء فرنسا وكتّاب الثورة... وفتحت أبواب بلاطها للمفكرين والعلماء واصحاب الرأي ، مقرّبة كل من تأنس فيه قبساً من نبوغ وشعاعاً من عبقرية .. **كل ذلك في سبيل تبديد الظلام الذي يخيم على بلادها .**

جُورج وَاشِنْطن

GEORGE WASHINGTON

ابو الولايات المتحدة الاميركية، وزعيم كفاحها من أجل الاستقلال.. ساعد كثيراً على صهر مختلف العناصر التي تؤلف الولايات المتحدة في بوتقة واحدة . وقد أجمع اعضاء الكونغرس بعد وفاته بخمسة ايام على وصفه بقولهم : **«كان الاول في الحروب ، والاول في السلم ، والاول في قلوب مواطنيه !»**

أبصر واشنطن النور في فرجينيا في٢٢ شباط ١٧٣٢، وكان والده من أصحاب الاملاك الناجحين . لم يدرس طويلاً .. توفي والده وهو في الخامسة عشرة ، فترك المدرسة واقام مع اخيه ، غير الشقيق ، لورنس الذي ورث املاك والده . وخلال الحرب الهندية

الفرنسية التحق بالميليشيا ، وما لبث أن اصبح قائداً عاماً لقوات فرجينيا كافة . وفي سنة ١٧٥٩ تزوج من الارملة مارثا داندريدج كستس واستقر في املاك الاسرة في جبل فرنون بعد أن ورثها عن اخيه .

كان عضواً في مجلس نواب فرجينيا ، وفي سنة ١٧٧٤ انتُخب مندوباً لأول مؤتمر اميركي . ولم يكن معروفاً نسبياً ، ولكنه مع ذلك انتخب قائداً أعلى للقوات المسلحة عندما قر الرأي على الكفاح من أجل الاستقلال . فنظّم جيشه بسرعة ، وطرد الانكليز من بوسطن في سنة ١٧٧٦ . ومنذ ذاك لم يكسب أي معركة رئيسية حتى كان استسلام الجيش الانكليزي بقيادة كورنواليس في يوركتاون سنة ١٧٨١ .

وفي سنة ١٧٨٩ استدعي مجدداً لقيادة بلاده ، ولكن كأول رئيس لها ، فعمل ثماني سنوات لبناء دولة جديدة . وقد توفي في ١٤ كانون الاول ١٧٩٩ في منزله في جبل فرنون بعد سنتين اثنتين من اعتزاله الرئاسة ...

دجيفرسون

THOMAS JEFFERSON

«**مهندس الديمقراطية**» ، ومؤسس الحزب الديمقراطي الاميركي، توماس دجيفرسون (١٧٤٣ – ١٨٢٦) ، هو ثالث رئيس للولايات المتحدة الاميركية. كان ثالث من دُعي باسم توماس في اسرته ، وثالث ابناء ابيه ، ذهب الى ثلاث مدارس ، ووضع دستور الولايات المتحدة في سن الثالثة والثلاثين ... عُيّن مفوضاً ثالثاً وبقي ثلاث سنوات سفيراً ثالثاً لبلاده في فرنسا . وكان ثالث اعضاء وزارة واشنطن ، وثالث رئيس للجمعية الفلسفية الاميركية . خسر الرئاسة سنة ١٧٩٦ بثلاثة اصوات ، وكان يكره ثلاثة : الملكية ، والارستقراطية ، والتعصب . عاش حياته محباً لثلاثة : الهندسة ، والرسم ، والموسيقى . **وفي العبارة التي طلب نقشها على ضريحه شاء أن يُذكر بثلاثة : اعلان الاستقلال ، تمثال فرجينيا ، وجامعة فرجينيا اللذين انشأهما . وكانت المثل الثلاثة التي وضع بها أسس الميثاق الاطلسي هي : الحياة ، الحرية ، والسعي وراء السعادة .**

وكان دجيفرسون من اعظم الرجال الاميركيين في كل العصور ... **كان عالماً نباتياً ، وجندياً ، ومحامياً ، ورحالة ، وجوّاحاً ، واقتصادياً ، وشاعراً ، ومخترعاً ، ومربياً ،**

وكيماوياً ، ومهندساً ، وفلكياً ، وعالماً حيوانياً ، ورساماً ، وموسيقياً ، ولغوياً ، ومزارعاً ، وصانع عربات ، ودبلوماسياً ، وبستانياً ، وسياسياً ، ورياضياً ، وعالماً بالاجناس ، ومشترعاً ...

اخترع محراثاً وعصا للسير ، وكرسياً يُطوى ويُنشر حسب الحاجة ، ومركبة ذات عجلتين لراكب واحد ، وعدّاداً لقياس المشي ، وآلة للقنّب ، وطابعاً للحروف .

وأدخل الى الولايات المتحدة الاميركية الزيتون ، والارزّ ، والغنم المعروف باسم ميرينو ، والمصعد ، ونبات القبّار ، وخنازير كلكوتا ...

تاليران

TALLEYRAND

كان تاليرن (١٧٥٤ — ١٨٣٨) انساناً له كثير من المزايا وكثير جداً من الاخطاء .. كان عاشقاً ، ومغامراً ، ومقامراً .. رشيق الكلام ، انتهازياً ، يدافع عن نفسه بكل وسائل الدفاع . ويدافع عن مبدأه الى الحد الذي يجر على نفسه فيه الخطر .

وهو أحد ساسة فرنسا الكبار في تلك الفترة التي تعج بالحركة ، والحياة ، والضوضاء .. قبل الثورة الكبرى وبعدها .

أبصر النور في باريس . وأوفده والده الى احدى مدارس اللاهوت فراح يقضي وقته في حب ممثلة ناشئة التقاها مرة في الكنيسة ، وحماها من المطر بمظلته .

وكبر وأصبح اسقفاً ، ولكنه اضطر لضمان مستقبله السياسي ، أن يخرج على تعليمات البابا ، فلم يتردد لحظة في عصيان هذه التعليمات ، الأمر الذي حمل البابا على رميه بالحرم . ولم يؤثر فيه قرار الحرمان بدليل أنه كتب الى احد اصدقائه يومها يدعوه لتناول طعام العشاء ، واكل اللحم البارد ، وشرب النبيذ .. كل ذلك احتفالاً بقرار الحرمان .

وتولى تاليران مناصب سياسية عالية : فكان رئيساً للجمعية الوطنية سنة ١٧٩٠ ، ثم وزيراً للعلاقات الخارجية في عهد حكومة المديرين (الديركتوار) ، ثم في عهد القنصلية ، واخيراً بعد عودة الامبراطورية . ولم يجد صعوبة في الانضمام الى الملكية بعد عودتها ، ومثّل دوراً هاماً ماهراً في مؤتمر فيينا ، ثم في لندن حيث كان الملك لويس فيليب قد عيّنه سفيراً لفرنسا .

كان سياسياً داهية لا وازع له من ضمير ، ولكنه كان ذكياً ، حاضر البديهة ، مراوغاً ، متطرفاً في آرائه ...

وكان لتاليران غراميات لا تحصى لعل أشهرها وأعجبها على الاطلاق غرامه بمدام دو فلاهو التي كان يشاركه في حبها مغامر اميركي اعرج مثله يدعى الحاكم موريس . وكثيراً ما كانا يلتقيان عندها فيجلسان على أتم وفاق بعد أن افلحت في ترويضهما واشاعة أسباب الوفاق والمودة بينهما . وعلى الرغم من كل هذا كان تاليران المحبوب المفضل . وقد أنجب منها ولداً اعترف به زوج العشيقة ، أصبح فيما بعد أركان حرب نابوليون وعشيقاً لاحدى الملكات . ومن المشاهير الذين أصبح تاليران أباً غير شرعي لهم الرسام ديلاكروى ...

ومن أبرز اعمال تاليران دعوته الى تأميم أموال الكنيسة واملاكها امام الجمعية الوطنية ، وحملته من أجل الاصلاح المالي ، وتأسيس بنك للدولة ، ومعارضته بشدة اصدار العملة الورقية دون تغطية ، وحملته من أجل تعميم التعليم الاجباري ...

رُوبسْپيير

ROBESPIERRE

لاقى الثائر الفرنسي مكسيميليان ماري ايزيدور روبسبيير حتفه على المقصلة ، **فكان مصيره مماثلاً لمصير الآلاف من الذين حكم عليهم بالموت خلال حكم الارهاب .. فالثورات غالباً ما تأكل أبناءها !**

ولد روبسبيير في ٦ ايار ١٧٥٨ ، وكان من اتباع روسو ، درس الحقوق وامتهن المحاماة ، وسرعان ما اصبح زعيماً للاحرار فتوجه الشعب قومياً متطرفاً . لم يكن نفوذه مطلقاً بين الراديكاليين في مراحل الثورة الفرنسية الاولى ولكن مطالبته بموت الملك لويس السادس عشر عملت الكثير على دعم مركزه وتقويته . وفي تموز ١٧٩٣ اصبح عضواً في « لجنة السلامة العامة » ، فأقر بصفته هذه الاعمال التي تربط اسمه بأفظع أهوال الثورة . ولكنه على الرغم من كل اخطائه لم يخدع الجماهير وبقي على اخلاصه .

بدأ انهيار روبسبيير عندما حاول بسط سيطرته على سائر اعضاء اللجنة . وقد اصبح دكتاتوراً مطلقاً لمدة تزيد على ثلاثة اشهر . وجرت أول محاولة فاشلة لاغتياله في ١٧ حزيران ١٧٩٤ . إلا أنه لم يكد يمضي شهر على ذلك حتى اقتيد الى السجن في حالة يرثى لها بعد أن

أصيب بطلق ناري في فكه . وحُكم عليه بالاعدام ، وقُطع رأسه على المقصلة في ٢٨ حزيران ١٧٩٤ .

دانتون

DANTON

الزعيم الثوري الفرنسي جورج جاك دانتون (١٧٥٩ – ١٧٩٤) اهمله أبواه ، وضربته مدرّسته لانه كان فاسداً ، خليعاً .. ولكنه كان شديد الذكاء ، فاذا به يصبح من ألمع محامي باريس .

كانت حملاته على الزعماء المناهضين للثورة الفرنسية من اسباب فراره الى انكلترا ، غير أنه ما لبث أن عاد الى باريس ليصبح وزيراً للعدل في الحكومة المؤقتة . وعلى الرغم من أنه لم يكن مسؤولاً مباشراً عن الكثير من الفظائع التي ارتُكبت في الثورة الفرنسية فقد كان مشتركاً مع الذين كانوا مسؤولين عن ذلك . واقترع على موت الملك لويس السادس عشر . كان رئيساً للجنة السلامة العامة فترة من الزمن ، ولكنه استقال منها بعد اعادة تنظيمها ، فكلفه ذلك حياته . **فقد كان له اعداء كثيرون يتشوقون لسقوطه ، وفي جملتهم رجل الثورة روبسبير. فاتهم زوراً وبهتاناً بأنه يتآمر لاعادة الملكية ، فقطع رأسه على المقصلة في ٦ نيسان ١٧٩٤ ، وهو في السادسة والثلاثين من عمره .**

وحتى آخر لحظة من حياته ظل يتحدى خصومه مردداً : **« انا دانتون حتى مماتي ، وغداً سأرقد على المجد ! »**

ويليام پت

WILLIAM PITT (THE YOUNGER)

أصغر رئيس وزارة عرفه العالم حتى اليوم . وُلد سنة ١٧٥٩ ، ودرس في جامعة كيمبريدج . دخل البرلمان البريطاني عن حزب الاحرار وهو في الحادية والعشرين من عمره. وكان سياسياً داهية محنكاً ، فما لبث أن تولى وزارة المال بعد سنتين ، **ثم تولى رئاسة الوزارة في السنة التالية (١٧٨٣) ، ولم يكن قد تجاوز الرابعة والعشرين .**

وقــد ادخل العديد من التدابير الحكيمة اثناء حكمه ، وفي جملتهـا ايجاده المـــال الاحتياطي لاستهلاك القرض الوطني الذي كانت تدين بـــه الحكومة للشعب . وتفاوض مع الفرنسيين لعقد معاهدة تجارية لتخفيض التعرفات بـين البلدين . وفي سنة ١٨٠٠ أتمّ اتحاد انـكلترا وايرلندا ، ولكنه استقال من منصبه بعـد سنة لرفض الملك القبول بالتحرير الـكاثوليكي . وكانت الحرب بين انـكلترا وفرنسا قد نشبت سنة ١٧٩٣ فعاضـد ، وهو في عزلته بعيداً عن الميدان السياسي ، صلح اميان الذي عُقد سنة ١٨٠٢ . وعندما اندلعت نيران الحروب النابوليونية في السنة التالية عاد بت الى الحكم . إلا أن أنبـــاء انتصار **نابوليون الكاسح في معركة اوسترليتز في كانون الثاني ١٨٠٦ كانت ضربة قاضية عليه عجلت في نهايته ...**

دانيـال وَبسْتر

DANIEL WEBSTER

يقال ان أول خمسة وعشرين سنتاً كسبها دانيال وبستر ابتاع بها منديلاً طبع عليه دستور الولايات المتحدة الاميركية . فراح يتلوه المرة تلو المرة حتى حفظه عن ظهر قلب ، فـكان لذلك ، فيما بعد ، قيمة لا تُقدّر في حياته كسياسي اميركي ، وخطيب بليغ .

كانت ذاكرته قوية ، وقد حفظ غيباً القسم الاكبر من الكتاب المقدس . لم تسعفه صحته السيئة وبنيته الهزيلة في صباه على امتهان العمل المتعب . فـكان يقضي الشطر الاكبر من وقته في صيد البر والبحر ، والمطالعة ، حتى أتى على كل ما تحتويه مكتبة القرية من مجـلدات .

وُلد دانيال في ساليسبوري في ولاية نيوهامشاير سنة ١٧٨٢ . وكان والده يرجو أن يصبح من اعضاء الكونغرس في أحـد الايام فرهن مزرعته ليرسله وشقيقه الى المدرسة . وقد رفض دانيال وظيفة كاتب في المحكمة على الرغم من مرتبها المغري قائلاً انه يريد أن يصبح محامياً . ولما أشار والده الى أن مهنة المحاماة لم تعد تتسع لمحامين جدد كان جواب دانيال : **« هناك دائماً مقام في القمة ! »**

وهكذا بدأ تسلقه القمة عندما سجل اسمه في نقابة المحامين سنة ١٨٠٥ .. فقـد اشتهر ببلاغته وقوة حجته ، واطلاعه الواسع على القانون . وما هي إلا بضع سنوات (١٨١٢)

حتى تحققت امنية الاب إذ انتُخب دانيـال عضواً في الكونغرس . وقضى في الكونغرس دورتين ، ثم عاد الى ممارسة مهنـة المحاماة . وما لبثت أن اتسعت اعماله فانتقل من مسقط رأسه الى بوسطن . وذاعت شهرته كخطيب دستوري . وعاد فدخل الكونغرس سنة ١٨٢٣ . وأصبح عضواً في مجلس الشيوخ سنة ١٨٢٨ ، وبقي في مجلس الشيوخ حتى وفاتـه باستثناء سنتين قضاهما ناظراً للخارجية . **أما خطابه الشهير « السابع من آذار » الذي القاه سنة ١٨٥٠ فقد أفقده كل حظ له برئاسة الجمهورية ، إلا أنـــه مع ذلك أخّر نشوب الحرب الاهلية عشر سنين** . وقد سقط من عربته في ايار ١٨٥٢ فتوفي متأثراً من جراحه في تشرين الاول من السنة نفسها .

كتبت مجلة فرايزر سنة ١٨٩٠ تصفه بقولها : «كان اعظم خطيب عاش في القسم الغربي من العالم ! »

هذا العالم اللغوي الاشهر رُفعت عليـه دعوى ذات مرة لعدم استطاعته تسديد فاتورة الجزّار .

دزرايـيلي

BENJAMIN DISRAELI

لم تطأ قدما بنيامين دزرايلي (١٨٠٤ — ١٨٨١) ، السياسي البريطاني الداهية ، والقاصّ السياسي الاول الذي أصبح رئيساً لوزراء بريطانيا ، أرض أي مدرسة أو جامعة . تدرّب فترة من الزمن في مؤسسة يديرها بعض المحامين ، ودخل المجتمع من بابـــه العريض بفضل مكانة والده ونفوذه ، فلم يكد يبلغ العشرين حتى كان قد أصبح معروفاً تماماً في لندن . وظهرت اولى رواياته **فيفيان غراي** سنة ١٨٢٦ . ومن مؤلفاته الشهيرة روايات **كوننغسبي ، وسيبل ، وانديميون ...**

إنه والحق يقال قاصّ بريطانيا السياسي الاول ، الاوحد . فقد تمرّس بالسياسة ، وسبر غورها ، ووقف على دقائقها وخباياها .. وفي عروقه يجري الدم السياسي .

صحيح أن الاضرابات ، والاضطرابات الشعبية ، والشغب ، ومشاكل العـــدالة الاجتماعية ، ومشاكل الانتخابات وسواها قـد الهمت بعض ادباء القصة الانكليز في العصر الفيكتوري امثال مسز غاسكل ، وجورج ايليوت (امرأة) ، وجورج ميريديث ،

وآلن ترولوب .. ولكننا لا نستطيع القول ان هؤلاء الروائيين من طراز دزرايــلي ، لأن السياسة لم تكن من اختصاصهم . **وقد اجمع النقاد على ان روايتي سيبل و كوننغسبي هما ، ولا ريب ، الروايتان السياسيتان الوحيدتان في الادب الانكليزي .**

كانت الملكة فيكتوريا تقرأ ما يكتبه دزرايلي فتقول ان أحداً لم يخبرها بكل شيء من قبل كما فعل دزرايلي في رواياته . فهو لا يكتفي بعرض المشهد الرئيسي بل يعمد الى فضح محادثات الاندية والمخادع – وخصوصاً محادثات المخادع – والى تأمّل النشاط في الميدان السياسي بدهاء وخبث . فهو ذو طبيعة انسانية طموح ، عينه ثاقبة النظرات ، وملء جانحيه روح دعابة ممتازة ، أمــا نظرته العامة الى عصر الدوق ولنغتون ومــا تخلله من المثالب والفضائح والفواجع فهي نظرة أقل ما يقال فيها انها تنطوي على انتقادات هدّامة .

وليس من الغلو في شيء أن نقول ان ابشع الصور التي يزخر بها الأدب الانكليزي هي تلك التي رسمها بدقة وصراحة متناهيتين . . صوّر الحدادين وغيرهم من مستخدمي الحرف الصناعية كعمال الحياكة وعمال المناجم وعمال المسارح وعمال البناء وعمال المصانع الصاخبة ، المعتمة المعدومة فيها الشروط الصحية الاولية . أما ما نقله عن ألسنة هؤلاء المحرومين فإنه الحقيقة ، لا زيف فيها .

كان دزرايلي كثير التنقل والارتحال ، وقد أفاد من التجارب التي صاغها مادة لرواياته. تعددت محاولاته لدخول مجلس العموم قبل أن يظفر فيه بمقعد سنة ١٨٣٧ ، وهي السنة التي تسنمت فيها العرش الملكة فيكتوريا . وفي سنة ١٨٥٢ عُين وزيراً للمال فبقي في الوزارة عشرة أشهر . وبعد ست سنوات عُيّن في المنصب نفسه في وزارة اللورد داربي. وقد تحقق طموحه سنة١٨٦٨عندما أصبح رئيساً للوزارة خلفاً للورد داربي المستقيل.ولم يبق في الرئاسة إلا حوالي السنة ، ولكنه عاد فترأس الوزارة سنة ١٨٧٤ . وقد مُنح بعد سنتين لقب ايرل اوف بيكنزفيلد . وكانت الملكة فيكتوريا شديدة التعلق به . وقد استقال سنة ١٨٨١ ، وتوفي بعد ذلك بسنة واحدة .

ومما يذكر عن دزرايلي أنه اقترض مبلغ ٤ ملايين جنيه من بنك روتشيلد وعجّــل بشراء اسهم مصر في قناة السويس . وكان وزير الخارجية البريطانية اللورد داربي أول من علم بالمفاوضات بين الخديوي اسماعيل وبعض الماليين الفرنسيين لبيـع الاسهم المملوكة لمصر بسبب حاجته الى المال . وقد اضاع اسماعيل على مصر بهذه الصفقة امتيازهــا الوحيد من مشروع القناة .

كان هـــذا الوزير الانكليزي الذي حـالف تركيا ، وكسب قبرص ، واشترى لبريطانيا اسهم قناة السويس يرتدي « الكورسيه » كالنساء تماماً . وكان كلما تقدمت به السن أكثر من العناية بنفسه ، وتجميل وجهه . وكان يقف أمام المرآة وقتاً أطول من الوقت الذي تقضيه زوجته أمامها ! ..

مـاتزيـني

GIUSEPPE MAZZINI

وطني ثائر ، وسياسي اديب ، كانت له اليـــد الطولى في توحيد ايطاليا وتمتعهـــا بالاستقلال التام الناجز .

ولد جوسيبي ماتزيني في جنوى سنة ١٨٠٥ ، فكان منذ صباه نجيباً ، حادّ الذكاء ، متقد الحماسة . درس الحقوق في جامعة جنوى ، ومارس المحاماة أربع سنوات . إلا أن ملكة الادب فيه تغلبت على مهنة المحاماة ، فانصرف عنها الى الكتابة ، **وكان أول مقال له يدور حول غرام الشاعر دانتي ووطنيته ، وكانت فرحته بالغة عندما شاهده مطبوعـــاً في احدى الصحف .**

وكما انصرف من المحاماة الى الأدب، كذلك انصرف من الأدب الى الاشتغال بالسياسة بعد أن هزّت الحركة الوطنية الناشئة كيانه هزّاً ، فانضم الى الجمعية السرية التي عُرفت باسم **كاربوناري (جمعية الفحامين)** . فكان باسلًا مقداماً في نضـاله وكفاحه السريين . وانكشف أمره بعد ستة أشهر فنُفي من ايطاليا ، فكان ذلك أول عهده بحيـاة التشريد والنفي التي عاشها طوال أيامه ...

وهبط مرسيليا دون أن تخمد جذوة جهاده ، ووطنيته ، وحماسته ، وأنشأ هناك جمعية سرية أطلق عليها اسم **ايطاليا الفتاة** . وخشيت السلطات الفرنسية من استفحال أمر هـذه الجمعية ، وقضت بابعاده من البلاد . فغادرها وانقطعت أخباره فترة من الزمن ،فذهب الناس في تأويل أمره كل مذهب .

وفشلت **ايطاليا الفتاة** في احدى ثوراتها ، فحُكم على ماتزيني بالموت بتهمة الاشتراك في الثورة ، وأهدر دمه .

غير أن ذلك لم يفتّ في عضده،ولم يثنه عن مواصلة الكفاح ، فأسس في سويسرا جمعية

اخرى اسماها **اوروبا الجديدة** . ومن سويسرا انتقل سنة ١٨٣٧ الى انكلترا حيث راح يوجه من لندن الجهاد الوطني في سبيل استقلال بلاده وتوحيدها .

ولما وقعت ميلانو بأيدي النمساويين وقامت ولاية تسكانيا بالثورة على الطغاة الحاكمين ظهر في فلورنسا مكافحاً مجاهداً . ومن فلورنسا انتقل الى رومـــا حيث انتُخب عضواً في الحكومة الثلاثية ، فتميز عهده في الحكم بالحكمة والاعتدال .

وقضى شطراً كبيراً من حياته يهاجم فرنسا وينـــدد بمحاولتها السيطرة على ايطاليا ، وينتقد سياسة الملك لويس نابوليون . **وكان طوال حياته خصماً للملكية في ايطاليا ، لا يفتأ يقاومها ويدعو الى قيام الجمهورية** . فاعتقلته السلطات الملكية سنة ١٨٧٠ وهو في البحر ، وألقته ، وهو الشيخ الذي ناهز الخامسة والستين ، في غياهب السجن .

وكانت وفاته بعد عامين (١٨٧٢) عانى خلالهما من مرض « التهاب البللورا » .

ولم ينسَ ماتزيني أنه اديب بالفطرة ، فعكف على دراسة التاريخ ، ووضع كتابين هما **الواجب ، ورسائل** وهو في غمرة نضاله وجهاده . **وقد تُرجم كتابه الثاني الى عدد غير قليل من اللغات** .

غلادستون

WILLIAM EWART GLADSTONE

سيطر السياسي البريطاني ويليام ايوارت غلادستون (١٨٠٩ – ١٨٩٨) ، **أخطب خطباء عصره** ، على البرلمان البريطاني حوالي ستين سنة من الزمن . وقد جعل وزارة المال البريطانية في طليعة المناصب الوزارية في الدولة . كان اقتصادياً عملياً ، وزعيماً اخلاقيـاً واعياً ، مخلصاً ، فأدخل عدداً من الاصلاحات التي تُميز عهده بأنه من أبرز العهود في تاريخ انكلترا . وكان يعتقد أن الاستقلال المحلي هو الحل الوحيد للمشكلة الاستعمارية ، وحاول أن يحصل على الحكم الذاتي لايرلنـــدا . وخلال تمرّسه بالعمل السياسي ناضل كثيراً ضد زيادة التسلح .

أبصر النور في ليفربول ، ودرس في ايتون واكسفورد ، وكاد يصبح مبشراً دينياً لو لم يقنعه والده بالاشتغال بالسياسة . دخل البرلمان سنة ١٨٣٣ . وبين سنة ١٨٦٨ و١٨٩٤

تولى رئاسة الوزارة أربع مرات . وقـــد عُرف عنه أنه من عشاق المطالعة والكتابة والدرس .. ومن أشهر كتبه « الدولة وعلاقاتها بالكنيسة » ، وهي دراسة حول ضرورة تفوّق السياسة ، واستقلال الكنيسة الروحي. وقد أتم ترجمته لقصائد هوراس يوم اعتزاله السياسة سنة ١٨٩٤ . وجثمانه مدفون في كاتدرائية وستمنستر .

كانت خادمته تتبرم بكثرة أكله : « هو يأكل في كل ساعة من ساعات الليل والنهار . يوقظني في الساعة الثالثة صباحاً ويطلب دجاجة مسلوقة أو بفتيك . وإذا مرض سيدي فهناك الطامة الكبرى ، فهو يملأ الدنيا صراخاً إذا انتابه صداع بسيط . »

لنكولن

ABRAHAM LINCOLN

كان ابراهام لنكولن (١٨٠٩ – ١٨٦٥) رجلاً طيب القلب ، نقي السريرة ، براً بالفقراء ، الى كونه سياسياً محنكاً ، حسن التدبير والادارة . وفي العام ١٨٦١ ، أي قبل بداية الحرب الاهلية مباشرة ، ولي رئاسة الجمهورية الاميركية ، فكان **الرئيس السادس عشر للولايات الاميركية المتحدة** .

تبسّط المؤرخون في ابراز صفاته ، كما تبسطوا في رواية وقائعه الغرامية التي كان لها الاثر البليغ في نفس لنكولن ، **محرر العبيد** ، فلازمته الكآبة بسببها طوال حياته ، ولم يجد برفقة أية امرأة السعادة والصداقة الحقيقيتين اللتين كان ينشدهما ويصبو اليهما . وقـــد تزوج ماري تود ، وعاش واياها ردحاً من الزمن ، ولكن حياتهما الزوجية لم تكن موفقة ، ولم ينعم لنكولن بالسعادة البيتية التي كان ينشدها .

فهذا ويليام هـ. هرندون ، شريك لنكولن في مكتب المحاماة خلال عشرين عاماً ، وأقرب الناس اليه ومن الذين عرفوه عن كثب ، يؤكد أن لنكولن لم يعرف يوم سعادة وسرور طوال هذه السنين ، وان زواجه مسؤول في الدرجة الاولى عن كآبته وحزنه . وكثيرون من الذين ترجموا للرئيس الاميركي ، محرر العبيد ، وصلوا الى هـــذه النتيجة ، وهي أن زواجه يُعتبر اعظم كارثة في حياته .

ما أن تمت خطبة لنكولن وماري تود حتى تبين للنكولن انهما على طرفيّ نقيض ، وانهما

لن يسعدا في حياتهما معـــاً . فهما مختلفان من حيث المزاج ، والذوق ، والتربية ، والرغبات .

من ذلك أن ماري تود كانت تتكلم الفرنسية بلهجة باريسية صرف ، وكانت من أكثر نساء ايلينويس ثقافة . في حـين لم يبقَ لنكولن في المدرسة أكثر من اثني عشر شهراً في حياته كلها .. وكانت شديدة الاعتداد بأصلها .. فاجدادها واجداد اجدادهـا ، واعمامها كانوا جميعاً قادة عسكريين كباراً ، وحكاماً ، وكان أحدهم ناظراً للبحرية . أما لنكولن فلم يكن على شيء من ذلك . كانت هي شديدة الاهتمام بمظهرها ، وملبسها ، ولم يكن هو ليعنى البتة بشيء من ذلك . والواقع أنه كان يسير احياناً في الشارع و « رجل » بنطلونه فوق حذائه الطويل ، و « الرجل » الاخرى بداخله ...

تعلمت ماري أن آداب السلوك على المائدة قانون مقدس . لكن لنكولن الذي ترعرع في كوخ خشبي لم يكن ليعير هذه الامور أدنى اهتمام . وكان ذلك يثير ماري ويدفعها الى الجنون . كانت متكبرة ذات شمم ، وكان متواضعاً ديمقراطياً .

كان حب لنكولن الاول لآنا راتليدج ، ابنة صاحب حانة ، فخطبها وانصرف الى اعداد معدات الزواج . إلا أن آنا اصيبت بالبرداء ، فلم تقوَ بنيتهـا الضعيفة على احتمال وطأتها ، فماتت ولما يمضِ على خطبتها ثلاثـة أشهر . فاسودت الدنيا في عينيّ لنكولن ، ووقع فريسة ألم نفساني عميق كاد يهد كيانه . وبعد سنة التقى ماري اوين ، وهي فتاة غنية وجميلة ، فتحابا ، وأعلنت خطبتها . ولكن سرعان ما فسخت ماري العقد بحجـة أن لنكولن « تعوزه تلك الحلقات التي تؤلف سلسلة سعادة المرأة » .

وهكذا انقطعت كل صلة بينهما ...

قُتل لنكولن مساء ١٤ نيسان ١٨٦٥ ، وهو اليوم الخامس لانتصار الاتحاد النهائي، على يد ممثل مجنون يدعى دجون ويلكز بوث في اثناء حفلة تمثيلية اقيمت في العاصمة واشنطن .

وضع لنكولن دائماً مصلحة الشعب فوق أي اعتبار آخر ، وقدّم مصلحة الوطن على مصلحته ، ولم يسعَ وراء الشهرة . وعندما جاء اليه المؤرخون متعطشين لمعرفة دقائق حياته وأسرارها في سنواته الاولى ، ومض بريق عينيه وقهقه قائلاً :

ــ انه ضرب من الجنون أن تحاولوا صنع شيء مني أو من حياتي المبكرةالتي تتلخص في عبارة واحدة : « **سيرة قصيرة وعادية لرجل فقير مسكين** » . ولقد خلد الامير كيوف

ذكراه ليس فقط كأميركي فذ حرر العبيد ، وانما ايضاً كرجل دولة لامع ، وكرمز بارز للجهاد في سبيل صيانة الاتحاد .

كَارل مَاركسْ

KARL MARX

في كتابه **رأس المال** الذي ظهر المجلد الاول منه سنة ١٨٦٧ سعى كارل ماركس (١٨١٨ – ١٨٨٣) الى اكتشاف القوانين الاقتصادية التي تحكم المجتمع . وقد نتجت نظريته المعروفة **بالتفسير الاقتصادي للتاريخ** عن اقتفائه مجرى التطور التاريخي من وراء النشاط الاقتصادي . وبغية انتظام جميع العمال في هيئة مـا تحقيقاً لمصلحتهم الخاصة أسس الحركة الاشتراكية المعروفة .

وُلد ماركس في تريف (في المانيا) وتلقّى دروسه في جامعتيّ بون وبرلين . وكان والده ، وهو محـام يهودي الأصل اعتنق النصرانية ، شديد الاهتمام بالفلسفة والتاريخ ، فشجع ابنه على التأهب لامتهان التدريس في الجامعة . ولكن ماركس ما لبث أن وجد أن نظرياته وآراءه الراديكالية جعلته غير مرغوب فيه في حقل التربية والتعليم في ذلك الحين . فعمل ردحاً من الزمن في الصحافة ، إلا أن آراءه المتطرفة جرّت عليه معارضة الحكومة الشديدة ، ففرّ الى باريس (١٨٤٣) ...

وفي باريس تعرّف الى اشتراكي ألماني آخر هو فريدريك انغلز ، فتلازما طوال حياتهما . وفي سنة ١٨٤٨ اصدرا معاً كتيّباً عُرف **بالبيان الشيوعي**،الذي اصبح عقيدة الثوار الاشتراكيين ،وبرنامجهم وقد جاء فيه : **« ان تاريخ المجتمع البشري في ماضيه وحاضره إنما هو تاريخ الصراع بين طبقات هذا المجتمع »** .

واتاحت ثورة سنة ١٨٤٨ لماركس العودة الى المانيا لفترة من الوقت وجيزة ، إلا أنه عاد فغادر وطنه لتجدد حالة الرجعية السياسية . ورحل الى لندن سنة ١٨٤٩ حيث بقي حتى وافاه الاجل المحتوم . وفي هذه السنوات الاخيرة وضع أكثر مؤلفاته .

ولقـد وضع نيقولاي لينين تعاليم كارل ماركس أساساً للثورة الاقتصادية والسياسية التي جرت في روسيا سنة ١٩١٧ وأدّت الى انشاء اتحـاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية .

هزّت تعاليم كارل ماركس العالم وأثّرت في مجرى التاريخ أكثر مما أثرت فيه تعاليم أي مفكر في العصر الحديث . فليس ثمة أي أمة من الأمم لم تتأثر اقتصادياتها أو سياستها بآرائه . وهناك اليوم خمس عدد سكان العالم يدينون بمبادئه ويكافحون من أجل أهدافه ، ولا تخلو زاوية من زوايا المعمورة من أتباعه .

ومع أن كارل ماركس لم يكن اشتراكياً ولا عاملاً ، إلا أنه حوّل الاشتراكية من مثالية خيالية الى قوة نضالية ذات أهداف وغايات بعيدة ، وصهر العمال في بوتقة سياسية . تفهّم أكثر من سواه روح الرأسمالية ومعناها ولكنه مع ذلك لم يستطع أن يؤمّن لنفسه معيشة مرفهة . **بشّر بالاخوّة العالمية ولكنه بقي طوال حياته وحيداً ..** ومع أنه كان عنيفاً ، مشاكساً ، نزقاً ، سريع الغضب ، فانه كان يحب الاولاد ، ومحبوباً منهم .

الملكة فكتوريا

QUEEN VICTORIA

صنعت الملكة فكتوريا (١٨١٩ — ١٩٠١) عادات بلادها وتقاليدها قرابة قرن من الزمن ، وجعلت من التاج البريطاني رمزاً للاستقامة الملكية والفضيلة الشخصية . وهي الابنة الوحيدة لادوارد ، دوق كنت ، رابع ابناء الملك جورج الثالث . وقد توفي والدها وهي بعد طفلة فبقيت في عهدة أمها الالمانية الأصل ، التي أنشأتها تنشئة الراهبات ، ولم تسمح لها بقراءة أي رواية . وكانت مربيتها كذلك ألمانية .

اعتلت العرش في ٢٠ حزيران ١٨٣٧ ، وما لبثت أن أظهرت شخصيتها ، وحزمها ، الامر الذي جعلها تشتبك مع وزارتها . إلا أن زواجها من ابن عمها الالماني الامير ألبرت (سنة ١٨٤٠) أحدث تبدلاً كبيراً في حياتها السياسية والخاصة . فقد أصبح زوجها مرشدها السياسي والروحي ، وهدف اخلاصها الشديد . وقد رزقا تسعة أولاد بما فيهم الاميرة فكتوريا ، **والدة قيصر المانيا غليوم الثاني ، والبرنس اوف ويلز الذي خلف أمه على العرش باسم ادوارد السابع** . وكانت وفاة البرت سنة ١٨٦١ ضربة قاسية أثّرت فيها بقية حياتها ، وظلت السنين الطوال في حداد عليه .

كان حكم فكتوريا الطويل حكماً يتجلى بالحركة والنشاط ، وقد اضطلعت خلاله بدور رئيسي في الشؤون الحكومية . كانت التطورات أحياناً تعاكسها فلا تيأس ، بل تصمد

حتى تنفّذ رغباتها . لذلك لم تفقد الحظوة قط لدى شعبها . ففي الداخـــل سجلت السياسة الحرة أهدافاً عدة ، وفي الخارج وسّع الاستعمار رقعة الامبراطورية . **وأصبحت « أرملة وندسور العجوز » مؤسسة وطنية في نظر الشعب البريطاني . وقـد احتفل بيوبيلها الذهبي لمناسبة مرور خمسين سنة على اعتلائها العرش في مختلف أرجاء العالم .** وعندما توفيت سنة ١٩٠١ انتهت حقاً مرحلة قومية عظمى .. وفي جنازتها مشى الكثيرون من أفراد الأسر المالكة في اوروبا ، **وأغلبهم من ذريتها .**

لاســـال

FERDINAND LASSLALLE

كان فرديناند لاسال (١٨٢٥ – ١٨٦٤) من ابرز رسل الاشتراكية في المانيا . وكان متوقد الذكاء ، لامعاً في العلوم السياسية والاقتصادية . ظل ، الى كونه نصيراً للشعب ، من ابرز الشخصيات في المجتمع الالماني، يجاري افراد الطبقة الارستقراطية في طراز معيشتهم ، وازيائهم ، وعاداتهم .

خفق قلبه للمرة الاولى بحب الحسناء هيلين فون دونكز ، فبادلته حبه . وحفل حبهما بالوعود الهوائية ، واعترضته عقبات كأداء كان لها اعظم الاثر في قلب الحبيبين . بـــدأت المصاعب بسفر هيلين الى سويسرا لاحقة بأبيها ، ممثل بافاريا في جنيف . فلم يطق فرديناند صبراً على الفراق ، فسافر الى سويسرا بدوره ، وتقدّم من فون دونكز خاطبـاً ابنته . فصدّه الاب، واجبر هيلين على الاقتران بالكونت فون راكوفتزا ، وانتزاع الحب الذي تكنّه لفرديناند من قلبها. **فجنّ جنون لاسال وطلب كلاً من الاب والكونت للمبارزة. وقبل الكونت بمنازلة غريمه ، فكان النصر حليفه ، ودارت الدائرة عـــلى لاسال ، فذهب ضحية غرامه .**

فيما يلي احدى الرسائل الرقيقة التي كان يبعث بها فرديناند الى هيلين :

أكتب اليك والموت يملأ نفسي . فقد كانت برقية ريستوف ضربة قاضية عليّ ! أنتِ ، انتِ تخونينني ؟ معاذ الله ... انه لمستحيل ! لا يمكنني ان أصدّق خبر هذه « الخيانة ». لست اشك لحظة في ان والديك قد استطاعا ان يثنياك عن عزمك في الوقت الحـــاضر . ولكني اعتقد ان هذا التبدل لن يكون نهائياً ، إذ يصعب عليك ان تفقدي الحب كله ،

والوفاء كله ، والحياء كله ، والصدق كله ، والصراحة كلها دفعة واحدة ، وان تنحطي الى هذا الدرك السافل . أما اذا كانت هذه الحقيقة ،لا سمح الله ، فانك تكونين قد قضيت على شرفك ، وسمعتك ،وسمعة كل من له وجه بشري تحت الشمس ، ويصبح كل شعور نبيل اكذوبة من الاكاذيب . واذا كنتِ قد كذبت علي واستطعت حقاً ان تصلي الى هـــذا الدرك السافل ، وتحطمي جميع الوعود المقدسة ،محطمة معها القلب الاصدق ، فان المرء لن يجد بعد ذلك ما يمكن ان يصدّقه او يعتقد به !

منحتني انت العزم على الكفاح من اجل الوصول اليك ، وشجعتني على ذلك ، وطلبت اليّ ان اتريّث وأجرب كل الوسائل التقليدية لتحقيق غايتنا المنشودة ، ونبذ فكرة اختطافك من ذهني . كنت ارجو ان اختطفك من « فابيرن » وأطير بك الى مكان قصي لا تنالنا فيه يد العذول ، ولكنك لم توافقيني .

أقسمتِ بالايمان المغلظة قولاً وكتابة ، بأنك لن تكوني لسواي ، وبأن لا قوة على الارض يمكن ان تحول بينك وبين تحقيق امنيتك . فلما تم لك امتلاك هذا القلب الامين دون مقاومة ، هذا القلب الذي اذا ما استسلم مرة فسيظل مستسلماً ابداً ، اعرضتِ عني غير مبالية ، ونبذتني ، وقذفت بي في هوة سحيقة ، والمعركة بعد في بدئها . خنتني وحطمت قواي وانت تقهقهين قهقهات الاستهزاء . أجل ، كان سهلاً عليك ان تحققي ما عجز القدر الغاشم عن تحقيقه . فقد حاول القدر عبثاً تحطيم هذا الرجل الصلب وفلّ عزمه ،فظل ثابتــاً كالطود الراسخ في مهب عواصف الايام الهوجاء ...

انّ مصيري لهو بين يديك ، يا هيلين ! فاذا ما خنتني وحطمتني فالويل لك ، فستتبعك لعنتي الى اللحد ! انها لعنة القلب الاصدق الذي حطمتِه بنذالة وخساسة ...

يجب ان اقابلك ثانية واكلمك على انفراد ، وجهاً لوجه . يجب ان اسمع من بشفتيك انتِ حكم الاعدام عليّ ، إذ بهذا وحده يمكن تصديق ما يبدو لي الآن مستحيلاً . ثقي بأنني سأهبط « جنيف » اذا ما اخفقت مساعيّ المبذولة لاجتذابك اليّ .

كليمنصو

GEORGES CLEMENCEAU

السياسي والصحفي الفرنسي جورج كليمنصو الذي كان يُلقّب بالنمر ألقي في السجن

وهو في العقد الثاني من العمر لأنه هتف «تحيا **الجمهورية**!» في باريس اثناء احد الاحتفالات الامبراطورية . وقد عاش منذ ١٨٦٥ حتى ١٨٧٠ في المنفى في أميركا حيث درس الانكليزية ، وجاب مختلف الارجاء ، ودرس السياسة الاميركية ، وعلّم اللغة الفرنسية والأدب في احد المعاهد النسائية . فلما عاد الى فرنسا دخل المعترك السياسي ، وما لبث أن ُعرف بتطرّفه ، وبأنه زعيم راديكالي يناصر ُمثل الثورة الفرنسية .

غير ان قوة كليمنصو التي دعمها نشاطه الصحفي كادت تنهار سنة ١٨٩٣ للشكوك التي حامت حول اشتراكه في فضائح تتعلق بقناة بناما . وبقي تسع سنوات بعيداً عن الحكومة ، منصرفاً بكليته الى الصحافة . **وقد كانت صحيفته التي وقفت نشاطها على اثبات براءة الفريد دريفوس الميدان الذي جال فيه الكاتب اميل زولا عندما نشر مقاله الطنان « اني اتهم » . وكتب كليمنصو نفسه مدافعاً عن هذه القضية**. وقد تولى رئاسة الوزارة الفرنسية من سنة ١٩٠٦ الى ١٩٠٩ ، كما تولاها سنة ١٩١٧ . وبعد ان وضعت الحرب العالمية الاولى أوزارها انتُخب رئيساً دائماً لمؤتمر السلم في باريس .

ُولد في باريس في ٢٨ أيلول ١٨٤١ ، وتوفي فيها في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٢٩ . **وقد ُدفن نعشه عمودياً لأنه أوصى بقوله : « حتى في مماتي أود أن أبقى واقفاً . »**

ويلسون

WOODROW WILSON

توماس وودرو ويلسون (١٨٥٦ – ١٩٢٤) ، الرئيس الثامن والعشرون للولايات المتحدة الاميركية ، هو صاحب فكرة « **الشعوب جيران** » ، والسياسي الاول الذي خطا اول خطوة فعالة في سبيل انقاذ البشرية من ويلات الحرب والتقدم بها الى املها المنشود بالسلام .

« لم ُيسجن صاحب هذه الفكرة ولم ُينفَ من وطنه وي ُرسل في الارض شريداً .. ومع هذا فان جهاده في سبيل اعلان فكرته ، وما لقيه من الاذى وهو يدعو اليها ويدافع عنها ، وما جرّته عليه من خيبة الامل حتى مات حسيراً كسيراً .. كل هذا يجعله شهيداً من شهداء الفكر ، وبطلا من ابطال الانسانية » .

أبصر النور في ولاية فرجينيا ، وكان ابوه قساً من قساوسة الكنيسة المسيحية . ذاق بعض ويلات الحرب الاهلية . وبعد أن تخرّج في جامعة برنستون قرر أن يدرس ويدرّس

السياسة والاقتصاد والعلوم المماثلة لها . وقد تولى رئاسة هذه الجامعة سنة ١٩٠٢ طوال سنتين . وفي سنة ١٩١٠ انتُخب حاكماً لولاية نيوجرزي عن الحزب الديمقراطي. وما هي الا سنتان حتى انتُخب رئيساً للولايات المتحدة ، ثم أعيد انتخابه سنة ١٩١٦ . وعندما نشبت الحرب العالمية الاولى (١٩١٤) أعلن حياد اميركا وسعى جهده لابقاء الولايات المتحدة خارج النزاع الدولي الدامي . ولكن تفاقم خطر الغواصات الذي اصاب اميركا في الصميم دفعه الى اعلان الحرب سنة ١٩١٧ .

وفي ٨ كانون الثاني ١٩١٨ **أصدر ويلسون مبادئه الاربعة عشر المشهورة التي أصبحت أساساً للصلح ، ووضع فكرة عصبة الامم (المبدأ الرابع عشر منها .)** وقد زار اوروبا مرتين بعد أن وضعت الحرب اوزارها للاشتراك في مفاوضات الصلح وتوقيع المعاهدات الخاصة به . **وقد نجح في انشاء عصبة الامم ولكنه فشل في حمل الولايات المتحدة على الانضمام اليها** . وعلى الرغم من نصائح أطبائه المتعددة قام بجولة شاقة في طول اميركا وعرضها لتأييد فكرته في انضمام بلاده الى عصبة جنيف . فساءت صحته ، وفي اثناء جولته أصيب بانهيار صحي عام أقعده عن الحركة حتى كانت وفاته في ٣ شباط ١٩٢٤ « بعد أن شهد مصرع فكرته .. فقد ترك الدنيا كما لقيها ، دنيا مسترسلة في الاطماع والمنافع ، متأججة بالخصومات والاحقاد ، كل جارٍ فيها عدو لجاره ، يتأهب للاغارة عليه والفتك به . »

ثيودور روزفلت

THEODORE ROOSEVELT

ثيودور روزفلت (١٨٥٨ – ١٩١٩) ، هو الرئيس السادس والعشرون للولايات المتحدة الاميركية. وُلد سقيم البنية ، ولكنه تغلّب على ضعفه الجسماني بالتمرينات الرياضية والارادة الحديدية . وكان شديد الشغف بالمطالعة والاهتمام بالعلوم الطبيعية .

ويروى عنه أنه خلال رحلته الى المجاهل البرازيلية ، أقام مخيمه تحت اشجار ضخمة في بقعة جافة . وبعد أن دبّر شؤونه تناول نسخة من كتاب غيبون الشهير « انحطاط الامبراطورية الرومانية وانهيارها » وجعل يقرأ ، غير آبه بالمطر المتساقط ، والاصوات التي تكثر في الغابات الاستوائية ، وبالجلبة المزعجة القائمة في أرجاء المخيم ...

تخرّج في جامعة هارفرد سنة ١٨٨٠ ، ووضع على الاثر كتابه **التاريخ البحري سنة ١٨١٢**، وهو كتاب ما يزال يُعتبر مرجعاً ثقة، واتبعه بكتب عدة أشهرها **كسب الغرب.**

كان نائباً للرئيس ماك كنلي سنة ١٩٠١ ، فلما اغتيل هـذا في ايلول من تلك السنة قفز هو الى سدة الرئاسة . واعيد انتخابه سنة ١٩٠٤ . **وقد حقق الكثير خلال مـدة رئاسته : قناة بناما ، وحفظ الموارد الطبيعية ، وتنظيم الصلح بين روسيا واليابان سنة ١٩٠٥ مما استحق عليه جائزة نوبل .**

كانت حياته البيتية سعيدة ، وكفاحه مثلاً احتذاه الشباب الاميركي .. وكان ولوعاً بالصيد فقضى سنة كاملة في مجاهل افريقيا . قام سنة ١٩١٣ برحلة الى اميركا الجنوبية حيث اكتشف نهراً مجهولاً دعي فيما بعد باسمه « ريو تيودورو » .

وكان الرئيس ثيودور روزفلت في جملة اصحاب الذاكرة القوية . فقد كان شديد الاهتمام بالاجتماع الى الناس ، ومعرفـة بعض التفاصيل الشخصية عنهم ، وطبع سيماهم في ذهنه ، وتذكّر حركاتهم واسمائهم ، مما كان له أكبر الاثر في حياته السياسية.

وكان يجعل الكثيرين يشعرون أنهم ذوو شأن ، إذ يناديهم باسمائهم ، بعد أن يكون قد قابلهم مرة واحدة .

ومما يروى أنه فاجأ صيرفياً يابانياً ، لم يره منذ خمسة عشر عاماً ، بحديث كانا قـد تجاذبا أطرافه قبل هذا التاريخ .

لويد جورج

LLOYD GEORGE

انقضى شباب دايفد لويد جورج ، السياسي البريطاني المعروف (١٨٦٣ – ١٩٤٥) ، في ويلز في حالة بساطة تقرب من الفقر . وهو القائل ان أقصى ما كان يحصل عليـه من المأكل نصف بيضة أيام الآحاد . **وكان من الضيق بحيث لم يستطع شراء الثوب الخاص بالمحاماة إلا بعد أن اصبح لديه عدد من الدعاوى .**

دخل لويد جورج البرلمان كعضو في حزب الاحرار سنة ١٨٨٨ . وبدأ نجمه يرتفـع خلال حرب افريقيا الجنوبية عندما أصبح زعيماً للجماعة التي ناصرت البوير. وعندما نشبت الحرب العالمية الاولى ، وكان وزيراً للمال ، توقـع الكثيرون أن يستقيل لميوله السلمية .

ولكنه ، على العكس ، بدا من أنصار التسلح والضرب بقوة وشدة . وفي سنه ١٩١٦ ، بعد تقلّبه في عدد من المناصب الحكومية ، ترأس الوزارة البريطانية حتى سنة ١٩٢٢ . كان من أبرز أعضاء مؤتمر السلام في سنة ١٩١٩ . **وقد نشر « مذكرات الحرب » بين ١٩٣٣ – ١٩٣٦ ، و « الحقيقة حول معاهدة الصلح » سنة ١٩٣٨ .**

صن يات - صن

SUN YAT-SEN

تحتل محاضرات الدكتور صُن يات – صن ، **ابي الثورة الصينية** ، مكان أقوال كونفوشيوس بين شبيبة الصين اليوم ، ويُدرّس قسم من وصيته التي يدافع فيها عن القضية التي نذر حياته من اجلها في المدارس الصينية الى الوقت الحاضر .

ابصر النور سنة ١٨٦٦ في قرية صغيرة في جنوب شرقي الصين ، في أسرة من الفلاحين .. كان منزله كوخاً من الطين ، ولم يكن ثمة احذية ينتعلها أو أرزّ للأكل .. أُنشىء تنشئة مسيحية ، وتشرّب المبادىء والافكار الثورية من عمه . درس الانكليزية في جزيرة هونولولو وتخرّج في الكلية بعلامات جيدة . **وكان اول خريج في كلية الطب في هونغ كونغ** . وقد حظي باحترام مدرّسيه لذكائه ، ومقدرته ، ولاشتهاره بتطرّفه .

وضع الدكتور صُن نصب عينيه قضية تحرير بلاده ورؤيتها تحتل مقامها بين الامم الكبرى في العالم . وكانت اول خطوة لتحقيق هذا الهدف السامي خلع اسرة مانتشو الحاكمة . فوضع مع بعض المتآمرين من الشباب الوطنيين الاحرار خطة لاشعال نيران الثورة في كانتون بعد أن اتخذوا لهم هذا الشعار **« الحق الالهي لا يدوم الى الابد »** !

ولكن الثورة فشلت ، وأُعدم بعض القائمين بها ، **ونجح الدكتور صن في الهرب مختبئاً بسلة أُدليت من فوق احد الجدران ، ولجأ الى اليابان ومنها ذهب الى هونولولو ، فالولايات المتحدة الاميركية ، فاوروبا** . وعاد سنة ١٨٩٨ الى اليابان ، وكان اتباعه لا يتجاوزون المائة عداً بين ١٠ آلاف صيني هناك . وفشلت ثورة ثانية جرت سنة ١٩٠٠ . الا أن الدكتور صن ورفاقه لم ييأسوا وواصلوا عملهم حتى تسنى لهم سنة ١٩١١ أن يسيطروا على بعض المقاطعات والمناطق ، فعُيّن الدكتور صن رئيساً مؤقتاً للجمهورية الصينية . فلجأ آل مانتشو إلى جندي قديم ومستشار لهم يدعى يوان شيكاي الذي مثّل

دوره بمهارة . فقد اقنع آل مانتشو بالتنازل عن العرش ثم حطم كل مقاومـــة ومعارضة وتسلم زمام الامور. ومن جديد لجأ الدكتور صن للتآمر . وتوفي الرئيس يوان سنة ١٩١٦، فكانت السنوات القليلة التي تلت ملأى بالمؤامرات والمؤامرات المعاكسة التي كانت ترفع الدكتور صن الى دست الحكم آناً ، وتنزله عنه آناً آخر . واخيراً استطاع ، بمساعـــدة روسيا ، ان يؤلف حزبه متمشياً على السياسة الشيوعية . **وكان احد معاونيه الماريشال شيانغ كاي شيك** . وسمح الدكتور صن للشيوعيين الصينيين بدخول حزبه مع أنه لم يكن يؤمن بنظرية حرب الطبقات . وفي سنة ١٩٢٤ اقام في بيكين حيث توفي بعد عام واحد تاركاً شيانغ كاي شيك زعيماً للوطنيين .

غـاندي

MOHANDAS K. GANDHI

أبصر **رسول التحرر في الهند** النور عام ١٨٦٩ ، فلم تمضِ ثلاث عشرة سنة على مجيئه الى هذا العالم حتى زُوّج على كره منه جرياً على عادة الهنود الذين يتزوجون في سن مبكرة.

وفي التاسعة عشرة من عمره سافر وزوجته وأولاده الى انكلترا ليتلقى علومه القانونية في احدى جامعاتها . وكان قد نذر لدى مغادرته الهند بأن يحيا حياة التقشف في انكلترا .. فكان يعيش بمبلغ عشرين دولاراً شهرياً طوال السنوات الثلاث التي قضاها هناك ...

ولما فاز بالشهادة انتقل الى ناتال في اتحاد جنوب افريقيا حيث افتتح مكتباً للمحاماة . وهناك ذاعت شهرته الخطابية بعد أن لقي عدداً غير قليل من الهنود المتخرجين في المعاهد البريطانية يلتفون حوله . فأثار حفيظة السكان الاصليين والبريطانيين الذين خشوا منافسته.

وعاد سنة ١٨٩٦ وعائلته الى الهند بعد أن وضع نصب عينيه هدفاً واحداً هو تحرير وطنه من الانكليز . وهكذا أصبح بطلاً وطنياً هندياً بعد أن كان محامياً بريطانياً ، فنبذ لباسه الاوروبي وارتدى بدلاً منه اللباس الهندي ، لباس اجداده ، وصار يمشي حافياً . وسرعان ما تجعّد وجهه ، واخذت أسنانه تتساقط الواحدة تلو الاخرى . وما هو إلا عام واحد حتى اضحى رجلاً جديداً ، يحـــاول أن يتخلص من المستعمرين البريطانيين بسياسة العصيان المدني وعدم استعمال العنف معهم . **ومن اقواله : « سنعصى القوانين البريطانية بلطف وهدوء حتى يمل الانكليز ذلك ويتركونا وشأننا . »** وقد بدأ بتنفيذ هـذه **السياسة سنة ١٩١٩ ، بعد أن تأثر بالكاتب الروسي ليو تولستوي ، والكاتب الاميركي**

هنري ثورو . وكان الى جانب تبشيره بالتحرر الاقتصادي والسياسي من النير البريطاني ، يبشر بازالة العداوات الدينية بين الهنود والمسلمين .

لُقب بالمهاتما (أي الروح الكبرى) واعتُبر إلآهاً . قضى معظم حياته داخلًا السجن وخارجاً منه نتيجة لنشاطه التحرري . وأعان اضراب الصوم مراراً للفت النظر الى الظلم والطغيان، وبلغ صومه مرة ٢١ يوماً كاملة ، وكان ذلك احتجاجاً على سجنه وراء الاسلاك الشائكة في قصر الآغا خان في بونا ، حيث زجته الحكومة البريطانية بعد نشوب حركة عصيان مدني إثر رفض مشروع السر ستافورد كريبس للاستقلال الهندي...

وقد اغتيل غاندي في ٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٤٨ بعد أن انهى صياماً كان قد أعلنه احتجاجاً على المنازعات بين الهندوس والمسلمين !

لينين

NIKOLAI LENIN

اسمه الحقيقي فلاديمير ايليتش اوليانوف (١٨٧٠ – ١٩٢٤) ، قام في روسيا بأجرأ تجربة اقتصادية .. تجربة سيكون لها ولا ريب أبعد الاثر في مستقبل البشر ومصائر الشعوب .

كان في صباه رزيناً ، يميل الى الكآبة والاستغراق في التأمل ، وقلما شارك زملاءه الطلبة في العابهم ورياضتهم . فلما كبر لم يهتم بالموسيقى أو الشعر أو الدين ، بل انصرف الى دراسة الحقوق ، واتقان اللغات الفرنسية والالمانية والانكليزية والروسية .

شنقت الحكومة الروسية شقيقه لتآمره على القيصر اسكندر الثالث ، وما عتمت أن نفته الى مجاهل سيبيريا لآرائه المتطرفة . وهناك لمس لينين الفقر المدقع الذي يعيش وسطه الفلاحون المساكين الذين لم يكن ليتاح لهم أكل اللحم إلا في المناسبات الدينية الكبرى ، أي زهاء عشرين مرة في السنة كلها .

ورافقته زوجته الى المنفى لتعنى به وتقوم على خدمته .. **وفي مجاهل سيبيريا وجد لينين متسعاً من الوقت فأتقن لعبة الشطرنج حتى بات في استطاعته أن يشترك في عدة مباريات في آن واحد ، فضلاً عن أنه كان يلاعب أصدقاءه في لعبة الملوك هذه بالمراسلات البريدية ...**

وحلّت المجاعة الكبرى سنة ١٨٩١ فهلك الملايـــين من الفلاحين من الجوع ووبائيّ التيفوس ، والهواء الاصفر (الكوليرا) . فما لبث لينين أن اقتنع بأن الواجب الوطني يقضي بعمل شيء ما لاصلاح الحال .. ومذ ذاك تحوّل الى رجل ثورة ناري .

وخـلال السنوات الخمس والعشرين التي اعقبت تلك الفترة العصيبة عاش لينين طريداً شريداً ، يقيم تارة في المانيـــا ، وطوراً في النمسا ، وفرنسا ، وبولونيا ، وسويسرا ، وانكلترا . وفي اثناء اقامته في لندن كان يتردد الى دور الكتب الكبرى فيجلس الساعات الطوال أمام مؤلفات كارل ماركس ، ابي الاشتراكية .

وكم تنكر بأزياء الفلاحين والبحارة وعمال المصانع تخلصاً من الوقوع في ايدي السلطات ، وكم ارتدى من الاثواب النسائية ، ووضع الشوارب الاصطناعية هرباً من الملاحقات التي كان يستهدف لها .

وضع أحد كتبه الثورية في السجن ، ولكنه لم يكتبه بالحبر بل بالحليب خوفاً من افتضاح امره ومصادرته . ولم تكن قراءة هذا الكتاب ميسورة إلا بعـــد غسل صفحاته بالماء الحـار .

وفي تشرين الثاني سنة ١٩١٧ أصبح لينين دكتاتور روسيا ، فصادر جميع الاراضي والاملاك الخاصة . وهرب من هرب من اصحاب الاملاك الواسعة نتيجة لاستيلاء الفلاحين على املاكهم وارزاقهم . وكان يعمل جاهداً بين ثماني عشرة ساعة وعشرين ساعة يومياً . وبعد خمس سنوات اصيب بتصلب في الشرايين ثم بالشلل . وفقد حاسة النطق ، وشُلّت يده اليمنى ، فاضطر الى تعلم الكتابة باليد اليسرى . وظلّ يصارع الموت ويغالبه مـدة سنتين اثنتين قائلاً لمناسبة ولغير مناسبة : « ان ثمة أعمالاً كثيرة تنتظرني ! »

ان جثمانـــه اليوم محنط ومحفوظ في صندوق زجاجي يقوم على حراسته جنود شاكي السلاح . ومن أمام هـذا الصندوق يمر الحجاج بالالوف كل يوم ، مكشوفي الرؤوس ، يحيّون هذا الرجل العظيم الذي أحدث أكبر ثورة اقتصاديـة في تاريخ البشريـة ...

وصورته اليوم معلقة في كل منزل تقريباً ، وفي كل نادٍ من أندية العمال في روسيا . يصنع الخبازون كعكهم ويزينونه بصورته . ويغرس المزارعون زهورهم بحيث تتفتح اكمامها عن رسمه . ويحيك صانعو السجاد ملامحه في التحف الفنية التي تخرج من بين أيديهم . يعبده الملايين من الناس كما لو كان إلهـــاً ، وتسمع الفلاحين يروون الاساطير العجيبة عن عودته الى الحياة لمساعدة عامل من العمال وانقاذه مما يعانيه .

ستالين[٧]

JOSEPH STALIN

وُلد ستالين، **اي الفولاذ**، واسمه الاصلي جوزف فيساريو نوفتش دجوغشفيلي، في قرية غوري الجبلية الواقعة في مقاطعة جيورجيا سنة ١٨٧٩ . وكان والده فيساريون دجوغشفيلي فلاحاً من بلدة ديدو – ليلو المجاورة، وامه ايكاترينا غيلاتسه، وكان اجدادها من الاجراء في قرية غمباريولي .

ولا يُعرف الكثير عن والد ستالين . فقد عمل اسكافاً ردحاً من الزمن . ويقال انه اشتغل عاملاً في احد مصانع الاحذية في ادلخانوف، وانه كان يدمن الخمر . اما والدته فكانت امرأة ورعة، شديدة التقوى، تغسل الثياب بالاجرة لتعيل اسرتها . وكانت امنية حياتها ان ترى ابنها كاهناً، فالتحق ستالين الصغير بمدرسة غوري الابتدائية – ودورتها التعليمية اربع سنوات . وفي ١٨٩٤ حصل على منحة للالتحاق بمعهد تفليس الديني الذي كان، فضلاً عن التعليم، يقدّم له الملابس والطعام، والكتب مجاناً . ولكنه طُرد بعد اربع سنوات، فانصرف الى النشاط الثوري .

تزوج ستالين للمرة الاولى ايكاترينا سفاندتسه، فانجبت له ابناً واحداً هو ياشا–يعقوب دجوغشفيلي . وكان بليداً، فعمل كهربائياً ميكانيكياً في القطارات الحديدية حتى بعد ان اصبح والده دكتاتور روسيا .

اما زوجته الثانية فتدعى ناديا اليلوييفا، وقد انجبت له ابنه فاسيلي وابنته سفتلانا .

في سنة ١٩٠٠ اصبح ستالين عضواً في الحزب الاجتماعي الديمقراطي، فظل حتى سنة ١٩١٧ يعمل في مجالس الحزب الداخلية. وقد أُوقف ست مرات ونجا خمس مرات . وفي المرة الاخيرة (سنة ١٩١٣) نفي الى سيبيريا حيث بقي حتى سقوط القيصرية .

كان ستالين عارفاً بأوضاع العمال في روسيا، وكان يتمتع بعطف زعيم الحركة لينين وتقديره، وقد بقي على اتصال وثيق به بعد سنة ١٩١٧ . وتسلم مفوضية الاجناس اربع سنوات، ثم اصبح سكرتير الحزب الشيوعي . وقد خشي لينين من الخصومة التي بين ستالين وتروتسكي وحذّرهما من اخطارها ومغبتها .

على انه بموت لينين دب النزاع بين الزعماء على القيادة . فقد اصيب لينين في ايار سنة ١٩٢٤ بنوبة فالج اعدمته النطق، وشلّت منه الجهاز العصبي . وفي كانون الاول اصيب

بنوبة اخرى ، فحل محله ثالوث يتألف من زينوفييف ، وكامينيف ، وستالين . واستمر هذا الثالوث في الحكم بعـــد موت لينين في السنة نفسها حـــين اصيب بنوبة ثالثة قضت عليه .

وشرع ستالين عندئـــذ في تعزيز منصبه ، فدبر في نيسان ١٩٢٥ عزل تروتسكي من مفوضية الحربيـة . وفي الشهر نفسه انفصل عن زينوفييف وكامينيف ، واتحـد مع اعضاء المكتب السياسي الآخرين بوخارين ، ورايكوف ، وتومسكي .

ووحد تروتسكي وزينوفييف وكامينيف جهودهم لمقاومة ستالين ، ولكن بعد فوات الاوان . ففي شباط ١٩٢٦ طُرد زينوفييف من المكتب السياسي ، ثم من رئاسة سوفيات بطرسبرج (وقد اصبحت مدينـــة بطرسبرج تدعى لنينغراد) ، واخـــيراً من رئاسة الاممـــية الثالثة (الكومنترن). وفي٢٣ تشرين الاول طُرد كل من تروتسكي وكامينيف من المكتب السياسي . فتم بهذا وضع الحد النهائي لاي مقاومة فعالة لستالين . وتلا ذلك فصلُ زينوفييف ، وكامينيف ، وتروتسكي من لجنة الحزب المركزية ، ثم شطبُ اسمائهم من الحزب . وفي سنة ١٩٢٩ نفي تروتسكي الى الخارج ، واصبح ستالين في حزيران سنة ١٩٣٠ دكتاتور روسيا غير منازع .

وعندما هاجمت الجيوش الالمانية روسيا سنة ١٩٤١ قاد ستالين بحكمة وحنكة كبيرتين الجيش الاحمر في حربه الدفاعية والهجومية . وقد اصبح قائداً عاماً للجيوش السوفياتية سنة ١٩٤٣ ورقي الى رتبة مارشال . وكان لروسيا فضل كبير على انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية . وكانت وفاته في موسكو سنة ١٩٥٢ .

موسُوليـني

BENITO MUSSOLINI

كان موسوليني (١٨٨٣ — ١٩٤٥) داهية ، وعبقرياً ، وساحراً ، ومجنوناً في آنٍ معاً . هذا الوصف يقدّمه الكونت غراندي ، احد اقطاب الفاشستية الذي خدم موسوليني مدة ٢٢ سنة متقلباً في عدد من المناصب الحكومية العالية ، ووضع فيه الدوتشي ثقته به وبقدرته . ويمضي غراندي فيقول عن موسوليني عندما تعرّف اليه للمرة الاولى سنة ١٩٢١ ، وقبل ان يتسلم زمام السلطة في ايطاليا : «فاذا ما استطعنا ان نستثمر هذا الداهية العبقري،

ونحبط احابيل هذا الساحر ، ونقيّد هذا المجنون ، فأغلب الظن اننا نسدي لايطاليا احرّ خدمة واعظمها ، لانها ستجد فيه زعيماً كبيراً ! »

وقد صدق حدس غراندي واصبح موسوليني رجل ايطاليا الأوحد . جمع بشخصيته الفذة الساحقة الشعب بأسره حوله وحمله على اعتناق مذهبه السياسي الجديد، ورفع الامة الايطالية الى المستوى اللائق بها بين الامم مما لم تعهد له مثيلاً من قبل ... كل ذلك في اعوام معدودة . ولكن شيطان جنونه جعله يزج بايطاليا في الحرب التي مزقت اوصالها ، وقضت على كل آمالها وامانيها . كل ذلك لان الجنس الجرماني اراد الانتقام من الامم اللاتينية ...

حدث الانقلاب الفاشستي في ٢٥ تشرين الاول ١٩٢٢، وتسلّم موسوليني رئاسة الوزارة . وتتالت الاصلاحات ، واشهرها تجفيف المستنقعات البونتية ، ومعركة القمح . واتجهت انظار العالم شطر ايطاليا ... انها انظار الاعجاب الشديد بهذه النهضة الحثيثة .. ولكن ما ان اقبلتْ سنة ١٩٢٥ حتى بدأت دكتاتورية موسوليني الحقيقية، اذ راح يتشبث بالوزارة تلو الوزارة .

لم يكن موسوليني سهل القياد بل كان أشبه بالجواد الجموح الذي يصعب تطبيعه . ولقد كان الاطراء الوسيلة الوحيدة لكسب ثقته . ولم يكن ليثق بأحد ، واكره ما كان يكرهه ان يُدلى اليه بنصائح مهما تكن قيمّة . لم يقرّ يوماً بأية معارضة ، فاذا ما ابرزت رأسها سارع في الحال الى قمعها والقضاء عليها مهما كلف الامر . ولم يكن ليعترف بأخطائه . وكثيراً ما كانت خطبه تتضمن تنبوءات وتكهنات يتحقق بعضها فيقوم يعلن ان حدسه لم يخطىء ، ضارباً صفحاً عن سائر التكهنات التي لم تؤيدها الوقائع . واما القاعدة التي كان يحلو لموسوليني ان يتمشى عليها في حياته فهي احراز الانتصار تلو الانتصار ليستلفت انظار العالم . ولم يكن له خطط ومشاريع يأخذ بها ، بل كان يعمل حسب مقتضيات الظروف . وكان من ابرز صفاته الحسد، والحقد ، وشهوة الانتقام، وتقلّب الرأي ، وعدم الاستقرار.

قامت عبقريته في الدرجة الاولى على الوسيلة التي كان يستخدمها في سبيل التسلط على الجموع الشعبية واجتذابها الى الحظيرة التي يدعو اليها ويبشر بعقيدتها .

تعرّف موسوليني سنة ١٩٣٦ ، وهو في ذروة مجده وعزه بالحسناء الايطالية كلارا بيتاتشي ، وكانت تقيم في دار مجاورة لقصره « فيلا تورلونيا » في روما . وقد اطلق عليها لقب « زهرة حديقة الدوتشي » لانه عرف بقربها احلى ساعات العمر . واحسنت كلارا

استخدام نفوذها في الحصول على عفو عن المحكومين السياسيين والاشخاص الذين كانوا هدف اضطهاد النظام الفاشستي ، حتى ان الكثيرين من هؤلاء اطلقوا عليها لقب « القديسة كلير ».

ولكن حياتها كانت قصيرة ، فقد اعتقلها الانصار الايطاليون مع موسوليني بعد نهاية الحرب .. في ٢٩ نيسان ١٩٤٥ بينما كانا يحاولان الفرار الى سويسرا . وقد اعدما رمياً بالرصاص ،وعُلقت جثتاهما من اقدامهما في ساحة ميلانو العامة .

مسكينة كلارا ! ... ما اشأم هذا المصير الذي آلت اليه ! مسكينة « زهرة حديقة الدوتشي » !... لم يشفق عليها الشعب الثائر بل جرفها سيله كما جرفت سيول الثوار من قبل ازهاراً اخرى كالسيدة دوباري ، والملكة دراغا ، ومـــاري انطوانيت ،وسواهن الكثيرات ...

هتـــلر

ADOLF HITLER

ادولف هتلر ، **جنكيزخان العصر الحديث** ، ذو الشخصية الفذة الكثيرة المتناقضات ، أبصر النور في ٢٠ نيسان ١٨٨٩ في براوناو في منطقة تقوم على الضفة الشمالية لنهر الدانوب حوالي ٥٠ ميلاً فوق فيينا . وكان ابوه ولداً غير شرعي لفلاحة فقيرة . دخل المدرسة في السادسة من عمره ، فكان مجلّياً في دروسه ،وخاصة في الغناء ، والرسم ، والرياضة البدنية. وكان والده في هذا الوقت في الستين ، وامه في السابعة والثلاثين . فكان باراً بأمه ، مخلصاً لها اخلاصها له ، وهو الابن الثائر ، المعتدّ بنفسه ، المعتمد عليها .

كانت التقارير المدرسية ، واقوال زملائه ،تصفه بأنه كان في المدرسة كالزعيم الهـــندي الاحمر ، بأساً وشدة ، وعلو صوت ، الى جانب براعته في الخطابة ، وتزعمه رفاقه التلامذة في شتى ألعابهم . وقد ذكر أحد هذه التقارير أنه كان يضع مرة خطة لرحلة حول العالم مع رفاقـــه . وكان يحمل المدى والفؤوس الى المدرسة ، ويثأر لنفسه ممن يعتدي عليه من التلامذة دون أن يلجأ الى رفع الشكوى الى المدرّسين . وكان يحلم بأن يصبح رساماً مع أنه سقط في امتحان الدخول الى اكاديمية الفن في فيينا ...

تطوّع في الحرب العالمية الأولى في الجيش وأحرز رتبة كابورال . وفي سنة ١٩١٩ انضم الى حزب العمال الالماني في مونيخ كمخبر للسلطات، وما لبث أن اصبح زعيمه سنة ١٩٢١،

فادخل عليه بعض الاصلاحات وسماه الحزب الوطني الاشتراكي (النازي) . وما هي إلا شهران حتى قام بثورة فاشلة فألقي القبض عليه وسُجن . وفي سجنه وضع كتابه « كفاحي » (ماين كامف) الشهير الذي يبسط فيه آراءه ونظرياته السياسية . وفي سنة ١٩٣٠ بدأ الصناعيون يسندون حزب هتلر ، حتى اصبح في غضون سنتين أقوى احزاب الرايشستاغ (المجلس النيابي) . وفي سنة ١٩٣٣ اصبح هتلر مستشاراً بفضل دهاء فون بابن ، فراح يعمل على القضاء على كل معارضة له وما لبث أن خلف المارشال هندنبورغ العجوز في رئاسة الدولة . وأعلن رغبة المانيا في التسلح من جديد ، وانسحب من عضوية عصبة الامم ، واحتل منطقة الرور ، وتدخّل في الثورة الاهلية في اسبانيا . وفي سنة ١٩٣٨ ضمّ النمسا الى المانيا (الانشلوس) ، وقد تلا ذلك اتفاقية مونيخ ، وسقوط تشيكوسلوفاكيا . وفي اول ايلول ١٩٣٩ ، وبعد أن وقّع هتلر ميثاق عدم اعتداء مع الاتحاد السوفياتي ، غزت المانيا بولونيا ، فكانت تلك الشرارة الأولى في الحرب العالمية الثانية . وفي سنة ١٩٤٤ نجا من الموت بأعجوبة من مؤامرة دبرها له بعض كبار ضباط جيشه .

تعددت الاقوال في شخصية هتلر وتضاربت ، ولكنها تُجمع كلها على أن من أغرب المظاهر في شخصيته ايمانه العميق في كل ما يقول . فهو قادر على أن ينكر كل أعماله ووعوده الماضية إذا اصبحت مناقضة للمصلحة الحاضرة أو المقبلة ، ويكون في هذا الانكار مؤمناً بقدر ما كان مؤمناً بالعمل نفسه !

ومن نقائص هتلر الكبرى أنه لم يسافر قط الى الخارج إلا في زيارتيه الى ايطاليا . ولا مناص من أن يكون أعظم الحكام استقلالاً بالرأي خاضعين لنفوذ بطانتهم . ولكن قرارات هتلر وتقديراته وانتهازاته للفرص كانت كلها من صنع يده .

ان العباقرة اناس غريبو الاطوار .. ومن غرائب اطوار هتلر المتناقضة أنه مزيج من التفكير الهادىء العميق ، ومن الانفعال العنيف المتكبر الناشىء عن الغيظ والحنق .

وفي كتابه هتلر يتكلم حلّل الهر راوشننغ ، وكان مقرّباً من هتلر ، وأول رئيس نازي لمجلس الشيوخ في دانتزيغ ، شخصية دكتاتور المانيا النازية بقوله : « يجمع هتلر بين جاذبية الطبيب الماهر والمشعوذ الكبير . انه رمز انبعاث العالم الفطري في اوروبا الغربية .

وهتلر كثير المطالب والدلع ، لا يعرف معنى العمل المنتظم .. انه صاحب أفكار عارضة وتأثرات سريعة ، لا يكاد يشعر بها حتى يبادر الى تحقيقها بسرعة ، فكل شيء فيه زلازل واهتزازات وصواعق .

واجمل ما فيه حبه للنزهات الخلوية في الغابات والجبال ، فساعات العزلة والنزهة تقوم عنده مقام الصلاة ، يصغي خلالها الى حفيف الاشجار ووقع قطرات الماء ، ويسمع اصواتاً غريبة .

انه يبكي اذا مات عصفور ، ولكنه لا يحجم عن تعذيب ملايين البشر ! »

ووصف السفير الفرنسي في برلين فرنسوى بونسه شخصية الفوهرر ، زعيم الرايش الثالث ، في تقرير رفعه الى حكومته في تشرين الاول ١٩٣٨ بقوله :

« لا ريب عندي في ان هتلر ذو خلق متقلب ، متبلبل ، متجزىء .. فالرجل الذي تراه امامك هادئاً وديعاً ، يشعر بجمال الطبيعة ويحدثك على مائدة الشاي عن اكثر المشاريع السياسية تعقلاً وحكمة ، هو الرجل نفسه الذي يستأثر بقراراته وبأعماله ، ويندفع في مغامرات جنونية الى تنفيذ مطامع جبارة لا تعرف حداً .

ان منزل هتلر الفاخر في « اوبرزالتسبورغ » قرب برشتسغادن اكبر دليل على نفسيته : هل هو وليد خيال صاحب ملايين عظيم ، ام هو ملجأ للصوص يكدسون فيه ثرواتهم ؟ اهو وليد العقل العادي ام جنون الكبرياء وهواجس السيادة والعزلة ؟ »

ولقد اقترن اسم هتلر بعدد وافر من النساء على الرغم من الاسطورة التي كانت تصوره بأنه يكره النساء . وقد قيل :

« لو كان متزوجاً لما وقعت الحرب .. فالمرأة تنفح خلق الرجل بالحنان والرأفة ، وتلين قسوته ، وتخفف من تطرفه . وأكبر مثال على ذلك أن المارشال غورنغ كان أكثر الزعماء النازيين مغامرة وتهوراً واقداماً ، فلما تزوج ورزق اطفالاً رق قلبه المتحجر ، واستعاد كثيراً من العواطف الانسانية التي يشعر بها الرجل العادي . »

اصر هتلر على حياة العزوبة . وقد اختلفت الآراء في تعليل هذا الاصرار . واجمع الخبراء النفسيون على القول بأن عاطفة الحب ليست مفقودة في نفس هتلر ، ولكنها تذهب الى غير المرأة . فهتلر يهوى نفسه ، ويهوى العظمة والسؤدد ، ويهوى الطموح ، والسيادة . وقد جعل المانيا « وسطاً » في بلوغ هواه .

وسئل هتلر مراراً عن اسباب تجنبه العلاقات الدائمة مع النساء فاجاب : « من يريد ان ينشيء امة لا يستطيع ان يكرس نصف حياته لغير تلك الامة ، بل يجب ان يضحي بحياته كلها في سبيلها ! »

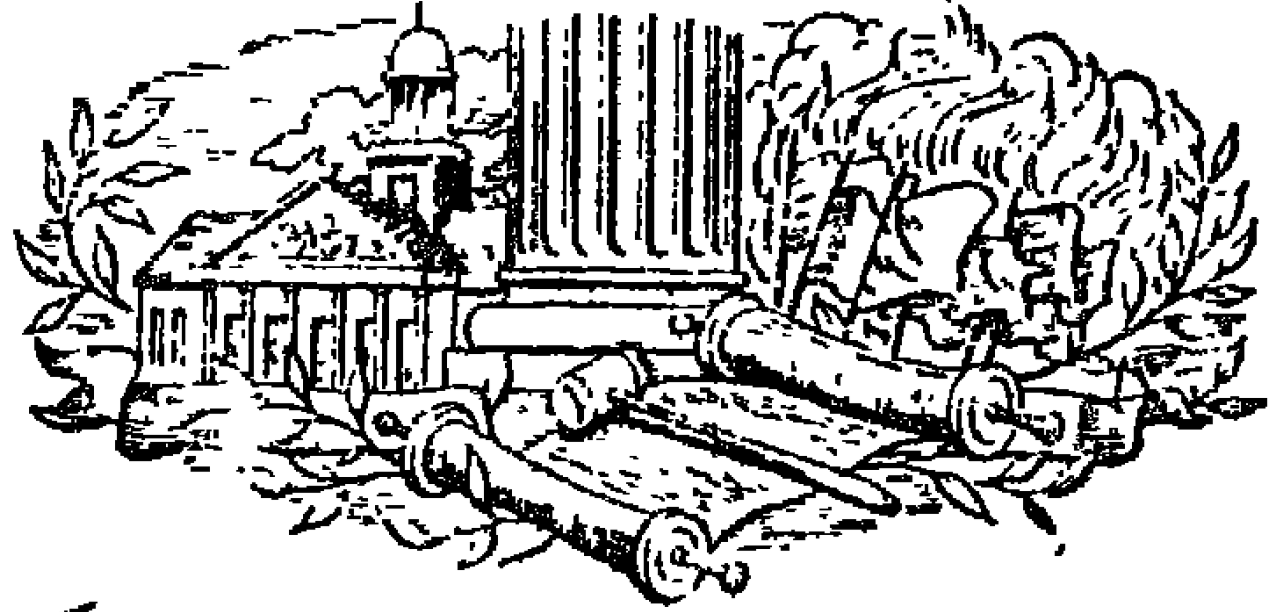
ونشرت الصحف الشيء الكثير عن علاقة هتلر بايفا براون التي قيل انه تزوجها في ٢٧ نيسان ١٩٤٥ ، اي قبل مصرعه بأربعة ايام ، ولكنها لم تنشر شيئاً عن ايفا نفسها التي دعيت

« مستشارة الرايش الثالث السرية المسموعة الكلمة » .

ولدت ايفا في ٦ شباط ١٩١٣ من عائلة متوسطة الحال في مونيخ . وقد تعرّف اليها هتلر في سنة ١٩٢٦ في اثناء زيارة الى مصوره الخاص هاينريش هوفمان . وكانت ايفا تتولى يومئذ تنظيم دفاتر المصور ، فلما رآها احبها . ومنذ ذلك الحين الحقها بدائرته ، وظلت رفيقة حياته الى النهاية . وظل خبرها مكتوماً عن الرأي العام بفضل رقابة دقيقة ، ولكن الاوساط النازية العليا كانت عارفة بأمرها . ولم يكن هتلر يسمح لها بالظهور الا في الحفلات الخاصة التي كان يقيمها غورنغ .

وكانت ايفا شقراء ، يتدلى شعرها على جانبيْ رأسها . وكانت قسمات وجهها متناسقة ، وقوامها نحيفاً ، يبلغ طولها ١٦٢ سنتمتراً . وتدل صورها بلباس الاستحمام على انها كانت تملك جسماً جميلاً . وكانت ترتدي ملابس انيقة ، وتعتني عناية خاصة بزينتها وعطورها.

ويقال انهما ماتا معاً قبل نهاية الحرب العالمية الثانية بعد أن أحرقا نفسيهما في أحد أقبية قصر المستشارية في برلين (نيسان ١٩٤٥) ...



مع الخالدين من الفلاسفة والمفكرين

سقراط افلاطون ارسطو

القديس اوغسطينوس يوحنا الدمشقي

الكندي الفارابي البيروني ابن سينا

الغزالي ابن طفيل ابن باجة

ابن رشد القديس توما الاكويني ابن خلدون

فونسيس بايكون ديكارت ڤانت فيخته

هيغل شوبنهاور كيركيغارد

نيتشه ديوي برغسون سنتايانا

سُقـُـرَاط

SOCRATES

على الرغم من أن الفيلسوف المعلم سقراط لم يخلّف أي مؤلفات مكتوبة إلا أنه يُعتبر أحد كبار مفكري العالم قاطبة . ولقد كانت كتابات افلاطون الاداة الرئيسية التي نقلت الى العالم الحديث تأثير سقراط الفكري.. يضاف الى ذلك ما كتبه المؤرخ الاغريقي زينوفون عن سقراط وعمله .

أبصر النور في اثينا حوالي سنة ٤٦٩ ق. م. ، واشتغل في بادىء الامر بالنحت كوالده. ولم يكن ليبالي بالثروة والرفاهية مما اكسبه كره زوجته . وكان شجاعاً في المعارك ، يتحمل بصبر وطول اناة مصاعب الحياة ومشاكلها . وكان رجل مبادىء ، فضّل الموت — في مناسبتين على الاقل — على القيام بأعمال اعتبرها خاطئة .

وعلى الرغم من انه اعترف بوجود الآلهة التقليدية إلا أنه كان يعتقد بمدبر واحد سام للكون ... وعلى وفرة مواهبه كان لا يفتأ يردد أنه لا يعرف شيئاً ، وأنه ليس حكيماً ولكنه فيلسوف محبّ للحكمة . وهو القائل : **« أنا اعرف شيئاً واحداً وهو اني لا اعرف شيئاً ! »**

اعتاد سقراط أن ينزل الى سوق اثينا ، وأن يتردد على المجتمعات العامة ينشدُ الحكمة في كل من يصادفه كبيراً كان أو صغيراً ، غنياً أو فقيراً ، صديقاً أو غير صديق . **وكانت طريقته في ذلك المحاورة.** وبلغ العقد السابع من عمره فاذا به قد ألّب عليه طبقات الشعب جميعاً لانه كره النظام الديمقراطي في الحكم ، ولم يستسغ أن يتولى مناصب الدولة الزرّاع والصنّاع . ولم تكن الطبقة العالية راضية عنه كذلك لانه كان يمقت الارستقراطية بما تجر من استبداد وبغي وطغيان . **فوُجهت اليه ثلاث تهم هي : انكاره الآلهة ، ودعوته الى آلهة جديدة ، وافساده الشباب الذي فُتن به والتف حوله مأخوذاً بسحر حواره الفلسفي .** وقد تقدّم بهذه التهم ضد سقراط ثلاثة من أعدائه هم : **مليتس ، وليكون ، وانيتس .** وقضى في سجنه شهراً ينتظر الموت ، غير مبالٍ باغراء اصدقائه له بالفرار الذي كان أمراً على جانب كبير من السهولة ، وغير مبالٍ باستعطاف القضاة للعفو عنه . لقد دافع عن التهم دفاعاً حاراً لم يجدِه نفعاً .. **فقضي عليه أن يموت بشرب السم .**

وفي محاورات تلميذه أفلاطون نرى بسقراط الشخصية الرئيسية فيها . أما محاكمته

الشهيرة ، ودفاعه ، وموته فهي جميعاً مفصلة في كتابيه « فيدو » و « الدفاع » .

عاش ابو الفلاسفة هذا فقيراً معدماً ، حتى أنـــه كان يقترض الدجاج بين الفينة والفينة كي يأكل . وقبل أن يتجوع السم تذكر أنه اقترض ديكاً لم يدفع ثمنــه . وكانت آخر عبارة نطق بها سؤاله أحد اصدقائه أن يدفع ثمن هذا الديك ...

افلاطون

PLATO

ان اسم **افلاطون** المشتق من الكلمة اليونانية التي تعني **« عريض »** أطلق على الفيلسوف الاغريقي – كما يرجح – لعرض كتفيه . ابصر افلاطون **(واسمه الاصلي أرسطوكليس)** النور في أثينا سنة ٤٢٧ ق. م. **ويقال انه توفي في اليوم نفسه الذي ولد فيه بعد ثمانين سنة** . وهو سليل أسرة ارستقراطية في أثينـــا تنعم بالثورة الطائلة ، الأمر الذي فسح له مجال التفرّغ للاشتغال بالفلسفة ... تعرّف الى سقراط الحكيم بواسطة انسباء أمه . وكان افلاطون في صباه من ابطال الرياضة ، وقبل ان يبلغ العشرين قرض الشعر ، ولكنه مـا لبث ان مزّق كل قصائده بعد اتصاله بسقراط . كان ميله المبكر الى الاشتغال بالسياسة، إلا انه سرعان ما اقتنع بأن ذوي الضمائر الحية الحرة لا مكان لهم في هذا الميدان الذي يسيطر عليه جماعة من الناس لا تفكير لديهم .

بعد وفاة سقراط قام افلاطون برحلات عديدة طويلة ، فزار إيطاليـــا ، ومصر ، وصقلية ، حيث دهش لحياة الفساد التي يحياهـــا السكان . وفي صقلية التحق ببلاط **الملك ديونيسيوس الاول** ، ملك سرقسطة . وفي اواخر ايام حياتــه تدخـّل في سياسة سرقسطة بصفته معلم ديونيسيوس الثاني ، إلا أن العواقب كانت وخيمة ، فاضطر الى التخلي عن كل نشاط سياسي .

وحوالي السنة ٣٨٧ أنشأ أفلاطون **الاكاديمية** التي ترأسها حتى وفاته ، وكان من أبرز تلامذته في الاكاديمية **الفيلسوف ارسطو** .

تقسم مؤلفات افلاطون الى ستة وخمسين كتاباً ، ومعظم كتاباته موضوعـــة بشكل حوار يشترك فيه عدد من الشخصيات . ويشكل هذا صعوبة جمة في درس فلسفته لأن ثمة مجالاً للشك فيمن ينطق بلسانه من هؤلاء الشخصيات . ومن أشهر مؤلفاته كتابه

عن **الحب** ، **وفيدو** (يبرز تعاليم سقراط حول خلود الروح) ، **والجمهورية** (وهو كتاب ظهر عن الدولة المثالية أو المدينة الفاضلة) وكتابه عن **طبيعة المعرفة** ، وكتابه عن **طبيعة العالم الجسماني أو عالم الحس** (واسم هذا الكتاب **تيماس** ، وهو أكثر كتبه غموضاً) .

وقد وصف المفكر الاميركي ايمرسون كتاب « الجمهورية » بقوله : **انه كتاب الكتب فطالعوه ، واحرقوا كل الكتب دونه فهو يغني عنها !**

أرسطو

ARISTOTLE

المعلم الأول .. وواحد من عظماء المفكرين ، ساهم بمفرده في تنوير العالم ، وذلك بجمعه كل ما كان هناك من معرفة في عصره ، وتنظيمه في علم قائم بذاته .

فتح عينيه على النور في مدينة اسطاغيرا (بمقدونيا) سنة ٣٨٣ ق. م. وكان والده نيكوماخوس طبيباً خاصاً للملك آمنتاس المقدوني ، جد الاسكندر الكبير المعروف بذي القرنين . وتوفي عنه وهو بعد فتى ، فأرسله ولي أمره عندما بلغ السابعة عشرة الى **اكاديمية افلاطون** حيث بقي عشرين سنة يأخذ عنه العلم والفلسفة ،فكان أبرز تلامذته .

وبعد وفاة افلاطون سنة ٣٤٧ ق. م. ارتحل الى آتونيوس ، احدى المدن ـــ الدول اليونانية في آسيا الصغرى حيث تزوج شقيقة حاكمها هرمياس . وما هي إلا ثلاث سنوات ، وبعد اقامة قصيرة في جزيرة لسبوس ،حتى تلقى دعوة من الملك فيليب المقدوني ليكون معلم ابنه الذي اصبح فيما بعد الاسكندر الكبير . وقد لازم ارسطو الاسكندر صديقاً ، ومعلماً ، ومستشاراً حتى قام سنة ٣٣٤ بحملته الحربية الآسيوية . ومما يروى أن الاسكندر كان يرسل من البلدان التي يمر فيها نماذج عن نباتاتها وحيواناتها الى استاذه مساهمة منه في زيادة اطلاعه وتسهيل ابحاثه ودراساته . **ومن هنا استطاع ارسطو أن يؤسس ما يُعتبر اول حديقة حيوان في العالم .**

وفي آثينا ، سنة ٣٣٢ ، افتتح ارسطو **مدرسة لوقيون**. وقد عُرف اتباعه **بالمشائين** لان ارسطو كان من عادته أن يمشي بين تلامذته وهو يلقي عليهم الدروس . وقد ظل يدير مدرسته هذه ثلاثة عشر عاماً ، ويصنف كتبه التي ظهر أبرزها في هذا العهد .

وعلى الرغم من عداوة الاثينيين لمقدونيـــا التي استعبدتهم ، اجتذبت مدرسة ارسطو الكثيرين من التلامذة وأمست مركزاً للابحـاث البيولوجية ، والتاريخية ، والشؤون الحكوميـة والادارية . ولم يكن ثمـة موضوع يُناقش في ايام ارسطو لم يتطرق اليه في مدرسته او في كتبه ، ويجـله ،ويوضحه . **ومن أشهر مؤلفاته : اورغانون ،السياسة ، فن الشعر ، المنطق ، تاريخ الحيوانات ، وعلم الفلك .**

وتوفي الاسكندر سنة ٣٢٣ ق. م. وسط انتصاراته في بابل ، ووقعت حكومة اثينا بين ايدي اعداء المقدونيين – وارسطو من انصار المقدونيين – فدبّر له أعداؤه تهمــة الالحــاد ، فخشي الاضطهاد والمصير الذي آل اليه سقراط من قبله ، فهرب الى مدينـة خلسيس حيث اصيب بعد اقامته فيها حوالي السنة بمرض قضى عليه وهو في الثالثة والستين من العمر (٣٢٢ ق. م.)

القدّيس أوغسطينوس

SAINT AUGUSTINE

أحد أوائل الفلاسفة المسيحيين ، أبصر النور في شمال أفريقيا سنة ٣٥٤ ، وكانت والدته مونيكا ، التي أثـّرت تأثيراً قوياً في حياته ، مسيحية المولد ، أمـــا والده فكان من الذين اعتنقوا هذه الديانة. درس في مادورا ،ثم في قرطاجة حيث تعلـّم البلاغة والمنطق الى جانب سائر المواضيـع . **ويبدو أنه عاش في صباه حياة مجون وفساد ما لبث فيها بعد أن تأكله الندم عليها** . وفي التاسعة عشرة كانت له علاقة بامرأة رُزق منها ولداً دعاه اديوداتس .

حاضر في البلاغة السنوات الطوال ، وفي سنة ٣٨٣ انتقل الى روما، فميلانو حيث وافته والدته .وبقي ردحاً من الزمن من اتباع احدى الديانات الجديدة التي كانت تنافس المسيحية في ذلك الحين . ولكنه اهتدى الى المسيحية ، فطرد المرأة التي كانت زوجته بحالة غـــير شرعية ، واعتمد هو وابنه سنة ٣٨٧ . وما لبث أن عاد الى افريقيا بعد أن اعتزم دخول الرهبنة (٣٩١) . **وقد كرّس حياته لوضع الكثير من المبادىء اللاهوتية التي اصبحت فيها بعد العقيدة الاساسية للكنيسة الكاثوليكية . ومن أشهر مؤلفاته « الاعترافات » و « مدينة الله »** . وقد توفي سنة ٤٣٠ في بلدة هيبو التي اقام فيها وكان أسقفها ...

يوحنا الدمشقي

عُرف باسم منصور بن سرجيوس قبل أن يُعرف باسم يوحنا الدمشقي (٦٩٥ — ٧٥٤). من اعلام المفكرين الدينيين السوريين ، عمل في صباه في ادارة المالية في الدولة الاموية ، ولكنه هجر الدنيا ودخل دير القديس سابا بجوار القدس ، حيث تنسّك وانقطع الى الدراسة والتأمل ، ثم انتُدب للوعظ والارشاد والتعليم في منطقة اورشليم.

له كتاب **ينبوع المعرفة** ، ويُعتبر أول مجموعة لاهوتية ظهرت في الكنيسة المسيحية ، وهو يجمع خلاصة الفكر اللاهوتي للكنيسة اليونانية الاولى ، وفيه يسبق **القديس توما الاكويني** الذي وضع مجموعة مماثلة عُرفت **بالخلاصة اللاهوتية** .

ويشتمل « ينبوع المعرفة » على ثلاثة اقسام هي : الفصول الفلسفية ، وكتاب المرطقات ، وبيان صحيح للايمان ، شرح فيه عقيدة الثالوث الاقدس وأعمال الله والعناية الالهية .

وليوحنا الدمشقي تراث شعري خالد من الترانيم والاناشيد الدينية ، فضلاً عن مؤلفات عدة في التفسير ، والزهد ، ومجموعة من المواعظ والخطب ...

اشتهر بأخلاقه وسعة اطلاعه ، واعتبرته الكنيستان اليونانية واللاتينية من قديسيها ...

الكندي

أبو يوسف يعقوب الكندي ، **فيلسوف العرب** ، « من الاثني عشر عبقرياً الذين هم من الطراز الأول في الذكاء » ... والده اسحق كان امير الكوفة على عهد الخلفاء الثلاثة العباسيين المهدي والهادي والرشيد . وكان جده الاشعث بن قيس ،الصحابي الجليل ، وبقية اجداده من الملوك في الجاهلية ، والامراء في الاسلام .

أبصر الكندي النور في الكوفة حوالي سنة ٨٠١ ، وتوفي في بغداد سنة ٨٦٧ حيث درس الحساب ، والرياضيات ، والهندسة ، والطبيعيات ، والطب ، والمنطق ، والفلسفة ، والفلك ، الى جانب احاطته بالثقافات اليونانية والفارسية والهندية .

عُرف في الشرق والغرب بمؤسس الفلسفة الاسلامية ، وقــد قال عنه ابن النديم ، صاحب « الفهرست » : « انه فاضل دهره وواحـــد عصره في معرفة العلوم بأسرها ، وفيلسوف العرب. كان عالماً بالطب والفلسفة والحساب والهندسة والمنطق والنجوم وتأليف اللحون وطبائع الاعداد... »واعترف بايكون بفضله فقال : « إن الكندي وابن الهيثم في الصف الاول مع بطليموس ! » ويعدد ابن النديم في فهرسته مؤلفات الكندي ويصنفها كما يلي : ٢٢ كتاباً في الفلسفة ، و١٩ في النجوم ، و١٦ في الفلك ، و١٧ في الجدل ، و١١ في الحساب ، و٢٣ في الهندسة ، و٢٢ في الطب ، و١٢ في الطبيعيات ، و٨ في الكريات ، و٧ في الموسيقى ، و٥ في تقدمة المعرفة ، و٩ في المنطق ، و١٠ في الاحكاميات ، و١٤ في الاحداثيات ، و٨ في الابعاديات ... « وكذلك له رسائل في إلاهيـــات ارسطو ، وفي معرفة قوى الادوية المركبة ، وفي المد والجزر ، وفي علة اللون اللازوردي الذي يُرى في الجو ، وفي بعض الآلات الفلكية ، ومقـالات في تحاويل السنين وعـلم المعـادن وانواع الجواهر والاشباه وأنواع الحديد والسيوف وجيّدها » ...

الفـــارابي

عُرف أبو نصر محمد الفارابي ، وهو من المقدّمين في تاريخ تقدّم الفكر ، **بفيلسوف الاسلام** . وُلد في مقاطعة فاراب بخراسان حوالي سنة ٨٧٢ ، وتوفي في دمشق سنة ٩٥٠ . بلغت مؤلفاته ورسائله المائة أو يزيد ، وفيها عالج الفلسفة بعلومها ، والفلك ، والمنطق ، والعدد ، والهندسة ، والموسيقى . ولكن أكثرها ضاع . **« ويمكن القول ان مؤلفات الفارابي مهدت السبيل لظهور ابن سينا وابن رشد . »**

عندما انهى علومه في بغداد ، مهـد الحضارة آنذاك والنور والثقافة والعـلم في العصر العباسي ، التحـق بحاشية امير حلب سيف الدولة الحمداني ،غير أنه لم يتقرّب الى هذا الامير بعلمه وفلسفته بادىء ذي بدء ، بل كانت الموسيقى هي رسوله اليه .

« كان الفارابي صافي الروح ، طاهر النفس، متزهدا في دنياه ، متحلياً بالقناعة والرضى، مكتفياً بالكفاف من العيش . وكان دائم التأمل والفكر ، يقطع زمانه باستيعاب المذاهب الفلسفية قديمها وحديثها . وقد كان من أكبر فلاسفة العرب دراية بشتى العلوم والفنون ..

صال في الرياضيات ، وأمعن في الطب ، وأفتن في الموسيقى ، وبرع في اللغات . » وكان صاحب مذهب خاص في الفلسفة سُمي من بعده بفلسفة الفارابي. وقد عني بشرح آراء المعلم **الاول ارسطو ، ولا سيا ما يتعلق بالمنطق لتقريب فهمه الى معاصريه ، الأمر الذي دعا الكثيرين الى تسمية الفارابي بالمعلم الثاني .**

ومن أشهر كتب الفارابي « آراء اهل المدينة الفاضلة » ، و « إحصاء العلوم » و « ما ينبغي ان يقدّم قبل تعلّم الفلسفة » ، و « كتاب الموسيقى الكبير » ، و « كلام في الموسيقى » ، و « كتاب في احصاء الايقاع » . **والفارابي هو أول من وضع النواة لدائرة المعارف (الانسيكلوبيديا) ...**

ولم يكتفِ الفارابي في الموسيقى بتصنيف الكتب بل لقد نسبوا اليه الابتكار في الآلات ايضاً . روى ابن ابي اصيبعة أن الفارابي صنع آلة إذا وقّع عليها أحدثت انفعالاً في النفس فيُضحك السامع ويبكيه ، ويستخفه ويستفزه . وقال بعضهم انها شبيهة بالقانون أو هي القانون ذاته ...

البيروني

هو اعظم عقلية عرفها التاريخ ، وُلد في خوارزم سنة ٩٧٣، وتوفي فيها سنة ١٠٤٨.

هكذا يقول عنه العالِم الالماني سخاو الذي درس بتمحيص دقيق مؤلفاته ، ووقف على أسرارها وأهميتها .

كان عالماً في الفلسفة ، والفلك ، والرياضيات ، وذا « مواهب جديرة بالاعتبار .. فقد كان يحسن السريانية والسنسكريتية والفارسية والعبرية ، عدا العربية . وقد نقل مؤلفات من السنسكريتية الى العربية ، كما نقل علوم المسلمين الى الهندوس . وكان اثناء اقامته في الهند يعلّم الفلسفة اليونانية ويتعلّم هو بذوره الهندية . ويقال إنه كانت بينه وبين ابن سينا مكاتبات في بحوث مختلفة ورد أكثرها في كتب ابن سينا ... »

بلغت مؤلفاته بين كتب ورسائل المائة والعشرين نُقل بعضها الى اللغات اللاتينية والفرنسية والالمانية والانكليزية لينهل منها الغربيون في دراساتهم العلمية والتاريخية .

ابن سينا

هو الشيخ الرئيس ، أو أمير الفلاسفة ، « أعظم علماء الاسلام ومن أشهر مشاهير العلماء العالميين » . وُلد في خرميشن في ضياع بخارى سنة ٩٨٠ ، وتوفي في همذان سنة ١٠٣٧ . وكان ابوه من عمال السلطان نوح بن منصور الساماني (ومملكة سامان هي اليوم أفغانستان) .. **ولذلك فان ابن سينا يدعيه الفرس ، والعرب، والترك ، والروس . فلما** توفي والده تقلّد ، وهو بعد في الثانية والعشرين من عمره ، بعض المناصب لدى السلطان الذي لزمه حتى نهاية ملكه . ووصل الى منصب وزير في الدولة .

وتعرّض ابن سينا للكثير من اضطرابات السياسة وتقلباتها ، وعانى من جراء ذلك الكثير . فهو حيناً مغضوب عليه ومضطهد ، وحيناً آخر محتفىً به ومقرّب . ولكن ذلك كله لم يصرفه عن الدرس والبحث والانتاج .

وكان شديد الثقة بنفسه ، عارفاً نبوغه وفضله ، مما دفع البعض الى وصفه بالمتكبّر . « احاطه والده بالاساتذة والمربين يعلّمونه معارف زمانهم وشروح العلماء في الفلسفة والمنطق والهندسة والالهيات والطبيعيات ، فخرج من ذلك كله واقفاً على دقائق الهندسة ، بارعاً في الهيئة ، محكماً علم المنطق ، مبرّزاً في الرياضيات والفلسفة وعلوم ما وراء الطبيعة . ولم يقف عند هذه الحدود بل دفعه طموحه ورغبته في العلم والمعارف الى الاستزادة فعكف على دراسة الطب وقراءة الكتب المصنّفة فيه . »

ومن أشهر كتبه **القانون** ، وقد ظل القرون الطوال منهلاً يستقي منه الراغبون في الطب سواء في الشرق او الغرب . وقد وضع هذا الكتاب في جراجان التي أقام فيها بعد مغادرته بخارى ، وتعرّفه بعالم يدعى **الشيرازي** قرّبه منه وابتاع له دارا مجاورة له عاش فيها ابن سينا يدرس ويصنّف بعض مؤلفاته . ولكن اقامته في جراجان لم تطل لاسباب سياسية فاذا به ينتقل الى همذان ، فالى اصفهان في رعاية الامير علاء الدولة .

« وابن سينا منظّم الفلسفة والعلم في الاسلام . وقد فهم الفلسفة عن طريق الفارابي ، ولكنه توسّع فيها وألّف . وله فيها نظريات لا يزال بعضها يُدرّس في مدارس اوروبا . وقد اعتمد على فلسفة ارسطو واستقى منها كثيراً . ويعترف الباحثون بأنه أضاف اليها وأخرجها بنظام أتم ، ونطاق أوسع ، وتسلسل محكم ...**وبقيت كتب ابن سينا في الفلسفة**

والطب تُدرّس في الجامعـــات في اوروبا الى القرن السابع عشر . ويقول دي بور : « وكان تأثير ابن سينا في الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى عظيم الشأن . واعتُبر في المقام كارسطو . »

وتزيد مؤلفات ابن سينا ورسائله على المائة ، وهي تـــدور على الطب والفلسفة والرياضيات والموسيقى واللغة والالهيات والنفس والمنطق والفلك والطبيعيات وعلم طبقات الارض (الجيولوجيا) ، وعلم الديناميكا .

الغـــزّالي

حجة الاسلام ، وزين الدين ، وفي الطليعة بين اعلام المفكرين في الاسلام . وُلد في طوس من أعمال خراسان سنة ١٠٥٩ وتوفي فيها سنة ١١١٢ .

نشأ نشأة صوفية روحية ، فدرس مختلف المذاهب الدينية التي واجهته في مستهل حياته. درسها درساً تحليلياً منطقياً بغية معرفة الحقيقة .

« ويمتاز الغزّالي على غيره من علماء الكلام في كونه قرّب الدين من العقل الاعتيادي وكشف دقائقه أمام اذهان العامة ، في حين ان الكثيرين من الفقهاء ورجال الدين في عصره والعصور التي سبقت ساروا في تفكيرهم على أساس من الغموض ، وفي بحـــار من المعميات والاسرار ... وهو حين قرّب الدين لم ينزل به بل استطاع بما أوتي من قوة العارضة وصفاء التفكير وسعة الاطلاع ان يرفع الايمان من حضيض السذاجة الى قوة التفكير العالي ، مما جعل المفكرين في الشرق والغرب يرون فيه المثل الأعلى للتفكير الالهي ، والنور المبـدد لروح الشك والتشاؤم . وقد قال سارطون في هذا الشأن : إن أثر الغزّالي في العلم الالهي اعظم من اثر القديس توما الاكويني ! ... »

ومن أشهر كتبه « احياء علوم الدين » و« تهافت الفلاسفة » .

ابن طفيـــل

كان عالماً فلكياً ورياضياً وطبيباً وفيلسوفاً واديباً ، وقد ترك آثاراً خالدة في الفلسفة اروعها قصة حي بن يقظان التي تـُعتبر في مقدمة الآثار العربية التي تستحق الخلود في تاريخ

تقدّم الفكر الانساني .

« أبصر النور في قادس ، في الاندلس ، في اوائل القرن الحادي عشر للميلاد ، وتوفي في مراكش سنة ١١٨٥ .. نقد بطليموس ، ونقد فلسفة الغزّالي والفارابي ، وابن سينا، وابن رشد » الذي كان من تلاميذه النجباء .

وفلسفة **ابن طفيل تتضمنها قصة حي بن يقظان** الذي نشأ في جزيرة مـن جزائر الهند تحت خط الاستواء ، منعزلاً عـن الناس ، في حضن ظبية قامت على تربيته وتأمين الغذاء له من لبنها .

وما زال معها وقد تدّرج في المشي يحكي اصوات الظباء ، ويقـلد اصوات الطيور ، ويهتدي الى مثل أفعال الحيوانات بتقليد غرائزها ، ويقايس بينه وبينها حتى كبر وترعرع ، واستطاع بالملاحظة والفكر والتأمل أن يحصل على غذائه ، وأن يكشف بنفسه مذهبـاً فلسفياً يوضح به سائر حقائق الطبيعة ... »

ابن باجه

شاعر وفيلسوف أندلسي ، وعالم بالطب والرياضيات والفلك ، «بنى فلسفته العقلية على الرياضيات والطبيعيات ، وهو ما أراد **عمانوئيل قانت** ان يسير عليه في فلسفته ... خلـع عن الفلسفة الاسلامية سيطرة الجدل ، وادخلها في دائرة العـلم الصحيح . وُلد في مدينة سرقسطة في اواخر القرن الحادي عشر للميلاد ،وتوفي في فاس سنة ١١٣٨ .

وضع ابن باجه كثيراً من المؤلفـات في ارسطو وشروحـه ، والمنطق ، والطب ، والهندسة ، والنبات ، والادوية المفردة ، والفلك ، والنفس ، والعقل . ولسوء الحظ ضاع معظمها وبقي منها رسائل وصفحات في ترجمات لاتينية وعبرية ... »

وكان اول فيلسوف في القرون الوسطى فصل ما بين الدين والفلسفة في البحث .

ابن رُشد

وصفه اللورد بايكون بانه « فيلسوف متين متعمق ، صحح كثيراً من اغلاط الفكر الانساني ، واضاف الى ثمرات العقول ثروة قيّمة لا يستغنى عنها بسواها ... »

أبصر نور الحياة في قرطبة سنة ١١٢٦ ،وتوفي في مراكش سنة ١١٩٨ .

كان صائب الآراء ، درس ارسطو وشرح فلسفته ، ونقد بطليموس في فلكه ، كما نقد ابن سينا وهاجمه ، وردّ على الغزّالي والفارابي. **أنشأ مذهبه المعروف بالرشدية الذي يعتمد على العقل في البحث لا على الروايات الدينية** . وكان بعيداً عن التصوف ، لم يتقيّد قط الا بالعقل ، مما جعله يصطدم برجال الدين الذين اضطهدوه في اواخر سني حياته .

وقد تركت فلسفة ابن رشد ، في رأي الكثيرين من الفلاسفة واقطاب الفكر ، « اكبر الأثر في اوروبا ، وأخرجتها من ظلمات التقليد الى نور العقل والفكر. **ولهذا نجدهم يضعونه مع افلاطون وارسطو وقانت في صف واحد في الفلسفة العقلية .** »

القدّيس توما الاكويني

SAINT THOMAS AQUINAS

كان للقديس توما الاكويني (١٢٢٥ — ١٢٧٤) ، **أمير الفلسفة اللاهوتية** ، تأثير أعمق من تأثير اي لاهوتي في فكر الكنيسة الغربية باستثناء الاسقف **القديس أوغسطينوس** .

وُلد في نابولي ، وبعد أن درس في جامعتها ، انضم الى سلك الرهبنة الدومينيكانية، ضد مشيئة أسرته . كان مثال المفكر والعالم .. درس على يد الفيلسوف البافاري **القديس ألبرت الكبير** الذي كان صديقه الحميم .

درّس في روما وباريس ، ووضع مجلداً قيّماً يؤلف فيه بين الاتجاهات الفكرية والفلسفية القديمة . وفي سنة ١٢٧٤ دعي لحضور مجلس عام في ليون الغاية منه التوفيق بين الاختلافات بين الكنيستين اليونانية واللاتينية . فتوفي على الطريق في ٧ آذار من تلك السنة .

ان كل مؤلفات القديس توما كانت تأهباً لعمله الكبير **مجموعة اللاهوت**، وهو مؤلف ضخم جبار يتناول الآداب ، واللاهوت ، والميتافيزيقيا .. بدأه سنة ١٢٦٥ ، وأُتم بعد وفاته حسب خطته . وقد طُوّب سنة ١٣٢٣ .

ابن خلدون

يقول المؤرخ البريطاني المعاصر توينبي « ان ابن خلدون ، في المقدمة التي كتبها لتاريخه العام ، قد ادرك وتصور وأنشأ فلسفة التاريخ . وهي بلا شك أعظم عمل من

نوعه خلقه اي عقل في اي زمان ... »

ويقول ماكدونالد ان هذه المقدمة اساس التاريخ وحجر الزاوية فيه .

أبصر ابن خلدون النور في تونس سنة ١٣٣٢ ، وتوفي في القاهرة سنة ١٤٠٦ .

« ومقدمة ابن خلدون تاريخية فلسفية لم ينسج احد على منوالها قبلها ،حتى علماء اليونان والرومان وغيرهم . وهناك من علماء الافرنج من خرج بتصريح خطير بعد دراسة المقدمة، فقال روبرت فلنت : « من وجهة علم التاريخ وفلسفته يتحلى الادب العربي باسم من ألمع الاسماء ، فلا العالم الكلاسيكي في القرون القديمة ، ولا العالم المسيحي في القرون الوسطى يستطيعان أن يقدّما اسماً يضاهي في لمعانه ابن خلدون ... وان من يقرأ المقدمة باخلاص ونزاهة لا يستطيع الا ان يعترف بأن ابن خلدون يستحق لقب مؤسس علم التاريخ وفلسفته ... »

اتخذ ابن خلدون من المجتمع وما فيه من ظواهر مادة لدرسه ، محاولاً أن يفهم هذه الظواهر ويعللها على ضوء التاريخ ، و«أن يرتب من سيرها وتفاعلها قوانين اجتماعية عامة . وهذا ما جعل الباحثين يقولون بتفوق ابن خلدون على ماكيافيلي تفوقاً عظيماً في التفكير ونوع النتائج ، وفي نظريات العصبية واعمار الدول وخواصها ومعالجتها من النواحي الاجتماعية مما حدا بالعالم الاجتماعي جمبلوفتش ان يصرّح بأن فضل السبق يرجع الى العلامة الاجتماعي العربي ابي خلدون فيما يتعلق بكثير من النظريات والآراء التي وردت في كتاب الامير لماكيافيلي . »

فرنسيس بايكون

FRANCIS BACON

السر فرنسيس بايكون (١٥٦١ — ١٦٢٦) كان فيلسوفاً ، وسياسياً ، واديباً ، من مواليد لندن . انتقل من نقابة المحامين الى البرلمان . صادقه الايرل اوف ايسيكس ،ولكنه ما لبث ان خان هذه الصداقة لقاء مبلغ قدره ١٢٠٠ استرلينية — على ما يقال — وذلك بأنه كان احد المدّعين العامين الذين عيّنتهم الملكة اليزابت في محاكمة ايسيكس بتهمة الخيانة العظمى . وقد كانت مرافعات بايكون ذات اثر كبير في الحكم باعدام ايسيكس . وقد مُنح لقب فارس لدى تسنّم الملك دجيمس الاول العرش . وكان تدرّجه في الحياة السياسية

مريعاً ، فأصبح ، رئيساً للسلطةالقانونية . ولم تمضِ ثلاث سنوات حتى اتُهم بالرشوة. ولكن عفي عنه فيما بعد دون ان يُسمح له بالعودة الى البرلمان او القضاء . **فانصرف عندهـــا الى الكتابة والفلسفة حيث نال شهوة جديدة خالدة .**

كانت شخصيته تتميز بالتناقض العجيب .. ذلك بأنه كان قادراً على وضع مؤلف قيّم ككتابه **تقدّم العلم** ، ثم ترأس غرفة التعذيب الخاصة بالبلاط الملكي . أمـا كتابه **الاداة الجديدة** الذي وضعـه سنة ١٦٢٠ فيُعتبر أشهر مؤلف في النثر ظهر في ذلك العصر . ففي هذا الكتاب وضع بايكون طريقة الاختبار العلمي المتبعة اليوم . وقـد شاء بايكون أن يبرز اسلوباً جديداً في المنطق يتمم الاسلوب الذي وضعـــه ارسطو في رسالته عن المنطق (اورغانون) .

وفي كتابه **الاطلنتيد الجديدة** يصف بايكون الدولة المثالية . **وتجدر الاشارة الى أن الجدل ظل قائماً مدة طويلة حول كتابة بايكون بعضَ روايات شكسبير** . إلا أنه لم يثبت شيء من هذه الادعاءات التي كانت تثار بين آن وآخر .

ومما يؤثر عن الفيلسوف اللورد بايكون أنه كان في استطاعته أن يردد من الذاكرة ما ورد في كل كتاب من كتبه كلمة كلمة ...

ديكارت

RENÉ DESCARTES

أبصر رينه ديكارت ، الفيلسوف الفرنسي وأحد الروّاد في علـم الرياضيات الحديثة ، النور في اقليم تورين في ٣١ آذار ١٥٩٦ . وأرسل في الثامنـــة من عمره الى احـــدى المدارس اليسوعية . **ولم يكن يوماً رياضياً محترفاً بل كان فيلسوفاً طبيعياً**. أقام في هولندا سنة ١٦٢٨ حيث ما عتم أن أصبح شهيراً . قضى الشهور الاخيرة من حياته في اسوج حيث درّس الفلسفة للملكة كريستينا . وكانت الملكة تفضّل أن تكون الدروس الساعة الخامسة صباحاً . فكانت هذه الساعات المبكرة، مع قسوة الطقس الشتوي في اسوج ، قاتلة بالنسبة لهذا الفيلسوف الهزيل البنية . فتوفي في استوكهلم في ١١ شباط ١٦٥٠ .

كان ديكارت مولعاً بالايضاح والاستنتاج المنطقي ، وفي الوقت نفسه كان كاثوليكيـاً

مخلصاً متعلقاً بعلم اللاهوت التقليدي. وقد تحوّل هذا التناقض الى نظام في التفكير اكسب ديكارت لقب **ابو الفلسفة الحديثة** . أما تقسيمه العالم الى وحدتين منفصلتين همـــا الجسد والروح فيُعرف بالنظام الثنـائي ، وهو أساس نظريتين متعاكستين في التفكير الحديث : المادية والمثالية .

وقد استنبط ، بصفته رياضياً هاوياً ، الهندسة التحليلية ، ونشر طريقته كملحق لأحد كتبه الفلسفية .

قـانـت

IMMANUEL KANT

حكيم كونكسبرغ ، مؤسس « فلسفة النقـــد » ، والفيلسوف الذي سيطر على الفكر طوال القرن التاسع عشر . وُلد في بروسيا سنة ١٧٢٤ من أصل اسكتلندي . فلما بلغ السادسة عشرة التحق بجامعة كونكسبرغ حيث نال سنة ١٧٥٥ شهادة الدكتوراه في الفلسفة ، ونشر اطروحته **التاريخ الطبيعي ونظرية السموات** . وبقي حتى سنة ١٧٧٠ محاضراً في هـذه الجامعة حتى تسلّم كرسي الميتافيزيقيا والمنطق .

كان قانت قصير القامة ، هزيل البنية ، اختطّ لنفسه نظاماً خاصاً للعمل والنشاط لم يحد عنه قيد انملة حفاظاً منه على صحته ، ومراعاة للحصول على أطول وقت للدرس والمطالعة . لم يبتعد عن منزله أكثر من ستين ميلاً ، ولم يتزوج .

أما مساهمته الرئيسية في الفلسفة فهي كتابه **نقد العقـــل الخالص** الذي أصدره سنة ١٨٧١ .وقد خلق له هذا الكتاب مشكلة مع رِجال الكنيسة في المانيا لـما فيه من صراحـة وجرأة اعتبروهما ماستين بالدين . وأتبـع كتابه هذا بآخر دعاه **نقد العقل العملي** الذي يعالج هـذه النظرية وهي **أن حريتنا الفردية هي في اطاعة القانون الاخلاقي الذي ينبع من نفسنا** . واستمر قانت ينشر آراءه الفلسفية على الرغم من معارضة الاكليريكيين. إلا أنه لزم الصمت عندما حذّره الملك فريدريك غليوم الثاني منسوء العاقبة إثر ترحيبه الحار بالثورة الفرنسية وتحمسه لها وهو في الخامسة والستين من عمره . وقد استمر صمته حتى وفاته سنة ١٨٠٤ .

« ومما يروى عن هذا الفيلسوف الالماني انه كان كلما استعصت عليه فكرة فلسفية هرع الى نافذة مكتبه ، وحدق النظر في برج على بعد منها ، فبغير هذا الوضع لا تسعفه القريحة . وبعد سنوات نمت الاشجار التي غرستها البلدية ، فاكتظت أغصانها بالاوراق وحجبت ذلك البرج ، مصدر الوحي والالهام . فكتب الى ذوي الشأن شارحاً لهم ما ترتب على هذا من أذى . ونظراً لمنزلة الفيلسوف الادبيـــة في ذلك الحين ، نزلوا على رغبته فقطعوا تلك الاشجار . »

فيشخته

JOHANN FICHTE

الفيلسوف الالماني فيختـــه (١٧٦٢ – ١٨١٤) ، **رسول القومية الجامحة أو المتطرفة** ، كان في الفلسفة الخالصة تلميذ عمانوئيل ڤانت ، ولكنه في فلسفته السياسية يختلف اختلافاً بيّنـــاً من **حكيم كونكسبرغ الذي كان من المفكرين الدوليين الاحرار .**

كان فيخته يعتقد أن الكون بأسره منبثق من الذات البشرية ، وأن حقيقة الاشخاص والاشياء وخيرها يتوقفان على الذات وبالقياس الى قربها منها .. فلا غرو اذن ان يضع فيخته أسرته ووطنه في المكان الأول ، مقدّماً اياهما على سائر الأُسر والبلدان التي يعتبرها ظواهر ميتافيزيقية لا أكثر ولا أقل .

كان انكسار نابوليون في موقعة يينا مصدر إلهام لفيخته ، فوضع **نداءات الى الامة الالمانية** ونشرها سنة ١٨٠٨ ، واصبحت منذ ظهورها **انجيل القومية الالمانية** . وحرص على إظهار السبب في تغلّب عقلية الالمان البسيطة الساذجة الفاضلة على الفساد الاخلاقي الذي ينبثق من العقلية الغولية الحاذقة المنحطة . ودعا الى الاخذ بتربية جديـدة تقضي على حرية الارادة . فالطلاب في مدارسهم يجب أن يُعزلوا عن العالم الخارجي ،ويقطعوا كل صـــلة تربطهم به . وإذا ما أكلوا فيجب أن يأكلوا ليحفظوا قوّتهم ونشاطهم لخدمة المانيـا ، لا ليشبعوا نهمهم ويملأوا بطونهم .

هيغــــل

GEORG WILHELM FRIEDRICH HEGEL

«عبادة الدولة» هي الفلسفة التي نادى بهـا الفيلسوف الالماني هيغل (١٧٧٠ – ١٨٣١) .

كان هيغل في صباه رومنطيقي النزعة ، متصوفاً ، معجباً بنابوليون أيما اعجاب. ولكنه ما أن أصبح استاذاً في جامعة برلين حتى شرع يمجّد الدولة البروسية، ثم مـا لبث أن ألـّه الدولة بشكل لم يسبقه اليه أحد . فهو القائل : **« ان الدولة هي الحيـاة الأخلاقية ذات الوجود المطلق . . والفرد انما يستمد حقيقته الروحية من الدولة . . الدولة هي الفكرة المقدسة على الأرض . . لم تقم الدولة من أجل الأفراد ، بل وُجـد الأفراد من أجل الدولة »** .

والدولة ، كما يرشح من فلسفة هيغل السياسية ، لا تربطها صلة الواجب بسائر الدول . فهي في الواقع أرفع من القانون الاخلاقي والأدبي. وعلى هذا لا يمكن اعتبار الحرب شراً من الشرور . ولا يجمل بنا أن نسعى الى ازالتها من الوجود . ويعارض هيغل معارضة شديدة فكرة قيام عصبة دولية مهمتها القضاء على الحروب بواسطة سلطة أسمى وأرفع من سلطات الدول المنتمية اليها . ويرى أن مصلحة كل دولة كامنة في قانونها الاعلى الخاص بها إذ ليس ثمة نزاع بين الاخلاقيات والسياسة، والاخلاقيات الموضوعة للافراد لا تنطبق على الدول ، أي ان الفيلسوف الالماني يحاول تبرير كل ظلم وعدوان ترتكبها الدولة في الداخل والخارج . على أن هيغل يسلـّم بأن ثمة دولاً شريرة أو رديئة ، ولكن دولاً كهذه ليست جديرة بالاسم. ويرى أن بروسيا هي الأمة الوحيدة التي تؤلف دولة بالمعنى الصحيح . ويدعم هذه النظرية بوجهة نظره التاريخية في نشوء الامم والدول .

يقول هيغل ان الدولة فكرة ، وفي كل عصر تتجسد هذه الفكرة في أمة من الأمم . فقد تجسدت في الصين ، فالهند ، فاليونان ، فروما . ومنذ سقوط روما تجسدت في المانيا .

ان الروح الالماني في نظره هو روح العالم الحديث ، وأن هدفه هو « تحقيق الصدق المطلق ، وحرية تقرير المصير المطلقة . »

شوبنهاور

ARTHUR SCHOPENHAUER

فيلسوف التشاؤم الالماني ارتور شوبنهاور وُلد في دانتزيغ سنة ١٧٨٨ . وتوفي والده وهو في السادسة عشرة من عمره فلم يشأ ان يتابع اعمال والده التجارية ، وفضّل الانصراف الى التحصيل . وبعد فترة قضاها في جامعة برلين أقام في درسدن حيث وضع كتابه **العالَم كارادة وفكرة** الذي ظهر سنة ١٨١٨ . ولعلّ كتابات شوبنهاور فيما بعد كانت تعليقات على الفلسفة التي قال بها ووضع اسسها في ذلك الوقت . وقد أصدر طبعة ثانية من مؤلفه هذا سنة ١٨٤٤ .

كان شوبنهاور يعتقد أن **« الرجل العظيم ليس الفاتح بل ذاك الذي يفضّل الموت على البقاء . »** ولكنه ، مع ذلك ، كان شديد المحافظة على حياته .. هرب من وباء الكوليرا عندما تفشّى في برلين ، ومن وباء الجدري في نابولي ، وقضى آخر ٢٧ سنة من عمره في فرانكفورت في خوف مستمر من القتل والسرقة . وقد مات على مائدة الفطور في ٢١ أيلول ١٨٦٠ بعد ان عرف الشهرة التي سعى اليها طوال حياته .

ويروى عن شوبنهاور أنه كسر ذراع خادمته لأنه وجدها في غرفته ترتب سريره ، وكان قد اعلن انه لا يريد اي انسان ان يدخل غرفته مطلقاً . وكثيراً ما كان « يسجن » نفسه في غرفته عدة اشهر . وقد اضطرت والدته ان تبقى على باب غرفته يومين كاملين دون أن يأذن لها بالدخول .

ومما عُرف عنه انه كان يتحدث الى نفسه بصوت عالٍ اثناء سيره في الطريق .

كيركيغارد

SOEREN KIERKEGAARD

فيلسوف وجودي ، ولاهوتي دانمركي (١٨١٣ — ١٨٥٥) قال، قبل وفاته : **« بعد موتي سيقرأ الناس كتبي ، ولعلهم سيقرأونها كثيراً ! »** والواقع أنه لم تقرأ بعد مؤلفات بمثل هذا الشغف الذي تُقرأ به مؤلفات هذا الفيلسوف المتشائم الصبغة.

وسورين كيركيغارد هو ابن احد تجار كوبنهاغن الاثرياء ، وكان أعزّ صديق لوالده

الذي عاش مؤمناً ، شديد التمسك بأهداب الدين ، ومع ذلك ظل طوال حياته معذباً ، قلق النفس الى حد جعل سورين يعتقد **« ان الله ليس خيّراً غاية الخير » ما دام والده لم يجد في الدنيا راحة النفس والبال .**

اكتشف سورين منذ حداثته عالماً خيالياً يحتل فيه الدين المكانة الأولى . فالتحق سنة ١٨٣٠ بجامعة كوبنهاغن لدراسة اللاهوت، وبعد ذلك بأربع سنوات كتب في مذكراته يقول: « إن ابلغ المآسي سمواً ما يظل غامضاً ، مغلقاً على الفهم .. لذلك كانت حياة المسيح أنبل مأساة . »

وفاز بالدكتوراه في اللاهوت على رسالته « مفهوم السخرية » .

وفي سنة ١٨٤٠ عقد خطبته على صديقته ريجـــين اولسن ، وكانت في السادسة عشرة ولكنها تختلف عنه من حيث روحها المرحة المنطلقة، في حين كان هو دائم القلق والاضطراب كوالده . ولكن هذه الخطبة سرعان ما انفصمت دون ايضاح الاسباب ودون موافقة الفتاة . ولكي يحملها على القبول بهذا المصير راح يحيا حياة عابثة صاخبة لا تتفق وطبيعته .

ورحل الى المانيا بعد فسخ الخطبة مباشرة ، فقضى فيها عاماً كاملاً وضع خلاله أربعة كتب هي : **واحد من اثنين ، مقالان بناثيان ، خوف ورعدة ، العود .**

وقد وضع قرّاءه في كتابه الاول امام اسلوبين في الحياة عليهم الاختيار بينهما : **الجمال او الاخلاق** .. فالآخذ بالجمال إنسان يحيا بحواسه ويرتبط بالحيـاة المادية ، ويظل دائماً نهباً للقلق ، لأنه انسان زائل وخالد معاً ، فاذا أهمل الخلود حكم على نفسه باليأس . ومن هـذا اليأس ينشأ موقف الاختيار ، ويختار الانسان أن يكون مخلصاً لنفسه ، ويسلم جهوده لغاية من الغايات ويتحمل مسؤولياتها .. وذلك هو الاتجاه الاخلاقي .

لم يكتب كير كيغارد يوماً ليكسب عيشه ، بل كتب ليثبّت كيانه .

وقد بدأ معركة قصيرة ولكنها عنيفة ضد الكنيسة الدانمركية مدفوعاً باعتقاده بعـدم مسيحية هذه الكنيسة التي يديرهـــا قساوسة مأجورون للدولة . ولم تقتصر معركته على القساوسة فحسب بل تعدّتهم الى الكنيسة ذاتها .

وبقدر ما غضب عليه رجال الدين وقتئذ ابتهج الشباب وصفّقوا له .

ولم يعمّر كير كيغارد طويلاً ، فقد توفي عن اثنين وأربعين عاماً بعد أن ادركه العجز

المادي والجسماني ، فوقع بغتة في الطريق أثناء جولته اليومية، فنُقل الى المستشفى التي كتب فيها قبل مفارقته الدنيا رسالة الى صديقه **الأب برش** جاء فيها : « **تحية مني للبشر جميعاً ، فلقد أحببتهم !** »

نيتشه

FRIEDRICH NIETZSCHE

هو أبعد الفلاسفة الالمان نفوذاً بعد عمانوئيل قانت ، كان فيلسوفاً وأخلاقياً واجتماعياً ، وانساناً مجّد القوة والحروب ، ورأى فيها الوسيلة الفعّالة الوحيدة لحل مشاكل العالم بأسرها .

كان منطوياً على نفسه ، منعزلاً عن الناس والمجتمع . انتهت حياته بالجنون الذي أبعده أكثر فأكثر عن عالم العقلاء (١٢ سنة) حتى كانت وفاته سنة ١٩٠٠ في فايمار .

أبصر نيتشه النور في قرية سكسونية سنة ١٨٤٤ ، وتلقّى دروسه في جامعتيّ بون ولايبزيغ التي هرب منها عندما تفشى فيها وباء الكوليرا (الهواء الاصفر) . وبعد أن قضى فترة من الزمن في الجيش البروسي عيُن استاذاً لتدريس اللغة الكلاسيكية في بال . إلا أن الحرب الفرنسية البروسية قطعت عمله . فعمل في المستشفى العسكري وأصيب بداء الخانوق (الدفتيريا) الذي أنهك قواه وصحته واضطره الى الاستقالة من منصبه في الجامعة . وكان قد وضع مؤلفاً بعنوان **انسانيّ .. انسانيّ تماماً** .

وفي خلال السنوات الثماني التالية وضع أشهر مؤلفاته **هكذا تكلم زرادشت** ، **ووراء الخير والشر** ، ورؤوس أقلام وتعليقات على خاتمة كتبه **الارادة للوصول الى القوة**. وكان مبدأه المعروف **بالسوبرمان** (الانسان المتفوق) مدار جدل طويل .

« وسواء أكانت نزعات نيتشه الفلسفية تطابق عالمنا المعاصر اليوم أو لا تطابقه ، بالنسبة لما فيها من النزوع إلى اللامعقول ، والى الفردية المطلقة ، فإنه كان فيلسوفاً أكثر ملاءمة لحاجات عصره ، ومطالب دولته . ولن يمنعنا ذلك من أن نعرف فلسفته ونفهمها على الرغم مما كان فيها من عوامل الثورة والهدم أكثر مما كان فيها من عوامل البناء ... »

ونيتشه هو فيلسوف القوة الأول ، واعجابه بالرجل الذي يستطيع أن يتغلب على

عواطفه ما بعـــده اعجاب . وهو يرى أن بؤس أمة بكاملها ليس بالأمر الجلل إذا قيس ببؤس رجل عظيم واحد .

كان نيتشه يحتقر المرأة ويزدريها . وقد كان خجولاً فلم يعرف بنت حواء عن كثب ، ولم يختبرها . وهو القائل بلسان بطله زرادشت : « ان النساء غـــير قادرات على حفظ الصداقة ، فهن قطط ، أو عصافير ، أو بقر ، وُجدن من أجـل الترفيه عن المحارب الذي يجب أن يحذر من أن يحتلن عليه فيقع في حبائلهن ، وتُقطع دونه سبل النجاة . » ويخلص زرادشت الى القول : « أذاهب انت الى المرأة ؟ اذن ، لا تنسَ السوط ! »

ويُفرد نيتشه مجالاً فسيحاً في فلسفته لجدل عنيف ضد النصرانية المطبوعة ، على زعمه ، بعقلية الرقيق . ويعتبرها نتيجة ثورة ناجحة اعلنتها حثالة العالم القديم على الرومان النبلاء .. ويجب أن تدان النصرانية ويقضى عليها لأنها تنكر قيمة الحيوانية الرائعة وغرائز الحرب ، والفتح ، والحنق ، والثأر ، والغضب ، والغيظ . فهي تحاول أن تذل الانسان وتخضعه .

وقد انكر نيتشه عظمة رتشارد فاغنر على الرغم من كونهما صديقين حميمين .

ومن طريف ما يروى أن حكومة بولونيا كانت الى ما قبل الحرب العالمية الثانية دستورية ديمقراطية يتزعمها المارشال بلسودسكي . وكان بينه وبين نيتشه الذي مات مجنوناً في أحـــد مصحات الأمراض العقلية شبه عظيم ... فكان خصوم المـارشال بلسودسكي السياسيون يستغلون هـذا الشبه ويستخدمون صورة الفيلسوف الالماني لشن غارات شخصية شعواء على المارشال ،مما حمل الحكومة البولونية وقتئذعلىاصدار قرار يعتبر نشر صورة نيتشه جريمة يعاقب عليها القانون .

ديـوي

JOHN DEWEY

تنتهي سيرة الكثيرين من البشر بانتهاء حياتهم ، وتختتم بوفاتهم .. أما سير العظام منهم فلا نهاية لها لأن آثارهم تمضي بعيداً بعيـــداً لتقوم بقسطها في بناء الحاضر والمستقبل .

من هؤلاء الرجال دجون ديوي (١٨٥٩ — ١٩٥٢) الفيلسوف الاميركي والمربي

المتحرر الذي ساهم بنشاطه العلمي المنوّع في بناء حضارة العالم الجديد . وقد كان لنظرياته أبلغ الأثر في حقول التربية ، والسياسة ، والعلاقات الدولية ،وحقوق المرأة ، وعلم النفس ، واحوال العمال ، والحريات المدنية .

عاش عيشة ابناء المزارعين في ولاية فرمونت ، مسقط رأسه ، لا يميزه عن أقرانه الا ارادة حديدية لا تلين ، ومواهب فذة ، وكثير من الاحـــلام والمطامح التي كانت تراوده .

درس الفلسفة بشغف عظيم ونال الدكتوراه فيها من جامعة دجون هوبكنز . وزاول التدريس فترة من الزمن في جامعة متشيغن ، ثم التحق بجامعة شيكاغو (١٨٩٤) ، حيث بدأ نجمه يلمع في عالميّ الفكر والتربية . وقد أنشأ في هذه الجامعة مختبره العلمي او مدرسته الاختبارية لامتحان فعالية نظرياته في التربية التقدمية الحرة التي تهدف الى تهيئة الفرصة أمام الفرد ليجعل من نفسه عضواً عاملاً في مجتمعه في المستقبل . وكانت نظرياته هـــذه ترتكز على فكرة نمو الفرد بطريقة ايجابية ، أي بتشجيعه على القيام بما يحسن القيام به ، لا بنهيه وزجره عما لا ينبغي له عمله .

ومن أقواله ان الفكرة هي ذات قيمة عندما تكون ذات قيمة للانسان كفرد ، وذات فائدة للمجتمع بصورة عامة .

وقد آمن ديوي بأن أفضل طريقة للتعليم هي التي تأخذ بعين الاعتبار الفرد المراد تعليمه قبل المواد التي يشتمل عليها منهاج التعليم ، ذلك بأن الحقائق ، في رأيه ، أقـــل أهمية من خيال الطفل المبدع ، وفي وسع هذا الطفل أن يتعلم على أفضل وجه بالاطلاع على الامور والقيام بالاشياء التي تؤلف جزءاً من محيطه .

وقد استمر نشاط ديوي في الحقل التربوي في جامعات اميركا مدة نصف قرن ، **وتمكن من وضع ما يزيد على الثلاثين مؤلفاً في الفلسفة ، وعلم النفس ، والتربية ، في حياتـــه الزاخرة بالنشاط .**

تزوج ورُزق ستة اولاد أضاف اليهم ولداً سابعاً بالتبنيّ . وقد تزوج ثانية بعد عشرين سنة من وفاة زوجته الاولى ،وتبنـّى ولدين من ايتام الحرب .

قد يكون هناك من يناقض ديوي في فلسفته التي تميل الى قياس قيم الاشياء جميعاً بما تقدّمه من منافع وفوائد ، ولكن ليس ثمة من ينكر على هـــذا العملاق حياته الخصبة التي

تمثّل فكرة الكثيرين عن هـذا المفكر الانساني ،وما قدّمه من خدمات لتسهيل الطريق أمام عقل الانسان المبدع المولّد ...

برغسون

HENRI BERGSON

كان برغسون من اكثر فلاسفة القرن العشرين تمتعاً بالاحترام . تخرّج في دار المعلمين في باريس ودرّس في كليرمون حيث تحوّل من امرىء هادىء الى امرىء مثالي . وفي سنة ١٩٠٠ تسلّم كرسي الفلسفة في الكوليج دو فرانس .

أما كتبه « الزمن والارادة الحرة »،و « المادة والذكرى » ، و « التطور الخلاق » (وهو اروع كتبه) فقد أثارت الكثير من التأويلات والتكهنات .فقد ادّعى برغسون انه بالاضافة الى الدماغ الطبيعي الذي دعاه العقل التحليلي أو التفصيلي ، هناك فكر خلاق هو القوة التي تحرّك كل البشر . وقد دعا ذلك الشرارة الحيوية ، وهي مفتاح الفلسفة البرغسونية . وكانت محاضراته تجتذب الجماهير الغفيرة .

وفي سنة ١٩٢٨ نال برغسون جائزة نوبل في الأدب . وفي سنة ١٩٤٠ عرضت عليه الحكومة الفرنسية التي كان يسيطر عليها الالمان ان تعفيه من مفعول المرسوم القاضي باستقالة الاساتذة اليهود من مناصبهم التعليمية . فرفض هذا الاعفاء ، واستقال من الكوليج دو فرانس .

وُلد برغسون في ١٨ تشرين الاول ١٨٥٩،وتوفي في ٤ كانون الثاني ١٩٤١ .

سنتايانا

GEORGE SANTAYANA

فلسفة سنتايانا (١٨٦٣ — ١٩٥٢) مزيج من اعتقاد بعالم الافكار الذي نادى بـه افلاطون ، وإنكار وجود الخلود والله ، وإعجاب بقصة المسيحية التي يسمّيها خرافـة — خاطئة علمياً ، وصحيحة شعرياً .

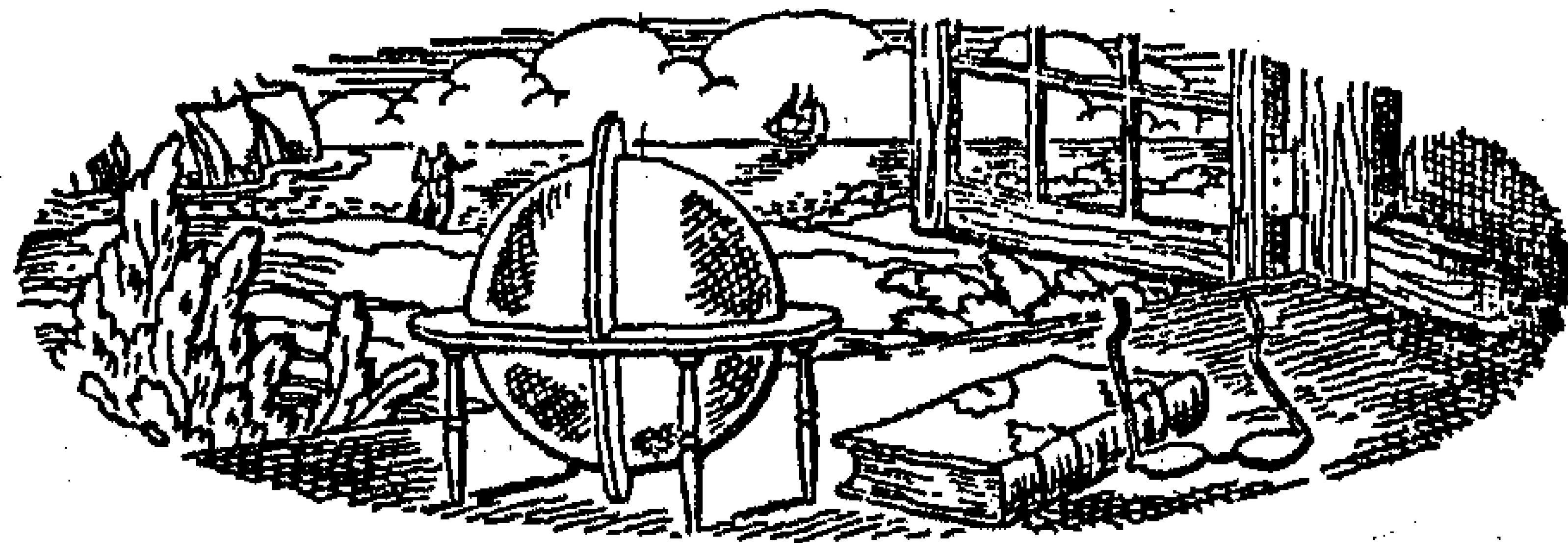
واكثر ما كان يندم عليه أنه لم يعش في عصر افلاطون لأنه يعتقد انه كان بوسعه

أن يكون أسعد حالاً .

وسنتايانا من مواليد اسبانيا (مدريد) ،رحل الى اميركا وهو طفل . وبعد تخرّجه في جامعة هارفرد سنة ١٨٨٦ احترف التعليم فيها ، ودرّس الفلسفة من ١٨٨٩ الى ١٩١٢ . غادر هارفرد الى اوروبا ، وأقام بعد الحرب العالمية الأولى في روما ثم في البندقية . ولم يكن فيلسوفاً لامعاً فحسب ، بل محدّثاً بليغاً بارعاً ، وشاعراً مطبوعاً.

نشر سنتايانا اول بحث فلسفي له **معنى الجمال** سنة ١٨٩٦ ، ويعتبر الكثيرون ذلك افضل ما قدّمه الاميركيون لعلم الجمال . وقد ذكر هو نفسه انه كان اكثر كتبه رواجاً لأنه ما يزال الى اليوم يبيع ١٠٠ نسخة في السنة الواحدة . **أما اضخم مؤلفاته على الاطلاق فهو « حياة العقل » الذي عمل فيه سبع سنوات كاملة** . وقد ظهرت له رواية **المتزمت الأخير** سنة ١٩٣٦ . وقد وضع وهو في روما في أواخر أيامه عدداً من المؤلفات الفلسفية ،وكتب سيرة حياته ...

مع الخالدين من العلماء



إقليدس   جابر بن حيّان   قسطا بن لوقا البعلبكي   الخوارزمي   ثابت بن قرّة   البتاني   ابو بكر الرازي   ابو الوفاء البوزجاني   ابن الهيثم   ابن يونس   ابن البيطار   نصير الدين الطوسي   كوبرنيكوس   غاليليو   اسحق نيوتن   إدوارد جينر   راسك   فاراداي   داروين   مندل   باستور   فرويد   تقولا تسلا   مدام كوري   روذرفورد   أينشتاين   فليمنغ .

إقليدس

EUCLIDE

ليس هنالك شخص مثقف ثقافة ثانوية لم يسمع بالعالِم الرياضي الكبير إقليدس (٣٠٦ – ٢٨٣ ق.م.) الذي يُعدّ **كتابه في الهندسة المرجع الاساسي لطلاب هذا العلم حتى هذا العصر .**

واعظم مؤلفات إقليدس بلا شك كتابه الذي اسماه علماء العرب **« الأصول »** ويدعوه الغربيون (Elements)، وهو كتاب ضخم وضعه في ثلاثة عشر موضوعاً في الهندسة المستوية والمجسمة ، وأول كتاب منسق في هذا العلم ، ابتدأ بالبديهيات الخمسة ومنها تمكن من اثبات جميع الحقائق والنظريات الهندسية . وجميع كتب الهندسة من قديمة وحديثة تعتمد كل الاعتماد على هذا الكتاب . ولاقليدس مؤلفات اخرى بعضها يبحث في الهندسة الكرَوية وبعضها في الموسيقى وعلم البصريات .

يقول عالم الرياضيات العربي محمد بن اشرف الحسيني السمرقندي الذي عاش في القرن الثالث عشر ، ووضع كتاب **اشكال التأسيس** وفيه يبحث في هندسة اقليدس **ان هذا العالِم لبناني ، من مدينة صور** ... وقد حُكي ان بعض ملوك اليونان مال الى تحصيل كتابه فاستعصى عليه ، فأخذ يتقصّى اخبار هذا الكتاب فأخبره بعضهم بأن في بلدة صور رجلاً مبرّزاً في علم الهندسة والحساب يقال له إقليدس.. **ويذهب جميع العلماء الذين كتبوا عن اقليدس الى انه عاش في صور حوالي سنة ٣٠٠ قبل الميلاد.**

جابر بن حيّان

ولد في طوس سنة ٧٣٧، وتوفي حوالي سنة ٨١٣، **«وكان له في الكيمياء ما لارسطو في المنطق »** ، على حد قول برتيلو الذي يعتبر ان الباحثين العرب جميعاً من الذين نبغوا في علم الكيمياء نقلوا عن جابر واعتمدوا مؤلفاته وبحوثه العديدة التي ُفقد معظمها، ومع ذلك فقد سلم منها ثمانون كتاباً ورسالة محفوظة اليوم في مكتبات الشرق والغرب العامة . ولم تقتصر مصنّفاته هذه على الكيمياء وحدها بل تعدّتها الى المنطق والفلسفة ، **الا ان جابر بن حيّان**

كان حجة في الكيمياء غير مدافع . فقد ابتكر علم الموازين و« المقصود به معادلة ما في الاجساد (المعادن) من طبائع ،فجعل لكل من الطبائع ميزاناً،ولكل جسد من الاجساد موازين خاصة بطبائعه ... »

وجابر بن حيّان اول من استحضر الحامض الكبريتيك،والحامض النتريك ، و كربونات البوتاسيوم ، و كربونات الصوديوم ، كما استحضر ماء الذهب ، و كشف الصودا الكاوية ، و« استعمل ثاني اوكسيد المنغنيز في صنع الزجاج . ودرس خصائص ومركبات الزئبق واستحضرها ... وبحث في السموم وله فيها كتاب السموم ودفع مضارها ، ولعله اروع ما كُتب في الموضوع ، وهو من أندر المؤلفات واكبرها اهمية عند علماء تاريخ العلوم لما له من وثيق العلاقة بالطب والكيمياء . »

أما ميزة جابر بن حيّان على سواه من العلماء فهي انه يُعتبر في طليعة الذين اقاموا بحوثهم وتجاربهم على الاساس العلمي الحديث المتبع اليوم في المختبرات العلمية .

قسطا بن لوقا البعلبكي

هذا العالِم ، والطبيب ، والفيلسوف ، والفلكي ، والمؤرخ، والمترجم ، **لبناني الاصل، مولود في بعلبك** . الا أننا لا نعرف الشيء الكثير عن نشأته في مدينة الشمس ، ولا حتى تاريخ ولادته . وقد توفي في خلافة المقتدر بالله ، الخليفة العباسي حوالي سنة ٩١٢ ، بعد أن عاش قسماً من حياته في بغداد ، وفي مقاطعة ارمينيا .

اتقن اللغات الثلاث اليونانية والسريانية والعربية ، وكان فصيحاً فيها جميعاً ، عالماً بالهندسة والحساب وعلم الاعداد والموسيقى .. **نقل عدداً من الكتب اليونانية العلمية الى العربية ، وبلغت مؤلفاته ٣٢ كتاباً في الطب ، و٢٩ كتاباً في علم الفلك ، والمنطق ، والرياضيات ، والفلسفة ، والتاريخ** ، ومن أشهرها « المدخل الى علم الفلسفة » و « المرايا المحرقة » ، و« شكوك كتاب اقليدس » و« الجزء الذي لا يتجزأ » ، وهذا الكتاب الاخير يُعتبر بمثابة مقدمة لعلم الذرة الحديث . « وله مؤلف عن الاسطرلاب الكروي ، وهو من اقدم الكتب في هذا البحث تُرجم لاهميته الى اللاتينية والاسبانية ...

وقد ذاعت شهرة هذا العالِم في اقطار الشرق آنذاك فاستدعاه الى ارمينية اميرها

سنحاريب فسافر اليه وألّف كثيراً من الكتب هناك .

قال عبيد الله بن جبرائيل : « ان قسطا اجتذبه سنحاريب الى ارمينية واقام بها ، وكان بأرمينية ابو الغطريف البطريق من اهل العلم والفضل فعمل له قسطا كتباً كثيرة جليلة نافعة ، شريفة المعاني ، مختصرة الالفاظ في اصناف من العلوم. ومات هناك فدفن وبُني عليه قبة واكرم قبره ، كاكرام قبور الملوك ورؤساء الشرائع » ...

الخوارزمي

وُلد محمد بن موسى الخوارزمي في عهد الخليفة المأمون ،وتوفي حوالي سنة ٨٥٠ ،وهو **واضع علم الجبر** الذي علّمه مع الحساب للناس اجمعين .

كان ذا حظوة ومقام كبيرين عند المأمون ، وتولّى بيت الحكمة . وقد اوفده هذا الخليفة مرة الى بلاد الافغان على رأس بعثة علمية للبحث والتنقيب .

« برز في الرياضيات والفلك ، وكان له اكبر الاثر في تقدمها وارتقائها . فهو أول من استعمل علم الجبر بشكل مستقل عن الحساب وفي قالب منطقي علمي . كما أنه أول من استعمل كلمة **الجبر** للعلم المعروف بهذا الاسم . ومن هنا أخذ الافرنج هذه الكلمة واستعملوها في لغاتهم (Algebra) . وكفاه فخراً أنه أول من ألّف كتاباً في الجبر – في علم يُعدّ من اعظم اوضاع العقل البشري لما يتطلبه من دقة واحكام في القياس .»

وللخوارزمي كتاب في الحساب هو أول ما دخل اوروبا من الكتب المماثلة ، (وقد بقي هذا العلم معروفاً باسم **الغورتمي** ، نسبة الى الخوارزمي عدة قرون) ، وكتاب الزيج ، وكتاب في تقويم البلدان ، وكتاب التاريخ ، وكتاب العمل بالاسطرلاب ، وكتاب جمع بين الحساب والهندسة والموسيقى والفلك .

ان المدنية الحديثة مدينة كثيراً الى هذا النجم العربي الذي تألق في سماء الرياضيات واهتدى بنوره العلماء في الشرق والغرب .

ثابت بن قرة

وُصف ثابت بن قرة بأنه « من الذين مهدوا لايجاد **حساب التكامل والتفاضل** . وُلد في

حرّان سنة ٨٣٥ ،وتوفي في بغداد سنة ٩٠٠ . وقد تعددت نواحي عبقريته،فنبغ في الطب، والرياضيات ، والفلك ، والفلسفة ، ووضع فيها كلها وغيرها مؤلفات جليلة . ودرس العلم للعلم ، وشعر باللذة العقلية ، فراح يطلبها في الرياضيات والفلك ، فقطع فيها شوطاً بعيداً ، وأضاف اليها ، ومهّد الى ايجاد أهم فرع من فروع الرياضيات هو **التكامـــل والتفاضل (Calculus) . »**

أتقن اللغات السريانية والعبرية واليونانية ، وهو يُعتبر من ألمـع من تركوا آثاراً في الترجمة عن هذه اللغات .

بدأ حياته صيرفياً في مسقط رأسه ، ولكنه ما لبث أن انتقل الى بغداد ، مهد الحكمة آنذاك ، فانصرف الى ما انصرف اليه الاوائل من العلماء ... وقد ترك عدداً كبيراً من المؤلفات ُفقد معظمها خلال الحروب والاضطرابات .

وكان ثابت موضع احترام الخليفة المعتضد ورعايته . **ومما يروى أنهما كانا يسيران ذات يوم في الفردوس – وهو بستان في دار المعتضد ، وقد اتكأ الخليفة على ذراع ثابت . وبغتة سحب الخليفة يده من يد ثابت قائلاً: « يا أبا الحسن ،سهوتُ ووضعت يدي على يدك واستندت عليها،وليس هكذا يجب أن يكون ، فان العلماء يَعلون ولا يُعلَون ! »**

البتّاني

عُرف ببطليموس العرب ، ويعتبره العالم الفرنسي لالاند« من العشرين فلكيــاً المشهورين في العالم كله . »

أبصر النور في بتّان من نواحي حرّان حوالي سنة ٨٤٧،و توفي بالقرب من سامراء في العراق سنة ٩٢٩ .

كان يعدّ علم الفلك من العلوم السامية المفيدة للانسان الذي يمكنه بواسطتها أن يطلع على اشياء كثيرة هو في حاجة الى معرفتها واستغلالها لنفعه .

درس مؤلفات بطليموس الفلكية وانتقد بعض النظريات الواردة فيها ، واصلح البعض الآخر ، سالكاً في ذلك سبيل الاختبار ، وتحكيم العقل والمنطق .

أبو بكر الرّازي

ابو الطب العربي ، وحجـــة الطب في اوروبا حتى القرن السابع عشر ، يعتبره الكثيرون مؤسس الكيمياء الحديثة في الشرق والغرب معاً .

أبصر النور في الري ، من أعمال فارس ، جنوبي طهران سنة ٨٥٤ ، وتوفي في بغـداد سنة ٩٣٢ . وقد اشتهر في الطب والكيمياء والجمع بينها . وقال عنه ابن النديم في كتابه **الفهرست** : « كان الرازي اوحد دهره وفريد عصره .. قد جمع المعرفة بعلوم القدماء سيما الطب ... » وسماه ابن اصيبعه **جالينوس العرب** .

من أشهر كتبه « الطب الروحاني » و« الاسرار في الكيمياء » وكتـــاب في الحصبة والجدري ، و« الحاوي » و« المنصوري » ، و« كتاب من لا يحضره الطبيب » ويُعرف بطب الفقراء ، و« سر الاسرار » . وهناك قول شائع عن الرازي هو: **« كان الطب معدوماً فاحياه جالينوس .. وكان الطب متفرقاً فجمعه الرازي .»**

وقد تُرجمت كتبه الى اللاتينية ، واعتمدها كبار علمـــاء اوروبا في الكثير من أعمالهم ودراساتهم ، وظلت مرجعهم الاوحد في جامعاتهم حتى القرن السابع عشر .

مجّد ابو بكر الرازي العقل ومدحه ، واعتبره « أعظم نِعم الله وأنفع الاشياء واجداها ، وبه أدركنا ما حولنا . واستطاع الانسان بالعقل ان يسخر الطبيعة لمصلحته ومنافعـــه . والعقل هو الذي ميّز الانسان على الحيوان ... »

أبو الوفاء البُوزجَاني

أبصر البوزجاني النور في بوزجان سنة ٩٤٠ ، وتوفي في بغداد سنة ٩٩٨ ، وكان « من ألمع علمـاء العرب الذين كان لبحوثهم ومؤلفاتهم الأثر الكبير في تقدّم العلوم ، ولا سيما الفلك ، والمثلثات ، واصول الرسم . وفوق ذلك كله كان من الذين مهّدوا لايجاد الهندسة التحليلية بوضعه حلولاً هندسية لبعض المعادلات الجبرية العالية ... وقد سحرت بحوثه بعض العلماء الغربيين فراحوا يدّعون محتويات كتبه لأنفسهم ... »

وللبوزجاني ميزة على سواه من العلماء العرب هي أنه وضع مؤلفـات ورسائل في الرياضيات والفلك للخاصة والعامة ..

أفاد منها العلماء المتخصصون من جهة ، كما أفاد منها عامة الشعب ، من جهة ثانية ، في اعمالهم وحياتهم اليومية ...

ابن الهيثم

« ظهر في البصرة ، وكانت ولادته حوالي سنة ٩٦٥، ومات في مصر حوالي سنة ١٠٣٩. ترك آثاراً خالدات في الطبيعة والرياضيات ، **ولولاه لما كان علم البصريات (Optics) على ما هو عليه الآن .** »

اعترف العالم الفرنسي **فياردو** بأن كتب ابن الهيثم في البصريات ، ولا سيما كتابه **المناظر** ، هي التي أمدّت العالِم **كپلر** بمعلوماته عن الضوء ، وخاصة فيما يتعلق بانكساره في الجو . وظلت كتبه معيناً يستقي منه علماء اوروبا طوال قرون .

وكان عالماً رياضياً وفلكياً وفيلسوفاً ، ترك الكثير من الرسائل والمصنّفات في هذه العلوم جميعاً ، فأسدى بذلك الخدمات الجليلة للعلم وللعالم .

ابن يونس

ينسب الكثيرون اختراع رقّاص الساعة (البندول) الى العالم الايطالي غاليليو .. ولكن المسلّم به أن مخترعه هو العالم المصري ابن يونس ، أحد مشاهير الفلكيين والرياضيين الذين ظهروا بعد البتّاني وابو الوفاء البوزجاني . وقد وُلد في مصر وتوفي فيها (١٠٠٩) . وعلماء الغرب امثال سيديو وتايلر وسدجويك هم الذين يقررون ذلك ويقولون إن العرب استعملوا الرقاص لقياس الزمن .

« برع ابن يونس في المثلثات وأجاد فيها . وبحوثه فيها فاقت بحوث كثيرين من العلماء ، وكانت معتبرة جداً عند الرياضيين ولها قيمتها الكبيرة في تقدّم علم المثلثات ... وهو أول من استطاع أن يتوصل الى ايجاد قانون كان له قيمة كبرى عند علماء الفلك قبل اكتشاف **اللوغارتمات** إذ يمكن بواسطته تحويل عمليات الضرب الى عمليات جمع ... »

ومما يؤثر عن ابن يونس أنه نظم الشعر فأجاد فيه .

ابن البيطار

هذا العالم النباتي الذي يُعتبر أعظم مَن ظهر في القرون الوسطى من علماء النبات مولود في الربع الاخير من القرن الثاني عشر . وقد توفي في دمشق سنة ١٢٤٨ . وضع كتابه **« الجامع لمفردات الادوية والاغذية » فاذا به يقدّم أجلّ خدمة للثروة العلمية بهذا السفر النفيس من الكتب النباتية** . وضعه بعد دراسات طويلة ، وابحاث مضنية قام بها في اليونان واسبانيا والمغرب العربي ، وآسيا الصغرى ، فضلاً عن اعتماده على مؤلفات حوالي مئة وخمسين كاتباً وعالماً بينهم عشرون مؤلفاً يونانياً . وفي هذا الكتاب وصف أكثر من ١٤٠٠ عقار نباتي وحيواني ومعدني ، وبيّن فوائدها الطبية وكيفية استعمالها كأدوية وأغذية . **وقد نقل كتابه هذا الى اللاتينية والفرنسية والالمانية وسواها من لغات اوروبا حيث بقي فترة طويلة من الزمن مصدراً يستقي منه العلماء الاوروبيون .**

ولابن البيطار كذلك كتاب « المغني في الادوية المفردة » يُقسم الى عشرين فصلاً فيه « تناول علاج الاعضاء عضواً عضواً بطريقة مختصرة كي ينتفع به الاطباء . »

نصير الدين الطوسي

لُقّب بالعلامة ، وهو « أحد الأفذاذ القلائل الذين ظهروا في القرن الثالث عشر ، وأحد حكماء الاسلام المشار إليهم بالبنان ... مؤلفاته ورسائله في الرياضيات والفلك تكوّن مكتبة قيّمة زادت في الثروة الانسانية العلمية ودفعت بها الى الارتقاء والتقدم . »

وُلد في طوس سنة ١٢٠١ ، وتوفي في بغداد سنة ١٢٧٣ .

أنجز أكثر تآليفه في السجن الذي زجه فيه احد الحكام ارضاء لبعض الحاسدين والحاقدين عليه من الوزراء . وقد أطلق سراحه الفاتح المغولي هولاكو عندما استولى على بغداد ، وقرّبه منه ، وجعله أميناً على أوقاف الممالك التي كان يفتحها ويستولي عليها . « وهنا تجلت براعة الطوسي في أروع صورها ، وتجلى حبه للعلم ورغبته في البحث والدرس ، **فاستغل الأموال التي تحت تصرّفه وأنشأ بها مكتبة كبيرة ، وبنى موصد مراغة الذي اشتهر بآلاته وراصديه** . أما المكتبة فقد احتوت على كل نفيس ونادر ، وكانت الاولى

من نوعها في العالم . ويربو عدد كتبها على ٤٠٠ ألف مجلد ... وقـــد وضع الطوسي كتباً كثيرة في الحكمة والجغرافيا والطبيعيات والموسيقى والتقـاويم والتنجيم والاخــــلاق والبصريات ، وعالج بعض الموضوعات التي طرقها الفلاسفة من قبله كالعقل والنفس ... »

كوپرنيكُس

COPERNICUS

العالم الفلكي البولوني نيقولاوس كوبرنيكوس أبصر النور في ١٩ شباط ١٤٧٢ في طورون ، من اعمال بولونيا البروسية . درس الرياضيات في جامعة كراكوفيا ، الى جانب الرسم ، والاستماع الى بعض المحاضرات في علم الفلك في بولوني (بايطاليا) . وقد حاضر هو نفسه في علم الفلك سنة ١٥٠٠ ، والتحق بكليـــة الطب في سنة ١٥٠١ ، ونال شهادة الدكتوراه في القانون الكنسي سنة ١٥٠٣ .

وفضلاً عن كل هذا النشاط المتشعب وجد كوبرنيكوس الوقت ليضع نظاماً جديداً لعلم الفلك . أمـا نظريته القائلة بأن الشمس ، لا الأرض ، هي وسط العـالم فلم تنجز إلا سنة ١٥٣٠ ، ولكنه لم يوافق على نشرها الا بعد عشر سنين . وقد وصلت النسخة الاولى المطبوعة منها الى منزله في فراونبورغ في الوقت المناسب لتوضع على فراش موته ، بعد ان اصيب بالشلل سنة ١٥٤٢ . وقد توفي في ٤ أيار ١٥٤٣ . **ولحسن طالعه لم ينتبه الى انعمله الجبار هذا الذي كرّس له حياته قد أفسدته مقدمة اقحمها مصلح الماني هو اندرياس اوسياندر ، يلمح فيها عـلى ان التفكير الذي تطلع به هـذه النظرية هو محض افتراض وتخمين .**

غاليـــليُو

GALILEO

حاول والده أن يحصر اهتمامه بميدان الطب ولكن الابن سمع مصادفة درساً في الهندسة فحوّل ذلك مجرى تفكيره الى الرياضيات .

وُلد العالم الفلكي الايطالي غاليليو غاليلي في بيزا سنة ١٥٦٤ . وفي أثناء دراسته الطب اكتشف انتظام ضربات رقاص الساعة فطبّق ذلك على توقيت النبض البشري . وكمحاضر في الرياضيات في جامعة بيزا وضع غاليليو مبادىء **علم حركات الاجرام مبيّناً** ، استناداً الى برج بيزا المائل ، أن الاجسام ذات الثقل المختلف تسقط بالسرعة نفسها . وكانت سخريته من أولئك الذين لم يوافقوه على نظريته هذه سبباً في انعدام شعبيته . فاستقال من منصبه الجامعي ، وعُيّن في جامعة بادووى استاذاً للرياضيات .

كانت اكتشافات غاليليو المتعلقة بالتلسكوب من أشهر ما قدّمه الى العالم من خدمات . وقد أتمّ هذا الفلكي صنع أول تلسكوب ، وهو أقل قوة من نظارات الاوبرا المعروفة اليوم ، **في ٧ كانون الثاني ١٦١٠** . وبه رصد للمرة الاولى **نجوم جوبيتر السيارة.** ورأى كذلك البقع الظاهرة على وجه الشمس وهي تدل على أن الشمس تدور . وفي تلك السنة غادر بادووى الى فلورنسا ، وفي السنة التالية زار روما حاملاً تلسكوبه .

في البدء تبنّى غاليليو نظرية كوبرنيكوس القائلة بأن الشمس هي محور العالم ، ولكنه خشي أن يُسخر منه إذا قال بهذه النظرية . ولكنه في سنة ١٦١٣ تبنّى موقفاً تبيّنت السلطات البابوية فيه بعض الشذوذ عما ورد في الكتاب المقدس . وقد حُذّر غاليليو من التمسك بنظريته الجديدة ، وتعليمها أو الدفاع عنها . ولكنه استطاع الحصول على نقض لهذا المرسوم البابوي ، ونشر بتشجيع من بعض اصدقائه (سنة ١٦٣٠) « محاورة تتعلق بالنظامين العظيمين في العالم » التي طبّقت الدنيا على رأسه . واستدعي الى روما بعد ثلاث سنوات . وتحت طائلة التهديد بالتعذيب الذي لم تكن السلطات تنوي انزاله به ، رجع العالم العجوز عن آرائه ونظرياته . وسُمح له بالعودة الى فلورنسا حيث قضى السنوات الثماني الباقية من حياته في عزلة تامة .

وظل غاليليو يدرس ويعمل على الرغم من فقدانه البصر سنة ١٦٣٧ . وقد مات بالحمى في ٧ كانون الثاني ١٦٤٢ .

اسحق نيوتن

SIR ISAAC NEWTON

فجر يوم عيد الميلاد من سنة ١٦٤٢ أبصر النور في مقاطعة لنكولن بانكلترا ، طفل ذكر ، هزيل البنية ، قطعت القابلتان اللتان اشرفتا على ولادته المبتسرة بأنه لن يعيش حتى

مساء ذلك اليوم . إلا أن المثل يقول : « كذب المنجمون ولو صدقوا » .. فقد عاش هذا الطفل الهزيل النحيل حتى الخامسة والثمانين .

كان ذلك الطفل اسحق نيوتن ، مكتشف الكون ، الذي قيل بحق إن عقله كان أروع عقل علمي عرفه العالم قاطبة .

والغريب في أمر اسحق نيوتن أنه كان من أسرة خاملة، لم ينعم أحدٌ منها قبله بالمواهب التي كانت تنطوي عليها نفسه . وعبثاً حاول علماء السلالات البشرية ، والمهتمون بسيرته ، الكشف عن سر عبقريته الخلاّقة ، وعقله النيّر ، فلم يجدوا في حياة آبائه وأجداده طوال ثلاثة أجيال تسبق مولدَه ما يدلُّ على وجود أي مبرّر لعبقريته الفذّة ، ومواهبه غير العادية ...

غير أن ظهور مواهب نيوتن كان بطيئاً .. فقد كان يسبقه في المدرسة أكثر زملائه ، في بادىء الأمر . ولكنّ حادثاً جرى له مع أحد زملائه المتفوقين ، أدّى الى اشتباك بينهما ، جعله يصمم على محو العار الذي لحقه وذلك بالتفوق على أقرانه . ومنذ ذاك بدأت تتجلى مواهبه ، فأتمّ دراسته الثانوية وهو في التاسعة عشرة ، والتحق بجامعة كيمبريدج حيث أدهشت مواهبه الرياضية اساتذة الجامعة الذين تنبأوا له بمستقبل زاهر .

ولم يمضِ وقت طويل على ذلك حتى طرأت له فكرة تطبيق قوانين الجاذبية على كل العالم . غير أنه لم ينشر على الملأ نظريته هذه إلا سنة ١٦٨٧ بسبب انعدام بعض المعطيات العلمية الضرورية لحساباته . أما قصة التفاحة التي سقطت على رأسه ذات يوم وصرفت تفكيره الى قانون الجاذبية فمصدرها الفيلسوف والاديب الفرنسي فولتير الذي صرّح بأنه سمعها من احدى نسيبات نيوتن . ومع أن اكتشافه قانون الجاذبية الارضية هو أبرز أعماله ، إلا أن ابحاثه عن الضوء كان لها تأثير كبير في الميدان العلمي. وهو الذي حلل الضوء ، وقال انه مجموعة من مختلف الاشعاعات التي تسبب الاهتزازات الملونة ، وما الضوء الابيض إلا مزيج من هذه الالوان كافة .

وصنع نيوتن سنة ١٦٦٨ تلسكوباً رصد فيه نجوم جوبيتر السيارة . وقد أصبح عضواً في الجمعية الملكية بعد أربع سنوات . وفي سنة ١٦٩٩ أمسى عضواً مشتركاً في الاكاديمية الفرنسية . وقد منحته لقب فارس الملكة آن سنة ١٧٠٥ .

وفي سنته الخامسة والثمانين شعر بالمرض وهو يرئس جلسة للجمعية الملكية . وقد توفي في ٢٠ آذار ١٧٢٧ ودفن في كاتدرائية وستمنستر ، مقبرة العظماء .

ادوارد جينر

EDWARD JENNER

يقترن اسم الطبيب الانكليزي إدوارد جينر (١٧٤٩ – ١٨٢٣) بالكفاح المظفّر ضد وباء رهيب من أشد الاوبئة خطراً وفتكاً هو **الجدري** .. هذا الوباء الذي عمر المقابر بملايين الجثث ، وخلّف على وجوه الذين لم يقضِ عليهم آثاراً مرعبة . ولقد استطاع جينر أن يحقق نصراً مبيناً في اكتشافه اللقاح ضد الجدري لأنه عرف كيف يستخلص النتائج العلمية من دواء قديم عرفته احدى النساء .

وتاريخ الجدري طريف حقاً ، عانت مصر القديمة والهند الكثير من ويلاته . وقد استفحل هذا الوباء في القرن السابع عشر .. فأصاب لندن سنة ١٦٢٨ ، وبعد ذلك بفترة وجيزة ظهر في المكسيك فقتل ثلاثة ملايين نسمة ونصف المليون .. ومن هناك انتقل الى اسبانيا ، ومنها الى الهند حيث ذهب ضحيته زهاء نصف عدد السكان . **ويُقدّر العارفون أن ضحايا هذا الوباء بلغت في القرن السابع عشر نسبة ثمانين بالمئة.** وقد أصيب بالجدري ربع سكان كل بلد من البلدان ، فتشوهت ملامح الذين نجوا من الموت .

كان الجدري يفتك فتكاً ذريعاً عندما أبصر جينر النور في غلوسسترشاير من أب كاهن ، كان هو ثالث أبنائه . اهتم بالطب منذ حداثته ، وقد تتلمذ على يد أحد الجرّاحين وهو بعد في الثالثة عشرة من عمره . وفي هذه الفترة من حياته سمع العبارة التي بدّلت حياته وحياة الملايين من البشر .. ففي ذات يوم قالت له احدى الفلاحات الصبايا : « أما أنا فلن أصاب بالجدري لأنني أصبت بجدري البقر ! » وقد كان الاعتقاد سائداً في المناطق الزراعية في انكلترا أن اولئك الذين يصابون بجدري البقر ينجون من جدري البشر . ولذلك كانوا يعرّضون أولادهم لهذا النوع الخفيف من الجدري الذي يكسبهم مناعة ضد الوباء الرهيب .

وملك هذا التفكير على جينر مشاعره ، فلما بلغ الحادية والعشرين رحل الى لندن لانهاء دروسه الطبية ، وراح مذ ذاك يكرّس وقته للبحث في جرثومة الجدري ، واكتشاف اللقاح الواقي من الجدري . **وظل يعمل طوال عشرين سنة حتى أتيح له أن يثبت سنة ١٧٩٦ للملأ أن لقاحه مضمون النتائج مائة في المائة .** وتبنّاه أطباء العالم وتأكدوا من فعاليته .

ومن بين دلائل الاعتراف بجميل جينر على الانسانية ذلك الحزام الثمين الذي أرسلته اليه احدى قبائل الزنوج الاميركية وحفرت عليه: « اعترافاً منا بعميق شكرنا على هديتك الثمينة .. إننا نرجو العناية الالهية أن تكلأك بعين رعايتها في الدنيا والآخرة ! »

إلا أن جينر لاقى صعوبات جمة في سبيل اكتشافه الجليل .. فقد رفضت الجمعية الملكية الاعتراف بفعالية لقاحه الذي جرّبه في ابنه البالغ ثماني سنوات دونما تردد أو وجل . وكانت حجة هذه الجمعية أن التلقيح يعطي الوجه البشري شكل وجه البقرة ، ويصبح صوت الملقّح كخوار البقر ، ويكسو جسده الشعر .. كل ذلك لأن اللقاح مستخرج من جرثومة جدري البقر ! ..

راسك

RASMUS CHRISTIAN RASK

كان البروفسور راسموس كريستيان راسك (١٧٨٧ – ١٨٣٢) ، من جامعة كوبنهاغن في الدانمارك لغوياً عظيماً لا يُشقّ له غبار ، بزّ العالم اللغوي العجيب **متزوفانتي.** وكانت له القدرة على اكتساب اللغات بسرعة عجيبة . وقد وضع المعاجم والقواميس في اللغات التالية : **الالبانية ، الالوشيانية ، الارمنية ، الكلتية ، الفاراوية ، الفنلندية ، القوطية ، الغرينلاندية ، الفينية ، الهندوستانية ، الايبيرية ، الفارسية ، البهلوية ، السينغالية ، التوانية ، اللاتفية ، المالاوية ، الايسلندية ... وقد أتقن العربية ، والدانماركية ، والانكليزية ، والفرنسية ، والالمانية ، واليونانية ، والعبرية ، والايطالية ، واللاتينية ، والنروجية ، والبرتغالية ، والروسية ، والاسبانية ، والاسوجية ، والتركية ، وما يزيد عن ٥٠ لهجة هندية ، و١٤٦ لهجة ولغة اخرى ...**

ويُعتبر جوزف كاسبار ، **كاردينال متزوفانتي** (من مواليد بلدة بولوني في ايطاليا) من اعظم لغويي العالم اذ استطاع في حياته ان يتقن ١١٤ لغة ، فضلاً عن ٧٢ لهجة مختلفة . ومما لا يقبل الجدل انه كان بارعاً في لا اقل من ٥٤ لغة براعة ذويها . **وفي اربعة اشهر استطاع بجده واجتهاده ان يتعلم اللغة الصينية . وكانت تلك اطول مدة استغرقتها دراسته لغة من اللغات . ومما يُذكر انه لم يغادر طوال حياته ارض وطنه ...**

فارادای

MICHAEL FARADAY

مايكل فاراداي عالم كيماوي وفيزيائي بريطاني يُعتبر في طليعة المختبرين الطبيعيين في تاريخ العلوم . فقد تشعبت ابحاثه الى العديد من فروع العلم . ففي حقل الفيزياء اسمه على شفة ولسان كل طالب ، وفي حقل الكيمياء يقترن اسمه بكثير من الاكتشافات التي تضم عدداً من التركيبات الكيماوية الجديدة . وقد ساعدت اعماله في حقل الكهرباء على ايجاد الآلات المغنطيسية والتي تسير بقوة الدينامو .

أبصر هذا العالم النور بالقرب من لندن في سنة ١٧٩١ ، من أب حدّاد . دراسته تكاد تكون ابتدائية ، وقد تدرّب على العمل لدى مجلد كتب . ودرس العلوم الطبيعية في أوقات فراغه . وفي سنة ١٨١٢ استمع الى المحاضرات التي كان يلقيها الكيماوي السر همفري دايفي الذي ما لبث ان طلب اليه مساعدته في بعض الاعمال الكيماوية . وفي سنة ١٨٣٣ عُين فاراداي استاذاً للكيمياء في المعهد الملكي ، ونال سنة ١٨٣٥ مرتباً سنوياً دائماً قدره ١٥٠٠ دولار لخدماته الجلى التي قدّمها للعلم . وحاضر في الاكاديمية الملكية ، ولكنه رفض رئاسة الجمعية الملكية . وقد مُنح اوسمة وألقاب شرف من كثير من البلدان الاوروبية .

وكان في حياته الخاصة شديد التعلق بأهداب الدين ، كريماً ، طيب القلب . وكان زواجه من سارة بارنارد زواجاً موفقاً ، طويلاً . وقد توفي سنة ١٨٦٧ .

داروين

CHARLES DARWIN

أبصر تشارلز داروين ، اكبر عالم بالطبيعيات في القرن التاسع عشر ، النور في ١٢ شباط ١٨٠٩ .. أمه هي ابنة صانع الخزف البريطاني الشهير ودجوود . وقد اراد له والداه أن يدخل سلك اللاهوت ، ولكنه ما ان اكمل دروسه في كلية يسوع في جامعة كيمبريدج سنة ١٨٣١ حتى قام برحلة حول العالم استغرقت خمس سنوات اطلع خلالها على الكثير من أسرار عالم النبات .

ومن سنة ١٨٣٨ الى ١٨٤١ عمل سكرتيرا للجمعية الجيولوجية ، وكان على اتصال

مستمر مع العالم الجيولوجي السر تشارلز لايل الذي كان لكتابه **مبادىء الجيولوجيا** اكبر الأثر في تمهيد سبيل العمل أمام داروين .

وخلال الرحلة البحرية التي قام بها قام داروين بدراسة مجموع حيوانات جزر غلاباغوس، فزرع ذلك في ذهنه فكرة التطور .

قلب كتابه **أصل الأنواع** الذي صدرسنة ١٨٥٩ (**بيعت الطبعة الاولى منه وتتألف من ١٢٥٠ نسخة في يوم واحد**) رأساً على عقب طريقة العمل واهداف التاريخ الطبيعي . وأعقب هذا كتاب يُعتبر من حيث الاهمية في المقام الثاني بين مؤلفات داروين هو **اختلاف الحيوانات والنبات بالادجان**، وقد نُشر سنة ١٨٦٨ . وتوسع داروين في نظريته العامة بحيث شملت الانسان وذلك سنة ١٨٧١ عندما نشر كتابه **اصل الانسان والاختيار بالنسبة الى الجنس** . وقد أثارت هذه الكتب عواصف الجدل في الاوساط الدينية والتربوية، فكان من أبرز المدافعين عن داروين العالم البيولوجي **توماس هكسلي** .

تزوج داروين سنة ١٨٣٩ ، وانتقل من لندن للاقامة في داون بعد سنوات ثلاث ، وبقي فيها الى يوم وفاته .. وقد وقف سني حياته الأخيرة على اقامة الادلة والبراهين دفاعاً عن نظرياته العلمية . وكان يردّ على كل المراسلات التي تصله بنفسه .

ففي ذات يوم تلقّى داروين من طالب يحضّر محاضرة علمية مدرسية رسالة يقول فيها ان الوقت لم يسمح له بمطالعة كتبه، ولذلك فهو يطلب منه ايجاز نظرياته ومبادئه العلمية ليتسنى له القاء المحاضرة .. وقد أجابه داروين على طلبه .

نال داروين وسام الاستحقاق البروسي، سنة ١٨٧١ ، وأصبح عضواً في الاكادمية الفرنسية سنة ١٨٧٨ . وكانت وفاته في ١٩ نيسان ١٨٨٢ .

عندما طلع داروين بنظرية النشوء والتطور تصدّى لتسفيه نظريته نفر من العلماء ورجال الكنيسة، وايدها علماء كبار كهيغل الالماني وهكسلي الانكليزي، وبنوا عليها الزعم القائل ان الانسان يتحدر من القرد .

وبديهي ان يحارب رجال الكنيسة هذه النظرية . فقد ذكرت التوراة ان الله خلق الانسان على صورته ومثاله ونفخ فيه من روحه . فهو اذن مخلوق مميز ، ولا يعقل ان يكون متحدراً من حيوان غير ناطق وغير عاقل .

ومما يروى عن هذا العالم ان خادمه كان يقول : « ان سيدي لا يفتقر الى شيء افتقاره الى عمل مجدٍ يلهو به ! »

مَنْـــدل

GREGOR MENDEL

غريغور يوهان مندل (١٨٢٢ – ١٨٨٤) **راهب نمسوي وعالم نباتي** اشتهر بأنـــه مكتشف مبدأ الوراثة الذي دعي باسمه . فقد وضعت نظرية مندل الوراثية نسب الخصائص والميزات التي يورثها الآباء ابناءهم .

وُلد مندل في أسرة من الفلاحين في مورافيا . حاول مرتين أن يصبح معلماً ولكنه فشل مرتين في الامتحان . وأمسى راهباً، ثم كاهناً . وقد تكفّل بتعليم أبناء اخيه الثلاثة، ووهب الكثير من الهبات . أما الاختبارات التي أجراها في حديقـــة الدير فهي الاساس المعترف به لكل المعلومات العلمية عن قوانين الوراثة في مختلف انواع الحيـاة واشكالها . **وكانت تجاربه على الفاصولياء التي كان يلقح مختلف اجناسها بعضها ببعض** . وقـد اعلن نتائج عمله على الملأ في اطروحة بعنوان **تناسل النبات** اصدرها في ٦ كانون الثاني سنة ١٨٦٥ . ولكنه توفي مغموراً . **فلما كانت سنة ١٩٠٠ اكتشف اطروحته هذه ثلاثة علماء نباتيين.**

پـَـاسِتـور

LOUIS PASTEUR

وُلد لويس باستور (١٨٢٢ – ١٨٩٥) ، الكيماوي الفرنسي ، من أب كان يعمل في الدباغة . دخل دار المعلمين سنة ١٨٤٣ واستمع الى محاضرات السوربون حيث تلقّى أول دافع جدي لدراسة الكيمياء . وقـــد أجرى أول بحث كيماوي واختبار على **حامض راسميك** في خريف سنة ١٨٤٨ بينما كان في ديجون يدرّس الفيزياء . وفي مطلع السنة التالية نُقل الى ستراسبورغ استاذاً للكيمياء . وقد تزوج في هذه المدينة فتاة تدعى ماري لوران، ابنة عميد الجامعة ، ونال شريطة الشرف لابحاثه في **حامض راسميك** . وكان باستور يعمل ليل نهار في اختباراته دون كلل أو ملل . ومما يروى أنه في يوم زفافه اجتمع المدعوون والعروس وذووها والكاهن ولكن العريس لم يحضر . وهرع اليه أحد أصدقائه يبحث عنه في المختبر فألفاه منكباً على أنابيب الاختبار ، مستغرقاً فيما يدوّنه من ملاحظات على مـــا يجري حوله . فبـادره الصديق بالسؤال : « هل نسيت موعد زفافك ؟ » فكان جواب باستور : « كلا ، ولكنني أتمم عملي . وهل تتوقع مني أن أدع الاختبار قبل نهايته ؟! »

وفيما كان باستور استاذاً وعميداً لكلية العلوم في ليل تحوّل الى اكتشاف اسباب المرض في النبيذ والبيرة ، فقلب باختباراته وأساً على عقب صناعة الخمور . وقد أعلن نتائج هـذه الاختبارات بعـد تسلّمه ادارة الدروس الطبيعية في دار المعلمين حيث واصل عمله في الاختبار . **وقد استطاع الجرّاح البريطاني جوزف ليستر أن يحدث ثورة في عـالم الجراحة بفضل اكتشافات باستور الذي أصبح عالماً مشهوراً يشار اليه بالبنان في فرنسا والخارج .**

وأنقذ باستور بأبحاثه حول امراض دود الحرير صناعة الحرير في فرنسا وسائر البلدان التي تربي دود القزّ . ودرس كذلك عـدداً من الامراض منها الدمّل الغربالي ، وكوليرا الدجاج اللذان أوجد لهما العلاج الشافي وحدّ من فتكهما الذريع . **وتُقدّر قيمة اكتشافاته الصناعية بمبالغ طائلة تكفي لتغطية تكاليف تعويضات الحرب التي دفعتها فرنسا الى المانيا سنة ١٨٧٠ .**

وفي سنة ١٨٧٣ أصبح باستور عضواً في الاكاديمية الطبية الفرنسية ، وبعد ذلك بسنة نال معاشاً على مدى الحياة من الجمعية الوطنية . **وفي ٦ تموز ١٨٨٥ قام باختباره الخطير إذ حقن بلقاح خاص ولداً عضه كلب مسعور (مصاب بالكلَب) .** وقـد أدى اكتشافه اللقاح ضد داء الكلب ، ومعالجته الناجحة به ، الى انشاء معهد باستور سنة ١٨٨٨ .

وحين بلغ السبعين من عمره جعلت الحكومة الفرنسية عيد ميلاده عطلة رسمية نظراً للخدمات الجليلة التي اداها هذا العالِم للانسانية . وقد توفي عن ٧٢ عاماً...

فـرويـد

SIGMUND FREUD

العـالِم النفساني النمسوي سيغموند فرويد (١٨٥٦ — ١٩٣٩) هو **مؤسس التحليل النفساني الحديث** . كان شديد الشغف والاهتمام بالبحث العلمي الصرف أكثر منه بالطب.. وكان لبحثٍ حول الطبيعة وضعه غوته أثر كبير في حمل فرويد على دراسة الطب في جامعة فيينا التي تخرّج فيها سنة ١٨٨١ . وقرر أن يتخصص في معالجة الاعصاب . إلا أن طبيباً نمسوياً روى له يوماً حادثة غريبة تتعلق بشفاء اعراض هستيريا .. فقد نُوّم المريض تنويماً مغنطيسياً ، وحُمل على تذكّر الظروف التي بدأت فيها هذه الأعراض وشرح الانفعالات

التي ترافقها . وكان ذلك بداية ما عُرِف فيما بعد **بالتحليل النفسي** .

ذهب فرويد الى باريس سنة ١٨٨٥ للدراسة على يد الاختصاصي في امراض الاعصاب **جان مارتان شاركو** الذي شجعه على اتباع الطريقة الثورية في معالجة الهستيريا من الناحية النفسانية . ولكن عمل فرويد في بادىء الأمر لقي معارضة شديدة عنيدة من زملائه .

وما لبث فرويد أن نبذ فكرة التنويم المغنطيسي كوسيلة لبعث الذكريات الدفينة ، وراح يبتدع طريقة دعاها **الاشتراك الحر** . فقد كان يعتقد أن الهستيريا سببها صدمة عصبية انفعالية ، وعادة جنسية بطبيعتها . **وعمل فرويد وحده في هذا الميدان طوال عشر سنين.** وفي سنة ١٩٠٦ انضم اليه عدد من الزملاء ، وفي سنة ١٩٠٨ التأم أول مؤتمر دولي للتحليل النفساني . وما هي إلا سنتان حتى تأسست جمعية دولية للتحليل النفساني . وزار فرويـــد اميركا سنة ١٩٠٩ فمُنح الدكتوراه الفخرية في الشريعة . ولمناسبة عيد ميلاده السبعين تلقّى التهاني من علماء العالم أجمع ، ومنُح مفتاح مدينة فيينا التي غادرها الى لندن سنة ١٩٣٨ بعد مجيء النازي الى الحكم . وأكمل عمله في انكلترا حتى وفاته .

ومن أشهر مؤلفاته « تفسير الاحلام » ، و « مقدمة عامـــة للتحليل النفساني » ، و « العقل الواعي وعلاقته بالعقل اللاوعي » .

نيقولا تسـلا

NICHOLAS TESLA

وُلد نيقولا تسلا سنة ١٨٥٧ في قرية صربية تابعة ليوغوسلافيا ، فكان في طفولته عليلًا هزيلًا ، وكاد أن يفقد حاسة النظر لكثرة ما كان يطالع من كتب الآدب ، والعلم ، والدين ، والفلسفة ، والتاريخ . وأتم دراسته الثانوية ودخل الجامعة . وكان يجيد ، فضلًا عن لغته الاصلية الصربية ، اللغات الفرنسية ، والالمانية ، والايطالية ...

كان خياله خصباً ، وباستطاعته أن يرسم في ذهنه صوراً دقيقة واضحة للاشياء التي يحلم بها ، الأمر الذي ساعده كثيراً على ابراز نظرياته العلمية واكتشافاته واختراعاتـــه دونما حاجة الى ورقة وقلم . . كان يبدّل هذه الرسوم الذهنية في سبيل تحقيق أفـــكاره كلما دعته الحاجة الى ذلك .

وكان تسلا غريب الاطوار ككل العباقرة ،الأمر الذي حمل الكثيرين على الارتياب في صحة النظريات التي كان يذيعها . ولكنهم سرعان ما اهتموا بنظرياته هذه واعماله عندما نجح سنة ١٨٨٠ في اختراع **محرّك ومولد للتيار الكهربائي المتقطع** ، مرتفعاً بذلك الى مصاف العلماء الخالدين . **فقد كان ذلك الاختراع نقطة تحوّل في العهد الصناعي الحديث** . فبفضل التيـــار الكهربائي المتقطع امكن تسيير الانتـــاج الضخم للسيارات والطائرات ومولدات الكهرباء الضخمة التي تولد الطاقة الكهربائية من القوى المائيـــة ، وقطارات الديزل ، واجهزة الراديو والتلفزيون وما الى ذلك .

وقد باع تسلا سنة ١٨٨٨ اختراعه هـذا بمبلغ مليون دولار للعـــالم المخترع جورج وستنكهاوس ، الذي اسند اليه منصباً كبيراً في مصانعه ، ولكنه لم يبقَ طويلاً في هـذا المنصب مفضلاً العمل الحر قائلاً : **« ان الوحدة هي سر نجاح المخترع ، ففي الوحدة تتولد الأفكار العظيمة ! »**

وعاش تسلا وحيداً بقية أيامه على الرغم من كثرة معارفه ، ولم يختلط بأي امرأة بعـد موت أمه . **وقد تنبأ في سلسلة محاضرات له باختراع الرادار ، والتلفزيون . ووصف جهازاً أطلق عليه اسم « جهاز أشعة الموت » يمكنه أن يبيد فرقاً كاملة من الجنود في لحظات معدودات .**

« وحينما تقدمت السن بهذا العالم الحالم العجيب ، تغيرت عاداته وطريقة معيشته ، فصار يغادر غرفته في صباح كل يوم وقبيل الغروب ، ثم يشتري كميات كبيرة من الحبوب ، ويذهب بها الى احدى الحدائق ليلقي بهـا الى العصافير وغيرها من أنواع الطير التي كانت تتجمع حوله ليطعمها .

وكان إذا مرض ولم يستطع الخروج ، ينيب عنه من يقوم بهذه المهمة ، ويكلفه أن يحضر اليه في غرفته العصافير المريضة ، لكي يتولى بنفسه رعايتها !

ان العالِم الذي غيّر وجه العالَم باختراعه الخطير ، قد أدرك في أواخر حياته حقيقـــة كبرى ، هي أن عناصر الخير لا تكمن في الأفكار التي تتولد في الوحدة ، وانما تكمن في القلب النـابض بالحب والعطف ، والمشاركة في الشعور ، والعمل على تخفيف متـاعب الآخرين ! »

وقد توفي سنة ١٩٤٣ عن ستة وثمانين عاماً ، في غرفة بأحد الفنادق ...

مـدام كوري

MARIE CURIE

في سنة ١٩٠٢، وقبل ان تعلن ماري سكلودفسا كوري إمكانية وجود الراديوم بخمسة واربعين شهراً ، وذلك بالتعاون مع زوجها بيير ، نجحت ماري في عزل ديسيغرام (اي جزء من عشر من الغرام) من الراديوم الخالص عن معدن البتشبلند . وكان بيير يرجو أن يكون لون الراديوم جميلا ، فاذا برجائه يتحقق . فقد كان الراديوم مادة مشعة . وقـد سجلت ماري رؤوس اقلام عن تطور عملها المشترك واقترابها من اكتشافها الخطير على هامش احد كتب الطهي التي كانت تقتنيها ، الى جانب تعليقاتها البهيجة على نمو ابنتها الصغيرة ايرين . وكان مختبرهما كوخاً حقيراً صغيراً لا يعرف التهوية ولا الحرارة .. وكانا يبتاعان كميات البتشبلند الضرورية لعملها من دخلها الضئيل المحدود .

وُلدت ماري كوري في فرصوفيا في ٧ تشرين الثاني ١٨٦٧ . وقـد اضطرت لمغادرة المدينة لاشتراكها في منظمة ثورية للطلاب . فرحلت الى باريس حيث نالت شهادتها في العلوم الطبيعية . وقد تزوجت بيير كوري سنة ١٨٩٥ . وبعد اكتشافها هذا العنصر الجديـد الفعال في معالجة السرطان ، امضى الزوجان اعواماً عدة في البحث عن خصائصه. وفي سنة ١٩٠٣ **نالا وسام دايفي الذي تمنحه الجمعية الملكية البريطانية ، واقتسما جائزة نوبل في الفيزياء مع هنري بيكوريل، العالم الفرنسي الذي اكتشف خصائص الاورانيوم الراديوية.**

وفي سنة ١٩٠٦ قُتل بيير كوري في أحد شوارع باريس إثر صدمة عربة تجرها الخيل . فُطلب الى مدام كوري أن تحتل مكانه في السوربون — **وهي المرة الأولى التي يُسمح فيها لسيدة أن تتولى منصباً تعليمياً عالياً** . وقد زخر البهو الذي ألقت فيـه محاضرتها الأولى مستأنفة الموضوع من حيث تركه بيير قبل وفاته . **فازت بجائزة نوبل للكيمياء سنة ١٩١١** . ولما زارت الولايات المتحدة للمرة الاولى قدّم اليها الرئيس وارن هاردنغ ، باسم نساء البلاد ، غراماً واحداً من الراديوم . وفي زيارتها الثانية قدّم اليها مبلغ ٥٠ ألف دولار لشراء الراديوم اللازم لمختبر فرصوفيا ، مسقط رأسها .

وفي سنة ١٩٢٠ هُدّدت مدام كوري بالعمى ، ولكن سلسلة من العمليات الجراحية أنقذت بصرهـا . ولكنها لم تكن تشعر بالراحة ، وعرفت أنها ستضطر الى هجر العمل .. وقالت : **« لست أدري إذا كنت استطيع الحياة بدون مختبر ! » وتوفيت في فالانس (فرنسا) في تموز ١٩٣٤ .**

رُوذرفورد

ERNEST RUTHERFORD

عُرِف بنبيّ الذرّة لأنه أول من حطم الذرة وفتح الطريق أمام علماء العالم للافادة من هذا الكشف الرائع في السلم والحرب على السواء .

أبصر النور في نيوزيلندا سنة ١٨٧١ التي هاجر اليه برفقة جــده ، سائق العربات في اسكتلندا ، سعياً وراء الرزق . وكان منذ نعومة أظفاره متفوقاً في الفيزياء والكيمياء والرياضيات فاكتسب عدداً من الجوائز المالية والمداليات . ويقول عنه أحــد زملائه في المدرسة : « إن أهم ما لفت نظري هو قدرته الهائلة على دراسة الموضوع الذي يريد بحثه ، وقوة تركيز فكره مهما كان حوله من ضوضاء .. كنا أحياناً نسخر منه ، فنضربه على رأسه بكتاب ثم نهرب ، وهو لا يشعر بنا ، لانه في عالم آخر من البحث والتفكير ... »

وكان في صغره شغوفاً بالآلات الميكانيكية كغيره من التلاميذ الصغــار . تراه يصنع العجلات ويحاول الوقوف على سر حركة الساعة وآلاتها الدقيقة . وقــد صنع بنفسه آلة فوتوغرافية كاملة .

وقبل أن ينصرم القرن التاسع عشر نجح روذرفورد في صنع جهاز مغنطيسي لقياس الموجات على بعد عشرين متراً ، ووضع تقريراً حول ذلك نشرته مجلة علمية ، فلفتت اليه أنظار كبار العلماء . وسمع به بعضهم في انكلترا فخصوه بمنحــة لاتمام دراساته العلمية في جامعة كيمبريدج ،فاستقبله ج. طومسون ، رئيس معهد الابحاث في هذه الجامعة أحسن استقبال .

وكان الراديوم قــد اكتُشف فأجرى عليه مختلف أنواع التجارب ، ووصل الى تلك النتيجة الرائعة ، وهي أن عنصر الراديوم المشع يخرج منه نوعان من الاشعاعات ، الاولى يمكن وقفها بواسطة حاجز من الورق المقوّى ، والثانية تخترق مــا تجده في طريقها من حواجز الى مسافة طويلة ،وهي أشعة قوية النفاذ جداً .

ولم تجد جامعة ماكغيل في مونتريال استاذاً لعلم الطبيعة أحسن من روذرفورد ، مع أنه كان لا يزال شاباً في السابعة والعشرين . وكان لهذا المنصب أكبر الفضل في دفع ابحاث روذرفورد الى الامام ، وكذلك الحصول على أعز أمانيه ، وهي الزواج من حبيبته ماري ، فأرسل اليها لتلحق به في مونتريال . »

وذاع صيته بعد نشره كتاب **الاشعاع الذري** سنة ١٩٠٤ . وبعد ثلاث سنوات عاد الى انكلترا فتولى التدريس في جامعة مانشستر ، وادارة مختبراتها التي قام فيها باختباراته التي أدت الى **اكتشاف الذرّة التي لم يكن يرجو رؤيتها، والتي تكهّن بأنها على صغرها المتناهي تحمل طاقة هائلة في الوسع الحصول عليها لدى تحطيمها .**

وقد توفي بنوبة قلبية سنة ١٩٣٧ عن ٦٧ عاماً قبل أن يشهد استخدام اكتشافه في الحروب والتدمير لأنه انما اراده أداة تُسخّر لسعادة العالم وزيادة رفاهيته ...

آينشتاين

ALBERT EINSTEIN

ينظر العالم الى ألبرت آينشتاين (١٨٧٩ – ١٩٥٥) **،صاحب نظرية النسبية المشهورة** التي لا يفهمها إلا نفر ضئيل من علماء الرياضيات ، على أنه أكبر دماغ بشري مفكر ، ومن أعمق المفكرين على الاطلاق . **إلا أنه كان صبياً بليداً ، خجولاً ، خامل الذهن .. وقد تأخر في النطق حتى خيّل لوالديه أنه طفل غير طبيعي .**

فقد رسب آينشتاين في امتحانات الدخول الى كلية الفنون الاتحادية في زوريخ ، وكان وقتئذ في السادسة عشرة من عمره .

وقد اضطر هذا العالم الكبير ، الذي يُعتبر بمقام **اسحق نيوتن وكوبرنيكس** ، أن يستظهر دروسه قبل أن يتقدم للامتحان ثانية وينجح في الالتحاق بهذه الكلية .

أما نظرية النسبية فجدّ معقّدة . وقد اعترف بأن عدد الذين يفهمونها لا يزيد على اثني عشر شخصاً في العالم أجمع ، بالرغم من أن عدداً غير قليل من المجلدات الضخمة قد وُضع حولها لتفسيرها وتوضيحها . وتراه يشرحها مبسّطة بالمثال التالي : **« عندما تجلس الى فتاة حسناء مدة ساعة تظن انك لم تجالسها سوى دقيقة واحدة فحسب .. ولكنك عندما تجلس فوق المدفأة دقيقة واحدة تحسب انك اقمت فوقها ساعة بطولها ! »**

كان ذا تفكير منظم مع أنه كان يكره النظام في شؤون حياته اليومية والبيتية . يؤمن بمبدأين اثنين لا ثالث لهما : أحدهما التحرر من القواعد أيــاً كانت ، والآخر التحرر من آراء الآخرين ونظرياتهم . وكان يعيش عيشة هادئة بسيطة ، ولا يأنف من ارتداء الملابس العتيقة التي تحتاج الى الكيّ ، وقلما يضع قبعة على رأسه ، يصفر ويغني بأعلى صوته في الحمّام .

يحلق ذقنه وهو جالس في المغطس ، مستعملاً الصابون نفسه الذي يغتسل بـه لحلق ذقنه من دون سائر أنواع الصابون الخاصة بالحلاقة . ومن عجب أن يؤكد هذا العالم الذي حاول حل معضلات الدنيا واسرارها أن استعمال نوعين من الصابون يجعل الحياة كلها معقّدة .

كان زاهدا في المال وفي الالقاب ، زاهداً في المديح. يصنع سعادته بنفسه من امور عادية كالعمل ، والعزف على الكمان ، والتنزه بقاربه الشراعي . أما الموسيقى فكانت مبعث سعادته الأولى والاخيرة .

نزل ذات مرة من سيارة عمومية ونقد سائقها مبلغاً من المال فأخذ السائق ما يستحق له وأعاد اليه الباقي . فقال له آينشتاين انه أخطأ في الحساب . فعدّ السائق النقود من جديد فوجد أن آينشتاين على خطأ فاعادها اليه قائلا : « المصيبة ، يا سيدي ، أنك لا تفهم شيئاً في الحساب ! »

كان آينشتاين غريباً غرابة نظريته النسبية .. يمقت أشد المقت ما يستهوي الغالبية من البشر من شهرة ، وجاه ، وفخفخة ، ويزهد في حطام الدنيا .. ويكره الدعاوة ومقابلة الصحفيين والمصورين ...

فليمنغ

SIR ALEXANDER FLEMING

في مستشفى القديسة ماري القائم في حي بادنغتون في لندن مدخل تتوّجه هذه العبارة : **معهد رايت – فليمنغ لعلم الجراثيم** ، أقيم تذكاراً لاثنين من أشهر علماء البكتيريولوجيا في العالم ، وتخليداً لعهد بارز في الطب البريطاني . **فقـد اكتشف ألمورث رايت كيفية اتقاء حمى التيفوئيد بالتلقيح ، واكتشف فليمنغ البنيسلين .**

وُلد ألكسندر فليمنغ (١٨٨١ – ١٩٥٥) ، من أب اسكتلندي مزارع من بلدة ارشاير ، وانتقل في الرابعة عشرة من سنيه الى لنـدن حيث أنهى دروسه والتحق بمكتب للتسفير . وبفضل ميراث ضئيل آل اليه دخل العام ١٩٠١ مستشفى القديسة ماري . وبعد أن أظهر تفوقاً في دروسه ونال شهادة الطب العام ١٩٠٦ انضم الى فريق العلماء البحاثـين برئاسة رايت ، وكان مختبر هذا الاخير في مستشفى القديسة ماري حينذاك قبلة انظـار الاطباء والعلماء يتقاطرون عليه من مختلف ارجاء المعمور . **وقـد أوحت نظرياته الطبية**

المدهشة الى برنارد شو فكرة مسرحيته المعروفة « معضلة الطبيب » .

وخلال الحرب العالمية الاولى رحل فليمنغ الى فرنسا مع زملائه البحاثين اعضاء فريق رايت ، ووقف نفسه ووقته على دراسة قضية الجراح المعفنة .

أما اكتشافه البنيسلين فقد تأهب له بطريقة جد طريفة .. فقد كان مصاباً بزكام حاد ، ورغبة منه في اشباع ميله وفضوله ، زرع في طبق زجاجي خاص بعضاً من افرازات انفه . فلاحظ ، لفرط دهشته ، أن الافرازات هذه تحتوي على مادة تمنع نمو الجراثيم ، ما لبث ان عزاها الى دموعه التي كانت إذا ما وقعت فوق الطبق الزجاجي (او المزرعة البكتيرية) تركت نقاطاً واضحة جميلة تختلف عن سائر أنحاء الطبق . فدعا هذه المادة الطبيعية المضادة للجراثيم « ليسوزيم » وهي نوع من « الانزيمات » أو المواد المذيبة التي لها القدرة على قتل الجراثيم وابادتها .

وبعد أعوام ستة ، أي في العام ١٩٢٨ ، لفت نظره في احدى مزارعه البكتيرية نوع من الفطر أو العفن الاخضر ،وقد تسرّب اليها وعاش جنباً الى جنب مع الجراثيم النامية في الطبق الزجاجي ، يشاركها غذاءها ويفسد عليها نقاوتها ووحدتها .. ونمت الجراثيم وانتشرت سريعاً في مختلف أطراف المزرعة الغذائية باستثناء منطقة معينة تحيط بالعفن من جميع الجهات . ذلك لأن الفطر اذاب ، في هذه المنطقة ، الجراثيم التي تنمو بجواره فجعلها ضعيفة هزيلة لا تأثير لها ولا خطر منها .

وعمد فليمنغ على الفور الى فصل الفطر الدخيل أو العفن الاخضر لينقّيه تنقية تامة مما يحيط به من جراثيم ، ثم زرعه واختبر تأثيره القاتل في الجراثيم . ودرس تاريخ حياة هذا الفطر فأثبت أنه من النوع المسمى **بنيسليوم نوتاتم** ، ومن ثم أنمى هذا الفطر في محلول غذائي خاص فظهر بعد أربعة أيام في السائل لون أصفر برّاق هو لون المادة الكيماوية التي بدأ الفطر يفرزها ، **فأطلق عليها اسم البنيسلين نسبة الى الفطر بنيسليوم .**

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها فليمنغ بعيد اكتشافه لم يستطع أن يجعل استعمال البنيسلين كمادة مطهرة في متناول الجميع .

إلا أن بعث هذه المادة العجيبة تم سنة ١٩٣٨ على يد البروفسور هوارد فلوري والدكتور أ. ب. كاين في مدرسة السير ويليام دن للباثولوجيا الطبية بجامعة اوكسفورد عندما قررا مواصلة التجارب المختلفة في هذا المضمار الانساني الجليل الفائدة .

واليوم ، بعد انقضاء أكثر من ربع قرن على اكتشاف البنيسلين ، أصبحت هذه المادة

على كل شفة ولسان ، وفي كل منزل . وقـد اختبر الملايين من البشر في مختلف الاصقـاع قواها المنقذة .

ومن أجل اعمالهم الباهرة في الحقل العلمي الطبي والانساني نال كل من العلماء فليمنغ وفلوري وكايين جائزة نوبل . وما بدأه فليمنغ في مستشفى القديسة ماري في لندن قد أتمه في اكسفورد فلوري الاسترالي ، وكايين الاوروبي الذي وجد في انكلترا ملاذاً وسلامة ، وقد عاونهم في اعمالهم عدد من البحاثين عُرفوا باسم **فريق اوكسفورد ...**

يروى ان السير ألكسندر فليمنغ فضلاً مزدوجاً على السير ونستون تشرشل، رئيس الحكومة البريطانية الاسبق . فقد أنقذه فيلمنغ وهو بعد صبي من الغرق ، كما أنقـــذه بالبنيسلين في الحرب العالمية الثانية من خطر ذات الرئة التي أُصيب بها وكادت تودي بحيـــاته ...

مع الخالدين من العلماء واشهر اعمالهم

عصور ما قبل الميلاد



- طاليس ـ (حوالي ٦٤٠ ـ حوالي ٥٤٧) ـ يوناني من ميليتس ـ فيلسوف وعالم رياضي من المدرسة الايونية . صاحب مبدأ شهير من مبادىء الهندسة . يعتبر اول العلماء ، ويلقب احيانا بابي العلم ، لانه اول من احل التفسيرات العلمية محل التفسيرات الاسطورية في دراسة العالم الطبيعي .

- فيثاغوراس ـ (حوالي ٥٨٠ ـ حوالي ٥٠٠) ـ يوناني من ساموس ـ فيلسوف وعالم رياضي . ندين الى مجموعة المدرسة الفيثاغورية ، بلا ريب ، بالاكتشافات الرياضية والهندسية والفلكية التي تعزى الى فيثاغوراس : جدول الضرب ، النظام العشري ، ونظرية تربيع وتر الزاوية القائمة .

- آناكساغوراس ـ (حوالي ٥٠٠ ـ حوالي ٤٢٨) ـ يوناني ـ فيلسوف ، وضع تفسيرات جديدة للظواهر الفلكية ، والقمر والشمس .

- ديمقريطس (حوالي القرن الخامس) ـ يوناني ـ فيلسوف ، كان يقول بان الكائن البشري مكون من عدد هائل من الذرات . بشر بالسعي وراء السعادة باعتدال الرغبات . اليه يعزى القول : « على جميع البشر ان يعرفوا فن الطب . » ولعل المبدا الذي يسيطر على حياته العقلية تتضمنه هذه العبارة : « غنى الفكر ، لا غنى العلم ، هو الشيء الذي ينبغي الطمع به . »

- ابقراط ـ (حوالي ٤٦٠ ـ حوالي ٣٧٧) ـ يوناني ـ لقبه ابو الطب ، يقوم نظامه على فساد الاخلاط ورطوبات الانسان : الدم ، البلغم ، الصفراء ، المرارة .

- ارخيتاس ـ (٤٣٠) ـ يوناني ـ من فلاسفة المذهب الفيثاغوري ، وصديق افلاطون . ينسب اليه اختراع البرغي ، وطائرة الهواء ، وبكرة الدلو .

- اكسودس ـ (٤٠٩ ـ ٣٥٦) ـ يوناني من سنيدوس ـ فلكي ، قام بوضع ملاحظات وتعليقات دقيقة حول حركات الكواكب السيارة .

- هرقليطس ـ (٣٨٨ ـ ٣١٥) ـ يوناني من بونتوس ـ فلكي ، نسج على منوال اكسودس في دراسة السيارات من الكواكب .

- آرستارخس ـ (حوالي ٣١٠ ـ حوالي ٢٣٠) ـ يوناني من ساموس ـ فلكي ، كتب دراسة حول حجم الشمس والقمر ، والمسافة بينهما وبين الارض .

- آرخميدس ـ (٢٨٧ ـ ٢١٢) ـ يوناني ـ اكتشافاته عديدة ، اهمها نسبة قطر الدائرة الى محيطها (٧ الى ٢٢) ، والقانون المشهور باسمه وهو « ان كل جسم يسقط في سائل ما يتلقى دفعة عمودية من تحت الى فوق تعادل ثقل ما شغل مكانه من هذا السائل . »

- ايراتستنيس ـ (٢٧٥ ـ ١٩٥) ـ عالم من الاسكندرية . قاس حجم الارض ورسم خريطة العالم المعروف آنذاك ، وطور نظام علم التاريخ .

- ابولونيوس (حوالي ٢٦٠ ـ ٢٠٠) ـ يوناني من برغا ـ عالم رياضي ، كتب عن القطوع المخروطية .

- ديوفنتوس ـ (حوالي ٢٠٠) ـ يوناني . عالم يعزى اليه فضل ادخال مبادىء الجبر الى الرياضيات .

- هيبارخس ـ (١٩٠ ـ ١٢٠) ـ يوناني ـ اول فلكي يوناني نظامي ، وضع رسوما بيانية مفهومة عن السموات .

- هيرو ـ (حوالي ١٥٠) ـ يوناني من الاسكندرية ، مخترع ، وعالم رياضي ، ابتكر وسائل تعمل بالبخار ، والماء ، والهواء المضغوط : المحرك الناري ، والنافورة ، والسيفون .

بعد الميلاد



- جالينوس ـ (حوالي ١٣١ ـ ٢٠١) ـ يوناني ـ كان له اكتشافات هامة في علم التشريح ، ووضع عددا من الدراسات .

- بطليموس ـ (حوالي القرن الثاني) ـ يوناني ، مولود في مصر العليا . فلكي ، وصاحب مؤلفات قيمة في الرياضيات ، والبصريات ، وانعكاس الضوء ، والجغرافيا . ظل ثقة طوال القرون الوسطى . وضع الارض في وسط العالم ، وجعل منها جسما ثابتا .

- جربير (البابا سيلفستر الثاني) ـ (حوالي ٩٤٠ ـ ١٠٠٣) ـ فرنسي ، عالم رياضي علامة ، يعود اليه الفضل في ارجاع المعداد الى اوروبا .

- ابيلارد اوف باث ـ (حوالي ١٠٠٠) ـ انكليزي ـ عالم وفيلسوف من مدرسة الفلسفة الكلامية ، ترجم المؤلفات العربية ذات المواضيع العلمية الى الانكليزية .

□ جيرار كريمونا ـ (حوالي ١١١٤ ـ ١١٨٧) ـ ايطالي ـ عالم عاش في توليدو في اسبانيا ، وترجم المؤلفات العربية العلمية القيمة .

□ روبرت كروسيست ـ (١١٧٠ ـ حوالي ١٢٥٣) ـ انكليزي ـ باحث كتب الكثير عن الرياضيات ، والفلك ، وعلم النفس والزراعة .

□ ليوناردو فيبوناتشي ـ (حوالي ١٢٠٠) ـ ايطالي ـ عالم في الرياضيات ، نصح باستخدام الارقام العربية التي تستخدم اليوم في الغرب . اما الارقام التي نستعملها نحن فهي هندية وليست عربية .

□ البرتوس ماغنوس ـ (حوالي ١٢٠٦ ـ ١٢٨٠) ـ الماني ـ باحث له آراء قيمة في علم النبات .

□ رودجر بايكون ـ (حوالي سنة ١٢١٤ ـ ١٢٩٤) ـ راهب فرنسيسكاني انكليزي ، عرف بلقب « الطبيب المدهش » ، وأحد من اعظم علماء القرون الوسطى ، هاجم بعنف الاساليب الفلسفية في زمنه .

□ اوريزم ـ (١٣٣٢ ـ ١٣٨٢) ـ فرنسي ـ باحث اشتهر بعمله في حقلي الاقتصاد والرياضيات ، وكتب بحثا عن النقد والعملة .

□ نيقولاس كوزا ـ (١٤٠١ ـ ١٤٦٤) ـ الماني ـ عالم انعش الاهتمام بعلم الفلك .

□ لورنز كوستر ـ (حوالي سنة ١٤٠٥ ـ حوالي سنة ١٤٨٤) ـ هولندي ـ يقال انه ابتكر الطباعة بالحروف المتحركة منذ سنة ١٤٢٣ .

□ جورج بوير ـ (حوالي ١٤٩٠ ـ ١٥٥٥) ـ الماني ـ طبيب وعالم ، يعرف بلقب « ابو علم المعادن » .

□ فيليبوس اوريولوس باراسيلوس ـ (حوالى ١٤٩٣ ـ ١٥٤١) ـ سويسري ـ طبيب وكيماوي ، علم طريقة استعمال ادوية محددة ، وادخل عددا من العقاقير الجديدة الى عالم الطب والمداواة .

□ نيقولا تارتاليا ـ (حوالي ١٥٠٠ ـ ١٥٧٧) ـ ايطالي ـ مهندس وعالم رياضي ، كان رائدا في حقل الرياضيات كما تطبق على المدفعية .

□ جيرونيمو كردانو ـ (١٥٠١ ـ ١٥٧٦) ـ ايطالي ـ طبيب وعالم رياضي ، ابتكر اساليب لتعليم العميان والصم .

□ اندرياس فيزاليوس ـ (١٥١٤ ـ ١٥٦٤) ـ فلمنكي ـ عالم من علماء التشريح ، اول من اعطى وصفا دقيقا لتركيب الجسم البشري .

□ فرنسوى فييت ـ (١٥٤٠ ـ ١٦٠٣) ـ فرنسي ـ عالم رياضي ـ من مؤسسي علم الجبر الحديث ، بادل في علاقة الجبر بالهندسة وعلم حساب المثلثات .

□ ويليام غلبرت ـ (حوالي ١٥٤٠ ـ ١٦٠٣) ـ انكليزي ـ طبيب وعالم طبيعي ، عرف بدراساته حول المغنطيس ، ووضع اسس علم الكهرباء الحديث .

□ تيكو براهه ـ (١٥٤٦ ـ ١٦٠١) ـ دانمركي ـ اتاحت تجاربه ومشاهداته للعالم الالماني كبلر ان يعلن قوانينه حول الكواكب السيارة .

□ جيوردانو برونو ـ (حوالي ١٥٤٨ ـ ١٦٠٠) ـ ايطالي ـ فيلسوف ـ كان اول من قرر ما اصبح اليوم النظرية الكونية .

□ ستيفينوس ـ (١٥٤٨ ـ ١٦٢٠) ـ هولندي ـ مهندس ـ اهتم بعلم توازن القوى ، وعلم الاجسام الساكنة ، واكتشف « توازي القوى » .

□ دجون نابير ـ (١٥٥٠ ـ ١٦١٧) ـ اسكتلندي ـ عالم رياضي . اخترع علم انساب الاعداد ، وادخل النقطة العشرية عند كتابة الاعداد .

□ يوهانس كبلر ـ (١٥٧١ ـ ١٦٣٠) ـ الماني ـ عالم فلكي ، له مؤلف قيم يتضمن نظرية حول الكوكب المريخ ، وفيه اعلن القوانين المسماة « قوانين كبلر » ، ومنها عرف اسحق نيوتن كيف يستخلص مبدأ الجاذبية العالمية .

□ يان باتيست فان هيلمونت ـ (١٥٧٧ ـ ١٦٤٤) ـ فلمنكي ـ طبيب وكيماوي ، يعود اليه الفضل في اعطاء كلمة « الغاز » معناها العلمي الحالي .

□ ويليام هارفي ـ (١٥٧٨ ـ ١٦٥٧) ـ انكليزي ـ طبيب اظهر كيفية عمل القلب والدورة الدموية .

□ زكرياس جانسن ـ (حوالي ١٦٠٠) ـ هولندي ـ صانع نظارات ، صنع اول مجهر مركب .

□ فرنشيسكو ماريا غريمالدي (حوالي ١٦١٨ ـ ١٦٦٣) ـ ايطالي ـ عالم فيزيائي ، وصف انحراف النور او انكساره .

□ روبرت بويل ـ (١٦٢٧ ـ ١٦٩١) ـ انكليزي ـ كيماوي ، وفيلسوف طبيعي ، اول من فرق بين العنصر الكيماوي والمركب .

□ كريستيان هيغنز ـ (١٦٢٩ ـ ١٦٩٥) ـ هولندي ـ عالم فيزيائي ورياضي ـ ادخل تحسينات على عدسات التلسكوب ، كان اول من استعمل الرقاص في الساعات .

□ اولوف رودبيك ـ (١٦٣٠ ـ ١٧٠٢) ـ اسوجي ـ مكتشف الغدد اللمفاوية .

□ انطوني فان لوفنهويك ـ (١٦٣٢ ـ ١٧٢٣) ـ هولندي ـ اول مطاردي الجراثيم • عمل في صناعة الميكروسكوبات التي راح بواسطتها يدرس التركيب الدقيق للاجسام المنظمة . وله اول رسم

للجرثومة بيده وقد ظهر في سنة ١٦٨٣ ، وكان اول من رأى الحيوانات البرزوية والجراثيم .

- روبرت هوك ـ (١٦٣٥ ـ ١٧٠٣) ـ انكليزي ـ من علماء الطبيعيات والرياضيات ، مخترع عدد غير قليل من الآلات الدقيقة ، ومن اشهرها الجهاز الذي يتيح للملاحين معرفة ارتفاع النجوم ، والمسافات بينها بواسطة زواياها .

- ادموند هولي ـ (١٦٥٦ ـ ١٧٤٢) ـ انكليزي ـ عالم فلكي ، اشتهر بعمله في حقل المذنبات ، ومنح اسمه للمذنب المعروف بـ « مذنب هولي » .

- غبريال دانيال فارنهايت ـ (١٦٨٦ ـ ١٧٣٦) ـ نمسوي ـ مخترع الميزان الخاص بمعرفة كثافة السوائل ، وميزان الحرارة العادي المعروف باسمه .

- ستيفان هيلز ـ (١٦٧٧ ـ ١٧٦١) ـ انكليزي ـ مكتشف حامض الكربون ، والهيدروجين المكبرت .

- بيير فان موشنبروك ـ (١٦٨٢ ـ ١٧٦١) ـ هولندي ـ مخترع قنينة لايدن ، وهي اول ميزان من موازين درجات الحرارة العليا المعروفة ، ومكتشف قانون تكسر الضوء .

- دجيمس برادلي ـ (١٦٩٣ ـ ١٧٦٢) ـ انكليزي ـ عالم فلكي ، اكتشف « انحراف الضوء » .

- ليناوس ـ (١٧٠٧ ـ ١٧٧٨) ـ اسوجي عالم نباتي مؤسس علم النبات الحديث النظامي .

- الكونت دو بوفون ـ (١٧٠٧ ـ ١٧٨٨) ـ فرنسي ـ عالم طبيعي ، صاحب « التاريخ الطبيعي » ، و « عصور الطبيعة » كانت له نظرات واسعة وخصبة ، فوضع في متناول الجمهور في عصره المعارف العلمية ، وقرر نظرية حول تكوين الكون وتطوره .

- جوزف بلاك ـ (١٧٢٨ ـ ١٧٩٩) ـ اسكتلندي ـ كيماوي وطبيب ، اكتشف ثاني اوكسيد الكربون او الفحم .

- سبالنتزاني ـ (١٧٢٩ ـ ١٧٩٩) ـ ايطالي ـ عالم بيولوجي ، ندين له باعمال قيمة حول الدورة الدموية ، والهضم ، والتناسل ، والحيوانات الصغيرة جدا التي لا ترى الا بالمجهر .

- هنري كافنديش ـ (١٧٣١ ـ ١٨١٠) ـ انكليزي ـ فيزيائي وكيماوي ، اهتم بالابحاث الاولى حول الحرارة.. حلل الهواء ، واكتشف تركيب الماء ، وعرف بصفات الهيدروجين ، وعين ثقل الكرة الارضية النوعي .

- دجوزف بريستلي ـ (١٧٣٣ ـ ١٨٠٤) ـ انكليزي ـ كيماوي ، اكتشف قوة الاوكسجين في المساعدة على الاحتراق .

- جوزف لاغرانج ـ (١٧٣٦ ـ ١٨١٣) ـ فرنسي ـ عالم رياضي وفلكي ، اسهم كثيرا في الابحاث

عن طبيعة الصوت ، وكان ذا تأثير كبير في الحث على استعمال النظام العشري .

- السر وليام هيرشل ـ (١٧٣٨ ـ ١٨٢٢) ـ انكليزي ـ فلكي ، من رواد دراسة النجوم في الفضاء . اكتشف الكوكب السيار اورانوس وما يدور في فلكه من سيارات ، ثم اكتشف السيارات التي تدور في فلك الكوكب زحل . وضع قائمة بالنجوم . اما ابنه السر دجون هيرشل (١٧٩٢ ـ ١٨٧١) فقد ابتكر التحليل الطيفي ، واكتشف الاشعاعات تحت الاشعة الحمراء .

- ادموند كارترايت ـ (١٧٤٣ ـ ١٨٢٣) ـ انكليزي ـ مخترع آلة حياكة الاقمشة وغزل الصوف .

- انطوان لوران لافوازييه ـ (١٧٤٣ ـ ١٧٩٤) ـ فرنسي ـ كيماوي ، وأحد مؤسسي علم الكيمياء الحديث . له ندين بمجموعة الاصطلاحات الكيماوية ، ومعرفة تركيب الهواء ، واكتشاف دور الاوكسجين في الاحتراق ، وشرح قانون استمرار الاجسام . وفي حقل الفيزياء قام بالقياسات الحرارية الاولى .

- جان ـ باتيست لامارك ـ (١٧٤٤ ـ ١٨٢٩) ـ فرنسي ـ عالم بالطبيعيات . عرف بكتاب عن « النباتات الفرنسية » ، ونشر « الموسوعة النباتية » و « تفاسير الانواع » . وهو بكتابيه « الفلسفة الحيوانية » ، و « تاريخ الحيوانات اللافقاريات » يبدو انه مؤسس هاتين النظريتين : التناسل الذاتي ، والتحول ، اللتين تناولهما بالبحث والدرس تشارلز داروين .

- المركيز دو لابلاس ـ (١٧٤٩ ـ ١٨٢٧) ـ فرنسي ـ عالم رياضي وفيزيائي وفلكي ، له اعمال عدة حول حركة القمر ، والمشتري ، وزحل . درس المذنبات ، والمد والجزر في المحيطات . ولكنه مشهور بنوع خاص باختراعه النظام المختص بعلم نواميس العالم العامة الذي يحمل اسمه . وفي حقل الفيزياء اصدر القوانين الابتدائية للمغنطيسية الكهربائية .

- نيقولا آبير ـ (١٧٥٠ ـ ١٨٤١) ـ فرنسي ـ مكتشف طريقة حفظ المأكولات على اختلافها في العلب .

- فريدريك شارل آشار ـ (١٧٥٣ ـ ١٨٢١) ـ الماني ـ كيماوي ، هو اول من نجح في استخراج السكر من الشمندر .

- بنيامين طومسون ـ (١٧٥٣ ـ ١٨١٤) ـ اميركي ـ عالم قام بتجارب بالبارود ، وحسن وسائل التدفئة ، والتنوير ، والطبخ . وهو من المخترعين العمليين الكبار ، يعود اليه الفضل في اختراع المدفأة الحديثة .

- نيقولا جاك كونته ـ (١٧٥٥ ـ ١٨٠٥) ـ فرنسي ـ كيماوي ، من مؤسسي معهد الصنائع والفنون الجميلة ، ومن مخترعي قلم الرصاص .

- فرنسوى جوزف غـال (١٧٥٨ ـ ١٨٢٨) ـ الماني ـ طبيب ، مكتشف النظرية التي تتيح معرفة شخصية الانسان وقواه العقلية من تركيب جمجمته ، وقد اصبحت اليوم نظرية بالية •

- ويليام ولاستون ـ (١٧٦٦ ـ ١٨٢٨) ـ انكليزي ـ اكتشف البلاديوم والراديوم ، وادخل تحسينات على عمود فولتا الكهربائي .

- دجون دالتون ـ (١٧٦٦ ـ ١٨٤٤) ـ انكليزي ـ عالم احيى النظرية الذرية ، وقدم ابحاثا ضخمة في حقل الاحوال الجوية .

- جورج ليوبولد كوفييه ـ (١٧٦٩ ـ ١٨٣٢) ـ فرنسي ـ عالم حيواني وجيولوجي ، اسس علمي التشريح المقارن ، وعلم الحفريات (البليانتولوجيا) .

- الكسندر همبولت ـ (١٧٦٩ ـ ١٨٥٩) ـ الماني ـ عالم طبيعي ورحالة مستكشف ، صاحب المؤلف الشهير « كوزموس » او وصف طبيعي للعالم . قام برحلتين طويلتين الى اميركا وآسيا .

- زافييه بيشا ـ (١٧٧١ ـ ١٨٠٢) ـ فرنسي ـ عالم في التشريح والفيزيولوجيا ، درس الانسجة ، ووضع اساس علم الانسجة الحديث .

- الويس سينيفيلدر ـ (١٧٧٢ ـ ١٨٣٤) ـ تشيكوسلوفاكي ـ مخترع الطباعة الحجرية سنة ١٧٩٦ .

- توماس يونغ ـ (١٧٧٣ ـ ١٨٢٩) ـ انكليزي ـ فيزيائي وطبيب ، اوجد المبدأ الطبيعي الحديث للطاقة ، وكان ثقة في طبيعة الرؤية .

- اندريه ماري امبير ـ (١٧٧٥ ـ ١٨٣٥) ـ فرنسي ـ عالم فيزيائي ورياضي ، اكتشف التيار الكهربائي في السلب والايجاب ، واصول فن اللاسلكي الكهربائي .

- آميديو افوغادرو ـ (١٧٧٦ ـ ١٨٥٦) ـ ايطالي ـ عالم فيزيائي ، صاحب النظرية في الـذرات الغازيـــة •

- همفري دايفي ـ (١٧٧٨ ـ ١٨٢٩) ـ انكليزي ـ كيماوي ، مخترع المصباح الخاص الذي يستعمله عمال المناجم في اثناء عملهم دون ان يتعرضوا لخطر انفجار الغازات بسبب الحرارة التي تنبعث من المصابيح العادية .

- ليوبولدو نوبيلي ـ (١٧٨٤ ـ ١٨٣٥) ـ ايطالي ـ فيزيائي ، اخترع عمود الحرارة الكهربائـي ، ومقياس القوة الكهربائية .

- فرنسوى آراغو ـ (١٧٨٦ ـ ١٨٥٣) ـ فرنسي ـ عالم فلكي وفيزيائي ، وضع قوانين انعكاس النور وسرعة انتشار الصوت .

- جوزف كافنتو - (١٧٩٥ - ١٨٧٧) - فرنسي - جنرال وعالم ، ساهم كثيراً في حقل الميكانيكا التجريبية ، واخترع جهازاً لدراسة قانون سقوط الاجسام .

- نيقولا ليونار سادي كارنو - (١٧٩٦ - ١٨٣٢) - فرنسي - فيزيائي ، من مؤسسي علم القوة الحرارية الحديث .

- ادولف كوتلية - (١٧٩٦ - ١٨٧٤) - بلجيكي - عالم احصائي وفلكي ، كان في عداد الاوائل الذين طبقوا الاحصاءات على المشاكل الاجتماعية .

- هنري بيسيمر - (١٨١٣ - ١٨٩٨) - انكليزي - اخترع الاسلوب المعروف باسمه لتحويل الحديد الصلب الى فولاذ .

- دجون كاوتش آدامز - (١٨١٩ - ١٨٩٢) - انكليزي - رياضي ، وفلكي ، يشاطر العالم الفرنسي لوفيرييه (١٨١١ - ١٨٧٧) الفضل في اكتشاف الكوكب نبتون سنة ١٨٤٦ .

- رودولف يوليوس عمانوئيل كلوزيوس - (١٨٢٢ - ١٨٨٨) - الماني - فيزيائي ورياضي ، رائد في علم القوة الحرارية .

- صموئيل بيربونت لانغلي - (١٨٣٤ - ١٩٠٦) - اميركي - عالم فلكي وفيزيائي ، درس الظواهر الشمسية ، وكان رائدا من رواد الطيران . اخترع جهاز « البولوميتر » (المحر الطيفي او الاشعاعي) وسنة ١٨٩٦ صنع طائرة تسير بقوة البخار ، طارت مسافة ٤٢٠٠ قدم فوق نهر بوتوماك ، ولكنها لم تحمل اي ربان . وكان اول من قدم شرحا صافيا واضحا ، يعززه الاختبار ، حول الطريقة التي تستطيع بها الطيور التحليق دونما حركة تذكر من اجنحتها .

- لويس دوكو دوهورون - (١٨٣٧ - ١٩٢٠) - فرنسي - عالم فيزيائي ، هو اول من استنبط التصوير السينمائي بالالوان الطبيعية (التكنيكولور) .

- دجيمس ديوار - (١٨٤٢ - ١٩٢٣) - انكليزي - كيماوي وفيزيائي ، اشتهر بعمله حول خصائص المادة تحت تأثير الحرارات الدنيا ، وتحويل الغازات الى سوائل .

- شارل لويز الفونس لافيران - (١٨٤٥ - ١٩٢٢) - فرنسي - طبيب ، اكتشف الجرثومة التي تسبب داء الملاريا .

- آرثر شوستر - (١٨٥١ - ١٩٣٤) - انكليزي - فيزيائي ، اشتهر بعمله في حقل التحليل الطيفي لاظهار الاشعة المنبعثة من الاجرام السماوية .

- اميل رو - (١٨٥٣ - ١٩٣٣) - فرنسي - تلميذ باستور ، مبتكر طريقة معالجة داء الخانوق (الدفتيريا) بمصل الحصان . صاحب مؤلفات عن السموم .

- اميل ادولف فون بيرنغ ـ (١٨٥٤ ـ ١٩١٧) ـ الماني ـ طبيب وبكتريولوجي ، احد مؤسسي المعالجة بالمصل . حائز جائزة نوبل لسنة ١٩٠١ .

- هاينريش هيرتس ـ (١٨٥٧ ـ ١٨٩٤) ـ الماني ـ عالم فيزيائي ، اكتشف الموجات الكهربائية المسماة « الهرتسية » ، كما اكتشف معلولية التصوير الكهربائي .

- السر رونالد روس ـ (١٨٥٧ ـ ١٩٣٢) ـ انكليزي ـ طبيب ، اتاحت بحوثه حول الملاريا تحقيق الحماية ، او الوقاية من الامراض . حائز جائزة نوبل سنة ١٩٠٢ .

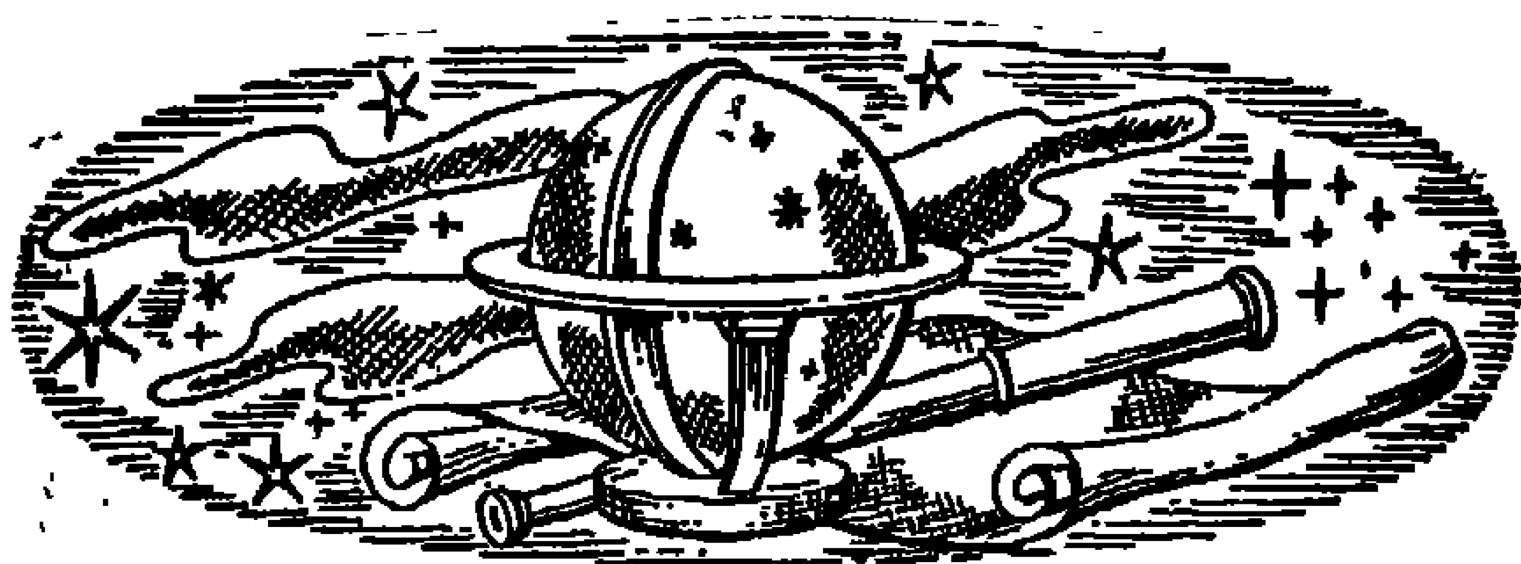
- ماكس بلانك ـ (١٨٥٨ ـ ١٩٤٧) ـ الماني ـ عالم فيزيائي . حائز جائزة نوبل للعلوم سنة ١٩١٨ ، صاحب نظرية الكم .

- آرثر ستانلي ادنفتون ـ (١٨٨٢ ـ ١٩٤٤) ـ انكليزي ـ فلكي ، اسهم مساهمة كبرى في معرفة النجوم .

- نيلز بور ـ (١٨٨٥ ـ ١٩٦٢) دانمركي ـ عالم فيزيائي ، حاز سنة ١٩٢٢ جائزة نوبل للعلوم ، على نظريته حول تركيب الذرة .

مع
الخالدين
من
المخترعين
والمكتشفين

غوتنبرغ   بنيامين فرنكلين   جيمس وات   ايلي هويتني   مورس
فلتون   نوبل   كوخ   إديسون   الكسندر غراهام بل   تسيولكوفسكي
زامنهوف   الأخوان رايت   ماركوني   كامل الصبّاح



غوتنبرغ

JOHANNE GUTENBERG

عامل المطبعة الالمـــاني يوهان غوتنبرغ (١٣٩٧ – ١٤٦٨) هو **مخترع الطباعـة بالحروف المتحركة** .. لم يحظَ إلا بالقليل من الدعاية . اسمـه لم يظهر على أي نشرة أو كتاب أصدرته مطبعته . حتى اصدقاؤه واسياده لم يقرنوا اسمه باختراعه هذا لدى حديثهم عنه . وليس ثمة صورة حقيقية له ، وتُعتبر كل رسومه التي تبـدو على المداليات والانواط والتماثيل أو الصحائف المحفورة زائفة ...

كل ما نعرف عن حياته الاولى أنه وُلد في بلدة ماينز ، وان اسمه الحقيقي جنسفلايش . كان سنة ١٤٣٤ في ستراسبورغ حيث وقـّع اتفاقية مع بعض الاشخاص لتعليمهم اصول الطباعة . فلما توفي أحدهم فُسخت الاتفاقية وعاد غوتنبرغ الى ماينز حيث موّله أحد الصاغة ، يوهان فوست ، إلا أن هذا مـا لبث أن سحب مساعدته المادية عندما عجز غوتنبرغ عن تسديد ديونه . أما أول كتاب أصدرته المطبعة التي موّلها فوست فيُعتبر **توراة مازاران** الذي أنجز طبعه سنة ١٤٥٦ ، **كما يعتبر أول كتاب طبع بالحروف المتحركة** . ولعل هذه الوسيلة الجديدة في الطباعة كان لها ، أكثر من أي اختراع آخر ، الفضل الاكبر في نشر المعرفة .

بنيامين فرنكلين

BENJAMIN FRANKLIN

كان بنيامين فرنكلين (١٧٠٦ – ١٧٩٠) سياسياً ، وكاتباً ، وعالماً طبيعياً ، وفيلسوفاً . وكان ذكيـاً ، سريع الخاطر ، خفيف الروح ، وصاحب نكتة . وهو أول من أسس مكتبة عامة للمطالعة في اميركا باشتراكات شهرية ، والمكتبات النقالة . وقد بنى الاكاديمية التي أصبحت فيما بعد جامعة بنسلفانيا .

كان « أول اميركي متمدن » . كان أصغر ابن لأصغر ابن لأصغر ابن لأصغر ابن . كان أول فيلسوف اميركي . كان أول سفير اميركي . كان أول رسام كاريكاتوري . كان

أشهر سباحي عصره . اخترع الهرمونيكا (آلة موسيقية) . اخترع الكرسي الهزاز . اخترع مصابيح الشوارع .

اكتشف الغولف ستريم ، وهو التيار الحار الذي يجتاز المحيط الاطلسي مبتدئاً من خليج مكسيكو عبر مضيق فلوريدا . كان أول من شكّل قـوة الشرطة ، ونظّم مصلحة الاطفاء ، وأول من فكر في إرسال الصحف بالبريد ، وأول من نظّم دائرة تنظيف الشوارع .. أوجد الاعلانات التجارية ، وكان أول من استخدم الصور في هذه الاعلانات . اخترع المنظار ، وألّف كتاب الصلاة الملخص بالانكليزية . وكان أول من أدخل الاصلاحات على التهجئة الانكليزية ...

كان أول من اكتشف ان الهواء الخارج من الصدر لدى التنفّس سامّ ، وأول من أوجـد نظام التهوية . وهو ابو طب الاسنان الحديث . أسس الحزب الديمقراطي ، وظل رئيساً لولاية بنسلفانيا أربع مرات متوالية .. اكتشف ان البرق والكهرباء شيء واحد . وهو أول من وضع خريطة مفصلة لمجرى الزوابع الشمالية الشرقية ...

وبنيامين فرنكلين هو مخترع المدفأة المعروفة بمدفأة فرنكلين ، وقـد رفض أن يسجلها ويحتفظ بحقوقه المكتسبة لكي يتاح للجميع استخدامها . وهو صاحب فكرة قضيب الصاعقة ، وأول من قرر وجه الشبه بين البرق والكهرباء مستخدماً في تجاربه الطائرة المصنوعة من الورق .

وكان مبرزاً في السياسة ، فانتُخب عضواً في الكونغرس ، وعمل في لجان مختلفة أهمها اللجنة التي نيطت بها مهمة سن وثيقة اعلان الاستقلال . وفي اواخر العام ١٧٧٦ رحل الى فرنسا برفقة دجون هاي ودجون آدمز لمفاوضة أركان الدولة الفرنسية في عقـد معاهدة تحالف ، فأحبه الفرنسيون لخفة روحه ونباهته . وتوطدت العلاقات بينه وبين السيدة هلفيتيوس ، فتبادلا الاعجاب ، وطلب يدها ، ولكنها رفضت الزواج به احتراماً لذكرى زوجها الفيلسوف الراحل . ولم يكن اخفاقه في هذا الميدان ليؤثر في نجاح مهمته السياسية .

وصفه الفيلسوف الفرنسي فولتير بأنه « المجيـد الحكيم » ، ووصفه الكثيرون بأنه « سفير الانسانية » ...

وفيما يلي رسالة كتبها فرنكلين الى السيدة هلفيتيوس تدلّ أبلغ دلالة على خفة روحـه :

« لم استطع الصمود أمام القرار القاسي الذي اتخذتِه البارحة ، فانسحبتُ الى غرفتي ،

وتهالكت على الفراش محاولاً تناسي فراقك بالنوم .

ان عقدك النية على البقاء أرملة طوال أيامك الباقية احتراماً لذكرى المرحوم زوجك لضربة قاسية تسددينها الى صميمي. ولكني رأيت فيما يرى النائم انني انتقلت الى العالم الآخر.

وسُئلت عما إذا كنت أرغب في رؤية شخص معيّن . فكان جوابي : أريد أن أرى الفلاسفة !

ــ هناك فيلسوفان يقيمان في طرف هــذه الحديقة . وهما صديقان يقيمان هنا على أحسن حال .

ــ ومن يكون هذان الفيلسوفان ؟

ــ انهما سقراط الحكيم ، وهلفيتيوس !

ــ لا بأس بهما ، فأنا اقدرّهما كليهما ، ولكن دعني أقابل هلفيتيوس أولاً . فأنا أتكلم الفرنسية قليلاً ولا أعرف من اليونانية حرفاً .

ودُلت على المكان الذي يقيم فيه الفيلسوف الفرنسي ، فلم يكد نظره يقع عليّ حتى هشّ لي وبشّ ، واستقبلني أحسن استقبال ، ورحّب بي كثيراً قائلاً انه عرفني لأنه رآني من قبل . وألقى علي ألف سؤال وسؤال تتعلق بالحرب ، وبالحالة الدينيــة الراهنة ، وبالحرية ، وبنظام الحكم وسيره في فرنسا . وكان السؤال الأول الذي ألقيته على مسامعه :

ــ ولكنك لم تسألني عن صديقتك العزيزة ، وشريكة حياتك السيدة هلفيتيوس ، بالرغم من أنها تحبك حباً ما بعده حب . فقد كنت وإياها لساعة من الزمن !

فتنهّد وقال :

ــ أواه ! انك تعيد اليّ ذكريات سعادتي الماضية التي يجب أن يتناساها المرء في هــذا العالم لكي يكون سعيداً هنا . كنت لا أفكر في سواها طوال سنين ، حتى تعزيت عنها... فقد اتخذت لي زوجة أخرى اجتهدت في أن تكون صنواً لها . ليست جميلة ولكنها خفيفة الروح ، طيبة القلب ، حسنة الطوية . وأعلم ان همها الوحيد هو توفير السعادة لي .

قلت : ولكن زوجتك ، على ما يبدو لي ، أكثر وفاء منك ، وأشد اخلاصاً لذكراك . فقد أقامت على احترامك في مماتك اقامتهــا على ذلك في حياتك ، وردّت الكثيرين من الخطّاب . وها أنا اعترف لك بأنني احببتها حباً جماً ، وطلبت يدها ، ولكنها قست عليّ وخيبتني .

فتبسم وقال : اني أرثي لحالتك بكل اخلاص ، فهي امرأة كيّسة ، طيبة القلب ،

ومحبة. ولكن بربك قل لي، وأصدقني القول، أما يزال الكاهنان دو لاروش وموريليت يزورانها ؟

– صدق حدسك، فجميع اصدقائك ظلوا على ما كانوا عليه من صداقتهم لكما، ولم يغيّر رحيلك الى العالم الثاني هذه الصداقة في شيء.

وما هي إلا لحظات حتى دخلت علينا السيدة هلفيتيوس الجديدة تحمل الى «زوجها» الثمر والرحيق اللذين طلبهما. فدهشتُ، وفركتُ عينيّ لأنني عرفت في المرأة التي وقفت أمامنا زوجتي السيدة فرنكلين! قلت لها: أنتِ لي، فما بالك تضحين زوجة الفيلسوف هلفيتيوس ؟

فأجابتني ببرودة متناهية:

– كنت زوجتك الطيبة مدة تسع وأربعين سنة وأربعة أشهر، أو ما يقارب نصف قرن من الزمن، أفلا يكفيك هذا الوقت الذي عشناه معاً ؟ أما هنا فقد تعرّفت برجل آخر، وربطت مصيري بمصيره الى الابد!

الحق يقال انني صعقت لدى سماعي هذا الرفض يأتيني من «يوريديس» زوجتي المتوفاة. فصممت أن أطرد عني هذه الأوهام وأعود الى هذا العالم الجميل لأمتع نظري بك وبالشمس المحيية!

ها أنذا... لنثأر معاً!»

دجيمس وات

JAMES WATT

إذا نحن قدّرنا الإنسان بالاعمال المفيدة والخدمات التي يسديها لبني جنسه لكان دجيمس وات في طليعة الرجال الخالدين بأعمالهم التي نفعت الانسانية والحضارة. ومَن يراجع سيرة هـذا المخترع الاسكتلندي يتحقق من صحة المبدأ القائل ان المعرفة قوة، كما يتحقق من أن الدأب والمواظبة هما السلّمُ المؤدي الى المعرفة. ومن رام بلوغ ذروة هذا السلّم وجب عليه أن يرقاه خطوة خطوة، بالكد، والجهد، والتعب.

أبصر دجيمس وات النور في غرينوك في أول كانون الثاني سنة ١٧٣٦، وكان ابوه

صانع قوالب وتاجر شمع يتعاطى هذه التجارة مع السفن في غرينوك ، ويعمل كذلك ببناء السفن ...

كان في صباه نحيل البنية ، هزيلاً ، سقيماً ، لم يستطع الذهاب الى المدرسة ، فتلقّى مبادىء التعليم في البيت أول الأمر .. علمته أمه القراءة ، وعلمه والده الخط والحساب . وقد تميز منذ حداثته بالخصائص العلمية وفي طليعتها تفحّص الحقائق ومراقبتها الى أقصى حد. ولم يكن سوء صحته ليصرف عقله عن العمل الدائب المتواصل .

ظهر ميله الى علم الميكانيك منذ نعومة أظفاره . فقد كان يصنع الدمى الصغيرة ، والآلات الكهربائية ،موسعاً بذلك دائرة معارفه دون أن يتلقّن أي دروس على يد أي استاذ .

يروى عن دجيمس وات أنه كان جالساً ذات مساء مع عمته الى مائدة الشاي يتلهى بغطاء ابريق الشاي والفناجين ... فبادرته عمته قائلة :

ـ أنا لم أرَ ولداً كسولاً مثلك يا دجيمس .. خذ كتاباً واقضِ وقتك بما يعود عليك بالفائدة والنفع . فانك لم تفه بكلمة منذ ساعة ، ولم تهتم الا برفع غطاء الابريق واعادته الى مكانه ... وتارة ترفع فنجاناً فوق البخار ، وطوراً ترفع ملعقة .. ينبغي لك أن تخجل من إضاعة وقتك على هذا النحو ! ..

ولكن لم تكن عمته تدري ان دجيمس كان منهمكاً بعمل تجربته الأولى في قوة البخار ، هذه القوة التي يعود اليه الفضل في اكتشافها .

وشبّ دجيمس فأكبّ على دراسة العلوم .. علم الهندسة والنبات ، وطبقات الأرض ، والكيمياء ، والجراحة ، والتشريح . ودرس اللغتين اليونانية واللاتينية . سوى ان علم الميكانيك كان يستأثر بجلّ اهتمامه .

كان على جدّة ذكائه ، وتضلّعه بشتى العلوم ،وديعاً ، بعيداً كل البعد عن الغرور والاعتداد بالنفس ، يحترم معارف الآخرين ويقدّرهم حق قدرهم . وقد قيل فيه : **كان لدجيمس وات هوايات كثيرة ، واصدقاء أكثر !**

عمل في مطلع حياته لدى صانع آلات في لندن ، ثم عاد الى اسكتلندا حيث عُيّن في جامعة غلاسكو مركباً للآلات الهندسية ، وقد تم اختراعه للآلة البخارية خلال تمرّسه بهذا العمل .

كتب أحد اصدقائه بعد وفاته في ١٩ آب ١٨١٩ ، بالقرب من بلدة برمنغهام ، يقول

إنه يصعب تقدير قيمة الفوائد التي جنتها البلاد من اختراعه . فقد تضاعفت وسائل راحة الشعب ، وأتيح للجميع أن ينعموا ، في مختلف انحاء العالم ، بالمواد الكفيلة بتحقيق الثروة.

كان وات نفسه رجلاً فقيراً ، أقام شركة مع أحد الرأسماليين أنشأت مصنعاً بالقرب من برمنغهام لصنع المحركات التي اصبحت في نهـــاية القرن الثامن عشر رائجة رواج الطواحين الهوائيــة .

هويـــتني

ELI WHITNEY

مخترع آلة حلج القطن ايلي هويتني (١٧٦٥ — ١٨٢٥) رأى القطن للمرة الأولى عندما لبّى دعوة لزيارة مزرعة للقطن في جيورجيا . درس الحقوق في جامعة ييل الاميركية ، وتخرّج سنة ١٧٩٢ ، ولكنه كان دائماً ميالاً الى الشؤون الميكانيكية ، ماهراً فيها . **وبدلاً من ممارسته المحاماة شرع في صنع آلة لحلج القطن** . وقد استطاعت أول آلة صنعها بيده تنظيف زهاء ٢٥ كيلوغراماً من النسل في اليوم الواحد. وسُجل هذا الاختراع في ١٤ آذار ١٧٩٤ ، وتأسس أول مصنع لانتاج آلات الحلج في نيوهافن بولاية كونيتيكت . ولكن الطلب على هذه الآلات كان شديداً فلجأ هويتني الى الحدادين لمساعدته في صنعها .

واكتنف الامتياز المعطى لصنع المحالج الكثير من المشاكل والمخالفات مما أكره هويتني سنة ١٧٩٨ على التحوّل عن هذه الصناعة الى إنتاج الأسلحة النارية . **وهو الذي أدخل على الصناعة فكرة تقسيم العمل في المعامـــل والمصانع ، وانتاج القطع الموحدة الشكل والنموذج ...**

مُورس

SAMUEL FINLEY BREESE MORSE

أظهر صموئيل مورس (١٧٩١ — ١٨٧٢) وهو يدرس في جامعة ييل الاميركية التي تخرّج فيها سنة ١٨١٠ ميلاً شديداً الى الكهرباء مع ان نشاطـه كان محصوراً في فن الرسم الذي برع فيه . وقد كان يُعدّ نفسه لامتهان التصوير بعد أن ظفر بشهرة عالمية فيه وهو في

الثانية والعشرين من عمره حين اختيرت صورة رسمها جُعلت بين الصور التسع الممتازة التي فازت بين ألفي صورة عُرضت في الاكاديمية الملكية في لندن.

كان مورس أحد مؤسسي الاكاديمية القومية الاميركية للرسم ، وقد ترأسها حوالي عشرين سنة . وقد مجّد ذكره متحف متروبوليتان للفن في نيويورك سنة ١٩٣٢ باقامة معرض خاص برسومه ،وذلك لمناسبة مرور ستين سنة على وفاته.

ومما يُذكر أن احدى الفتيات اللواتي كن يعملن نماذج في محترفه وصفته بما يلي : « كان قبلة أنظار الصبايا في نيويورك مع أنه أرمل ، له ثلاثة أولاد ، وقد بدأ الشيب يدبُّ في رأسه ! »

في سنة ١٨٣٢ ، وبينما مورس عائد على ظهر احدى السفن من رحلة الى اوروبا ، سمع بأنباء اختبارات جرت في فرنسا تم فيها نقل الكهرباء على مسافات طويلة . وأبدى أحد اصدقائه ملاحظة قال فيها : « ما أروع أن ترسل الانباء بهذه الطريقة ! » وكان جواب مورس : « ولم لا ؟ » وقد انصرف طوال رحلته الى التفكير في هذه القضية . فأوجد **قانون مورس** لارسال البرقيات ، وصنع اخيراً الجهاز الذي يقوم على أساسه **التلغراف اللاسلكي** . وكان يصنع التصاميم بنفسه . وفي ٢ أيلول ١٨٣٧ عرض جهازه هذا في جامعة مدينة نيويورك حيث كان استاذاً لفن التصميم مع أنه كان قد توقف عن الرسم . وقد اهتم بهذا الاختراع أحد صانعي النحاس والحديد في نيو دجرزي ويدعى **ألبرت فايل** فاشترك مع مورس في مشروعه هذا . وطلب مورس تسجيل هذا الاختراع في انكلترا وروسيا فرُفض طلبه ، ولكنه وفّق الى الحصول على موافقة الحكومة الفرنسية التي استأثرت بالاختراع فيما بعد دون التعويض على صاحبه . وفي سنة ١٨٤٣ اقترع الكونغرس على منح مورس مبلغ ٣٠ الف دولار لمواصلة عمله . **وقد أقام مورس خطاً تجريبياً بين واشنطن وبالتيمور استُخدم للمرة الاولى في ٢٤ ايار ١٨٤٤ .**

وأدخل مورس الى الولايات المتحدة طريقة التصوير الفوتوغرافي التي ابتكرهــا الرسام والكيماوي الفرنسي لويس داغير . وقد سجل مورس كذلك آلة صنعها لقطع الرخام، وأجرى اختبارات في التلغراف اللاسلكي بواسطة اسلاك تحت مياه البحر.

وكان مورس أحد مؤسسي كلية فاسار للبنات في مدينة بوكيبسي بولاية نيويورك . وقد ظهر للمرة الاخيرة في المجتمع عندما ازيح الستار عن تمثال بنيامين فرنكلين في ساحة

المطبعة في نيويورك في ١٧ كانون الثاني ١٨٧٢ ، إذ توفي في ٢ نيسان من السنة نفسها .

وقد كتب مورس مرة يقول : « قيل لي مرارا إنني ولدت قبل مئة سنة بالنسبة الى الفنون في بلادي ! »

فلتون

ROBERT FULTON

يبدأ عصر الزوارق البخارية حقيقة صباح الجمعة ١١ آب ١٨٠٧ عندما تحرّك الزورق **كليرمونت** الذي اخترعه **روبرت فلتون** الاميركي (١٧٦٥ — ١٨١٥) صاعداً نهر هدسون ضد الريح والمد والجزر ، بسرعة خمسة أميال في الساعة . **وقد ذعر بحارة الكثير من السفن الشراعية لرؤيتهم زورقاً يسير بدون شراع .**

كان ميل فلتون في صباه الى دراسة الفن ، ولكن اثناء وجوده في أوروبا ملكت عليه حواسه فكرة الزورق البخاري ، فحوّلت كل اهتمامه الى هذا المشروع . **وكان اول زورق تجريبي سيّره في نهر السين ، في فرنسا** . إلا أن المحرك كان ثقيلاً ، فانشطر الزورق شطرين وغرق . وقد بنى زورقاً أمتن سنة ١٨٠٣ نجح بتسييره قليلاً قبل أن يدخل عليه التحسينات الضرورية ...

بعد هذا النجاح كرّس فلتون بقية حياته للاختراع . وفي سنة ١٨١٤ طُلب اليه بناء سفينة بخارية حربية . فكانت **فلتون** التي تُعتبر تحفة حياته الرائعة .

نوبل

ALFRED NOBEL

ألفرد برنار نوبل (١٨٣٣ — ١٨٩٦) مخترع الديناميت الاسوجي ، اوصى قبل مماته بتخصيص **خمس جوائز سنوية** تُمنح احداها للذي يعمل اكثر من سواه على تحقيق السلام وتثبيت دعائمه .

وُلد في استوكهلم ، وتعلّم في سان بطرسبرج (روسيا) ، وتدرّب على الهندسة الميكانيكية في الولايات المتحدة الاميركية . كرّس جهوده لدراسة المتفجرات ، وخاصة

النيتروغليسيرين . وقد حصل على براءة لصنع الديناميت سنة ١٨٦٢ . ويبلغ عدد **المخترعات المسجلة باسمه في انكلترا ١٢٩ اختراعاً .**

جمع نوبل من صنع الديناميت وسائر المتفجرات ، ومن استثمار حقول باكو البترولية ، ثروة طائلة . وقد اكد سنة ١٨٧٥ انه يشرف على ١٥ مصنعاً للتفجرات بينها عدد في اميركا . وفي اواخر حياته عمل في مختبر في سان ريمو ، بالقرب من نيس في فرنسا ، حيث توفي تاركاً ثروته الكبرى **لجوائز نوبل .**

ولكن قلّ من يعرف انه لم يقدم على هذا العمل من تلقائه ، اذ كان للمرأة يد في مشروعه الانساني هذا .

وجد نوبل نفسه ذات يوم ولا سكرتيرة له ، وبعد البحث عن فتاة ذكية ومخلصة وجد ضالته في فتاة تدعى **برت كنكي** التي سرعان ما بدت انها رزينة ، موفورة النشاط ، سريعة البديهة . وكان في الثالثة والاربعين من عمره فاذا بقلبه يخفق بحب هذه الفتاة . فطلب يدها سنة ١٨٧٧ ملوحاً لها بثروته الطائلة ، فرفضت طلبه لانها كانت قد خُطبت للنبيل النمسوي **آرتور دو سوتنر** ، الذي كانت تدرّس شقيقيه قبل التحاقها بالعمل لدى نوبل . وكان قد تم بين الخطيبين الاتفاق على الانفصال مدة ثلاث سنوات يمتحنان خلالها حبها المتبادل .

ولم تجدد برت عقد العمل هذا لان خطيبها ارسل في طلبها ، فتوسل اليها الصناعي الاسوجي ان تعود الى استوكهلم بعد زواجها ، فوعدته بذلك .

كان خطيبها رسولاً من رسل السلام في اوروبا ، فاعتنقت برت المبادىء التي يقول بها وانطلقا يبشّران بانجيل الاخاء والمحبة على ضآلة مواردهما وضعف بنية الزوج . وتذكرت برت نوبل وعطفه عليها ، فمضت وزوجها الى استوكهلم ، ففتح لهما نوبل قصره وخزانة امواله مدفوعاً بحبه الذي لم يطفئه زواج السكرتيرة الحسناء . وما لبثت ان اقنعت نوبل بنبل الرسالة التي تضطلع بها وزوجها ، فتحمس لها وشجعها بكل ما يملك دون ان يتظاهر بتأييدها كيلا يسخر منه العالم الذي يعرف جيداً انه صاحب المعامل الكبرى لصنع المتفجرات .

وذات مرة قالت له برت ان بوسعه ان يخدم قضية السلام ميتاً كما يخدمه حياً ، وذلك بتخصيص جوائز سنوية للذين يؤدون خدمات بارزة لهذه القضية ، مذكرة اياه بانه في مساعداته لها حتى ذلك الوقت انما يساهم في نصرة السلام . واحمرّ وجهه وقال بلهجة كئيبة :

– كل ما في الامر انني اضع باقة زهر صغيرة على ضريح حب قديم !

وفي سنة ١٨٩٦ توفي ألفرد نوبل بعد أن انشا جوائزه الشهيرة .

وعاشت برت دوسوتنر حتى سنة ١٩١٤ ، وتوفيت قبل نشوب الحرب العالمية الاولى بأسبوعين اثنين ...

كوخ

ROBERT KOCH

في المستشفى اليوناني بالاسكندرية غرفة مغلقة لا يعلم سرها إلا القليلون ،وقد لا يعلم الكثيرون خطرها من الوجهة التاريخية .

تحتوي تلك الغرفة مكتباً واجهزة كيماوية وميكروسكوباً وادوات اخرى خاصة بالابحاث الميكروبية . وقد عُلقت صورة **العلامة الالماني كوخ** (١٨٤٣ – ١٩٠١) على احد جدرانها .

فما هو سر تلك الغرفة ، وما هو خطرها من الوجهة التاريخية ؟

سر هذه الغرفة هو ان كوخ اكتشف فيها ميكروب الكوليرا في سنة ١٨٨٢ . وخطرها من الوجهة التاريخية هو ان اكتشاف هذا الميكروب قد جعل تشخيص هذا الوباء ممكناً ومكافحته والوقاية منه مستطاعة ويسيرة . فلا جرم إن حافظوا عليها باعتبارها من الآثار العلمية . ولا جدال في أن محتوياتها لا تُقدّر بثمن.

على انه اذا كانت الغرفة فذة بين مثيلاتها فان ميكروب الكوليرا هو الآخر فذ بين الميكروبات ، لا من حيث فتكه ، بل من حيث الخصومة التي استفحلت حول اكتشافه . فبعد ان اكتشف كوخ ميكروب الكوليرا في الاسكندرية عاد فاكتشفه في همبورغ لما تفشى وباؤها هناك ، لكنه لم يذع اكتشافه بصفة رسمية إلا في مؤتمر سنة ١٨٨٤ .

وما كاد يذيع اكتشافه حتى تصدى له **العلامة بتنكوفر** وتلميذه فزعما ان كوخ واهم، وان الكوليرا تتسبب عن ميكروب آخر .

فردّ عليهما كوخ مؤكداً انه على صواب ، وانه اجرى تجارب تؤيد تأييداً ماثلاً للعيان ان الكوليرا تتسبب عن الميكروب الذي اكتشفه وهو **ميكروب يشبه « الواو »** **او علامة « الفركول » الفرنسية .**

فطلب منه بتنكوفر الدليل ، قائلًا انه ربما اخطأ في تجاربه ويجب ان يقوم بها امام الحاضرين .. فردّ عليه قائلًا : لست في حاجة الى اجراء التجارب مرة ثانية امامكم . فمعي الآن كمية كبيرة منها فاذا كنتَ تنكر انها تسبب الكوليرا فها هي امامك اشربها في كوب ماء وانت المسؤول عن النتيجة .

فقال بتنكوفر : هات ما عندك من الميكروبات المزعومة فسأشربها . وانا واثق من أنها لن تصيبني بمكروه .

فوضع كوخ قليلًا من الميكروبات التي رباها في كوب ماء ، فتناولها منه بتنكوفر وشرب نصف الكوب واعطى الباقي لتلميذه فشربه . وانفضّ الجمع على ان يعقدوا جلسة اخرى بعد سبعة ايام ليروا ماذا تكون النتيجة ، وخرج بتنكوفر وتلميذه وهما واثقان من النجاة . وما هي إلا ثلاثة ايام حتى اصيب بتنكوفر وتلميذه باسهال يشبه اسهال الكوليرا تماماً ، وارتفعت حرارتهما ، وبدت عليهما اعراض الكوليرا كلها .فاسعفوهما بالعلاج اللازم ، فنجا بتنكوفر ومات تلميذه .

وقد قرر اعضاء المؤتمر في الجلسة التي عقدت بعد اسبوع أن الكوليرا تتسبب عن الميكروب الذي اكتشفه كوخ .وكانت الموافقة بالاجماع ، الا بتنكوفر فانه اصر على ان ميكروب الكوليرا لم يُكتشف بعد .

ومات بتنكوفر وهو يكذّب كوخ مع ان العالم كله آمن باكتشافه ميكروب الكوليرا .

ولكوخ أبحاث قيّمة في داء السل الذي اكتشف جرثومته .

إديسون

THOMAS ALVA EDISON

يقف توماس الفا اديسون (١٨٤٧ — ١٩٣١) في الذروة وحده في تاريخ العلوم التطبيقية . **وقد سجلت باسمه ١٢٠٠ براءة اختراع ، وقدّرت احدى لجان الكونغرس ذات مرة قيمة اختراعاته بمبلغ ١٥ مليون ونصف المليون من الدولارات . وهو يفسر نجاحه وشهرته كما يلي : « اثنان بالمئة وحي والهام و٩٨ بالمئة عرق وجدّ وجهد !»**

ومن اشهر اختراعاته الآلة الكاتبة ، والفونوغراف ، والمصباح الكهربائي ، وآلة

تصوير سينائية ، وجهاز لاقــط للراديو . وقــد اتاح اكتشافه مفعول اديسون صنع الانبوب الالكتروني الحديث الذي تقوم عليه مبادىء الاذاعة اللاسلكية (الراديو)، والتلفون على مسافات طويلة، والصور الناطقة (السينما) ، والتلفزيون،والعين الكهربائية، والاشعة المجهولة (اشعة ايكس) ،وسوى ذلك من المخترعات ... وقد عمــل في اواخر حياته في انتاج المطاط الصناعي ...

تزوج مرتين ، ورُزق ستة اولاد اصبح احدهم ، تشارلز ، حاكمــاً لولاية نيو دجرزي .

كان اديسون ضعيف الذاكرة لا سيا في شبابه.. ففي المدرسة كان ينسى كل ما يتعلمه، ولذلك كان دائماً يأتي في مؤخرة زملائه من حيث الدرجة .

ويئس منه اساتذته ، وصرحوا بأنه خفيف العقل أبله ، لا فائدة من تعليمه ، أما الاطباء فتكهنوا بأنه مصاب بمس ، نظراً لشكل رأسه الغريب .

والواقع ان إديسون لم يقضِ في المدرسة سوى ثلاثة أشهر طوال حياته ، وتولت والدته تعليمه في البيت فكان عملها رائعاً ، إذ بدّل إديسون وجه العالم الذي نعيش فيه . .

وازدادت ذاكرة اديسون قوة على مرّ الايام ، لا سيّا في الشؤون العلمية ، فكان يحفظ عن ظهر قلب كل الحقائق العلمية التي تزخر بها المجلدات الضخمة في مكتبته الخاصة . وكان ذا قدرة على حصر تفكيره في الموضوع الذي يشغله من دون سواه.

وذات يوم — وكان منهمكاً في حل معضلة علمية — اضطر للذهاب الى المحكمة ليؤدي ما عليه من ضرائب ، ولبث وقتاً غير قصير واقفاً في « الصف » منتظراً دوره ، فلما جاء دوره لم يتذكر اسمه .. ولحظ أحد الواقفين بجانبه ارتباكه ، فذكّره بأن اسمه توماس إديسون .

وقد صرح وقتئذ بأنه لم يكن ليستطيع تذكر اسمه ، حتى لو كانت حياته معلقة على ذلك .

اعتاد اديسون أن يمضي الليل وهو يعمل في مختبره ، وفي صباح يوم من الايام ، وكان ينتظر افطاره ليأكل،إذا به يستسلم للرقاد. فأراد أحد مساعديه أن يمازحه ،فوضع أمامه على المائدة الطبق وعليه الصحون الفارغة ، بعد أن أكل هو طعامه ... ولما استيقظ اديسون رأى الصحون الفارغة ، وفنجان القهوة الفارغ ، وكسرات الخبز ، فظن أنه أكل قبل أن

ينام ... فتراجع قليلاً عن المائدة ، وتناول سيكارا فأشعله ، ثم انصرف الى عمله دون أن يخامره الشك في شيء .. ولم يدرِ حقيقة ما حدث إلا بعد أن انفجر مساعدوه ضاحكين .

بــل

ALEXANDER GRAHAM BELL

ما أن أنهى **مخترع التلفون** ، الكسندر غراهام بل (١٨٤٧ – ١٩٢٢) ، دروسه في جامعة ادنبره بانكلترا حتى تلقى دروساً في التدريب على معالجة عوائق النطق على يـدي والده ، فكان ذلك ذخيرة له في الاطلاع على دقائق الصوت البشري ، واهتزازاته ، ونبراته مما كان له أكبر العون في اكتشافاته الكهربائية .

رحل بل الى اميركا سنة ١٨٧١ حيث اصبح استاذاً لفيزيولوجية الصوت في جامعة بوسطن التي تحوّل فيها كل اهتمامه الى اللاسلكي . وقد تبيّن له أن أسلاك التلغراف تنقل الصوت . واختار بل معاوناً له هو **توماس واطسن** الذي كان يصنع ادوات كهربائية من الافكار التي كان يزوّده بها . **وقد أبصر التلفون النور في ٢ حزيران ١٨٧٥** . كان واطسن يعمل في غرفة ، وبل في غرفة اخرى عندما طرق سمعها صوت غريب . وعلى الفور استدعى بل معاونه وطلب اليه أن يصنع بأسرع وقت ممكن آلة لنقل الصوت بعد أن حدّد له المواصفات الجديدة . **وكانت النتيجة التي ظهرت بعد عشرة أشهر – علبة سيكار عتيقة وسلك طوله ٢٠٠ قدم وقطعتا مغنطيس – أول تلفون ناطق . وقد استعمل بل وواطسن هذا النموذج نفسه بعد اربعين سنة في أول حديث تلفوني بين نيويورك وسان فرنسيسكو .**

وحصل على براءة لاختراعه واستثماره ، فبات عليه أن يروّجه .. فراح يلقي سلسلة من المحاضرات مع القيام بالتجارب العملية أمام المشاهدين لتنوير الشعب حول امكانيات اختراعه هذا . فلم تمض سنة واحدة حتى نجح في جعل التلفون عملياً من الناحية التجارية . وفي أقل من سنة اعطى هذا المشروع المساهمين فيه أكثر من ٢٠٠٠ دولار لقاء كل دولار استثمر في الاصل في مشروع التلفون .

وفي سنة ١٨٨٠ منحت الحكومة الفرنسية بل **جائزة فولتا** وقدرها ١٠ آلاف دولار ، واتبعتها سنة ١٨٨٢ بصليب جوقة الشرف . فاستخدم هذا المخترع المبلغ لتأسيس **مكتب**

فولتا في واشنطن لدراسة الصمم .

ومن اختراعاته « الفوتوفون » – وهو اساس الافلام الناطقة الحديثة – و « الغرافوفون » الشبيه بالغراموفون أو الفونوغراف (الحاكي) ، وجهاز لتحديد مكان الرصاص أو سائر المواد الصلبة التي تدخل الجسم البشري .

تزوج بل من مايبل هابارد ، إبنة أحد معاونيه وشركائه المخلصين ، وكانت وفاته في ٢ آب ١٩٢٢ عن خمسة وسبعين عاماً ...

تسيولكوفسكي

CONSTANTINE TSEOLKOVSKI

هذا العالم الروسي الذي قضى حياته في البحث عن وسائل السفر الى الكواكب، وقاوم الاضطهاد والعنت ، وعاش في أسوأ الظروف ، ولد سنة ١٨٥٧ في قرية أزيفسكايا . وفي مدينة كالوغا منزل يقوم الآن على حدودها ، وعند شارع ينحدر الى ضفة نهر اوكا ، يحمل لوحة نحاسية نقشت عليها هذه العبارة :

« هنا عاش وعمل كونستانتين تسيولكوفسكي ، العالم المخترع ، مؤسس نظريات الصواريخ ، والرجل الذي تنبأ بأن الطائرات النفاثة ، وسفن الفضاء ، وقطارات الصواريخ ، والاقمار الصناعية ، لا شك ستتلو الطائرات ذات المحرك التوربيني . »

كان والده حطاباً، وقد اصيب بالصمم منذ طفولته نتيجة مرض ثقلت عليه وطأته. فلم يتمكن من متابعة الدروس في المدرسة ، فراح يعلّم نفسه بنفسه ، ويطالع كل ما تقع عليه يده من كتب. ولما نزح الى موسكو جعل يقضي وقته في دور الكتب العامة مستزيداً من العلم حتى اصبح استاذاً للرياضيات والطبيعيات ، في مدينة بورفسك ، ثم في كالوغا التي بقي فيها حتى وفاته .

ملكت عليه فكرة الطيران بعيدا عن جاذبية الارض كل مشاعره وهو بعد في السادسة عشرة من سنيه .

وقد بدأ اثناء اضطلاعه بالتعليم العمل الجدي في الابحاث العلمية التي اوصلته الى اكتشافات في حقول الطيران والصواريخ والسفر بين الكواكب والجيوفيزياء . وقد صنع بنفسه كل الادوات التي يحتاج اليها في اختباراته لانه كان فقيراً معدماً .

ومن أبرز مؤلفاته « الفضاء » و « كشف غوامض الفضاء باستعمال آلات تطير بالقوة النفاثة » . والعالم اليوم يعرف الكثير عن ابحاثه القيّمة مثل « سفينة الفضاء » ، و « المحرك النفاث » أو « الطائرة النفاثة » ، و « الطائرة الصاروخية » ، و « مركبة الفضاء » ... ويرجع الفضل الى تسيولكوفسكي في وضع تصميم اول صاروخ ...

« واهم أعمال هذا العالم العبقري ، الصاروخ ذو المراحل ، وقطارات الصواريخ ... ومشروعه للصاروخ ذو المراحل المتعددة ، الذي قدّمه سنة ١٩٢٩ ، هو الاساس الذي قام عليه الصاروخ عابر القارات ، الذي حمل القمرين الصناعيين اللذين اطلقتها روسيا أخيراً . والواقع أن الأقمار الصناعية هي الخطوة الحقيقية الاولى في سبيل حل مشكلة السفر الى الفضاء . »

زامنهوف

LUDOVIC ZAMENHOF

في الخامس من كانون الاول ، لحوالي ثمانين سنة خلت ، أقام جماعة من الطلاب الشباب في فرصوفيا ، عاصمة بولونيا ، حفلة تذكارية . وكان المحتفى به شاباً لم يتجاوز العقد الثاني من العمر يدعى **لودوفيك زامنهوف** . لم تكن الحفلة لمناسبة عيد ميلاد الشاب ، بل لمناسبة ولادة اللغة التي ابتكرها ، وهي اللغة التي اطلق عليها فيا بعد اسم **« اسبيرنتو » — اللغة العالمية** .

خطرت الفكرة للودوفيك زامنهوف وهو بعد حدث غرّ . فقد كانت بلدة بيالستوك التي أبصر فيها النور سنة ١٨٥٩ مسرحاً لنزاعات ومشاحنات كثيراً ما كانت تؤدي الى معارك حقيقية تسيل فيها دماء المتشاجرين من الروس والبولونيين والليتوانيين والالمان وسواهم . وسرعان ما أدرك لودوفيك الصغير ان السبب في اثارة هؤلاء واشتجارهم يعود في الدرجة الاولى الى سوء التفاهم الناشىء عن جهل فريق منهم لغة الفريق الآخر . وهكذا راح يحلم ، ليل نهار ، بايجاد لغة عالمية يكون تعلّمها سهلاً على الجميع .

كان لودوفيك في المدرسة طالباً نجيباً ، حاد الذكاء ، ولوعاً بتعلم اللغات على اختلافها ، وكثيراً ما كان يتساءل : هل بالامكان بعث احدى اللغتين الكلاسيكيتين الاغريقية واللاتينية لتحقيق الغاية المنشودة ؟ ولكن كلتا اللغتين قديمة وصعبة . فانتقل الى اللغات

الحديثة باحثاً عن ضالته المنشودة ، فما عتم أن أدرك أن اختيار لغة من اللغات الحية سيجر حتماً الى منازعات دولية حادة وتبقى المشكلة هي اياها . ذلك بأن الامم ، كالافراد ، يغار بعضها من البعض الآخر . فاذا استعملت لغة أمة من دون اللغات الاخرى قامت قيامة الامم الاخرى . فلم يبق أمام لودوفيك الا ابتكار لغة جديدة يرضى عنها الجميع .

حبس البولوني الشاب نفسه في غرفته وانصرف الى درس موضوع اللغة العالمية . وظل معتكفاً الى أن لمح بصيصاً من النور يضيء له السبيل المظلم الذي سلكه . فقد اكتشف بفضل انكبابه الطويل على دراسة اللغات الحية ، كلمات مشتركة في عدد من الالسن تتشابه منها الاشكال المألوفة لكل معنى من المعاني ، فأدخلها في لغته الجديدة ، وراح يتهجأ كل كلمة تهجئة صوتية .

واكتشف كذلك انه ليس من الضروري تعلّم صرف هذه اللغة ونحوها للتضلع منها . وهكذا انتهى الى وضع ستة عشر قانوناً اساسياً تفي بالاغراض اللغوية جميعاً . وبدلاً من أن يضع قاموساً ضخماً لمفردات اللغة العالمية وضع حروفاً تضاف الى اوائل الجذور واواخرها . وتم له انهاء هذا المشروع الحيوي وهو بعد في التاسعة عشرة .

إلا أن زامنهوف لم ينشر صنيعه اللغوي هذا على الملأ وقتئذ ، فقد وقف والده حجر عثرة في سبيله ، ونصح له بنزع هذه الافكار الخيالية من رأسه واتخاذ مهنة من المهن الشريفة يكسب بها قوته . فذهب لودوفيك الى موسكو لدراسة الطب ، واقام فيها سنتين كاملتين عاد بعدهما الى فرصوفيا لان والده عجز عن امداده بالمال لانهاء دراسته الطبية . **ولكنه صُعق لدى رجوعه الى البيت إذ وجد والده قد احرق جميع المخطوطات والمستندات التي وضعها في لغته العالمية الجديدة . إلا أن هذه الصدمة لم تفت في عضده ، فجدد محاولته وأخذ بتحبير الاوراق مدوناً كل ما وعته ذاكرته من القواعد والقوانين التي تم له وضعها من قبل . وفي الوقت نفسه كان يدرس الطب بعناية ويجتاز الامتحانات بنجاح .**

بدأ لودوفيك بترجمة مقاطع من الكتاب المقدس وبعض المؤلفات الكلاسيكية القيّمة ، باذلاً جهده في المحافظة على جمال هذه المقاطع وهو ينقلها باللسان الجديد ، وكان يتلوها بصوت جهوري محاولاً أن يخلق لغة ذات رنة وايقاع موسيقيين ليسهل التكلم بها .

وعكف على التأليف نثراً وشعراً رغبة منه في مهر اللغة العالمية بالدم الجديد الضروري لحياتها ، وكان كل قصده أن تأتي لغة بسيطة التناول ، سهلة ، طبيعية لا تكلف فيها ولا تصنّع ، تجاري الاغراض البشرية . وكان يريدها ، فوق كل هذا ، جميلة لها أحسن

الوقع في السمع والنفس . ولم تنصرم السنة ١٨٨٦ حتى كان لودوفيك مستعداً لأن يفاجىء العالم باختراعه .

تخرّج في تلك السنة في كلية الطب طبيباً في أمراض العيون ، وما لبث أن تزوج . ولولا حموه لما اتيح له نشر كتابه في اللغة العالمية مشتملاً على قواعدهـا الاساسية في الصرف والنحو ، والتمارين ، والترجمات ، والمفردات الخ ...

وقد ظهر كتابه بالروسية ممهوراً بامضاء **الدكتور اسبيرنتو** ، ومعنى ذلك : الشخص الذي يأمل كذا وكذا .. وسرعان ما وجد هذا الكتاب طريقه الى الاوساط الفكرية التقدمية . ونشطت مراسلة بين لودوفيك زامنهوف وبعض اتباعه وبينهم الروائي الروسي الاشهر **ليو تولستوي** . واعيد طبع هذا الكتاب بالروسية . ثم نُشر بالبولونية والالمانية والانكليزية والفرنسية . **وتنازل المؤلف عن جميع حقوقه مهدياً اثره اللغوي الى العالم بأسره . وهكذا اصبحت اللغة العالمية ملكاً لكل من يود استعمالها .**

في السنة التالية نشر زامنهوف كتاباً آخر باللغة الجديدة ، فكثر اتباعه واشياعه ، وراح بعضهم يؤلف ويترجم باللغة العالمية هذه . وكانوا يتقابلون من آن الى آخر للتكلم بها . وفي سنة ١٨٨٩ صدرت الصحيفة الاولى بالاسبيرنتو في مدينة نورنبرغ الالمانية ، وتولى زامنهوف رئاسة تحريرها بعد بضعة عشر شهراً من صدورها . واخـذ عدد المتكلمين بالاسبيرنتو يتكاثر يوماً عن يوم بالرغم من المصاعب المالية التي كانت تعترض سبيل هذه اللغة الى النجاح . وظلت صحيفة زامنهوف تصدر بانتظام حتى العام ١٨٩٥ عندما منعت الرقابة الروسية دخولها الى البلاد ، وكانت سوقها رائجة رواجاً عظيماً في موطن القياصرة . وقد اعتمدت الرقابة الروسية تلك الخطة بعد أن أخذت الصحيفة تترجم مؤلفات تولستوي .

لم يرَ زامنهوف بداً من مزاولة مهنة الطب ، ولكنه سرعان ما وجد المداواة تكلف غالياً فيعجز الفقراء والعمال عن التداوي . فكان يعالج مرضاه مجاناً ويرفض أن يتقاضى أي أجر من المعوزين . وقد انصرف الى تقوية حركة الاسبيرنتو الناشئة في وقت فراغه .

وبعد أن قُضي على الاسبيرنتو في الامبراطورية الروسية تسابقت انكلترا وفرنسا الى احتضان هذه الحركة . وعطف على اللغة عـدد كبير من الكتّاب والمثقفين بينهم الصحفي الكبير وايكم ت. ستيد . وفي العام ١٩٠٤ صدرت صحيفة انكليزية خاصة بلغة الاسبيرنتو كانت لسان حال اتباع اللسان الجديد في الجزر البريطانية . وفي السنة نفسها عقـد انصار الاسبيرنتو مؤتمرين هامين ، تألف أولهما من انكليز وفرنسيين في ٧ آب في

مدينة كاليه ، والآخر في ٨ منه في مدينة دوفر الانكليزية . وقد قرر المؤتمرون بعد النجاح الذي لاقوه عقد مؤتمر دولي في أقرب وقت ممكن . وانعقد سنة ١٩٠٥ مؤتمر عام في مدينة بولوني الفرنسية وجرت المداولات بالاسبيرنتو .

كان ذلك في نظر زامنهوف حلماً يتحقق. ولم يكن المجتمعون، وقد بلغ عددهم السبعمائة، بأقل حماسة منه . وبالرغم من كون المؤتمرين من مختلف انحاء المعمور فانهم بدوا اخواناً وأخوات باستخدامهم الاسبيرنتو اداة للتفاهم. وقد تكلم كثير منهم بهذه اللغة للمرة الاولى، ونجح المؤتمر، وتوطدت جذور الاسبيرنتو في مختلف اقطار العالم.

ارتاح زامنهوف الى الثمار التي آتتها جهوده المتواصلة، وظل هو وانصاره يعقدون المؤتمرات الدولية منذ العام ١٩٠٠ حتى نشوب الحرب العالمية الاولى . وكان زامنهوف دائم التنقل بين كيمبريدج وجنيف ودرسدن وبرشلونه وانتويرب وبرن حيث كان يحتفى به ويُستقبل أحسن استقبال. وكان مقرراً أن يُعقد المؤتمر العاشر في باريس سنة ١٩١٤ ، ولكن نشوب النزاع العالمي الاول عامئذ حال دون ذلك . وعاد ابو الاسبيرنتو الى فرصوفيا يواصل العمل الضخم الذي بدأه وشرع يقطف ثماره . وهناك عكف على التأليف والنظم والترجمة باللغة العالمية . ومن آثاره الخالدة ترجمة العهد القديم من الكتاب المقدس عن الاصل العبري .

مرض زامنهوف ابان الحرب الكونية الاولى وهو بعد في منتصف العقد السادس . ولكن الحياة العقلية التي عاشها اثرت في صحته وانهكته . ومع ذلك ظل يعمل ويعمل من أجل السلم الذي كان يرجوه وشيكاً . **ولكنه قضى قبل ان تكتحل عيناه بطيفه ، وكانت وفاته في ١٧ نيسان ١٩١٧ ، فدفن في فرصوفيا نفسها . أما روحه فلا تزال حية في نفوس الكثيرين . وقد ادى الاسبيرنتو خدمات جلى للمسافرين ، والساسة ، والتجار ، ورجال الاعمال ، والعلماء ، والعامة على السواء .** وفي سنة ١٩٣٢ اصدرت عصبة الامم في جنيف تقريراً اوصت فيه باستخدام هذه اللغة العالمية ، كما درج مكتب العمل الدولي مذ ذاك على نشر تقاريره ومختلف نشراته بالاسبيرنتو اسوة باللغات الاخرى .

وتُدرّس هذه اللغة اليوم في بعض المدارس . وقد ظهرت بها كتب ، وروايات ، ودواوين شعرية ، ومسرحيات ، وافلام ، واناشيد . وقبل نشوب الحرب العالمية الثانية عمدت بعض محطات الاذاعة الى اذاعة فقرات من مناهجها بهذه اللغة المستحدثة . **وفي العالم اليوم مئات من المجلات والصحف اليومية تصدر بالاسبيرنتو . وهناك كتب خاصة**

بالعميان يستخدمها مكفوفو البصر في انحاء المعمور .

وفي العام ١٩٢٦ اعترف الاتحاد الدولي اللاسلكي بالاسبيرنتو لغـــة رسمية واضحة . **وتشير الاحصاءات الرسمية الى أن عدد الذين يعرفون هذه اللغة ويتفاهمون بها اليوم يربي على بضعة ملايين ...**

الأخوان رَايت

WILBUR & ORVILLE WRIGHT

منذ أكثر من نصف قرن جرى في ولاية اوهايو الاميركية حادث بدا تافهاً في ذلك الحين ، ولكنه سرعان ما قلب حياتي وحياتك وحياة البشر اجمعين رأساً على عقب .

ففي ذات يوم من مطلع هذا القرن دخل اورفيل رايت (١٨٧١ — ١٩٤٨) احدى دور الكتب في بلدة دايتون وتقدّم من أحد الرفوف وتناول مجلداً يتحدث عن **قصة رجل الماني يدعى ليلنتال تمكن من الطيران بواسطة « طائرة » ضخمة من « الطائرات » التي يصنعها ويلهو بها الفتيان .**

ملكت قصة ليلنتال على اورفيل مشاعره وبات ليلته ساهراً يفكر في ما قرأ .. ومـا لبث أن قصها على اخيه ويلبور (١٨٦٧ — ١٩١٢) ،واثار حماسته لقضيـــة الطيران . ومذذاك عكف الأخوان رايت على تحقيق فكرة بساط الريح،وانتهيا الى اختراع الطائرة التي خلدت اسميها .

لم يكن الأخوان رايت على علم كثير ، ولم يكن في حوزتهما أي شهادة مدرسية ، بل كان لديهما ما هو أهم من الشهادات .. كان لديهما الطموح ، وقوة الخيـــال ، وحب الابتكار .

زاولا منذ حداثتهما اعمالاً كثيرة وغير عادية ليكسبا معيشتهما ، ولكن فكرة الطيران كانت تمتلك عليهما تفكيرهما ، وتستأثر بالنصيب الاوفر من اهتمامهما . وكم صنعـــا من الطائرات الصبيانية وجرّبا التحليق بهـــا — أو بالاحرى النزول بها — من على قمة « أكمة الشيطان » في كيتي هوك ، من أعمال ولاية كارولاينا الشمالية ، حيث الريح مجرية مثقلة بالملح ، وحيث الرمال ناعمة كثيفة ، الى أن تسنى لهما بعد بضع سنوات تزويـــد احدى طائراتهما بمحرك من صنعهما .

وحددا يوم السابع عشر من كانون الاول سنة ١٩٠٣ موعداً للتحليق بطائرتها الجديدة، واجريا القرعة لمعرفة أي الأخوين سيقوم بالتجربة الخطيرة والخطرة في آن معاً ، فوقعت على اورفيل . فصعد الى الطائرة في ذلك اليوم القارس البرد دون أن يرتدي أي معطف خوفاً من زيادة حمولة الطائرة، في حين كان المتفرجون يرتعشون من شدة الصقيع ويرقصون ويقفزون ليدفأوا .

وفي تمام الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين حلقت الطائرة بأورفيل مرسلة أصواتاً غريبة مزعجة ونافثة اللهب من ناحية المحرك ، وأخذت تعلو وتهبط مدة اثنتي عشرة ثانية تاريخية حتى حطت على مسافة مئة قدم من مكان انطلاقها .

وكان ذلك حدثاً تاريخياً عظيماً ، ونقطة تحوّل في تاريخ الحضارة البشرية . ولكن الاخوين رايت كانا على جانب عظيم من التواضع . ويحكى أن ويلبور دس يده ذات يوم في جيبه ليتناول منديله فوقعت على الارض شريطة حمراء . فلما سألته شقيقته عنها اجابها بفتور ولامبالاة : « آه ، لقد نسيت أن اخبرك عنها.. انها شريطة وسام الاستحقاق الذي منحتني اياه الحكومة الفرنسية بعد ظهر هذا اليوم ! » وكانا شديدي التعلق بأهداب الدين، لا يطيران ايام الآحاد . وقد رفضا طلب ملك اسبانيا عندما رغب اليهما أن يصحباه في نزهة جوية في يوم أحد .

وعاشا عازبين لانهما – كما قال والدهما – لا يستطيعان الاهتمام بالزوجة والطائرة في وقت معاً ، وقد فضلا الطائرة ...

مَارْكُونِي

GUGLIELMO MARCONI

كانت الاختبارات جارية في الموجات الكهربائية – المغنطيسية، ولكن المخترع الايطالي غوغليلمو ماركوني (١٨٧٤ – ١٩٣٧) **هو اول من وضع التلغراف اللاسلكي على أساس تجاري عندما أوجد طريقة عملية لاستخدام هذه الموجات كوسيلة من وسائل المواصلات .** ففي سنة ١٨٩٥ أقام اتصالاً لاسلكياً على مسافات تزيد قليلاً عن الميل الواحد. ومذ ذاك وتاريخ عمل ماركوني يُظهر تقدّماً إثر تقدّم في سبيل استخدام اختراعه هذا على نطاق أرسع شيئاً فشيئاً .

وفي ٢ حزيران ١٨٩٦ حصل ماركوني في انكلترا على أول امتياز مُنح للتلغراف اللاسلكي على أساس استخدام الموجات الكهربائية . وفي السنة التالية ، ومن محطة أقامها في سبيتزيا في ايطاليا ، استطاع ماركوني أن يتصل بغواصة تبعد ١٢ ميلًا في البحر . وفي سنة ١٨٩٨ استُخدم التلغراف اللاسلكي للمرة الاولى للاتصال بين السفن والسواحل ، وظهرت فائدته في انقاذ الحياة البشرية في ٣ آذار ١٨٩٩ . وفي سنة ١٩٠٠ تم الاتصال عبر بحر المانش، واستُخدم اللاسلكي في المناورات البحرية . وكان أول استعمال عسكري للاسلكي خلال حرب افريقيا الجنوبية .

وفي ١٢ كانون الاول ١٩٠١ أرسل ماركوني وتلقّى اشارات لاسلكية عبر المحيط الاطلسي . وبعد سنة تلقت السفينة الاميركية « فيلادلفيا » برقيات من مسافة ٧٠٠ ميل نهاراً ، و ٢٠٠٠ ميل ليلًا ، مما أثبت أن الرسائل اللاسلكية يمكن تلقّيها ليلًا من مسافات أبعد . وفي سنة ١٩١٠ كانت البرقيات تُرسل على مسافة ٦ آلاف ميل . وقد تم في ٢٢ ايلول ١٩١٨ أول اتصال لاسلكي بين انكلترا واوستراليا . وبدأ ماركوني اختباراته بالموجات القصيرة سنة ١٩١٦ .

فاز ماركوني بجائزة نوبل في الفيزياء سنة ١٩٠٩ ، ونال في السنة نفسها مدالية ألبرت من الجمعية الملكية البريطانية ، ومداليتي فرانكلين ودجون فريتز من الولايات المتحدة الاميركية ، وعيّنه ملك ايطاليا عضواً في مجلس الشيوخ . وبعد الحرب العالمية الاولى التي خدم فيها في الجيش والبحرية ، حضر ماركوني مؤتمري السلام في لندن وباريس. ومُنح لقب مركيز سنة ١٩٢٩ ، وعُيّن عضواً في اكاديمية الفاتيكان بعد أن أتم سنة ١٩٣١ تركيب محطة اذاعة في عاصمة البابوية .

كامِل الصَبَّاح

« كان كامل الصبّاح يفخر دائماً أمامنا بلبنانيته وعروبته . — ان لكامل من المخترعات أكثر مما لأي مهندس آخر في شركة جنرال ايلكتريك . — الشركة تفخر بنبوغ الصبّاح وعبقريته . — لقد برهن الصبّاح أثناء عمله في شركتنا على انه من أعظم وألمع المفكرين والرياضيين في البلاد الاميركية ، وان وفاته خسارة عظيمة لعالم الاختراع . — كان الصبّاح

مهتماً في المدة الاخيرة بمشروع كهربة الولايات المتحدة بواسطة التيار المتواصل ، وقد أقنع جميع مهندسي الشركة بامكانية تحقيق هذا المشروع . — كان الصبّاح من المدرسة التي أعجبت بالانابيب الالكترونية فدرسها واستخدمها لمنفعة العالم . — كان الصبّاح بيننا كالمعلم بين أطفاله ، يلعب بآرائنا ونظرياتنا الرياضية كما يشاء . — كان الصبّاح الوحيد بيننا الذي تجرأ على مناقشة آراء آينشتاين الرياضية وانتقادها والتحدث عن النسبية كأنه آينشتاين نفسه . — دماغ الصبّاح يشتغل دائماً وهو يحوي قدر خمسة ادمغة . »

هـذا بعض ما قيل في المخترع اللبناني كامل الصبّاح الذي زادت اختراعاته عن السبعين ، سجلت معظمها شركة جنرال ايلكتريك الاميركية التي كان من كبار مهندسيها وعلمائها ، في دائرة التسجيل في واشنطن ، وفي معظم دول العالم .

وكان يجول في فكره اختراعان عظيمان لو لم يعاجله الموت هما : **التلفزيون (وقد عمل فيه منذ سنة ١٩٢٣ عندما دخل الشركة وكاد يعلنه لو لم يسبقه الى ذلك العالم الانكليزي بيرد) ، وتحويل نور الشمس الى قوة محركة وتيار كهربائي يقوم مقام البنزين والفحم في تسيير الآلات الميكانيكية** .. وقد بلغ ما انفقته الشركة على تسجيل هذا الاختراع ربع مليون دولار ...

أبصر كامل علي الصبّاح النور في النبطية في ٢٢ آب ١٨٩٤ من أبوين صالحين وبيتيّ علم وأدب .. معمّاً في بني الصبّاح ، ومخوّلاً في بني رضا ، من أسر النبطية المعروفة . فآل أبيه من أسرة ترجع بنسبها الى الشيخ الصبّاح امير الكويت الاول ، وتتحدر من سلالة يعقوب بن الصبّاح ، الفيلسوف الرياضي الشهير الذي عاش في أوائل الدولة العباسية . وقد أثرت التربية البيتية الصالحة في تكوين اخلاقه العالية . **وكان منذ حداثته ذكياً ، سريع الخاطر ، مولعاً بالحساب ، والشعر ، والفلك.**

دخل مدرسة النبطية الابتدائية سنة ١٩٠١ ، وقد درس الجبر والهندسة من تلقائه وهو بعد في الرابعة عشرة من سنيه . ثم انتقل مع الفئة المحظوظة من التلامذة الى بيروت حيث درس في المدرسة الاعدادية السلطانية (١٩٠٨) . وبقي فيها اربع سنوات ثم انتقل الى الجامعة الاميركية في بيروت فدرس الهندسة ، وقد ساعده على تحمّل نفقات الدراسة الاستاذ هال ، رئيس القسم الاستعدادي في الجامعة ، ضناً منه بمواهب هـذا النابغة.

ودُعي للجندية سنة ١٩١٦ فدخل الجيش التركي برتبة ملازم في سرية اللاسلكي في الاستانة . ثم نُقل في نهاية السنة نفسها الى غاليبولي بعد أن رقي الى رتبة ملازم أول وتسلم

قيادة مفرزة اللاسلكي بعد استقالة قائدها الالماني .

وبعـد أن وضعت الحرب أوزارهـا عُيّن استاذاً للرياضيات في المدرسة السلطانية في دمشق . ومن دمشق عاد الى بيروت بعد سقوط حكومة الملك فيصل الاول،فعيّن استاذاً للرياضيات في الجامعة الاميركية (في الصفوف الثانوية) . ولم يطل به المقـــام في بيروت فغادرها الى الولايات المتحدة ليلتحق بجامعة بوسطن (كلية العلوم لدراسة الهندسة الكهربائية) حيث قضى سنة واحدة ليغادرها الى جامعة ايلينويس لدراسة الرياضيات العليا . وقـد ظل يتابع دروسه في هذه الجامعة حتى ١٠ آب ١٩٢٣ عندما قرر دخول شركة جنرال ايلكتريك في نيويورك ، وهي من أعظم الشركات الكهربائية في العـالم . فبدأ عمله الشاق في هـــذه الشركة بمرتب اسبوعي قدره ١٧ دولاراً ، رُفع فيما بعد الى ٢٥ دولاراً .

وكانت نهاية هـــذا المخترع اللبناني في حـادث سيارة في ٣١ آذار ١٩٣٥ في مدينة شنكتدي الاميركية ، وهو بعد في الاربعين من عمره ، وفي ذروة مجده العلمي ، يسير من نصر الى نصر في حقل الكهرباء ... **وقد اكتنفت موته الشكوك على الرغم مما قيل انه كان قضاء وقدراً . وقيل ان في الأمر جريمة مبعثها الغيرة والحسد اللذان كان يكنهما له زملاؤه المهندسون من جهة ، ولأن بعض اختراعاته كانت تؤثر تأثيراً اقتصادياً سيئاً على مصالح الكثير من المؤسسات والشركات الاميركية ، وأصحاب الاموال من كبار الرأسماليين من جهة أخرى** .. فقـد كان يعمل باختراعاته على هدم النظام الآلي رأساً على عقب وذلك بكهربة الحياة على اختلاف انواعها . ولو أن الله مدّ في اجله وتم له تحويل نور الشمس الى كهرباء وقوة محركة لأصاب شركات البترول العالمية بأشد النكبات .

التاريخ	الاختراع او الاكتشاف	المختـــرع	الجنسية
قبل الميلاد			
حوالى ٣٤٠٠	المثقاب	غير معروف	مصري
حوالى ٣٠٠٠	دولاب الخزاف (الفاخورة)	غير معروف	مصري
حوالى ٣٠٠٠	استعمال الحجارة من الصخر الكلسي للبناء، واول بناء من حجر شيده الانسان . وبعد قرن من الزمن شرع مهندسو فرعون مصر في بناء هرم الجيزة الكبير (٢٩٠٠ ق.م.) وكانوا قبل ذلك يبنون قبور ملوكهم بالطوب المجفف بالشمس . المرجع :	امنحوتب ـ مهندس معماري وفيلسوف وطبيب امتدت شهرته امدا طويلا بعد موته لانه كان ذكيا وحكيما ، وقد الهه الاغريق والمصريون المتاخرون ودعوه آله الطب (ويعرف كذلك بلقب هرمس الهرامسة او الهرمس الاكبر) . وكان بحق ليوناردو دافنتشي مصر القديمة .	مصري

دجيمس هنري بريستيد (١٨٦٥ ـ ١٩٣٥) ، وهو مستشرق ومؤرخ اميركي تخصص في شؤون الحضارة المصرية والتاريخ الشرقي منذ اقدم العصور . تراس بعثات اركيولوجية عديدة الى مصر والسودان . وقد نظم المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو ليكون مختبرا علميا فريدا في نوعه ، بغية دراسة الانسان واعماله ، وتاريخ الحضارات القديمة . وله مؤلفات قيمة في هذه المواضيع ...

التاريخ	الاختراع او الاكتشاف	المختـــرع	الجنسية
حوالي ١٩٠٠	الابجدية (اختراع فينيقي)	اول ما ظهرت الابجدية في « سرابيت القدم » في صحراء سيناء على جدران مناجم النحاس فيها ، وتدعى الابجدية السينائية . وفي سنة ١٢٧٥ قبل الميلاد نقشت الابجدية علـى ناووس حيرام ملك جبيل ، وهي مؤلفة مـن ٢٢ حرفا صحيحا ، وكانت تكتب من اليمين الى اليسار . اما العالم الاثري الفرنسي المعاصر موريس دونـان الخبير بالآثار الفينيقية فقد وجـد حجرا كلسيا في قلعة جبيل محفور عليه خمسة اسطر تشير الى بنـاء سور اقامه شافاط بعل ابن ايلي بعل ابن يهي ملك ، وهو يرجعها الى القرن السابع عشر قبل الميلاد .	

يقول الدكتور فيليب حتي في كتابه « لبنان في التاريخ » : « ... لا شك بان اعظم نعمة اسبغهـا الفينيقيون على الحضارة الانسانية كانت اكتشاف الحرف ، ولئن سبقتهم شعوب الى وضع نظام للكتابة كالخط المسماري والهيروغليفي ، فانها كانت صورا واشكالا . اما الفينيقيون فكانوا اول من جرد الصور والمقاطع ، واستعاضوا عنها بوضع رموز ، كل رمز منها يمثل وحدة صوتية . »

ويقول بريستيد : « ... فكانوا (اي الفينيقيون) حيثما ذهبوا حملوا معهم احرف الهجاء كاحلـى صادراتهم ... »

وقد جاء في قاموس « لاروس » : « نحن ندين للفينيقيين بفضل حضارتهم المتقدمـة كثيرا باختراع الابجدية التي تنحدر منها معظم ابجدياتنا الحاضرة . »

	ومن الصناعات الرئيسية التي فاق بها الفينيقيون معاصريهـم ، وسبقوهم في الكثير منها : نفخ الزجاج ، وحياكة الانسجـة ، وصباغ الارجوان ، وشغل المعادن على اختلاف		

التاريخ	الاختراع او الاكتشاف	المختـــرع	الجنسية
	انواعها من حديد ، ونحاس ، وبرونـــز ، وفضة ، وذهب ، وكهرمـــان ، وصناعـــه الرياش (الموبيليا) ، وصياغـــة الحلـــي والمجوهرات ... (الانسايكلوبيديا بريتانيكا)		
حوالى ١٥٠٠	الساعة المائية	غير معروف	مصري
حوالى ٤٠٠	المنجنيق والقــوس	غير معروف	يوناني
حوالى ٢٧٥	الارغن المائي	ستيسيبيوس	يوناني
حوالى ٢٥٠	المضخة الدافعة	فيلو البيزنطي	يوناني
حوالى ٢٥٠	معصرة العنب والزيتون	غيرمعروف	يوناني
حوالى ١٦١	المزولة (قياس الزوايا)	هيبارخس	يوناني
حوالى ١٥٠	النـــاعورة	غير معروف	مصري
قبل ١٠٠	النـــول	غير معروف	سوري ؟
بعد الميلاد			
سنة ٦٥	جهاز قياس سرعة الدولاب ، وجهاز حساس بالوحدة الكشفية	هيرو الاسكندري	روماني
١٥٠	نول ذو الحبال او الاسلاك الاربعة او اكثر	غير معروف	سوري
٨٠٠	طواحين الهواء	غير معروف	فارسي
١٢٧٢	تسوية خيوط الحرير	غير معروف	ايطالي
١٣٣٥	الساعة الميكانيكية	غير معروف	ايطالي
قبل ١٤٨٠	المغـــزل	غير معروف	ايطالي
حوالى ١٤٩٦	المبرد	ليوناردو دافنتشي	ايطالي
حوالى ١٤٩٦	المغزل الآلي	ليوناردو دافنتشي	ايطالي
حوالى ١٤٩٦	قوالب سك العملة	ليوناردو دافنتشي	ايطالي
حوالى ١٤٩٦	المجوب او خراقة المعادن	ليوناردو دافنتشي	ايطالي
١٥٦٠–١٦٥٣	الكهرباء والمغنطيس	وليم غلبرت	انكليزي
١٥٨١	الرقاص (الثقل المتذبذب)	غاليليو	ايطالي
١٥٨٩	آلة الحياكة	وليم لي	انكليزي

التأريخ	الاختراع او الاكتشاف	المختـــرع	الجنسية
١٥٩٠	المجهر المضاعف (الميكروسكوب)	زكرياس دجانسن	هولندي
١٥٩٣	ميزان الحرارة	غاليليو	اطالي
١٦٠٨	التلسكوب	لبدشي	هولندي
١٦٠٩	التلسكوب الكاسر	غاليليو	اطالي
١٦٢٢	استخدام البخار	دايفد رمزي	انكليزي
١٦٣٠	تلسكوب كبلر الفلكي	صنعه كريستوفر شرينر	الماني
١٦٣٦	آلة قياس الجزئيات	ويليام غاسكوين	انكليزي
١٦٤٢	آلة الجمع	بلمز باسكال	فرنسي
١٦٤٣	البارومتر (ميزان ضغط الهواء)	توريتشللي	ايطالي
١٦٤٨	حامض النتريك	غلاوبر	الماني
١٦٥٧	رقاص الساعة	هايغنز	هولندي
١٦٦٨	التلسكوب العاكس	السر اسحق نيوتن	انكليزي
١٦٦٩	الفوسفور	هينغ برانت	الماني
١٦٧١	آلة للضرب	لايبنتس	الماني
١٦٨١	جهاز لتخزين الكهرباء	اوتو فون غوريك	الماني
١٦٩٠	اول آلة على البخار بيستون	دنيس بابان	فرنسي
١٦٩٦	اكتشاف الفرق بـين الموصلات والعازلات الكهربائية	ستيفن غراي	انكليزي
١٦٩٨	اول تطبيق عملي لقوة البخار لغايات ميكانيكية	توماس سافري	انكليزي
١٧٠٠	مركبة ذات ثلاثة دواليب تتحرك بالبخار	ريشار كونيو	فرنسي
١٧٠٥	اول محرك بخاري على الضغط الجوي	توماس نيوكومن	انكليزي
١٧٠٨	اول من احدث شرارة كهربائية	الدكتور جين وول	انكليزي
١٧٠٩	الفرن الحديدي الذي يعمل بالفحم الحجري	ابراهام داربي	انكليزي
١٧٠٩	البيانو	بارتولوميو كريستوفوري	ايطالي
١٧١٤	الآلة الكاتبة	هنري ميل	انكليزي
١٧١٤	اول استعمال للزئبق في ميزان الحرارة	فارنهايت	الماني
١٧١٧	جرس الغواصين	ادموند هولي	انكليزي

التاريخ	الاختراع او الاكتشاف	المختــــرع	الجنسية
١٧١٨	مقياس الكهرباء	دجون كانتور	انكليزي
١٧٢٥	الطباعة السبكية (الصب)	ويليام جت	انكليزي
١٧٢٩	اول اشارة كهربائية ترسل بواسطـــة سلك	ستيفن غراي	انكليزي
١٧٣٣	المكوك (آلة الحائك)	دجون كاي	انكليزي
١٧٣٣	اول من اكتشف ان الكهرباء على نوعــين : ايجابي وسلبي	شارل دو سيسترن دو فاي	فرنسي
١٧٤٦	جرة او وعاء لايدن (لتجميع الكهرباء)	دجون بيفيس	انكليزي
١٧٤٩	مقياس الوقت البحري	دجون هاريسون	انكليزي
١٧٥٢	قضيب الصاعقة	بنيامين فرنكلين	اميركي
١٧٥٤	مقياس قطر دائرة الاجرام السماوية (هليومتر)	دجون دولوند	انكليزي
١٧٥٦	الاسمنت المائي	دجون سميتون	انكليزي
١٧٥٨	العدسة الاكرومانية او الماصحة	دجون دولوند	انكليزي
١٧٥٨	الزجاج المحدب غير الملون	دجون دولوند	انكليزي
١٧٦٣	اول مركبة يديرها محرك	جوزف كونيو	فرنسي
١٧٦٤	المغزل ذو الوشائع	دجيمس هارغريفز	اميركي
١٧٧٦	طوربيد الغواصات	بوشنل	اميركي
١٧٨٠	ريشة الكتابة الفولاذية	صموئيل هاريسون	انكليزي
١٧٨٠	النظارة ذات البعدين للقراءة والبعد	بنيامين فرنكلين	اميركي
١٧٨٣	المنطـــاد	الاخوان مونغولفييه	فرنسيان
١٧٨٤	الطباعة النافرة للعميان	فالنتان هووي	فرنسي
١٧٨٥	مظلة الهبوط (الباراشوت)	فرنسوى بلانشار	فرنسي
١٧٨٦	آلة دراسة الحبوب	اندرو مايكل	اسكتلندي
١٧٨٦	آلة لصنع المسامير	حزقيال ريد	اميركي
١٧٨٦	اول تجربة للزورق البخاري في اميركا	دجون فتش	اميركي
١٧٨٧	اول مركبة تسير بمحرك في اميركا	اوليفر ايفانز	اميركي
١٧٩٠	آلة للطباعة على القماش	ويليام نكلسون	انكليزي
١٧٩٠	آلة للخياطة هي اصل آلة الخياطة الحالية	توماس سنت	اميركي

التاريخ	الاختراع او الاكتشاف	المختـــرع	الجنسية
١٧٩٠	الصودا (من الملح)	نيقولا لوبلان	فرنسي
١٧٩٢	غاز الاستصباح	ويليام مردوك	اميركي من اصل اسكتلندي
١٧٩٧	آلة الحلج	هويتمور	اميركي
١٧٩٧	آلة تمشيط الصوف او غيره	هويتمور	اميركي
١٧٩٧	آلة صنع الورق	روبير	فرنسي
١٧٩٨	مسحوق التبييض	بينـانت	انكليزي
١٨٠٠	التخدير (اكتشاف مفعول اوكسيد الازوت لدى التنشق)	السر همفري دايفي	انكليزي
١٨٠٠	البطارية الكهربائية	فولتـــا	ايطالي
١٨٠٢	اختبارات فوتوغرافية	توماس ودجوود والسر همفري دايفي	انكليزيان
١٨٠٤	الصاروخ	السر ويليام كونغريف	انكليزي
١٨٠٤	القاطرة البخارية التي تسير علـــى الخط الحديدي	رتشارد تريفيتك	انكليزي
١٨٠٥	طريقة الطلاء او التلبيس بالكهرباء	لويجي بروناتللي	ايطالي
١٨١٧	المنظـــرة	بروستر	انكليزي
١٨١٩	المسماع (سماعة الطبيب)	لينيك	فرنسي
١٨٢٠	الكينـــا	بلتييه وكافنتو	فرنسيان
١٨٢٠	مقياس الرطوبة الجوية	دجون دانييل	انكليزي
١٨٢٠	الآلة الحاسبة	شارلز بابيدج	انكليزي
١٨٢٢	الطباعة المتعددة الالوان	بيتر فورس	اميركي
١٨٢٧	عود الثقاب بالاحتكاك	دجون ووكر	انكليزي
١٨٢٩	اول آلة كاتبة اميركية	بـــرت	اميركي
١٨٢٩	الطباعة بطريقة براي للعميان	لويس براي	فرنسي
١٨٣٠	آلة الخياطة	برتيليمي تيمونييه	فرنسي

التاريخ	الاختراع او الاكتشاف	المختـــرع	الجنسية
١٨٣١	الكلوروفورم	صموئيل غثري	اسكتلندي
١٨٣١	الحاصدة	مانغ	اميركي
١٨٣٥	المسدس	كولت	اميركي
١٨٣٦	عود الثقاب	فيليبس	اميركي
١٨٣٨	المنظـــار	هويتستون	انكليزي
١٨٣٩	التصوير الفوتوغرافي	داغير ونييس	فرنسيان
١٨٣٩	اول زورق كهربائي	ياكوبي	الماني
١٨٤٢	الايثر (كمخدر)	لونــغ	اميركي
١٨٤٢	الدراجـــة	ماكميلان	اسكتلندي
١٨٤٤	المطاط الصناعي (الكاوتشوك)	شارلز غوديير	اميركي
١٨٤٥	الاطار المنفوخ بالهواء	روبرت طومسون	انكليزي
١٨٤٧	آلة الطباعة الروتاتيف	رشارد هو	اميركي
١٨٤٧	النيتروغليسيرين	اسكانيو صوبيرو	ايطالي
١٨٤٨	الاسمنت	دجونسون	انكليزي
١٨٤٩	الدبـــوس	هنت	اميركي
١٨٥١	آلة التبريـد	دجون غوري	اميركي
١٨٥١	القطار الحديدي	فايل	اميركي
١٨٥١	المنظار العيني	هرمان فون هلمهولتس	الماني
١٨٥٢	المصعد الكهربائي بالفرامل	اوتس	اميركي
١٨٥٢	الجيروسكوب	فوكالتا	فرنسي
١٨٥٣	الحليب المجفف (البودرة)	عبل بوردن	اميركي
١٨٥٥	عود الثقاب بالفوسفور (المعروف اليوم)	لوندستروم	اسوجي
١٨٥٧	آلة خياطة الاحذية	ماك كاي	فرنسي
١٨٥٨	البـــراد	فردينان كاريه	اميركي
١٨٦٠	البارود بلا دخان	فريدريك ولتون	اميركي
١٨٦٠	اللينوليــوم	بيتشينولي	ايطالي

التأريخ	الاختراع او الاكتشاف	المختـــرع	الجنسية
١٨٦١	الدينامو (التيار المتواصل)	غاتلنغ	انكليزى
١٨٦١	الرشاش	سيلرز	اميركي
١٨٦١	جهاز عرض الافلام	السر ويليام سيمنز	انكليزي من اصل الماني
١٨٦٢	الفرن الكهربائي	يوهان شولتس	بروسي
١٨٦٤	الآلة الكاتبة	ميترهوفر	نمسوي
١٨٦٥	الدراجـــة	بيير لالمان	فرنسي
١٨٦٦	الطوربيد ذو الاندفاع الذاتي	روبرت هوايتهد	انكليزي
١٨٦٩	التطهير (في الجراحة)	السر جوزف ليستر	انكليزي
١٨٦٩	الجدول الدوري (كيمياء)	ديمتري مندليف	روسي
١٨٧٠	السيلولويد	هايات	اميركي
١٨٧٤	الاسلاك الشائكة	غيدن	اميركي
١٨٧٥	النور الكاشف الكهربائي	هنري وايلد	انكليزي
١٨٧٧	طائرة بلا محرك	اوتو ليلينتال	الماني
١٨٧٧	الميكروفون	برلينر	اميركي
١٨٧٧	الفونوغـراف	اديسون	اميركي
١٨٧٩	آله تسجيل النقد	ريتـــي	اميركي
١٨٨١	التصوير الفوتوغرافي الملون	فريدريك آيفز	اميركي
١٨٨٤	الدراجة الحديثة	كارل بنز	الماني
١٨٨٤	قلم الحبــر	وترمن	اميركي
١٨٨٤	عقار انتيبايرين المضاد للحمى	دال	الماني
١٨٨٤	الورق من لحاء الخشب	لودفيغ كنور	اميركي
١٨٨٤	افلام التصوير	ويليام ووكر	اميركي
١٨٨٤	الحرير الصناعي	الكونت دو شاردونه	فرنسي
١٨٨٥	الحاكي (الفراموفون) وجهاز الاملاء والتسجيل معا (الدكتافون)	تشارلز تينتر	اميركي

التاريخ	الاختراع او الاكتشاف	المختـــرع	الجنسية
١٨٨٥	الدراجة النارية (الموتوسيكل)	غوتليب ديملر	الماني
١٨٨٥	المحول الكهربائي	ويليام ستانلي	انكليزي
١٨٨٥	الالومنيوم	هـــول	اميركي
١٨٨٥	اللينوتيب (للطباعة)	مرغنثالر	اميركي
١٨٨٧	محرك ديملر للسيارات	غوتليب ديملـر	الماني
١٨٨٧	المونوتيب (للطباعة)	نالبرت لانستون	اميركي
١٨٨٧	الاسطوانـــة	برلينر	اميركي
١٨٨٨	الاطار المنفوخ بالهواء	دجون دنلوب	ايرلندي
١٨٨٨	آلة التصوير	ايستمان ووكر	اميركيان
١٨٨٩	الرايـــون	دو شاردونه	فرنسي
١٨٩٢	الزجاج المسلح	فرانك شومان	اميركي
١٨٩٢	مادة كيماوية لعلاج بعض النسج والـــورق الشفيف (فسكوز)	رتشارد فريدريك كروس	انكليزي
١٨٩٢	الزجاجة المفرغة من الهواء	دجيمس ديوار	انكليزي
١٨٩٣	محرك ديزل	ديـزل	الماني
١٨٩٧	الالكترون	السر دجوزف طومسون	انكليزي
١٩٠٠	الجـــرار	ب. هولت	اميركي
١٩٠٠	السيلوفان	براندنبرجيه	فرنسي
١٩٠٠	الغواصة	هولاند	اميركي
١٩٠٣	قنبلة الاعماق	اونجـه	اسوجي
١٩٠٤	الانبوب الالكتروني	السر دجون فليمنغ	انكليزي
١٩٠٤	ارسال الصور لاسلكيا	آرتور كورن	الماني
١٩٠٧	الباكيليت	بيكلاند	اميركي
١٩٠٩	كاتم الصوت في المسدس	حيرام مكسيم	اميركي
١٩١١	تكييف الهواء	ويليس كارير	اميركي
١٩١١	الزورق السريع ذو المحرك	غلين كيرتس	اميركي

التاريخ	الاختراع او الاكتشاف	المختـــرع	الجنسية
١٩١٢	الانبوب المفرغ (اوديون)	لي دي فوريست	اميركي
١٩١٢	الطائرة البحرية	غلين كيرتس	اميركي
١٩١٢	اداة كهربائية تمكن العميان من قراءة الحروف المطبوعة (اوبتوفون)	ادموند فورنييه	انكليزي
١٩١٤	الدبابة الحربية	الجنرال السر ارنست سوينتن	انكليزي
١٩١٧	كاشف الغواصات	ماكس ميسون	اميركي
١٩١٨	البندقية الاوتومانيكية	ج. ن. براوننغ	اميركي
١٩١٩	الانسولين	السر فريدريك بانتنغ	انكليزي
١٩٢٢	الرادار	تايلور ويونغ	اميركيان
١٩٢٢	البرونون	ارنست روذرفورد	انكليزي
١٩٢٥	التلفزيون	بـــيرد	اسكتلندي
١٩٢٨	اوتوغير ـ الاجنحة الدوارة ، وهـــي جهاز يساعد الطيار على التحليـــق والهبوط عموديـــا	خوان دو لا شييرفا	اسباني
١٩٣٠	المطاط (نيوبرين)	والاس كاروذرز	اميركي
١٩٣٠	اكتشاف الهيدروجين الثقيل	هارولد يوري	اميركي
١٩٣١	سكلوترون ـ محطم الذرة وجهاز رحوي	ارنست لورنس	اميركي
١٩٣٧	النايلـــون	والاس كاروذرز	اميركي
١٩٣٧	الاندفاع النفاث	فرانك هويتل	انكليزي
١٩٣٩	الهيليكوبتر	ايفور سيكورسكي	اميركي
١٩٤٨	الترانزستور	دجون باردين وويليام شوكلي وولتر براتين	اميركيون
١٩٥٢	السينما ذات الابعاد الثلاثة	وولـــر	اميركي
١٩٥٥	لقاح سالك ضد شلل الاطفال	دجوناس سالك	اميركي

مع الخالدين من القادة والفاتحين

الاسكندر الكبير هنيبعل زنوبيا خالد بن الوليد طارق بن زياد
شارلمان وليام الفاتح صلاح الدين الأيوبي جنكيز خان جان دارك
لافاييت اللورد نلسون الدوق ولنغتون نابوليون سيمون بوليفار
غاريبالدي الجنرال غرانت اللورد بادن – باول



الاسكندر الكبير

ALEXANDER THE GREAT

فاتح كل مـا كان يُعرف بالعالم المتمدن بالنسبة له ولمعاصريه .. **ويمكن أن يُعتبر والد الأمبراطوريات** .. استطاع والده ، **فيليب المقدوني** ، بالحرب والدبلوماسية ، أن يرفع مقدونيا الى مرتبة الزعامة والقيادة بين الولايات اليونانية . **وقد سعى الاسكندر الى بسط النفوذ اليوناني على العالم** .

وُلد الاسكندر الكبير سنة ٣٥٦ ق. م. في بيلا ، عاصمة مقدونيا . فلما بلغ الثانية عشرة تتلمذ على يد الفيلسوف **اوسطو** . وفي السادسة عشرة أُلقي بين يديه زمام الحكومة في حين سار والده لفتح بيزنطة . وفي العشرين من عمره قُتل والده ، فتسنم العرش بعد أن ازاح من طريقه عدداً كبيراً من المطالبين به . وسيطر على الجيش المقدوني القوي الباسل.

وفي سنة ٣٣٤ ، وبعد أن دعم مركزه في بلاده ، عبر الى آسيا الصغرى حيث نجح في تحرير المدن اليونانية في ايونيا من ربقة الحكم الفارسي . ومن هناك اندفع عـبر سوريا وفينيقيا الى مصر حيث أسس مدينة الاسكندرية سنة ٣٣٢ ، وقد أصبحت مركزاً للثقافة اليونانية طوال ١٥٠ سنة . ومن ثم قاد جيوشه الى بـلاد فارس فحطم جيش **داريوس** ، الحاكم الفارسي ، ودخل ذلك الجزء من الهند المعروف اليوم باسم البنجاب . وهنـاك تمرّد عليه جنوده وثاروا ، رافضين التقدم أبعد من ذلك نحو الشرق . فاضطر الى الاذعان لهم ، وشرع في العودة الى الوطن .

قرّب الاسكندر ذو القرنين بين الشرق والغرب ، وكانت غايته صهر الثقافتين اليونانية والشرقية بواسطة التزاوج وتبادل العادات . وقد شاء أن يضرب المثل فتزوج اميرة فارسية. وكان يفرض اليونانية لغة رسمية على الحكومات التي يحتل بلدانها . **ولقد كانت فتوحاته بدء حكم الامبراطوريات** .

وفي بابل ، وهو في طريق عودته الى مقدونيا ، وقع مريضاً ... وأيقن أنه لا محالة مودع هذه الدنيا فأمر أن يمرّ جنوده بسريره واحداً واحـداً ليودعهم الوداع الأخير .
وكانت وفاته في ١٣ حزيران سنة ٣٢٣ قبل الميلاد .

هنيبعل

HANNIBAL

هذا القائد القرطاجني الذي وُلد سنة ٢٤٧ قبل الميلاد عُرف بأنه من أنبل النبلاء، **ومن أسوأ الرجال حظاً في التاريخ القديم**. حمله والده هاميلكار برقه الى اسبانيا عندما كان في التاسعة من عمره واستحلفه أمام المذبح أن يكون عدواً للرومان مدى الحياة، ولقّنه فنون الحرب، واساليب القتال. فلما توفي والده أصبح هنيبعل، وهو في الخامسة والعشرين، قائداً للجيش وحاكماً لمقاطعة اسبانيا. وكان معبود جنوده الذين كانوا يرونه عادلاً دائماً .. إلا أنه يتحمل مسؤولية بدء حرب من أشد الحروب هولاً (سنة ٢١٩ ق. م.) في التاريخ القديم، هي الحرب الثانية بين قرطاجة وروما .. كان هدفه أن تثأر قرطاجة من روما، ففشل فشلاً ذريعاً، على الرغم من أن القسم الاول من هذه الحرب سجل فيه هنيبعل ثلاثة انتصارات حاسمة. وفي سنة ٢٠٣ سحب هنيبعل قواته من ايطاليا ليذهب لنجدة بلده. ويقول المؤرخون، وجلّهم ينظر الى هنيبعل على **أنه أعظم القادة الستراتيجيين الذين عرفهم التاريخ**، ان الذي يبعث على الدهشة حقاً، أن هنيبعل نجح في البقاء في ايطاليا ما طاب له البقاء ...

وفي سنة ٢٠٢ نصح أبناء بلاده بأن يعقدوا صلحاً مع الرومان، واستسلمت قرطاجة. وقد اتهمه الرومان فيما بعد بأنه يتآمر على السلام فاضطر الى الفرار الى سوريا. ولما احتلّ الرومان هذه البلاد كان في جملة شروط الصلح استسلام هنيبعل. ولكنه نجا كذلك، ولجأ الى بلاط بروسياس ملك بتنيا، وهو أحد الطغاة القلائل الذين لم يقعوا بعد تحت سيطرة روما.

ولكن بروسياس خان هنيبعل سنة ١٨٣. فلما رأى هنيبعل منزله محاصراً بالجنود انتحر بتجرّع السم الذي كان يحتفظ به في خاتمه منذ زمن طويل.

كان هنيبعل عبقرية عسكرية.. اتهمه البعض بالقسوة، في حين يرى البعض الآخر أنه لم يكن بربرياً أكثر مما تقتضيه موازين الحرب في تلك العصور. أما اتهامه بالبخل فمرده الى حاجته الدائمة المتواصلة للموارد. **وكان مثقفاً، حميد الاخلاق، يتقن عدة لغات ويكتب اليونانية ويقرأها**. ويقال انه تزوج امرأة اسبانية ولكنها لم تُرزقا أولاداً ...

زنـّوبيـــا

ZENOBIA

زينب .. ملكة تدمر التي عُرفت باسم **زنوبيا او الزّباء ، كما يسميها العرب ،** من الشخصيات النسائية الفذة ، اشتهرت ، الى جانب جمالهـــا وشجاعتهـا ، بفن السياسة والادارة . أجمع المؤرخون على انها كانت تتقن اللغات المصرية والسريانية واللاتينية ، وقد تلقت علومها على أيدي عدد من اساتذة الاكاديمية في الاسكندرية .

وكانت كثيرة التردد على مجالس الحكماء والفلاسفة . ومن أشهر اساتذتها الفيلسوف لونغينوس الذي اتخذته صديقاً ومستشارا ...

نشأت زينب **سلطانة الشرق** في احضان الصحراء السورية في القرن الثالث الميلاد ، في اسرة من المحاربين الاشداء ، فاكتسبت فضائل القتال والشجاعة وقيادة الجند الذين كانت تشاركهم مجالسهم . **وقدّر لها ان تتربع على عرش تدمر بعد وفاة زوجها الملك أُذينة ، فأحبها شعبها واخلص لها ، وازدهرت تجارة مملكتها الـــتي كانت تمتد ما بين نهري الفرات والنيل ، في وقت من الأوقات .**

كانت تدمر دولة تقف على الحياد بين الامبراطوريتين الشرقية والغربية .. بين فارس وروما . دولة كان همها أن تحافظ على الاتزان بين هاتين القوتين الجبارتين ، والافادة منها قدر المستطاع .

إلا أن القدر شاء أن يشتبك اذينة مع الملك شاهبور الفارسي ، فكانت الغلبـــة لأذينة الذي أنعم عليه الامبراطور جالينوس الروماني بلقب اغسطس تقديراً له على فوزه ، واوكل اليه ادارة حكومة روما في الشرق . ومذ ذاك سطع اسم زينب الى جانب أسم اذينة الذي كانت ترافقه في غزواته وحملاته الحربية جميعاً .

واغتيل اذينة على يد أحد أقربائه من المنافسين له في السلطان ، ولكنه لم يستطع أن يحتل مكانه ، وتسنمت زينب العرش وصية على ابنها ، واتخذت لنفسها لقب زوجها الراحل دون أن يبدر من روما أي إعتراض . وظلت الحال هادئة حتى اعتلى روما **الامبراطور اوريليانوس** ، فتبدّل موقف روما من تدمر . ونشبت الحرب بينهما ، وسارت زينب في طليعة قواتها المسلحة ، ولكنها انهزمت بعد دفاع مستميت . وحاولت الاستنجاد بالفرس ، وهربت على ظهر ناقة شطر الفرات . فلحق بها الرومان وقبضوا عليها قبيل عبورها النهر .

واقتيدت زينب وأولادهـــا أسرى الى روما حيث اقيم احتفال كبير بالنصر سارت فيه ملكة تدمر مقيدة بالسلاسل الذهبية ، وعلى رأسها التاج ، يتبعها أولادها .

أما ما حدث لزينب بعد ذلك فتتضارب فيه الاقوال . فمن قائل إنها ماتت حزينة لفقدها مجدها ، ومن قائل ان الامبراطور اوريليانوس منحهـا داراً فخمة على نهر التيبر عاشت فيها مع المواطن الروماني الذي تزوجته ...

خالد بن الوليد

فاتح الشام ، ونابوليون العرب ، خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن مخزوم القرشي ، أبصر النور في مكة حوالي العام الخامس والعشرين قبل الهجرة ، ونشأ في بيت رفيع العماد ، على جانب كبير من الثروة والجاه العريض ، وقد لُقّب والده الذي كان يتمتع باحترام مواطنيه **بالوحيد ، وبريحانة قريش .**

« ما أنجب العرب من فجر تاريخهم الى اليوم قائداً له مكانة القائد العظيم خالد بن الوليد وشهرته . فقد فتح ببضعة آلاف من قبائل العرب ، على قلة في السلاح والعتاد، بلاد العراق وبعض ايران وبلاد الشام ، وقهر دولتيّ الفرس والروم اللتين كانتا في عصره سائدتين على العالم القديم بأسره ، وانتصر انتصاراً مبيناً **في معركة اليرموك** التي كان لها ما بعدها ، وما بعدها كان جليلاً عظيماً . معاركه العديدة التي خاض غمارها في بضعة أعوام انتصر فيهـا جميعاً وما خُذل بواحدة منها قط ، **فهو خالد خاود نابوليون وبوليوس قيصر وهنيبعل والاسكندر وسواهم من أبطال الحروب،ولا يقل عن أحدهم عبقرية وشجاعة وسداداً في الرأي والتدبير . »**

ذاع صيت خالد العسكري بعد وقعة أحُد المعروفة « التي اصطلى بنارها معارضو الدعوة الاسلامية من قريش – وبينهم خالد – في ناحية ، والنبي والمهاجرون والانصار في الناحية الثانية ، وقـد كاد النصر يعانق رايات الفريق الثاني في اليوم الاول لولا حركة التفاف قام بها خالد بفرسانه على الخصم فخذله وأنقذ قريشاً من الهزيمة . غير أن الغلبة تمت في اليوم الثاني للنبي وانصاره ، وعقبها زحف المنتصرين من المدينة على مكة وفتحها . وقد اشتهر خالد منذ ذاك اليوم ببطولته ومهارته في أساليب القتال . »

جاء في كتاب **« فتوح الشام » للواقدي** أن خالداً كان مديد القامـة ، قوي البنية ،

عريض ما بين المنكبين ، متين العضلات ، تلوّح وجهه آثار الجدري ، وكان فوق ذلك كله وقورا مهيباً . وكان فارساً مغواراً ، مدرّباً على القتال الفردي فارساً ، وراجـلاً ، وهجّاناً .. كما كان مبارزاً لا يباريه أحد بضرب السيف وطعن الرمح ورمي النبال . وقد أجمع المؤرخون على أن خالداً لم يسر « بجيش إلا بعد تنظيمه في حالة السير بشكل يتقي معه المفاجآت ويكون جاهزاً للهجوم في أي وقت كان . وفي معركة اليرموك عبّـأ جيشه تعبئة لم يعرفها العرب من قبل وتكاد تماثـل تعبئـة الجيوش المنظمة في عصرنا الحالي ، وأحسن استخدام الفرسان في الوقت والمكان المناسبين حتى تمت له الغلبة . وكان الى هذا شديد الوطأة على العدو أثناء القتال ، حتى اذا تملّك هذا الاعياءُ لاحقه بسرعة وشدة حتى يشلّه ولا يدع له فرصة لم الشعث ومعاودة القتال ، فهو يشبه من هذه الناحية القائد الفرنسي مانجان الذي اشتهر في الحرب الكبرى بشدة بطشه وقسوته على الاعداء .

وكان خالد ذا روح عسكري ممتاز . فعندما تلقّى أمر الخليفة ابن الخطاب بعزله من القيادة دون سبب موجب وتولية ابي عبيدة مكانه رضخ هادئاً وقال : « نحن هنا لنحارب في سبيل الله لا في سبيل عمر . » ويرى بعض النقاد المتضلعين من فلسفة التاريخ أن موقف خالد هـــذا كان من النبل والشهامة بحيث أنقذ العرب من انخذال ربما كان قاضياً عليهم في المهد ، إذ لو عصى خالد أمر الخليفة وانسحب بجيشه من ساحة القتال لتعذرت مواصلته على الجيوش الاخرى ولعادت ادراجها الى الحجاز دون عمـــل يذكر ، ولو أنه عصى الامر وأصرّ على استقلاله بالقيادة العامة لكانت الفتنة في الجيش وما وراءها سوى الخذل والويل للعرب . »

وقد كانت وفاته في السنة الحادية والعشرين للهجرة وهو بعـد في الاربعين من عمره ، وذلك في داره في حمص .

طارق بن زياد

« أيها الناس أين المفر ، البحر من ورائكم والعدو امامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر ؟ واعلموا انكم في هذه الجزيرة أضيع من الايتام في مآدب اللئام . وقد استقبلكم عدوكم بجيشه ، واسلحته واقواته موفورة ، وانتم لا وزر لكم إلا سيوفكم ولا أقوات إلا

ما تستخلصونه من أيدي عدوكم . وان امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمراً ، ذهبت ريحكم وتعوّضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية فقد ألقت به اليكم مدينته الحصينة . وان انتهاز الفرصة فيه لممكن أن سمحتم لأنفسكم بالموت . وإني لم أحذّركم أمراً أنا عنه بنجوة ، ولا حملتكم على خطة أرخصُ متاع فيها النفوس أربأ فيها بنفسي . واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلاً استمتعتم بالأرفه الألذ طويلاً . فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي . فما حظكم فيه بأوفر من حظي . وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الخيرات العميمة . وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك امير المؤمنين من الأبطال عرباناً . ووضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهاراً واختاناً ثقة منه بارتياحكم للطعان وأستماحكم بمجالدة الابطال والفرسان، ليكون حظه منكم ثواب الله على اعلاء كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة . وليكون مغنمها خالصاً لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم . والله تعالى ولي إنجادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين . واعلموا اني أول مجيب الى ما دعوتكم اليه ، واني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله ان شاء الله تعالى . فاحملوا معي فان هلكت بعده فقد كفيتم امره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون اموركم اليه . وان هلكت قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا الهم من فتح هذه الجزيرة بقتله ! ..

خطبة طارق بن زياد هذه في فتح الاندلس يقال إنه ألقاها على جنده بعد أن عبر بهم الى الاندلس ثم أحرق المراكب التي أقلتهم اليها وذلك سنة ٩٢ هجرية ...

اختُلف في نسب طارق بن زياد . ولكن الاجماع على أنه بربري من نفزة ، وأنه كان مولى موسى بن نصير من سبي البربر ، وقيل انه كان فارسياً .

قال الرازي عن الواقدي: ان الوليد بن عبد الملك استعمل **موسى بن نصير** على افريقيا واستعمل موسى بن نصير طارق بن زياد على طنجة ، **وكان يليان** مجاوراً له بالجزيرة الخضراء التي تلي طنجة ، فداخله طارق حتى صار معه الى الرضا ، ووعده ليليان بادخاله الاندلس هو وجنوده . وكان اجتمع لطارق اثنا عشر ألفاً من البربر ، فأجمع طارق على غزو الاندلس بعد أن أخذ اذن ابن نصير مولاه في ذلك . فكان يليان يحتمل أصحاب طارق في مراكب التجار التي تختلف الى الاندلس ولا يشعر أهل الاندلس بذلك ، ويظنون أن المراكب تختلف بالتجار . فحمل الناس فوجاً بعد فوج الى الاندلس . فلما لم يبقَ إلا فوج واحد ركب طارق ومن معه حتى أجاز البحر الى أصحابه، وتخلّف يليان بالجزيرة الخضراء

لتكون أطيب لنفسه ولنفوس أصحابه ، فنزل طارق جبلاً من جبال الاندلس يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة ٩٢ هجرية ، فسُمي ذلك باسمه الى اليوم .. **جبل طـــارق** (Gibraltar) . **وقد دُعي كذلك « جبل الفتح »**.

وذكر عيسى بن محمد من ولد أبي المهاجر في كتابه أن السبب في دخول طـــارق الاندلس ، هـو أن طارق كان والياً لموسى بن نصير على طنجة ، وكان يوماً جالساً إذ نظر الى مراكب قد طلعت في البحر ، فلما أرست خرجوا اليها فنزعوا أرجلها وأنزلوا أهلها ، فقالوا : اليكم جئنا عامدين ..وعظيمهم معهم ، يقال له يليان . فقال طارق : ما جاء بك ؟ فقال له : ان أبي مات فوثب على ملكنا بطريق يقـال له لذريق فأهانني وأذلني ، وبلغني أمركم فجئت اليكم أدعوكم الى الاندلس وأكون دليـلاً لكم . فأجابه طـارق الى ذلك واستنفر البربر ...

وفيما يلي ما افتتح طارق بن زياد من البلاد الاسبانية سنة ٩٢ من الهجرة : جبل الفتح المسمى بجبل طارق ، قرطبة ، مالقة ، غرناطة ، طليطلة ، قرمونـة ، اشبيلية ، ماردة ، لبلة.

شـــارلمان

CHARLEMAGNE

أتم شارلمان (٧٤٢ – ٨١٤) ، ابن الملك بيبان الثالث ، وحفيد شارل مارتيل ، بناء الامبراطورية الفرنسية التي بدأها أسلافه فاستحق هـــذا اللقب **« شارلمان » أو شارل الكبير .**

توفي والده وهو في الرابعـة عشرة من عمره فورث نصف المملكة ، حسب القانون ، وورث النصف الآخر الذي كان لاخيه كارلومان عندما توفي هذا سنة ٧٧١ . وفي هـذه السنة تخلى عن زوجته (ابنة ملك لومبارديا) وتزوج أخرى . فلجأ والد الزوجة الأولى الى البابا لخلع شارل انتقاماً منه على فعلته هذه ، ولكنه لم يوفق . فبــدأ بحملة غزو ونهب في اواسط ايطاليا. فخفّ شارل الى نجدة البابا، وهزم اللومبارديين وأعلن نفسه ملكاً عليهم. وما حلت سنة ٨٠٠ حتى كانت مملكة الفرنجة تضم فرنسا بأسرها ، وحوالي كل المانيـــا والنمسا وايطاليا باستثناء مملكة نابولي . وفي يوم عيد **الميلاد من هذه السنة توّج البابا ليو**

الثالث شارل امبراطوراً على الامبراطورية الرومانية المقدسة . وكان ثمّة مشروع يقضي بضم هذه الامبراطورية الى الامبراطورية البزنطية وذلك بعقد زواج **بين شارلمان** والامبراطورة ايرين التي خُلعت عن العرش فأفسد المشروع .

وتلت ذلك حرب بين الامبراطوريتين لم تكسب فيها أي منها ، وانتهت الى صلح سنة ٨١٢ ...

كان لشارلمان أيادٍ بيضاء على فن الحكم .. فقد قسّم مملكته وفصل بين مختلف الوظائف – العسكرية ، والقضائية ، والادارية . وأنشأ المستشفيات ، والمدارس للبنات والصبيان . وفي عهده أصبحت الكنيسة الكاثوليكية قوة زمنية وروحية بحق وحقيق .

وليام الفاتح

WILLIAM THE CONQUEROR

كان وليام الاول **الملقب بالفاتح** (١٠٢٧ – ١٠٨٧) اقوى ملك في زمانه . وُلد في فرنسا ، وهو ابن غير شرعي لدوق نورماندي وابنة احد الصبّاغين ، ولذلك يُدعى احياناً وليام **« الابن الحرام »** . توفي والده وهو صغير ، وقُتل ثلاثة من حراسه ، فلما رقي دوقية نورماندي احيط بحراسة شديدة حذرة . وعندما توفي ابن عمه وليام ، ملك انكلترا الذي نشأ وترعرع في نورماندي ، طالب وليام بالعرش الانكليزي مدعياً أنه وعده به . ولكي يسند طلبه هذا نزل على الساحل الانكليزي على رأس حملة عسكرية قدّر عددها بين ٢٥ و ٦٠ الف مقاتل . واحرز ويليام انتصاراً ساحقاً **في معركة هيستنغز** (١٠٦٦) تُوج على أثرها ملكاً في كاتدرائية وستمنستر يوم عيد الميلاد من السنة نفسها .

وقد بقي السنين الطوال منهمكاً في قمع الثورات ، فكان بادىء ذي بدء رفيقاً في معاملة الثوار ، الا انه لجأ الى الشدة والقسوة فيما بعد مما اضطر الكثيرين من افراد الطبقات الارستقراطية والنبلاء الى هجر البلاد زرافات زرافات . وبدّل القوانين الانكليزية ، وأوجد النظام الاقطاعي في ما يتعلق بالارض والخدمات ، **وجعل اللغة الفرنسية لغة رسمية في البلاد** . وفي أواخر حكمه طلب وليام اجراء احصاء دقيق شامل لموارد انكلترا . وقد شغل وقته في توسيع حدود نورماندي . ثم توفي وهو يحارب الملك فيليب

الاول اذ وقع عن ظهر جواده في روان .

كان وليام في حياته الخاصة تقياً ، ورعاً ، حكيماً . الا انه لم يكن يعرف الرحمة مع خصومه واعدائه . فقد بلغ عدد الضحايا عندما قمع ثورتي يورك ودرهام حوالي مئة الف نسمة .. فضلاً عن الدمار الذي لحق هاتين المنطقتين . وقد هاجم وليام اسكتلندا واخضعها لسلطانه لان ملكها مالكولم انحاز الى الثوار الانكليز . ونتيجة لثورة نشبت سنة ١٠٧٥ قتل ويليام ايرل ثنتنغدون ونورثمبرلند ، زوج ابنة شقيقه ، وآخر ايرل انكليزي . **فكانت تلك لطخة عار في تاريخه لبراءة هذا الايرل من الاشتراك في الثورة .**

ومن المساوىء التي تميز بها عهده إنشاؤه **الغابة الجديدة (نيو فوريست)** إرضاءً لولعه الشديد بالصيد .. ذلك بأنه انشأ هذه الغابة على حساب عدد من القرى والمزارع التي طُرد أهلوها الى مسافة لا تقلّ عن ثلاثين ميلاً . ومن ثم أصدر قانوناً يقضي بقلـــع عينيّ من يصطاد غزالاً .

صلاح الدّين الايوّبي

هذا القائد الباسل الذي انتصر على ٢٧ ملكاً وُلد في مدينة تكريت سنة ١١٣٧ من أب مسلم كريم المحتد ينتمي الى احدى القبائل الكردية القاطنة عنـد منابع نهر الفرات . وقد أقام مع أسرته في بعلبك بعد أن نزح اليها أبوه . نشأ وفي نفسه كره للصليبيين شديد لما كانوا يأتونه من فظائع . ولكم تمنّى أن يصبح قائداً لينتقم لاخوانه المسلمين منهم. وكان قد اتقن الفروسية ، وتعلّم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، فاصطحبه عمه القائد **اسد الدين شيركوه** الى مصر في حملته ضد الصليبيين . وهناك أبـلى الشاب صلاح الدين احسن البلاء ، وتكللت حملة شيركوه بالظفر ، وأقام مع ابن اخيه في أحد القصور الفخمة في القاهرة . وسرعان ما اكتسب صلاح الدين حب الشعب له . فقد كان يختلط بجميع الطبقات متفقداً الاحوال،عاملاً على مساعدة الجميع ، الامر الذي اكسبه الثقة والاطمئنان. وتمنى المصريون ان يتولى زمام الحكم لينقذهم من ظلم حكامهم الطغاة . وقد تحققت هـذه الامنية عندما اختار **الخليفة الفاطمي** صلاح الدين وزيراً له بعد وفاة عمه أسد الدين شيركوه ، فأثار نقمة عدد كبير من القادة . ولكن صلاح الدين لم يبالِ بشيء ، وراح يعمل على تطهير

الادارة الحكومية من الفساد المستشري ، ووطّد اركان الامن في البلاد ، وتخلّص من الحكام القساة الذين كان يتذمر منهم الشعب . وردّ الحقوق المغتصبة إلى اصحابها، وخفّض الضرائب بعد أن نظم طرق الجباية .

وبعد أن تم له ما أراد من الاصلاح الداخلي أعدّ جيشاً عرمرماً قوياً للقضاء على الصليبيين .. وهو الحلم الذي كان يراوده منذ أيام الصبا . وقاد بنفسه هذا الجيش ، عابراً صحراء سينا الى دمشق ، محتلًا ما بينها وبين بيت المقدس من بلاد . **واقتحم بيت المقدس دون أن يسفك قطرة دم ،ودون أن ينهب اي متاع ، أو يهتك اي عرض.**

« دخل الكثير من الصليبيين في الاسلام افواجاً لما شاهدوه من طيبة قلوب المسلمين وآدابهم العالية . ورحل الكثير منهم أيضاً الى خارج بيت المقدس تحت حراسة جنود صلاح الدين .

وعندما علم ملوك الفرنجة في اوروبا بذلك هاجوا وماجوا وأرادوا القضاء على المسلمين هناك . واجتمع ملوك سبع وعشرين دولة أوروبية منها انكلترا وفرنسا وبروسيا بصلاح الدين بعد ان وصلوا الى حدود الشام وحذّروه من قوتهم الشديدة وبطشهم القوي .. ولكنه هزأ بهم وغادرهم شامخاً بأنفه !

قام الاوروبيون بتطويق عكا .. ولكن لم يلبثوا ان تركوها لما وجدوه من استماتة المدافعين عنها .

واخيراً انتهت الحرب بانتصار المسلمين انتصاراً ساحقاً .. وعُقدت معاهدة وقف القتال لمدة ثلاثة أعوام .

وعاد صلاح الدين الى القاهرة ظافراً ، مكللًا جبينه باكاليل الغار والفخار .

وأخذ بعد ذلك يوطد اركان حكمه ، ويعيد تنظيم حكومته ، ويشيد القلاع والحصون ويقيم المساجد ليؤمها المصلون .. وأخذ ينشر التعليم بين الناس ليقلل من نسبة الامية في البلاد .

واتسعت مملكة صلاح الدين فشملت مصر ، والحرمين الشريفين ، وجزءاً كبيراً من بلاد الشام ...

وفي عام ١١٧٤ مرض صلاح الدين مرضاً لم يمهله غير أيام قليلة . »

جَنكيزخَان

GENGHIS KHAN

جنكيزخان (١١٦٢ – ١٢٢٧) **سيد الفاتحين** والامبراطور المغولي المعروف ، أسس منذ اكثر من سبعمائة سنة اكبر امبراطورية عرفها التاريخ تمتد ، من المحيط الهادىء (الباسيفيك) الى البحر الاسود وتضم القسم الاكبر من العالم المعروف في ذلك العصر ، واكثر من نصف سكانه . **اما الاسلوب العسكري الذي اتبعه جنكيزخان فقد كانت له اكثر ميزات « الحرب الكاملة » .**

وقد قيل انه لم يخسر اي معركة حاسمة على الرغم من ان قوات الاعداء كانت غالباً تفوق عدد قواته . وكثير من نجاحه يعود الى سرعة جنوده ، وقدرتهم على السير ، وحصرهم اهتمامهم التام في الهجوم .

اسمه الاصلي **تيموجين** ، مات ابوه بالسم فعزم على ان يخلفه زعيماً على القبائل الرحّل ، فاضطر الى خوض غمار المعارك الطاحنة لتحقيق هذا الهدف . رفض أن يشاطره احد السلطة فقتل بلا رحمة كل الذين كانوا يطمحون الى ذلك . وتم له ما اراد واصبح ملكاً على قبائل المغول والتتر المتحدة . وادّعى ان هاتفاً إلهياً يدعوه الى فتح العالم ، ففعل ، وراحت الممالك والبلدان تتساقط في يده الواحدة بعد الاخرى : بيكين ، تركستان ، بلاد فارس ، الصين .. واندفع شطر اوروبا الوسطى . ومع أنه كان قد جاوز الستين فقد زحف على رأس جيشه لاخضاع شمالي غربي الصين التي آوى ملكها اثنين من أعدائه . **والجدير بالذكر أن أشهر اعماله وفتوحاته تمت في السنوات الست عشرة الاخيرة من حياته !**

جَان دَارك

JEANNE D'ARC

في حياتها القصيرة قادت **عذراء اورليان** جان دارك (١٤١٢ – ١٤٣١) ، الفتاة الفرنسية الفلاحة ، شعبها الى الانتصار على الغازي الاجنبي ، ورفعت الى العرش ملكها المختار .

وُلدت في أُسرة كاثوليكية متواضعة في بلدة دونريمي ، على ضفاف نهر الموز .. كانت ايام صباها عادية ، ولم يكن تعليمها ليتعدى الصلوات ، وحياة القديسين ، وشؤون المنزل إلا بالنزر اليسير . ولكنهـــا كانت، وهي ترعى غنم أهلها ، تفكر بأسى في حالة بلادها التعسة .

كانت جان دارك ، كما هو معلوم لدى الجميع ، في الثانية عشرة من عمرها عندما أعلنت أنها سمعت صوت الرب ، وانها اختيرت لقيادة ولي العهد شارل الكسول لاحتلال العرش الذي كان الانكليز يحاولون منذ أمد طويل الحصول عليه ، وذلك في سلسلة من المعـارك يعرّفها التاريخ باسم **حرب المائة سنة** . وظلت الرؤى والأصوات التي كانت جان دارك تستمد منها النصح والارشاد تتوالى طوال سنوات وهي تتأهب لتأدية رسالتهـا الخطيرة . وقد سخر منها الجميع في بادىء الأمر .

وفي مطلع سنة ١٤٢٩ ، وبعد تذليلها كل العقبات التي وضعها في سبيلها رجـال الدين المشككون والضباط ،حصلت على اذن بمقابلة شارل، وأقنعته بأن دعوتها صادقة . وانيطت بها قيادة جيش ، فلبست الدرع وطردت الانكليز من مدينة اورليان التي كانت محاصرة ، ومن رانس حيث توّج ولي العهد ملكاً باسم شارل السابع .. وهكذا استيقظت الوطنية الفرنسية بعد طول رقاد .

وفي سنة ١٤٣٠ ألقى البرغنديون القبض على عذراء اورليان بعد أن تحالفوا مع الانكليز. وقد سعى أعداؤها للحكم عليها بواسطة المحاكم الروحية تمهيداً للقضاء على نفوذها والتخلص من خصم قوي الشكيمة ، عنيد . **وقـد حاكمها جماعة من رجال الدين على رأسهم اسقف بوفيه ، بيير كوشون الممالىء للانكليز ، فقرروا أن جريمتها هي الالحـاد ، وحكموا عليها بالحبس مدى الحياة . ولكن الانكليز طالبوا بموتها** . ولم يكن من الصعب على قضاتها أن يتهموها بالشعوذة . **وفي ٣٠ أيار ١٤٣١ أحرقت جان دارك في ساحة روان العامة** ... وبينما كانت ألسنة اللهب تتصاعد من حولها تمتمت : **« الله هو الذي ارسلني ، وأنا الآن عائدة اليه ! »**

بين حين وآخر ترسل الينا السماء ملاكاً لهدايتنا ، ولكننا لا نعترف به إلا بعد أن نطرده من بيننا .. **ففي سنة ١٤٣١ حُكم على جان دارك بتهمة الشعوذة، وفي سنة ١٩٢٠ طُوبت قديسة !**

لافـايـِت

LAFAYETTE

وُلد المركيز دو لافاييت (١٧٥٧ – ١٨٣٤) القائد الفرنسي المعروف ، **وأحد قادة الثورة الاميركية** ، في قصر كافانياك ، في اوفرني بفرنسا . وتزوج في السادسة عشرة من عمره من ادريين فرنسوى دو نواي .

وفي السنة التي طلّق فيها حياة العزوبة التحق بفرقة الحرس الفرنسي . وكان برتبة كابتن عندما اعلنت المستعمرات الاميركية الثورة وطالبت باستقلالها . واصبح لافاييت من قادة الاميركيين إبان الثورة بعد مفاوضات جرت بينه وبين احد الاميركيين في باريس. ومضت سنوات فكتب لافاييت في مذكراته يقول : **« انحاز قلبي الى صفوف الثوار عندما بلغني نبأ نشوب النزاع بين المستعمرات الاميركية والمستعمرين البريطانيين . »**

وفي هذا الصدد كتب الى زوجته : « في الوقت الذي سأدافع فيه عن الحرية التي اتعشقها وأعبدها من بعد الله ، سأتمتع بالحرية المطلقة . أما تقديم خدماتي لهذه الجمهورية الاميركية الفتية فمجرد عن كل الاطماع والمآرب الشخصية ، لأن سعادتها ومجدي هما الدافع الوحيد لركوبي هذا المركب الخشن ... ان سعادة اميركا مرتبطة بسعادة العالم اجمع . فهي لن تلبث ان تصبح معقل الفضيلة ، والتسامح ، والمساواة ، والحرية ، والتضامن ، والرفاهية ، والرخاء ...

وأبلى لافاييت احسن البلاء في معركتي « براندیواین » ، ووادي « فورج » مما لفت اليه انظار الجميع واكسبه تقدير **الجنرال جورج واشنطن** واعجابه بشجاعته وحنكته العسكرية. وكان ذلك السبب المباشر في توثيق عرى الصداقة بين الجنديين الكبيرين ، هذه الصداقة التي ظلت متينة طوال حياتهما .

عندما كان لافاييت في فرقة الحرس الملكي الفرنسي ، توطدت بينه وبين ماري انطوانيت صداقة كتب لها ان تتحوّل على مر الايام الى حقد فظيع . ويذكر التاريخ انه بعد عشرين سنة من ذلك انقذ لافاييت الملكة من الموت المحتم على يد الجماهير الثائرة ، وكان بوسعه ان ينقذها من مصيرها فيما بعد لو لم تصح ساعتئذ : « الافضل لي أن اموت بدلاً من ان ادين بحياتي للافاييت ! »

عاد لافاييت الى فرنسا بعد غياب خمس سنوات في العالم الجديد فعارض بشدة نابوليون

وطغيانه حتى بات كل من يحيط بنابوليون يخشى التلفظ باسمه امامه ... وكم حاول نابوليون استمالته اليه ليأمن شره ، وصراحته ، وخطورة آرائه المتطرفة في الحرية . **وقد سنحت الفرصة مرتين امام لافاييت ليتسلم زمام الامور في فرنسا ولكنه لم يغتنمها : مرة عند بدء الثورة الفرنسية ، ومرة ثانية سنة ١٨٣٠ عند تربع الملك لويس فيليب على العرش** . فمعتقداته هي التي منعته من ذلك . وكما فعل صديقه واشنطن من قبله ، انسحب الى الريف يقضي فيه بقية ايامه ، ومات في السابعة والسبعين مطبقاً يده على نوط صغير يضم خصلة من شعر زوجته . وقد اهيلت على نعشه قبضة من التراب حُملت من قطعة ارض لجورج واشنطن في جبل فرنون ...

للورد نلسون

LORD NELSON

هوريشيو نلسون (١٧٥٨ – ١٨٠٥) ، **أشهر ضابط بحري في التاريخ الانكليزي** ، التحق بالبحرية في الثانية عشرة من عمره . فلم تمضِ عليه ثلاث سنوات حتى اشترك في حملة الى القطب المتجمد الشمالي ، فلما عاد الى انكلترا مُنح رتبة ملازم .

تزوج نلسون في جزر الهند الشرقية سنة ١٧٨٧ ، واستقال من الخدمة بعد ستة أشهر وعاد ليعيش بهدوء في وطنه . فلما اندلعت نيران الحرب بين انكلترا وفرنسا انيطت به قيادة السفينة اغاممنون وأُرسل للانضمام الى الاميرال صموئيل هود في البحر المتوسط حيث اشترك في حصار باستيا . وقد فقد إحدى عينيه في حصار كالفي . وفي أثناء قيامه بمهمة دبلوماسية في نابولي سنة ١٧٩٣ التقى اللورد نلسون اللايدي إيما ، زوجة السر وليام هاملتون ، السفير البريطاني في نابولي ، عندما كانت في ذروة مجدها وجمالها الفتان . فسحرته بحسنها واحساسها المرهف ، فبات بين يديها كالطفل الصغير . وقد أثمر غرامهما طفلة دعواها هوريشيا . وما هي إلا سنتان حتى توفي السر وليام هاملتون فذهبت زوجته تعيش مع نلسون في داره في ميرتون . فلما مات نلسون في معركة الطرف الاغر البحرية المظفرة الحاسمة (١٨٠٥) وجدت إيما نفسها وبين يديها ثروة زوجها وعشيقها المنقولة وغير المنقولة. إلا أن المقامرة والتبذير ذهبا بكل ما تملك . وجاء يوم فاذا بها فقيرة لا تملك شروى نقير .

وقد انتهى بها املاقها واستدانتها الى السجن العام ١٨١٣ . ولم تمضِ سنتان حتى قضت نحبها في مدينة كاليه الفرنسية فقيرة بائسة .

ومن أشهر وقائع نلسون البحرية معركة أبو قير التي انتصر فيها على الاسطول الفرنسي في مياه النيل سنة ١٧٩٨ ، فقضى بذلك على خطط نابوليون لغزو الشرق . وقد كوفىء على انتصاره هذا بلقب **نلسون ، بارون النيل** ، وبمبلغ ١٠ آلاف دولار . ورُقي الى رتبة فيس - اميرال سنة ١٨٠١ .

وخاض غمار معارك بحرية أخرى .. ومكافأة له على ضرب كوبنهاغن مُنح لقب فايكونت . وقد هاجم الاسطول النهري الفرنسي في بولوني ، وقاد الاسطول البريطاني في المتوسط ، وقضى سنتين في حصار ميناء طولون الفرنسي . وظل يطارد الاسطول الفرنسي في البحار منذ ذلك الوقت حتى كانت **معركة الطرف الأغر (ترافلغار)** التي كرّست سيادة بريطانيا على البحار . وفي هذه المعركة الطاحنة ردد على بحارته عبارته الشهيرة : **« ان انكلترا تتوقع أن يقوم كل منكم بواجبه ! »** .. وفي هذه المعركة كذلك جُرح نلسون جرحاً مميتاً ، فقضى على ظهر سفينته في اليوم نفسه .

ولعل الفضل الأول يعود الى نلسون في أن انكلترا بقيت الدولة الوحيدة التي لم يحتلها نابوليون !

الدّوق ولنغتُون

DUKE OF WELLINGTON

الدوق الحديدي ، قاهر نابوليون (١٧٦٩ - ١٨٥٢) رأى النور في ايرلندا ، ودرس في كلية ايتون ، ودخل الجيش سنة ١٧٨٧ ، فراح يرقى سلّم الجندية بسرعة . وبعد أن خدم في هولندا سنة ١٧٩٦ رحل الى الهند برتبة كولونيل ، فحاز عدداً من الانتصارات ، وقام بمفاوضات الصلح سنة ١٨٠٣ ، ثم قفل عائداً الى انكلترا حيث مُنح لقب فارس . اشترك بنجاح في الحملات العسكرية ضد الدانماركيين والهانوفريين قبل أن تكسبه الشهرة حروبُه في اسبانيا . . فقد استطاع أن يقهر الجيوش الفرنسية ويطردها من اسبانيا على الرغم من قلة العَدد والعِدد . وانهالت عليه مراسم التكريم ،

وفي سنة ١٨١٤ مُنح لقب دوق . وعُيّن سفيراً لانكلترا في باريس . وبينما كان مشتركاً في مؤتمر فيينا الشهير وصلته أنباء فرار نابوليون من منفاه في جزيرة إلبا . **وما هي إلا بضعة شهور حتى هزم نابوليون في وترلو** . ونُفي امبراطور الفرنسيين الى جزيرة القديسة هيلانة .

وعاد الى انكلترا ، فدخل البرلمان ، وأصبح رئيساً للوزارة ووزيراً للخارجية سنة ١٨٢٨ – ١٨٣٠ . إلا أن سياسته لم تلقَ أي نجاح لأنه كان يعارض في ادخال الكثير من الاصلاحات ، ولأن غالبية الشعب كانت تكرهه .

نَـابُولِيُون

NAPOLÉON BONAPARTE

عاش نابوليون بونابرت ، **أعظم عبقرية عسكرية عرفها التاريخ** ، ليشهد بأم عينه تهدّم كل ما بناه من مجد سلب الألباب وحيّر العقول !

ولد في ١٥ آب ١٧٦٩ في أجاكسيو بجزيرة كورسيكا وقد أصبحت من الممتلكات الفرنسية منذ زمن يسير . كان الابن الرابع في أسرة كبيرة من أصل ايطالي . دخل الجيش الفرنسي برتبة ملازم ثانٍ في المدفعية سنة ١٧٨٥ بعد أن أتم دروسه العسكرية ، وأصبح صديقاً لروبسبيير . **فلما بلغ السادسة والعشرين من عمره أصبح قائداً أعلى للقوات الفرنسية** . وفي أثناء أول حملة خاضها نابوليون بهذه الصفة اطلق عليه جنوده تحبّباً لقب **الكابورال الصغير** .

ولما عاد نابوليون سنة ١٧٩٩ من حملته ضد الانكليز في مصر انتُخب أحد القناصل الثلاثة الذين تسلموا زمام الحكم غير المستقرّ في الجمهورية الأولى . وكان المفروض أن يحكم الثلاثة معاً لمدة عشر سنين ، **ولكن نابوليون سرعان ما فرض نفسه دكتاتوراً .. وفي سنة ١٨٠٢ عُيّن قنصلاً مدى الحياة . وما هي إلا سنتان حتى أصبح امبراطوراً** .

نظّم نابوليون خلال فترة حكمه كقنصل شؤون الحكومة . وأوجد الاستقرار ، مبرهناً عن حنكة ادارية . وقضى على الكثير من المساوىء . غير أن تحالف بعض الدول الاوروبية ضده وعزمها على تحطيم الديمقراطية جرّ الى نزاع مسلح ، فحملةٍ عدوانية حالف

فيها النصر نابوليون على روسيا وبروسيا والنمسا . وجعل اخوته حكاماً على البلدان المحتلة التي أدخل اليها جميعاً مبادىء الثورة الفرنسية .

وفي سنة ١٧٩٦ تزوج الحسناء **جوزفين دو بوهارنه** ، وأصلها من جزيرة المارتينيك. ولكنه طلقها سنة ١٨١٠ ليتزوج من ماريا لويزا ،ابنة امبراطور النمسا . وكان يبدو واثقاً من المستقبل ، ويريد ولياً للعهد . ولكنه كان قد شارف على النهاية . **ففي سنة ١٨١٢ بدأ زحفه الفاشل على روسيا ، فلما عاد مهزوماً كانت خسارته قد بلغت ٤٠٠ ألف رجل ، وظلت سلسلة الانهزامات تلاحقه حتى سنة ١٨١٤ . فاحتل الحلفاء باريس ، واضطر الى التنازل عن العرش ، ونُفي الى جزيرة إلبا .**

وما هي إلا سنة حتى هرب من هذه الجزيرة عائداً الى وطنه حيث جرّد جيشاً زحف به الى باريس وأعلن نفسه امبراطوراً . ولم يكن بد من تجدد الحرب ، ولكنه هُزم على يد الانكليز والنمسويين سنة ١٨١٥ **في معركة وترلو الشهيرة . واستسلم في ١٥ تموز من تلك السنة فنُفي الى جزيرة القديسة هيلانه حيث توفي في ٥ أيار ١٨٢١ .**

ومما يروى عن نابوليون أنه لم يكن يشرع في رسم اي خطة حربية الا وهو يمتص اقراص السوس . وقد وصفه خادمه الخاص الذي كان ألزم له من ظله بأنه رجل غريب الاطوار ولكنه طيب القلب يستطيع المرء أن يخدعه ...

كان خط الكثيرين من مشاهير رجال التاريخ رديئاً بحيث ان بعضاً من مخطوطاتهم ما تزال الى اليوم تستعصي على القراءة والفهم . فهناك عدد من كلمات لشكسبير لم تحلّ رموزها حلاً نهائياً بعد ، وهناك قصص للروائي الاميركي هاوثورن لم تُنشر بعد لتعذّر قراءتها ...

وقد اوّل الكثيرون بعض رسائل نابوليون بونابرت بانها خرائط حربية لما كان عليه خط نابوليون من الرداءة .

سيمون بوليفار

SIMON BOLIVAR

زعيم الكفاح الثوري الذي ادى الى استقلال ما يُعرف اليوم بفنزويلا ، وكولومبيا ،

والاكوادور ، وبناما ، والبيرو ، وبوليفيا ، هو سيمون بوليفار (١٧٨٣ — ١٨٣٠) ، **معبود شعوب تلك البلدان الملقب بالمحرر..وفي اميركا الشمالية يلقبونه بجورج واشنطن اميركا الجنوبية** . ابصر النور في كاراكاس بفنزويلا في اسرة ميسورة الحال . درس في مدريد ،وجاب اوروبا والولايات المتحدة الاميركية. تزوج وهو في الثامنة عشرة ،ولكن زوجته توفيت بعد سنتين اثنتين ، فكرّس اذ ذاك حياته لتحرير بلاده ...

في ٥ تموز ١٨١١ أعلن استقلال فنزويلا . وسرعان ما انقلب هذا النصر المبدئي الى فشل ، ففر بوليفار الى غرناطة الجديدة (وهي اليوم جمهوريتا كولومبيا وبناما) حيث قاد جيوش كل من البلدين على حدة ، فكان يلقى الهزيمة والنصر . وفي ١٨١٩ قاد جيشاً من فنزويلا عبر سلسلة جبال الآندس لنجدة القوات الثائرة في غرناطة الجديدة . ووصل جيشه المنهوك القوى بسبب الاهوال التي لقيها في مسيره ليجد قوة اسبانية آتية لملاقاته . وما هي الا ثلاثة ايام حتى تأهب للقتال ، وتم له الانتصار على عدوه . وبعد بضعة اشهر عاد فعبر الاندس الى فنزويلا حيث استطاعت قواته ، خلال سنة من الحرب والصلح ، ان تشتت القوات الملكية (٢٤ حزيران ١٨٢١) .

وعندما اضيفت غواياكويل وكيتو (وكلتاهما قسم مما يُعرف اليوم بالاكوادور)الى حكومة غرناطة الجديدة المتحدة المستقلة وفنزويلا ، مشى بوليفار الى البيرو ، فحالفه النصر . وفي ٩ كانون الاول سنة ١٨٢٤ تغلّب على كل مقاومة ، وانهى السيطرة الاسبانية في العالم الجديد الى الابد.**وتكريماً له أنشئت على جزء كبير من البيرو جمهورية مستقلة أُطلق عليها اسم « جمهورية بوليفار » (بوليفيا اليوم)** .

وفي السنوات القليلة التي تبقت من حياته واجهته مشكلة دائمة هي مشكلة التمرد والعصيان بين مختلف عناصر هذه البلدان التي تم تحريرها على يديه . وبعد محاولاته المتكررة الفاشلة لاعادة الوحدة بين شعبه ،لجأ الى اليجندرينو في كولومبيا ، مريضاً ، فقيراً ،معدماً ينتظر انطفاء سراج حياته .

غاريبالدي

GIUSEPPE GARIBALDI

جوسيبي غاريبالدي **وطني ايطالي كان له دور رئيسي في تحرير ايطاليا من السيطرة**

الاجنبية، وتوحيدها تحت سلطة حكومة واحدة .

وُلد في ٤ تموز ١٨٠٧ ، وبدأ يتدرب منذ حداثته على مبادىء وأساليب الحرب الثورية التي أتقنها تماماً . هرب الى اميركا الجنوبية بعد اتهامه بالتآمر سنة ١٨٣٤ على حياة زعيم وطني ايطالي آخر هو جوسيبي ماتزيني . وهناك اشترك في ثورة ضـد الحكومة البرازيلية ، وساعد الاوراغواي في الحصول على استقلالها وحريتها ، **وتزوج من اسبانية كانت تشترك معه في حملاته العسكرية .**

وعاد غاريبالدي سنة ١٨٤٨ الى ايطاليا ليحارب النمسويين ، وليدافع عن روما ضد الفرنسيين . وقد ماتت زوجته اثناء انسحابه من وجه النمسويين . ورحـل الى الولايات المتحدة الاميركية، ولكنه سرعان ما عاد الى وطنه سنة ١٨٥٤ لاستئناف **حرب التحرير.** فلما أصبحت روما عاصمة ايطاليا الموحدة احتل غاريبالدي مقعداً في البرلمان في كانون الثاني ١٨٧٥ . ولم يكن زواجه الثاني من احدى الكونتيسات موفقاً ، وقد أبطل عندما تزوج فتاة من الفلاحين سنة ١٨٧٩ . وعاش آخر أيامه بهدوء واطمئنان في جزيرة كابريرا حتى وفاته سنة ١٨٨٢ .

الجنرال غرانت

ULYSSES SIMPSON GRANT

كان الجنرال غرانت قائداً عسكرياً ماهراً تغلّب بحنكته على الجنرال لي وكسب الحرب الاهلية الاميركية ، ووصل الى سدة رئاسة الجمهورية . إلا أنه لم يكن ذكياً ذكاء كافياً يجنّبه مضاربات بورصة « وول ستريت » واهوالها . ففي اواخر سني حياته وقع فريسة محتالَين اقنعاه بالمتاجرة معهما . وقد استغلا اسم غرانت وصيته الطيّب لتحقيق مشاريع معوجّة متعدّدة . وهكذا استطاعا سلب الجمهور الاميركي حوالي ١٦ مليون دلاور . فلما حلّت الأزمة الاقتصادية اضطر غرانت، لتسديد ديونه ، أن يبيع مزرعته الخاصة ومنزلَيه في فيلادلفيا ونيويورك، والسيوف ، ومجموعة من الاسلحة الحربية قُدّمت له تذكاراً اثناء الحرب الاهلية .

كان السرطان ينهش جسد غرانت وكانت جيوبه فارغة ليس فيها دولار واحد، وأيقن

أن أنياب الفقر والبؤس ستعض زوجته بعد وفاته فعكف على كتابة مذكراته ، وظلّ يملي عليها هذه الذكريات حتى حال بينه وبين ذلك السرطان اللعين الذي امتدّ حتى وصل الى جنجرته وأخرسه . ولكنه أنهى كتابه بالقلم الرصاصي .. انهاه وهو يشكو الآلام المبرّحة . وكان ان كتب الفصل الاخير منه قبل وفاته بثلاثة ايام فقط . **ونشر مارك توابن هذا الكتاب بعـــد أن دفع ثمن حقوقه الى الارملة غرانت مبلغ نصف مليون دولار تقريباً .**

عندما اندلعت نيران الحرب الاهلية الاميركية كان يولسيس سمبسون غرانت (١٨٢٢ – ١٨٨٥) يشغل وظيفة كاتب في مخزن يديره اخوه في غالينا من أعمال ولاية ايلينويس .. وكان فقيراً ، رث الثياب ، يدلّ مظهره على أن مصيره الفشل والنسيان . **إلا أن هـــذا الشاب الذي لم ينجح في الزراعـــة ،ولا في اي مشروع تجاري ، ما لبث أن أصبح قائداً عسكرياً لامعاً ، وتولى رئاسة الجمهورية الاميركية سنة ١٨٦٩ ، فكان الرئيس الثامن عشر لها .. وقد ُجددت ولايته بعد أربع سنوات من ذلك .**

اللورد بَادن ـ پَاول

LORD BADEN - POWELL

مؤسس الحركة الكشفية في العالم (١٨٥٧ – ١٩٤١) ، من أصل انكليزي ، كان والده عالماً رياضياً معروفاً . انخرط في الجيش ورحل مع فرقة الخيالة الثالثة عشرة الى الهند سنة ١٨٧٦ . وقد عمل في الهند ، وافغانستان، وجنوب افريقيا ،وأبلى البـــلاء الحسن في عمليات الزولو الحربية . رُقي الى رتبة قائـد الكتيبة الثالثة لحرس الدراغون سنة ١٨٩٧ . ولعلّ أبرز أعماله الحربية دفاعه الشهير عن ميفكنغ سنة ١٨٩٩ – ١٩٠٠ . **فمـــذ ذاك ذاعت شهرته وبات مثالاً للبطولة في نظر الفتيان** . وخلال الحصار الذي حدث في تلك المعركة نشر كتابه **مساعدات الكشفية** الذي شاء أن يتوسع فيه بحيث تتخطى هذه الحركة الرياضية نطاق الجيش . ولما عاد سنة ١٩٠٣ الى انكلترا ألفى الكثيرين من الفتيان يعملون بموجب التعليمات والمبادىء التي تضمّنها كتابه .

وهكذا عكف بادن – باول على وضع الخطط والمشاريع الكفيلة بتربية الشبان تربية

مدنية صالحة . وقد أقام سنة ١٩٠٧ مخيّماً للفتيان من مختلف طبقات المجتمع في جزيرة براونسي ، أتبعه بكتابه « الكشفية للفتيان » . وقـــد نشأت حركة الكشفية العالمية مذ ذاك... وعمل بادن – باول بنصيحة الملك ادوارد السابع واستقال من الجيش ليكرّس حياته للكشفية التي ازدهرت بسرعة . وقد أعلن زعيم الكشافة في العالم سنة ١٩٢٠ ، وبعد ذلك بتسع سنوات مُنح لقب لورد . وفي سنة ١٩٣٨ عاد الى جنوب افريقيا حيث توفي في عزلة تكاد تكون تامة بعد ثلاث سنوات في كينيا ...

مع الخالدين من المصلحين

زرادشت بوذا كونفوشيوس أسبازيا القديس نقولا
القديس باتريك القديس فرنسيس الاسيزي دجون هس
سافونارولا مارتن لوثر القديس لويولا دجون نوكس
كالفن سويدنبورغ ماري ولستونكرافت إليزابث فراي
فلورنس نايتنغيل



زرادشت

ZOROASTER

هذا الزعيم الروحي ، مؤسس الزرادشتية ، الديانة التي كانت ذات أثر بالغ جليل في الديانات السماوية التي جاءت بعدها ، والتي لا يدين بها اليوم الا طائفة المجوس في الهند وعدد ضئيل من سكان ايران ، يكتنف الشك تاريخ ميلاده ، والمكان الذي وُلد فيه . ولكن المتفق عليه بين المؤرخين استناداً الى الروايات الزرادشتية ان مكان ولادته في الجزء الغربي من إيران الذي يُعرف باذربيجان ، وذلك سنة ٦٦٠ قبل الميلاد . أما وفاته فكانت سنة ٥٨٣ قبل الميلاد ، فيكون قد عاش ٧٧ عاماً .

وزرادشت اول من طلع بالعقائد الجديدة التي تضمنتها الاديان السماوية فيا بعد ، كالقول بالجنة والنار والبعث ويوم الحساب ، وان الشيطان هو اصل الشر في العالم ، وان الانتصار في النهاية هو للحق والخير .

وتصوره لنا القصص والاساطير مصلحاً اجتماعياً الى جانب كونه مصلحاً روحياً .

كان أوسط خمسة أبناء ، وقد تزوج من ثلاث نساء بقين في قيد الحياة بعد موته . في السابعة من عمره عَهِدَ به والده « الى احد الحكماء ليقوم على تعليمه وتهذيبه بعد ان لاحت عليه وهو في هذه السن المبكرة دلائل النجابة والذكاء المفرط ، والثورة على التقاليد ، وعلى الاوضاع السائدة المقررة ... وقد بلغ زرادشت مبلغ الرجال وهو لا يزال في الخامسة عشرة من عمره ، نستدل على ذلك من ان والده قد عهد اليه بنصيب من ممتلكاته وهو في هذه السن ليديرها بما عُرف عنه من بصيرة وحسن ادراك . وقد عقد العزم على أن يكتسب العلم والمعرفة عن طريق التأمل والتفكير لدى بلوغه الثلاثين ... فاعتزل الناس وآثر الوحدة . والعزلة هي محراب الطبيعة الجليل . » فلجأ الى قنن الجبال الايرانية بعيداً عن زحمة الحياة وجلبتها حيث لا صوت إنسان يقطع عليه تيار تفكيره أو يصرفه عن تأملاته . وهناك اتخذ من المياه والطير والحيوان والشمس والقمر والنجوم والسيارات اساتذةً له يتلقى عنها أسرار الحياة .

لم يبكِ زرادشت كسائر الاطفال عندما أبصر نور الحياة بل ضحك ضحكة عالية اهتزت لها ارجاء المنزل . ومما يروى أنه ظهرت لدى ولادته خوارق عدة .. فقد هربت الأرواح الشريرة الى العالم السفلي ، وغمر بيت أبيه نور إلهي . وعرف بأنباء هذا الطفل العجيب أحد

ملوك الزمان ويدعى **دورنسرام** فخشي أن ينافسه في سلطانه وجبروته ، وعزم على التخلص منه . **ويقال انه أسرع الى منزل ابيه وانتزعه من المهد وهمّ بذبحه بخنجره فشلّت يده ويبست. وعندها أمر بالقائه على كومة من الحطب المتأجج ، فكانت النار برداً وسلاماً على الطفل** . وتعددت الطرق التي أراد بها الملك في ذلك الحين القضاء على زرادشت دون جدوى ، فقد كان يحميه من الهلاك ويرعاه **الاله أهورمزدا ...**

والمعروف عن زرادشت أنه لم يأكل سوى الجبن طوال ثلاثين سنة من حياته .

بــــــــوذا

BUDDHA

تُعتبر حياة بوذا ، إذا ما جُرّدت من الخرافات والاوهام الشرقية التي تراكمت عليها خلال العصور ، من ابسط وأنبل القصص التي عرفتها الآداب الدينية في التاريخ ...

« ولد بوذا في الجزء الاخير من القرن السادس قبل المسيح ، وكان والده اميراً ثرياً . وقد تزوج في صغره ابنة عمه وعاش عيشة البذخ المألوفة في قصور الامراء . على أن انقلاباً عميقاً ما لبث أن تسرّب اليه وتغلّب عليه ، فهجر بلاط أبيه وابهته وفخفخته . ويقال ان فتاة جميلة شهدته يوماً يركب عربته ويبهر العيون بنور وجهه وتلألؤ حلاه الذهبية ، فأخذت تردد هذه الاغنية على مسامعه : « مباركة هي الام التي حملتك والاب الذي رباك ، ومباركة هي المرأة التي تعرف رجلاً مثلك . »

فتساءل في نفسه : « فرح أنا لقلب امي ، وفرح لقلب أبي ، وفرح لقلب زوجتي . هذا كل ما تقوله المزغردة الحسناء ، ولكنها لا تقول : كيف يتم فرح كل قلب ؟ » فسمع صوتاً في باطنه يجيبه : « فرح كل قلب يتم بالهدأة والطمأنينة . وهاتان لا تتكاملان إلا بانطفاء نيران الشهوة ونسيان المطامع بغير هجر العالم . وهكذا فافعل انت ! » فتمتم قائلاً : « سأفعل ! »

غير أنه رأى ان يذهب الى علماء البراهمة لعله يستمد منهم فهماً للغوامض وعوناً على ما تضطرب به نفسه من مشاكل . فلم يوفقوا الى شفاء غليله واسكات قلقه . فتركهم وأوى الى عزلة تأملية على ضفاف نهر الغانج أشبه بعزلة السيد المسيح في البرية . وانتهى اخيراً الى خلاصة استقر عليها ، وهي **أن النجاة تأتي عن طريق الحب ونقاء القلب ، لا عن طريق**

التنكيل بالنفس والاهتمام بالمصائر الغيبية والاعتماد على المفروضات المجهولة . وكان معنى ذلك أن بوذا أراد تحويل الانظار عن مذهب البراهمة في تقمّص الارواح وتناسخها . أما « النرفانا » (حالة الراحة الابدية وانعـدام النزوات) — وهي اسمى منشودات الدين البرهمي —فقد حوّلها بوذا الى مجرى اجتماعي وحددها بأمور ستة: اعطاء الصدقات، وتنزيه الاخلاق ، وطلب المعرفة ، ومجاهدة النفس ، والصبر ، والحسنى . ومن أقواله : « ان للدين الصحيح ركناً يجب أن لا ننساه هو علاقة الانسان بالانسان » . ولعل بوذا كان يعتقد أن علاقة الانسان بالانسان إذا صحّت ،صحّت معها علاقة العابد بالمعبود . »

كونفوشيُوس

CONFUCIUS

وُلد سنة ٥٥٠ أو ٥٥١ قبل المسيح ، وكان ابوه كونغ شوليانغ الذي اشتهر بكونغ الطويل لقوته وطول قامته ، عريق النسب ، ومحارباً ارستقراطياً. انجبت له زوجته الاولى تسع بنات . فاتخذ سرية فلم تلد له إلا ولداً كسيحاً . فاقترن ليأسه بفتـاة من أسرة طيبة المنبت (كان عمرها ١٤ سنة وعمره ٧٠) فرُزق منها بطفل ذكر أسمـاه شيو . ولم يبدّل اسمه من كونغ شيو الى كونغ فوتزي حتى بلغ سن المراهقة . ونـُقل هذا الاسم محرّفاً الى اللاتينية **كونفوشيوس** .

توفي عنه والده وهو في الثانية من عمره ، وقد أبدى مواهب بارزة منذ نعومة أظفاره. تزوج وهو في التاسعة عشرة ورُزق غلاماً . وفي الثانية والعشرين بدأ ينشر آراءه وتعاليمه الحكيمة في السلوك الشخصي القويم ، والتضحية البنوية ، وكيفية ضبط النفس ، والحكومة الصالحة . وراح التلامذة يتجمعون حوله وهم في لهفة الى تلقي مبادئه السديدة . **وما لبث أن أضحى معبود الشعب .**

ارتحل من ولاية الى ولاية في بلاد الصين المترامية الاطراف مبشراً ، وداعيـاً ثلاث عشرة سنة ، يرافقه دائماً بعض تلامذته المخلصين . فكان يعاني المصاعب والمذلة .. وكان بعض الحكام يرحبون به فخورين بأنهم يستقبلون الفيلسوف الشهير في بلاطهم، ويصغون الى نصائحه ونظراته وآرائه في الحكومة .

وقد سجل تلامذته أقواله بعد وفاته في مجلد دعوه **أحاديث كونفوشيوس** يُعتبر من

كتب الصين المقدسة . وبعض هذه الاحاديث بمثابة تعليقات على الحياة ، والبعض الآخر بشكل نوادر ومحادثات . **وهي بمجموعها تؤلف أسس الفلسفة الصينية .**

ولقد انحصرت تعاليم كونفوشيوس ، الذي مات سنة ٤٧٩ قبل المسيح ، في هذه العبارة: **« المحبة لنفسك ، والاحسان لقريبك . »**

اسپازيـا

ASPASIA

ليست الجمعيات والاندية النسائية من مستحدثات هذا العصر ، إذ أن أول عصبة سياسية نسائية سجلها التاريخ هي تلك التي تألفت في اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد .

وأسبازيا هي أولى زعيمات الحركة النسائية وتعرف بأنها المجاهدة الاولى التي بذلت قصارى جهدها لازالة الفوارق الاجتماعية ، ولاحلال التعاون المشترك محل الانقسام بانشائها أول عصبة نسائية سياسية في العالم .

هبطت اثينا ، مهد الفكر والحكمة ، من آسيا الصغرى ، لتعطي دروساً في الشعر والخطابة والبلاغة . وكان من تلامذتها الفيلسوف سقراط وبيريكلس . فلقنت اولها الخطابة، ولقنت ثانيها اصول البلاغة، وتوطدت بينها وبين بيريكلس العلائق وأصبحا صديقين حميمين. وسرعان ما فكرت في انشاء عصبة سياسية نسائية ، تقوم على مبدأ التعاون المشترك .

وذاعت شهرتها في اليونان، وحفظ لها الناس تأبيناً طويلاً بليغاً في رثاء الاثينيين الذين استشهدوا في سبيل الديمقراطية اليونانية في لاكيوم ، تضمّن النصائح القيّمة للمواطنين ، وتجلت فيه الروح الحرة .

وقد تقرر تلاوة هذه المرثاة البديعة كل سنة في الاحتفال المهيب الذي يقام لشهداء الديمقراطية لما تضمّنته من النصائح القيّمة البليغة للمواطنين في عباراتها وبين سطورها ..

وقد ضمت عصبتها عدداً كبيراً من النسوة من بيئات وطبقات متباينة .. تقابلت فيها القروية وابنة المدينة ، والفلاحة وربيبة القصور ، وكلهن يضربن بنصيب وافر من العلم . وكانت تلقى في الاجتماعات القصائد والخطب ، وتعزف فيهـا الموسيقى على أكثر من آلة طرب .

تبوأت اسبازيا مركزاً مرموقاً في عالم الفكر والسياسة لما امتازت به من حدة ذكاء ، ونفاذ

بصيرة ، وتضلع في علم النفس ، ولحكمتها وارادتها الصلبة ...

يقول المؤرخ جان برتوروى في كتابه الشهير عن اسبازيا : ان المجتمع الآثيني كان يتميز في ذلك العهد بالمساواة التامة بين الاناث والذكور . فقد كانت المرأة تتمتع بالحرية التي يتمتع بها الرجل كما كانت تحتل مركزاً اجتماعياً مرموقاً . وكانت فضلاً عن هذا تساهم مساهمة فعالة في الحركات الادبية والعلمية والفنية، فاهتمت بالفنون على اختلافها، والموسيقى، وعلم الفلك ، وانصرفت الى السياسة بكليتها ...

ويقول المؤرخ اليوناني بلوطارخوس : ان المرأة اليونانية كانت تُعطى دروساً في العلوم كي يرتفع مستوى تفكيرها الى درجة مستوى تفكير الرجل ، إلا أن هذا الاهتمام الجدي بالعلوم النظرية لم يفقد المرأة انوثتها التي كانت تحافظ عليها وتعتز بها أكثر من اخواتها في العصر الحاضر .

القدّيس نقولا

ST. NICHOLAS

بعد حوالي مئتين وسبعين سنة من ميلاد السيد المسيح أبصر النور في أحد موانىء البحر الابيض المتوسط طفل خلد اسمه وخلدت أعماله – **مثلما خلدت تعاليم يسوع الناصري** – في عقول المسيحيين ونفوسهم ...

كان طفلاً ناضجاً وتقياً ورعاً ، ولكنه على نقيض السيد المسيح ، وُلد لأبوين واسعي الثراء .. توفيا وهو بعد في حداثته . ولقد أصبح من أكثر القديسين المسيحيين شعبية بفضل الهبات والهدايا القيّمة المتواصلة التي دأب على تقديمها ، طوال حياته .

دُعي نقولا ، وعيّن فيما بعد اسقفاً على ميرا .. وهو لا يزال بعد سبعة عشر قرناً ، من ميلاده ، رمزاً سعيداً يقترن بالميلاد .. ميلاد يسوع . **وهو معروف لدى الجميع ، صغاراً وكباراً باسم بابا نويل ، أو سانتا كلوس!**

ان الغموض ليكتنف حياة القديس نقولا . ولكن المعروف أنه كان في الثانية والسبعين لما توفي . إلا أنه اتُفق على تحديد وفاته في السادس من كانون الاول ، الذي جُعل عيداً له .

وكثيرة هي الاساطير التي تقترن باسم القديس نقولا ، وتروي احداها أن المربية كانت

تقوم بغسل الطفل نقولا عندما هبّ هذا واقفاً في حوض الاستحمام ، ورفع يديه الى العلاء مردداً :

– شكراً لك ، يا رب ، فلقد أذِنتَ لي أن أحيا على أرضك هذه !

وتنبع شهرة القديس نقولا من هداياه وهباته الاسطورية ، ومن هنا كانت عادة تقديم الهدايا ليلة الميلاد .. ميلاد السيد المسيح ، بعد أن كانت تقدّم ليلة ميلاده هو – أي في الخامس من كانون الاول .

ففي بلدة باترا التي تقوم على الساحل الجنوبي من تركيا والتي وُلد فيها القديس نقولا كان يعيش نبيل له بنات ثلاث أكرهه ضيق ذات يده على التفكير في بيعهن في سوق النخاسة . فما أن علم نقولا بالأمر حتى سارع في احدى الليالي الى إلقاء كرة من الذهب الخالص داخل منزل النبيل الفقير البائس ، من احدى النوافذ المفتوحة ، منقذاً بذلك النبيل من ورطته . ولقد ذاق القديس نقولا الأمرّين من اضطهاد الامبراطور الروماني ديوكليسيان للمسيحيين ، وسُجن وعُذب . وقليلة هي المعلومات التي عُرفت عن نشاطه منذ ذلك الحين حتى وفاته .

أما رفاته فقد نُقل من بلده ميرا سنة ١٠٨٧ الى باري في ايطاليا حيث بُنيت كنيسة فوق نعشه .

القدّيس پاتريك

SAINT PATRICK

يبدو من **اعترافات** القديس باتريك (٣٨٩ – ٤٦١) التي تُعتبر ترجمة لحياته ان **شفيع ايرلندا** هذا كان امرأ ايجابياً ، نشيطاً ، ذا شخصية جذابة ، فـذة . وقليلة هي المعلومات التي تتضمنها **الاعترافات** عن حياته بالنسبة الى ما توضحه من أعماله . اسمه الاصلي **سوكات** ، وهو مولود إما في اسكتلندا أو انكلترا . حمله الغزاة الغيليون الى ايرلندا حيث أقـام ست سنوات يرعى غنم أحد الزعماء ، وحيث اهتدى الى النصرانية بسبب وجود بعض المبشرين البريطانيين هناك . وبعد أن هرب الى فرنسا دخل أحد الاديرة . وقد ظهرت له رؤيا سنة ٤٣٢ امرته بأن يعود الى ايرلندا لنشر المسيحية فيها . ففعل وحالفه النجـاح بحيث أصبح يقال : « انه الشخص الذي نزل ايرلندا وثنية وتركها مسيحية ! » فحطم الاصنام ، واحرق كتب الكهنة « الدرويد » ، وأسس معهـــداً للابحاث الحديثة .. الى جانب تأسيسه ٣٠٠

كنيسة ، وتعيمده ١٢ ألف نسمة . وقد توفي في ١٧ آذار ٤٦١ .

وتروي الاسطورة ان القديس باتريك كان يسحر الافاعي بموسيقاه الى حد أنها كانت تتبعه الى شاطىء البحر حيث تجر الى الماء فتغرق . ولكن لسوء الطالع لم يكن ثمة أفاع في ايرلندا . إلا أنـــه مع ذلك يبقى القديس باتريك أحب شخصية في التاريخ الايرلندي .

القدّيس فرنسيس الاسيزي

SAINT FRANCIS OF ASSISI

وُلد مؤسس الرهبنة الفرنسيسكانية ، القديس فرنسيس الاسيزي ، سنة ١١٨٢ ، من أب ايطالي تاجر غنيّ يدعى بيترو برناردونه الذي بلغ شغفه بالفرنسيين ان أبدل اسم ابنه في العماد من جيوفاني الى فرنسيس . لهـا كثيراً مـع شباب عصره ، وأسر مرة خـلال أحد الاضطرابات في منطقته ، وبقي في الاسر زهاء سنة اصيب خلالها بمرض خطير . وفي هذه المرحلة من حياته قرّر أن يكرّس حياته للكنيسة .

وبعـد زيارة له الى روما سنة ١٢٠٦ غادر منزل والده وعقـد العزم على تعليم الناس التواضع وحب الفقير ... ولم يتورع عن ضرب المثل بنفسه ، فارتدى الثياب الرثة وعاش عيشة الشحاذين . وكان في تجواله يعلم ، ويبشر ، ويقوم بأبسط الاعمال ، ويصلـّي ، ويُعنى بالمصابين بالبرص ، وكان من قبل يقع مغمى عليه لرؤيته أبرص. وعلى قمة جبل الفرنو ، وفي ١٧ ايلول ١٢٢٤ — على ما يقول مؤرخو حياته — وبينما كان يصلي ، تلقـّى آثار جروح السيد المسيح .

بدأ القديس فرنسيس الاسيزي بانشاء رهبانيته سنة ١٢٠٨ ، فلما بلغ عدد افرادها اثني عشر طلب موافقة البابا، فنالها . **وفي سنة ١٢١٢ وضع دستورها البسيط : الطهـارة ، والفقر ، والطاعة .. وأهم هذه الشروط الفقر .** وحرّم على الاعضاء أو على الرهبنة اقتناء الممتلكات أياً كانت . وانتشرت هذه الحركة بسرعة ، ولم تـُقبل سنة ١٢١٩ حتى بلغ عدد أعضائها ٥ آلاف حضروا أولى جمعياتها العمومية .

وما عتم الامر ان أنشئت مؤسسة مماثلة للنساء ، تبعها سلك ثالث يضم أولئك الذين لا يستطيعون ترك كل صلة لهم بأسرهم للاشتراك في هذه الحركة الدينية . وقد واصل

القديس فرنسيس نفسه عمله الاساسي الى جانب مراقبته تطور حركته المتشعبة الاطراف . **لم يدخل سلك الكهنوت لتقيده بمبدأ التواضع الذي استنه . وقد أثر عنه حبه للحيوانات التي كثيراً ما يُرى مصورا معها** . توفي بالقرب من بلدة اسيزي ، في ٣ تشرين الاول سنة ١٢٢٦ . وبعد سنتين طوّبه البابا غريغوار التاسع .

دجون هَسْ

JOHN HUSS

مصلح بوهيميا ، وخليفة المصلح البريطاني وايكليف ، **ويُعتبر من رواد المصلحين** .. ظهر قبل مارتن لوثر بقرن من الزمن إذ ولد سنة ١٣٦٩ في براغ ، ومات حرقاً في احدى جزر نهر الراين سنة ١٤١٥ .

درس في جامعة براغ التي دخلها بعد وفاة وايكليف بخمسة اعوام فاذا به يجد كتب هذا المصلح منتشرة بين اوساط الطلاب ، فأكب على مطالعتها والتشرّب من مبادئها . **وراح يدعو الى حياة نقية فاضلة بعد أن تكشّف له الفساد المستشري في الكنيسة ، والمتفشي بين رجال الدين** . وهبّ رجال الاكليروس سنة ١٤١٠ ، وعلى رأسهم رئيس اساقفة براغ ، الى مقاومته ، واحرقوا كتبه وكتب وايكليف ، وتزيد على المائتي مخطوطة .

وانتشرت تعاليمه في المانيا ، فحُكم عليه بالموت بعد أن سُجن ستة أشهر . وفي اثناء محاكمته قدّمت اليه العروض المغرية في سبيل التراجع عن تعاليمه ولكنه لم يتزعزع . وفي يوم ميلاده الثاني والاربعين شُدّ الى عمود خشبي في احدى جزر الراين واحرق حياً بعد أن أُشعلت النار في كتبه وملابسه على مرأى منه ومشهد . وقد نُثر رماده في مياه النهر خشية ان يقدّس اتباعه رفاته ...

ومما يؤثر عنه انه لما لُفظ بحقه حكم الموت قال : « انكم تقتلون الآن اوزة (ومعنى هَس باللغة البوهيمية اوزة) ، ولكن ستظهر لكم اوزة اخرى لن تستطيعوا قتلها ! »

وقد كان ، وظهر في المانيا بعد قرن من الزمن المصلح المعروف مارتن لوثر ، مؤسس المذهب البروتستانتي .

سافونارولا

SAVONAROLLA

وجّه جيرولامو سافونارولا (١٤٥٢ – ١٤٩٨) ، **الراهب الثائر** ، والمصلح الديني الايطالي الاشهر ، أفكاره الى الكنيسة بعد فشله في الحب . كان في صغره ملماً بأكثر علوم العصور الوسطى ، وكانت أسرته تأمل أن تراه طبيباً في يوم من الايام . ولكنه غادر منزله سراً سنة ١٤٧٥ والتحق بالرهبانية الدومينيكانية . وأوفد سنة ١٤٨٢ معلماً الى دير سان ماركو في فلورنسا ، فراعه الفساد المستشري في الدولة والكنيسة على السواء . وسرعان ما أصبح مبشراً يفتن الايطاليين بثورته على فسادهم ولؤمهم . وكانت سان ماركو تحت سيطرة الحاكم الشديد البأس لورنزو دي ميدتشي الذي حاول عبثاً التقرب من سافونارولا . وتوفي لورنزو فطردت فلورنسا آل ميدتشي ، وأنقذ سافونارولا المدينة من الاذى عندما احتلها الملك شارل الثامن الفرنسي . وقد برز هذا المصلح من وسط الفوضى أشبه بدكتاتور على فلورنسا ، التي أصبحت في عهده مدينة هادئة وادعة ، نبذ سكانها كل المتع الدنيوية ، وراحوا ينشدون التراتيم الدينية والمزامير بدلاً من الأغاني الخليعة . **وقد شجع قيام لجان الاولاد والتلاميذ للبحث عن الكتب السيئة والاغاني والموسيقى الماجنة ومختلف الاعمال الفنية التي تبعث على الشر وتغذي أحط الميول البشرية ، بغية تدميرها واتلافها .**

أما محاولات سافونارولا لادخال الاصلاحات على الكنيسة فقد جرّت عليه نقمة الكنيسة التي رمته بالحرم ، وكان قد اكتسب بمواقفه العظيمة عداوة الكثيرين . وتفشى وباء الطاعون في فلورنسا ، وقُتل العديد من أتباع آل ميدتشي وانصارهم ، فباتت اسهم فلورنسا متدنية في سائر انحاء ايطاليا . كل ذلك اورث المصلح العظيم خطراً يتهدده في كل لحظة ، حتى بات يلقي خطبه وعظاته وهو محاط بالحراسة الشديدة . **واخيراً عرض على خصومه أن يجتاز امتحان النار ليثبت صحة أهدافه المسيحية ، وتطوع أحد الرهبان الفرنسيسكان أن يجتاز الامتحان معه** . ولم يكن للفرنسيسكان أي نية في اجتياز هذه التجربة . ولما لم يجرِ هذا الامتحان انحت الجماهير الثائرة التي اغضبها حرمانها من هذه المتعة باللائمة على سافونارولا ووصفته بأنه منافق وجبان ! وهاجمت سان ماركو بالحجارة والنار ، والـ...

القبض على سافونارولا وعُذّب بضعة ايام ، ثم حُكم عليه بالموت شنقاً ، وبالحرق بعد الموت. وقد نفذت هذه العقوبة في ٢٣ ايار ١٤٩٨ . **إلا أن بعض النسوة المؤمنات احتفظن بقلبه الذي تركته النيران سليماً .**

مَارتن لوثر

MARTIN LUTHER

كان مارتن لوثر (١٤٨٣ – ١٥٤٦) **زعيم الثورة البروتستانتية على الكنيسة ورمزها** . . وكان أول مصلح حمل الكثيرين من سكان اوروبا الغربية على الانفصال عن هذه الكنيسة . أبصر النور في سكسونيا البروسية ، وبعد أن تخرّج في جامعة ايرفورت أصبح راهباً . وقد رُسم كاهناً بعد سنتين ، وعيّن استاذاً للاهوت في جامعة فيتنبرغ .

بدأ انفصال لوثر عن الكنيسة سنة ١٥١٧ ، عندما وضع نظريته الخاصة في خلاص النفس ، وثار على صكوك الغفران التي كان يبيعها رجال الدين لتغفر لمشتريها ما تقدّم من ذنبه وما تأخر . وقد علّق على باب الكنيسة لوحاً يحتوي على ٩٥ فقرة قال في إحداها : « إن البابا لا يستطيع أن يغفر لأحد خطيئة . » وبعد سنتين أنكر مبدأ عصمة البابا عن الخطأ ، وأكد حق كل فرد في تفسير الكتاب المقدس على هواه .

وفي سنة ١٥٢٠ حرم البابا ليو العاشر لوثر ، وطلب الى الامبراطور شارل الخامس أن يعاقبه بتهمة الكفر والالحاد . فقضى سنة في عزلة تامة ، نقل خلالها العهد الجديد من الكتاب المقدس الى الالمانية . وكان يتحدث الى الناس بلغتهم بدلاً من اللاتينية التي كانت سائدة منذ زمن بعيد . **وقد تضمّنت مبادئه الجديدة نبذ العزوبة والتنسك** . وتزوج سنة ١٥٢٥ راهبة أصبحت من أتباعه وتدعى كاتارينا فون بورا .

وفي سنة ١٥٥٥ ، وإثر حروب أهلية في المانيا بين الكاثوليك واللوثريين ، اعتُرف بالدين الجديد رسمياً كنظام شرعي للعبادة. ولكن تُرك لكل أمير الماني اختيار الكنيسة التي يود أن يتبعها هو وشعبه . وأنشئت الكنائس البروتستانتية في عدد من الاماكن ، وخاصة في شمالي المانيا والبلدان الاسكندينافية .

القدّيس دُو لويُولا

IGNATIUS DE LOYOLLA

كان تحطم ساقه السبب غير المباشر الذي حوّل القديس اغناطيوس دو لويولا (١٤٩١– ١٥٥٦) ، مؤسس جمعية يسوع **(اليسوعيون – أو الجيزويت)** ، من جندي خشن الى كاهن تقي ورع .

وُلد في اسبانيا ، ونشأ وترعرع في بلاط فرديناند وايزابيلا ، ملكي قشتالة وآراغون . وقد كسرت ساقه قنبلة مدفع اثناء محاربته في جيشها . **وخلال طور نقاهته الطويل قرأ سيرة المسيح ، فكانت تلك نقطة تحوّل في حياته ...**

وغادر البلاط ، بعد أن ارتدى المسوح (كساء من الخيش) . وقد لقي مصاعب جمة في بادىء الأمر لأن الكثيرين أساءوا فهم تحمسه . وحط بـه الرحال في باريس حيث نال شهادة استاذ في العلوم سنة ١٥٣٥ . وكان في هذه الاثناء قـد جمع حوله عدداً من الأتباع كان يلقنهم الرياضات الروحية ، فكانوا **نواة جمعية يسوع** . وفي ١٥ آب ١٥٣٩ اجتمع هؤلاء الجنود الروحيون واقسموا يمين الفقر والعفة . **وتم تنظيم هذه الجمعية ، واعترف بها رسمياً البابا بولس الثالث في ٢٧ ايلول ١٥٤٠** . فلما توفي مؤسسها كان عـدد اعضائها المنتشرين في ارجاء المعمور حوالي الالفين . وقد بقي اغناطيوس في روما لوضع دستورها. ومن أبرز أعمالها تشجيع العلم .

توفي اغناطيوس دو لويولا سنة ١٥٥٦ ، وطُوّب قديساً سنة ١٦٠٩ ، وأثبتت قداسته قانونياً سنة ١٦٢٢ .

نوكس

JOHN KNOX

كان دجون نوكس الذي وُلد حوالي سنة ١٥٠٥ **روح الاصلاح الديني في اسكتلندا.** بدأ إصلاحه سنة ١٥٤٢ ، فلم تمضِ خمس سنوات حتى اعتُرف به مبشراً عنيداً ضد البابوية . ونتيجة لنظرياته الدينية سُجن مدة من الزمن في فرنسا حيث عمل في احدى سفن العبيد زهاء ١٩ شهراً . فلما أفرج عنه عاش في انكلترا ، ثم في جنيف حيث أحرق تمثال على شكله بتهمة الهرطقة .

وفي سنة ١٥٥٩ عاد نوكس الى اسكتلندا . ونشبت الحرب الاهلية بين البابويين والمصلحين فتزعم جماعة المصلحين . وتدخلت انكلترا ففرضت الدين الجديد في اسكتلندا ، واستتب السلام حتى اعتلت العرش ماري ، ملكة الاسكتلنديين . ذلك بأنه حدثت بعد ذلك خلافات عدة بين نوكس والتاج اعتُقل في احدها بتهمة الخيانة .

كان نوكس حذراً فطناً ، مسالماً بطبعه ، رابط الجأش ، عنيداً . ولكنه كان عنيفاً في خطبه ، الأمر الذي سبّب له المتاعب . وقد توفي في ٢٤ تشرين الثاني ١٥٧٢ مخلفاً كتاباً من أبرز الكتب التي وضعها **تاريخ الاصلاح الديني في اسكتلندا** .

كالفن

JOHN CALVIN

المصلح جون كالفن فرنسي ، أبصر النور في ١٠ تموز ١٥٠٩ . وجد نفسه في سن مبكرة ميالاً الى الدين واللاهوت ، مع أنه لم يتقبل في بادىء الامر الآراء والنظريات البروتستانتية . ولكنه سرعان ما انضم الى صفوف البروتستانت وراح يقدّم اليهم الخدمات الجلّى من تنظيم لشؤونهم الاكليريكية ، وتنسيق لمبادئهم الروحية . وكان اضطهاد البروتستانت شديداً قاسياً ، فاضطر الى العيش عيشة الرحّل بضع سنين . **وفي سنة ١٥٣٦ أصبح زعيماً لاصلاح الكنيسة في جنيف** . وقد قضى فترة من الوقت في ستراسبورغ تزوج خلالها . وكانت وفاته في جنيف في ٢٧ ايار ١٥٦٤ .

اشتبك هذا المصلح في كثير من الخلافات أدّى احدها الى فصم عرى صداقة حميمة ، وانتهى ثانيها الى نفي خصمه من جنيف . ولعل أشهر حادث هو ذاك الذي يتعلق بمايكل سرفيتوس الذي كان كالفن يكره نظرياته وآراءه . فقد سُجن سرفيتوس بأمر من كالفن ، وبعد محاكمته أحرق حياً ...

سويدنبورغ

EMANUEL SWEDENBORG

عمانوئيل سويدنبورغ (١٦٨٨ — ١٧٧٢) عالم وفيلسوف ومتصوف اسوجي مولود

في استوكهلم . طاف باوروبا السنين الطوال ، ثم عاد الى موطنه سنة ١٧١٥ لينصرف بكليته الى العلم والهندسة . عيّنه ملك اسوج سنة ١٧١٦ مقدّراً في المناجم ، وما هي إلا سنتان حتى اخترع بعض المعدات العسكرية . ولقد سبق عصره في الكثير من الميادين. ويكفي أن يكسبه الشهرة العريضة عمله في حقل الجيولوجيا (علم طبقات الارض) .

وفي حقل الفيزياء استبق عمل الفيلسوف الالماني عمانوئيل قانت .

اخترع المسماع واداة طيران عرف انها تحتاج الى الكثير من التحسين قبل أن تستطيع التحليق فقال : « لعله يأتي أحـــد في عصر متأخر يعرف أفضل مني كيف يحسّنها فتؤدي مهمتها ! »

وفي سنة ١٧٤٥ طرأ على هـذا العالِم تبدّل كبير ، إذ مال الى الامور الروحية .فرأى الرؤيا ، وقال ان الله ظهر له واختاره ليُظهر الحقيقة الالهية . ولكنه لم يحاول التبشير بل نشر رسالته على العالم في مؤلفاته التي يُعتبر أشهرها وأكثرها فهماً من المجموع الحب الالهي والحكمة . وقد كانت وفاته في لندن .

ماري ولستونكرافت

MARY WOLLSTONECRAFT

عرف التاريخ عدداً من النساء بلغن بمزاياهن الخاصة من جمال وذكاء اعلى المراتب سواء في ميدان السياسة ، أو الفنون ، أو الحياة العامة . ولكن قليلات هن اللواتي بلغن شأواً عظيماً في الحياة باعتبارهن نساء .. أجل نساء لهن من الحقوق ما للرجال . من هؤلاء النساء كانت ماري ولستونكرافت (١٧٥٩ - ١٧٩٧) الفتـاة الانكليزية التي نادت بحقوق المرأة ، وانبرت للدفاع عن هذه الحقوق .

ففي سنة ١٧٩٢ اصدرت كتاباً بعنوان دفاع عن حقوق المرأة . فكان في عنوانـه غريباً ، غير مألوف ، ولا مفهوم ! وكانت مؤلفته كذلك غير معروفة ، بل تكاد تكون مجهولة . ولكن صدور هذا الكتاب كان حدثاً في تاريخ الفكر الاجتماعي إذ ظلت المرأة قابعة في البيت ـــ مكانها الطبيعي ـــ لا تبرحـه طوال ستة آلاف سنة من تاريخ البشرية . وكانت عبارة حقوق المرأة أمراً غـــير مألوف في ذلك الوقت الذي نادت فيـه الثورة

الفرنسية بالمساواة . **ولم يكن ليدور في خلد أحد أن للمرأة حقوقاً خاصة بها غير حقوق الرجل .**

أما الحقوق التي طالبت بها ماري في كل ما نشرته من كتابات وفصول فهي حقوق التعلّم ، والعمل ، والاشتراك في السياسة ، والمحافظة على حياتها الزوجية.

تزوجت ماري من المفكر والمصلح الانكليزي **ويليام غودوين** ، ورُزقت منه ابنة دعتها باسمها ، تزوجت فيا بعد من الشاعر شيللي . وماتت في الثامنة والثلاثين من عمرها . غير أن حياتها القصيرة هذه « تركت اثراً خالداً في التاريخ ، ودفعت بالانسانية خطوة فسيحة الى الامام ... فبعد موتها بخمسين سنة ظهرت أول رسالة في التاريخ تطالب بمنح النساء حق الانتخاب . وبعدها بثماني سنوات قدّم الفيلسوف **«جون ستوارت مل»** مشروعاً الى البرلمان الانكليزي بتقرير هذا الحق للنساء . ولم تمضِ على هذا سنتان حتى منحت احدى ولايات اميركا بعض نسائها حق الانتخاب . **ولكن الانسانية انتظرت طويلاً حتى كانت سنة ١٩٠٧ حين أقرت أول دولة في العالم (وهي فنلندا) المساواة بين رجالها ونسائها في هذا الحق السياسي الاجتماعي الخطير** . وتبعتها نروج في العام التالي . وبذلك بدأت الشجرة الكبيرة التي نبتت من حبة بذرتها ماري ولستونكرافت ، تظلل بفروعها كثيراً من شعوب الغرب والشرق ، وان كانت هذه الفروع لم تمتد الا بفضل نساء مكافحات ، سجنّ في سبيل رأيهن، وماتت منهن في غيابته المظلمة نساء مشهورات . »

كانت ماري من أشد أنصار الثورة الفرنسية حماسة ، وقد ذهبت الى باريس سنة ١٧٩٣ لتجمع مواد كتابها « نظرة تاريخية وادبية على الثورة الفرنسية » . ولكنها لم تجد نفسها سعيدة أو مرغوباً بها بصفتها انكليزية ، فاضطرت الى القبول بحماية ورعاية **الكابتن غلبرت ايملاي** الذي ما لبث أن أحبته حباً لم يعرف أية حدود . ويبدو من مجموعة الرسائل التي تبادلتها معه أنه لم يكن جديراً بحبها ، واخلاصها ، وثقتها ، وقد هجرها بعد أن رُزق منها طفلا ...

إليزابث فراي

ELIZABETH FRY

عُرفت اليزابث فراي (١٧٨٠ — ١٨٤٥) بلقب **ملاك السجون** لأنها رائدة اصلاح

السجون ، وقفت حياتها على الكفاح من اجل تبديل نظرة المسؤولين والمجتمع الى السجون بحيث جعلتهم ينظرون اليها على أنها أمكنة للاصلاح لا للتعذيب والتنكيل . ولم يقتصر هذا التبدّل على انكلترا وحدها بل تعداه الى سائر البلدان المجاورة .

ابصرت النور في بيت عريق المنبت في نورفولك بانكلترا ، وكانت في صباها نحيلة البنية ، عصبية المزاج ، لم يقدّر أحد انه سيُكتب لها الخلود . ولقد كانت نقطة التحول في حياتها وهي بعد في السابعة عشرة من عمرها ، وفي حيرة من امر حياتها ، عندما هبط انكلترا احد الواعظين الاميركيين الذي اضفى على حياتها معنى جديداً بمواعظه عن محبة بني البشر. ودفعها ذلك الى توجيه نشاطها الى الاعمال الانسانية السامية ، فأهملت مسرات الحياة وراحت تعلّم الاولاد ، وتزور الارامل والخدم في المستشفيات .

وفي سنة ١٨٠٠ تزوجت من جوزف فراي ، وكان زميلًا لاخوتها في المدرسة. ورزقت منه احد عشر ولداً . واستطاعت التوفيق بين شؤون البيت والتربية وبين عملها الانساني الذي امتدّ الى زيارة السجون ، فكانت زيارتها لأحد سجون النساء وما شاهدته فيه من بؤس وشقاء وفساد ، دافعاً لها على تأليف لجنة من السيدات للنظر في شؤون الاصلاح . **وقد وضعت برنامجاً لاصلاح السجون تقدّمت به الى المسؤولين الذين لم يروا بدأً من تنفيذ مجمل ما تضمنه كتشغيل السجينات بالنسج والحياكة ، والمحافظة على شؤون النظافة في السجن ، وتعيين مراقبات عليهن ...**

وعنيت بالفقراء والمرضى والحزانى، فكانت لا تفتأ ، طوال حياتها ، تتردد عليهم مؤاسية ، مقدمة اليهم الملابس والهدايا ، **مؤكدة بذلك أن العطاء أفضل من الاخذ ...**

فلورنس نايتنغيل

FLORENCE NIGHTINGALE

رفعت فلورنس نايتنغيل (١٨٢٠ — ١٩١٠) **فن التمريض** الى مرتبة فرع من فروع الطب ، وجعلت منه مهنة قائمة بحد ذاتها . ولدت في اسرة انكليزية موسرة كانت تقيم في فلورنسا في ايطاليا . فلما بلغت الرابعة والعشرين أدهشت اسرتها عندما فاجأتهم بقرارها احتراف التمريض . وقد أصبحت مشرفة على أحد مستشفيات لندن سنة ١٨٥٣ بعد فترة من الدراسة في اوروبا .

وفي سنة ١٨٥٤ رُوعت انكلترا بالتقارير الواردة عن الآلام الفظيعة التي يعانيها المرضى والجرحى من الجنود المحاربين في شبه جزيرة القرم ... فأوفدت فلورنس مع عدد من الممرضات والممرضين (**٣٨ زيدوا فيما بعد الى ١٠ آلاف**) للاشراف على العمل هناك والعناية بالجرحى. وبفضل عزيمتها التي لا تُقهر، وعبقريتها في التنظيم، استطاعت أن تتخطى الكثير من الصعاب، وتخفض الى أدنى مستوى نسبة الوفيات بين الجرحى والمرضى من المحاربين.

ولقد جرّ اليها عملها الحربي هذا الكثير من النعم الملكية، والشهرة، والمعونة المالية لمشاريعها زمن السلم، وجلها اقامة المراكز لتدريب الممرضات.

عاشت حياة هادئة وادعة، ولكنها حياة ملأى بالنشاط، والحيوية، والفائدة، ونكران الذات.

مع الخالدين من الرحالة

مار كو بولو   ابن بطوطه

أميريغو فسبوتشي   كولومبوس

فاسكودو غامـــا   ماجيـــلان

دجيمس كوك   راسل فارنوم

ليفنغستون   الكابتن سكوت

الاميرال بيرد



ماركو پولو

MARCO POLO

هو نبيل من البندقية ومن اشهر رحالة القرون الوسطى (١٢٥٤ – ١٣٢٤) جُمعت قصته عن رحلته الى الشرق الاقصى حيث قضى مع ابيه وعمه عشرين عاماً ومغامراته في مجلد يحمل اسمه تُرجم للحال الى عدة لغات، **وظل بضعة قرون المرجع الوحيد الذي يلجأ اليه الاوروبيون لاستقاء معلوماتهم عن الشرق الاقصى**. واتهم بالمبالغة، سوى أن دقة ملاحظاته وصحة اخباره وروایاته سرعان ما أثبتت. وقد جاء في مقدمة المسرحية التي وضعها الروائي الاميركي «يوجين اونيل» عنه: **«ان هذه المسرحية محاولة لانصاف رحالة اتُهم زوراً وبهتاناً بأنه كذاب ذو شهرة عالمية».**

غادر هذا الرحالة مدينة البندقية في ايطاليا برفقة اثنين من اسرته عام ١٢٧١ ووصل الى الصين عام ١٢٧٥. وقد استقبله وصحبه الامبراطور المشهور قبلاي خان استقبالاً حاراً، وكرّمهم، واسبغ عليهم الرتب والنعم. حتى انه وضع بين يدي ماركو بولو ادارة احدى المدن الصينية لمدة ثلاث سنوات، وأوفده في عدد من المهمات الرسمية الخطيرة الشأن. وفي سنة ١٢٩٥ عاد ورفاقه الى البندقية بعد ان ساحوا في مختلف ارجاء القارة الآسيوية. وبعد ذلك بثلاث سنوات قاد ماركو بولو سفينة حربية في معركة فاشلة ضد مدينة جنوى، فهُزم ووقع في الاسر. **واغتنم فرصة سجنه ليملي على زميل له يدعى روستيشانو «رحلاته» الشهيرة باسم كتاب ماركو بولو. ولما أفرج عنه العام ١٢٩٩ كان قد فرغ من كتابه.**

ابن بطوطه

جوّاب الآفاق، في طليعة الرحالة والروّاد الكبار، اسمه محمد بن بطوطه، أبصر النور في طنجه سنة ١٣٠٤، وهو سليل بيت كريم أصيل، اشتغل بالعلوم الشرعية الاسلامية وتولى منصب القضاء بين الناس. فدرس محمد العلوم الدينية والفقه، والأدب والشعر، وشب تقياً ورعاً، محباً للعلماء والاولياء.

ولما أصبح في الثانية والعشرين من عمره رغب في الحج الى بيت الله الحرام، فكانت

تلك نقطة التحول في حياته إذ انه ارتدى مـذ ذاك ثوب التجوال في ارجاء الامبراطورية الاسلامية المترامية الاطراف ، لا سيما بعد أن اطلع على اخبـار الذين سبقوه من الرحالة المسلمين . إلا أن ابن بطوطة امتاز على هؤلاء الرحالة جميعاً بفضل ثقافته الدينية الواسعة التي فتحت له قلوب جميع الذين نزل في بلدانهم خلال تجواله الطويل ...

غادر ابن بطوطة طنجه سنة ١٣٢٦ قاصداً حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول الكريم . **وقد طاف بارجاء الامبراطورية الاسلامية الممتدة من حدود الهند شرقاً الى المحيط الاطلسي غرباً ، ومن آسيا الوسطى وجبال القفقاس شمالاً الى صحارى افريقيا جنوباً .**

أما البلدان التي زارها هذا الرحالة العربي فهي تونس ، ومصر ، والشام ، والحجاز ، والعراق ، وجنوبي جزيرة العرب ، والصومال ، وآسيا الصغرى، وبلاد الاناضول ، وبلاد المغول ، والهند ، وجزر الهدوء والسلام (جزر الملديف حالياً) ، وجزيرة سيلان ، والصين ، والاندلس ، والسودان ... ولما عاد قصد الى مدينة فاس فقابل سلطانها ابا عنان ومكث عنده يسجل رحلته التي حوت الكثير من الاخبار عن البلاد التي وصل اليها الاسلام. **وقد استغرقت رحلته هذه حوالي خمسة وعشرين عاماً ...**

وفيما يلي نموذج مما جاء في اخبار ابن بطوطة عن التصوير عند الصينيين : « ومن عجيب مـا شاهدت لهم من ذلك أني ما دخلت قط مدينة من مدنهم ، ثم عدت اليها إلا ورأيت صورتي وصور اصحابي منقوشة في الحيطان والكواغد موضوعة في الاسواق ... ولقد دخلت العاصمة ، فمررت على سوق النقاشين ، ووصلت الى قصر السلطان مع أصحابي ونحن على زي العراقيين ، فلما عدت من القصر عشياً مررت بالسوق المذكورة ، فرأيت صورتي وصورة أصحابي منقوشة في كاغد قد ألصقوه بالحائط ، فجعل كل واحد منا ينظر الى صورة صاحبه لا تخطىء شيئاً من شبهه . وذُكر لي أن السلطان أمرهم بذلك ، وأنهم أتوا الى القصر ونحن به ، فجعلوا ينظرون الينا ، ويصورون صورنا ونحن لم نشعر بذلك ، وتلك عادة لهم في تصوير كل من يمر بهم ، وتنتهي حالهم في ذلك الى أن الغريب إذا فعل ما يوجب فراره عنهم بعثوا صورته الى البلاد وبُحث عنه ، فحيثما وُجد شبه تلك الصورة أُخذ. »

« وأشاد ابن بطوطة بتقدم أهـل الصين في تأمين سبل العيش لغير القادرين منهم . فمما شاهده في إحدى كنائس مدينة من مدن الصين بيوت يسكنها العميان وأهل الزمانات ، ولكل واحد منهم نفقته وكسوته من أوقاف الكنيسة ، وكذلك في داخلها المارستان

للمرضى ، والمطبخة لطبخ الاغذية ، وفيها الاطباء والخدام ... وكذلك الشيوخ الذين لا قدرة لهم على التكسب ، لهم نفقتهم وكسوتهم بهذه الكنيسة ، وكذلك الايتام والارامل ممن لا حال لهم . »

فسبوتشي

AMERIGO VESPUCCI

التاجر والمغامر الايطالي اميريغو فسبوتشي (١٤٥١ – ١٥١٢) ، **الذي دُعي العالم الجديد باسمه** ، اعتُبر طوال قرون اول شخص رأى القارة الاميركية ، ولكن الرأي السائد اليوم أنه لم يكن له أي نصيب في هذا الاكتشاف .

كانت ولادته في فلورنسا ، وقد عمل في مطلع حياته كاتباً في بيت ميدتشي التجاري ، وأقام معظم وقته في اسبانيا ، في قادش واشبيلية ، حيث كان يمثل ، ولا ريب ، مصالح تجارة هذا البيت في تلك البلاد .

سنحت له الفرص العديدة لكثرة الحملات الاستكشافية التي كانت تنظم في ذلك الحين . ويدّعي فسبوتشي أنه اشترك في احدى تلك الرحلات البحرية في ١٠ أيار ١٤٩٧ . **وتلك هي الرحلة موضوع الخلاف – وكما يُعتقد لم يقم بها** . ولكنه اذا كان قد اشترك فيها ، واذا كانت روايته لها صادقة ، لكان يجب ان يكون قد وصل الى اليابسة في اميركا في ١٦ حزيران ١٤٩٧ ، وقبل ثمانية أيام من دجون كابوت ، الرحالة البريطاني الذي وصل الى القارة الاميركية الشمالية في ٢٤ حزيران من السنة نفسها . وقد ادّعى فسبوتشي أنه قام بثلاث رحلات طويلة اخرى ، وصل في إحداها الى اليابسة في اميركا الجنوبية ، وذلك قبل وفاته .

كولومبوس

CHRISTOPHER COLUMBUS

التحق كولومبوس (١٤٥١ – ١٥٠٦) ، البحار الايطالي المولود في جنوى ، منذ نعومة اظفاره باحدى سفن القراصنة . فقد كانت العائلات الكبرى المعروفة ترسل ابناءها على مثل هذه السفن بغية ان تنمّي في نفوس هؤلاء الشبان روح المغامرة والثقة بالنفس ، وتتيح

لهم التعرف الى العالم ، فضلاً عن كسب بعض المال . ولم يكن في ذلك أي عار اللهم الا في حالة الوقوع في ايدي السلطات .. وعندها يتأزم الموقف .

في المدرسة قرأ كولومبوس في كتاب لفيثاغورس ان الارض مستديرة ، فجعل يعمل ويفكر ، واستنتج من ذلك ان في مثل هذه الحالة يمكنه ان يصل الى الهند من طريق اقصر من الطريق المعروف ، وان في وسعه ان يجمع ثروة . الا ان اساتذة الجامعات والفلاسفة فيها سخروا منه ، واستخفوا برأيه .

بقي كولومبوس سبعة عشر عاماً يبحث عمن يمد له يد المساعدة ويموّل مغامرته الكبرى ، فلم يلقَ غير الفشل والخيبة المريرة . واخيراً فقد كل امل وكاد ينسى مشروعه هذا ، وانسحب الى احد الاديرة في اسبانيا يقضي فيه ما تبقّى له من ايام على وجه البسيطة .

سوى ان البابا في روما اهتم للامر ، وحث الملكة ايزابيلا فمنحته السفن التي يحتاج اليها . غير انه وجد صعوبة كبيرة في حشد العدد الكافي من البحارة لان الجميع كانوا يخشون المغامرة بحياتهم . فما كان منه الا ان قبض على بعض البحارة ، وجرّهم بالقوة الى سفنه . وقد استخدم الرشوة والتهديد لاستمالة عدد آخر منهم ، كما اختار بعض رجاله من السجون واعداً اياهم بالحرية في حالة ذهابهم معه ...

وتم كل شيء ، فأبحرت سفن كولومبوس الثلاث وعلى ظهرها ثمانية وثمانون بحاراً قبل شروق شمس يوم الجمعة في ٣ آب سنة ١٤٩٢ بنصف ساعة .

اما المستعمرات التي أنشأها كولومبوس في العالم الجديد فلم تلقَ سوى الدمار والفشل اذ ان الهنود الحمر فتكوا بجميع سكان المستعمرة الاولى . وقد اتهم حاكم المستعمرة الثانية كولومبوس ، لشدة غيرته منه ، بشتى التهم والجرائم . والقى القبض عليه وارسله مقيداً بالسلاسل الى اسبانيا . فلما وصل كولومبوس الى اسبانيا اطلق سراحه على الفور ، الا ان هذه المعاملة والنهاية التي انتهى اليها حطمت آماله وهدّت قواه . وقد توفي في سن الستين ، مغموراً ، لم تكرمه السلطات ولم ينشده الشعراء . توفي في غرفة حقيرة تتنازعها الرياح ، تدلت على جدرانها السلاسل والقيود التي رسف فيها وهو سجين . لقد ابقاها معلقة امامه دلالة على زيف هذا العالم ونكران الجميل .

ان عمل كولومبوس ليعتبر أعظم عمل وأجرأ مغامرة في التاريخ البشري .. ولكنه لم يحصل من وراء ذلك على شيء . كان ينتظر ان يجمع ثروة فمات فقيراً . وعد

بلقب « اميرال المحيط ونائب الملك في الهند » ولكنه لم يحصل على اي لقب .. حتى العالم الجديد الذي اكتشفه لم يُعرف باسمه ، بل سُمي باسم صانع خرائط يدعى امريغو فسبوتشي . والواقع ان كل ما جناه من اكتشاف هذا العالم الجديد هو الاحتقار وخيبة الامل .

لم يعرف كولومبوس المسكين انه وصل الى قارة جديدة ليتعزى بعض الشيء ، بل كان يتوهم انه اكتشف طريقاً بحرياً جديداً الى الهند .. ومن هنا اطلق على السكان الحمر الذين وجدهم في اميركا اسم الهنود .

وهناك امر يجهله الكثيرون .. فكولومبوس يُعتبر أول من اكتشف أميركا في حين انه الثالث . ذلك بأن كاهناً بوذياً من الصين يدعى هو ـ شين اكتشف العالم الجديد قبل مولد كولومبوس بألف سنة . كما اكتشفها قبل ميلاده بخمسمائة سنة ليف إريكسون ، احد سكان اوروبا الشمالية .

ڤاسكو دُو غَامَا

VASCO DE GAMA

يحتل اسم الرحالة البرتغالي فاسكو دو غاما (١٤٦٩ ـ ١٥٢٤) ، **فاتح طريق رأس الرجاء الصالح** ، ومؤسس مستعمرة موزامبيك مقاماً مرموقاً الى جانب زميله **ماجيلان** الذي امتطى سفناً برتغالية ليقوم بدورة حول العالم ، وليثبت أن الارض كروية الشكل . فكان له ما أراد . « قتل ، وسرق ، ونهب ، ولكن هذا كله كان في ذلك الوقت من مقتضيات الغزو والفتح ، وكان العرف يسيغه بعقلية الزمان الذي عاش فيه فاسكو دو غاما . »

أحبّ الأسفار منذ صغره ، ولا عجب فأبوه استفان دو غاما بحار عنيد ، وقد رافقه في عدد من رحلاته التي خاض فيها عباب الخضمات الشاسعة . وكان في صباه يمنّي النفس بالقيام بمغامرات تحمله الى أقصى الشرق أو أقصى الغرب . « وكانت اسرته حائزة على رضى الاسرة المالكة ، فأحبه الملك جوان الثاني وقرّبه اليه ، وكان هذا الملك دائم التفكير في مواصلة البحث لكشف طريق الهند بحراً ـ ولم يكن الناس في ذلك الوقت يعرفون غير طريق البر من أوروبا الى الشرقين الاوسط والاقصى . وتحققت امنية فاسكو يوم عهد اليه الملك

جوان الثاني بالقيام بمحاولة اخرى للوصول الى الهند بطريق البحر ، وبالدوران حول القارة الافريقية . »

غير أن التنفيذ لم يتم إلا في عهد الملك عمانوئيل الذي خلف جوان وأمر باعداد اسطول. قوامه اربع سفن بقيادة فاسكو دو غاما أبحر في ٨ تموز ١٤٩٧ من ميناء راستيلو البرتغالي في طريقه الى الهند . ودارت هذه السفن الاربع بعد زهاء أربعة أشهر ونيّف حول الرأس المخيف الذي اطلق عليه فاسكو مذ ذاك اسم **رأس الرجاء الصالح** لأنه لم يصادف في رحلته كبير عناء. وفي الطريق شمالاً الى الهند ، وبمحاذاة الساحل الشرقي للقارة الافريقية اكتشف فاسكو جزيرة موزامبيك ، فاحتلها ورفع العلم البرتغالي عليها . وواصل طريقه الى الهند . ولكنه لم يستطع الاقامة طويلاً هناك لان الهنود ، بتشجيع من التجار العرب الذين كانوا يسيطرون على الاسواق في الساحل الشرقي للهند ، أنذروا فاسكو ورجاله بالعودة من حيث أتوا . فقد كانوا يخافون من الاوروبيين ومن استعمارهم التجاري والعسكري .

وبعد سنتين قضاهما فاسكو وبحارته بعيداً عن الوطن ، ابتلوا خلالها بالامراض والاهوال ، عادوا الى البرتغال لتغدق عليهم النعم والعطايا .. وكان نصيب فاسكو منها حصة الأسد ، من مال ، وعقار ، وألقاب ، وجواهر ثمينة ، واسلحة. ولما سأله الملك عمانوئيل عما يطلبه اجاب : **« اسطولاً قوياً ، وعدداً كبيراً من الجنود والبحارة لكي أنتقم لك ولنفسي من الذين أهانوني ، وأترك حاميات تحرس البلدان التي رفعت عليها العلم البرتغالي باسمك ! »**

ومـا هي الا سنتان حتى أجاب الملك طلب فاسكو فجهّز له اسطولاً من عشرين سفينة مسلحة ومشحونة بالمؤن والذخائر . ووصل الى الهند .. « وكان حقوداً ، فروى حقده يوم وصوله .. رواه من الدم المسفوك ظلماً وبدون سبب . ثم واصل السير الى اقليم « كوشين » حيث كان يجلس على عرش الامارة هناك رجل رضي بأن يعقد محالفة مع البرتغاليين . فتعاقد معه فاسكو دي غاما . وقفل راجعاً الى لشبونه فبلغها في ٢٠ كانون الاول ١٥٠٣ ، وكان عمره ٣٤ سنة فقط !

وقد كان من حقه أن يطالب بمكافأة سخية ، بعد أن وطد الحكم البرتغالي في مستعمرات نائية ، وفتح لدولته ابواب امبراطورية شاسعة . ولكن المكافأة لم تمنح للمغامر الجريء بل قوبل في هذه المرة بعدم الاكتراث ، وناصبه الملك العداء واهمل شأنه . وظل مهملاً أكثر

من عشرين سنة ، ذاق في خلالها انواع العذاب النفساني .

وكثيراً ما كان اصدقاؤه يرونه يمشي وحده على شاطىء البحر ، وهو يبكي !

واخيراً ، في سنة ١٥٢٤ ، دعاه الملك جوان الثالث الى القصر ، وابلغه قراراً اتخذه بشأنه : ان الملك يعينه نائباً له في ممتلكات البرتغال بالهند ! وعادت الابتسامة الى فم المغامر. وسافر في ٩ نيسان ١٥٢٤ ، ولكنه لم ينعم بمنصبه الجديد أكثر من أربعة اشهر . فقد مات في الهند قبل نهاية العام . ونُقل جثمانه الى البرتغال في سنة ١٥٣٨ ، ونظم الشاعر البرتغالي « كامونيس » ملحمة في وصف فتوحاته ومغامراته ، هي آية من آيات الادب الخالدة . »

مَاجيـلان

MAGELLAN

البحّار البرتغالي فرناندو ماجيلان (١٤٨٠ — ١٥٢١) هو مكتشف مضايق ماجيلان، وأول من عبر المحيط الباسيفيكي ، **وأول من حاول الدوران حول الكرة الارضية بطريق البحر .**

نشأ ماجيلان خادماً في بلاط الملكة ليونور ، زوجة الملك جوان الثاني البرتغالي . وفي عهد خلف الملك جوان — الملك مانويل الاول ، أدّى ماجيلان خدمات جلّى في الهند ، والتحق سنة ١٥١٣ بحملة برتغالية وجهتها مراكش . وهناك جُرح ماجيلان واصابه العرج الذي لازمه طوال حياته . واتُهم بأنه يتعامل مع السكان العرب هناك مما أغضب عليه الملك مانويل . وعندها تخلى عن جنسيته وعرض خدماته على اسبانيا .

كان ماجيلان يعتقد ان جزر التوابل في الهند الشرقية يمكن أن يصل اليها المرء بالابحار غرباً وحول رأس اميركا الجنوبية. فأبحر من اشبيلية في ١٠ تموز ١٥١٩ في اسطول يتألف من خمس سفن في رحلة تُعتبر من أكثر الرحلات رومنطيقية في التاريخ . وفي تشرين الثاني ١٥٢٠ عبر المضايق التي تحمل اليوم اسمه . فكانت رحلة عاصفة .. فلما وصل الى مياه المحيط الهادئة دعا هذا المحيط باسم المحيط الباسيفيكي، أي الهادىء . وطالت الرحلة ، فخشي ماجيلان أن تنفد المؤن التي يحملونها وكميات الماء الصالحة للشرب . واصيب البحارة بفساد الدم ، واضطروا الى أكل الجلود ، والنشارة ، والفئران . وفي ٧ نيسان ١٥٢١ وصلت الحملة الى قلب جزر الفيليبين حيث خدعه سلطان البلاد الذي ادعى اعتناقه النصرانية ليستخدم اصدقاءه

الكاثوليك . فقام ماجيلان بحملة على جزيرة مجاورة لحمل السكان على اعتناق النصرانية والانضمام الى الملك المذكور (ملك كيبو) فقتل في ٢٧ نيسان ١٥٢١ . وبعد أن قتل ملك كيبو عدداً من زعماء الحملة ولّى الاسبان الادبار من الفيليبين . ونجح ٣١ شخصاً من اصل القوة الاساسية في الوصول الى اشبيلية على ظهر السفينة فكتوريا ، **أول سفينة تقوم برحلة حول العالم .**

وعلى الرغم من أن ماجيلان لم يعمّر ليتم شخصياً عمله الجبار الذي يضاهي من حيث الاهمية اكتشاف اميركا ، إلا أنه نال الجزاء الحسن الذي يستحقه صانعو التاريخ . فاسمه **بارز بين كبار الرحالة في العالم ، وما يزال أكبر المحيطات يحمل الاسم الذي أطلقه عليه . ولقد أتم ماجيلان ما خططه كريستوفر كولومبوس** — ربط اوروبا الغربية بآسيا الشرقية بخط مباشر عبر المحيط الغربي . **وفوق ذلك فقد برهن على أن الارض مستديرة ، وان اميركا ليست مجموعة جزر أو شبه جزيرة تمتد جنوباً من آسيا ، بل قارة في حد ذاتها .**

كوك

JAMES COOK

دجيمس كوك ، **جوّاب البحار السبعة ، والمكتشف الاكبر** (١٧٢٨ — ١٧٧٩) ، تعشّق البحر منذ كان في الثالثة عشرة من عمره مع أنه لم يبصر النور على الشاطىء . فهو من مواليد مارتون في مقاطعة يورك البريطانية . ويُعتبر أول من افتتح عصر الحملات والرحلات العلمية .

كان أحد تسعة اولاد ، من أسرة فقيرة تعيش في كوخ حقير . فعمل في مخزن لبيع الاقمشة والمواد الغذائية يقوم بالقرب من ميناء هويتبي الزاخر بالسفن التي تمخر العباب الى الشرق فتتزود من بضائعه وسلعه وتحملها الى الغرب . ومن هذا المخزن الذي كان يديره رجل سكير نشأ حب المغامرات في نفس دجيمس الصغير ، إذ ان المعاملة القاسية التي كان يلقاها من سيده اكرهته على الفرار ذات ليلة وركوب متن البحر عاملاً صغيراً على ظهر السفينة « فريلاف » ، وكانت تابعة لاسطول بحري تجاري يملكه جماعة من « الكويكرز » أحسنت

معاملة كوك . ولعله اكتسب منها الكثير من الدقة ، والتنظيم ، والامانة ، والرزانة التي تميزت بها حياة هذا الرحالة .

وارتقى سلّم العمل والخدمة في السفن درجة درجة ، مبتدئاً من أدناها . وكانت حياته خشنة ، صعبة ، فاعتاد أكل كل شيء ، والعيش في مختلف الاجواء . وكان يقضي اوقات فراغه في المطالعة ، فدرس الرياضيات ، والفلك ، والهندسة .. كما درس البشر دراسة عميقة ، فبات يعرف كيف يطيع وكيف يأمر فيطاع .

وذات يوم من عام ١٧٥٥ نشبت حرب السنوات السبع بين انكلترا وفرنسا ، فأبصر بحارة السفن التجارية يساقون قسراً للعمل على ظهر السفن الحربية . وفكر في الاختفاء تفادياً للعمل على ظهر الدوارع ، حيث الحياة أشبه ما تكون بجهنم . ولكنه سرعان ما اتخذ قراراً لم يقتصر فقط على تبديل حياته بل حياة العالم أجمع ، ومعالم الخريطة الجغرافية فقد تقدّم من مكتب التعبئة والتحق بخدمة الملك جورج ...

ووضعت هذه الحرب التي أبلى فيها أحسن بلاء اوزارها سنة ١٧٦٢ ، فتزوج ، وكان في الرابعة والثلاثين . الا أن زوجته اليزابت ، كسائر زوجات البحارة ، لم تكن لتراه الا لماماً ، لأنه قضى السنوات المتبقية من عمره في عرض البحر ... **كان نصيبها كزوجة القلق ، والوحدة ، والوحشة ، ومسؤولية تربية الاولاد .. بينا كان نصيبه كرحالة مغامر المصاعب ، والمجد ، والنهاية السريعة .**

كانت اولى رحلات كوك الاستكشافية الى البحار الجنوبية سنة ١٧٦٨ ، بتكليف من « الجمعية الملكية » ، لجمع المعلومات الصحيحة عن الملاحة الى جانب المعلومات الفلكية . وقد أوفد الى جزيرة تاهيتي نظراً لوفرة معلوماته البحرية والفلكية لمراقبة كسوف الشمس بسبب مرور الكوكب فينوس بين الارض والشمس . وفي خلال هذه الرحلة العلمية الاستكشافية الاولى (١٧٦٨ – ١٧٧١) طاف كوك دون أن يهمل مهمته الاساسية عبر المحيط الهادىء (الباسيفيكي) مكتشفاً جزر الجمعية (لاسوسييته) ، وزيلندا الجديدة ، والساحل الشرقي لاوستراليا التي كانت تُعرف في ذلك الحين باسم هولندا الجديدة .

وقام كوك بعد ذلك بفترة من الزمن قصيرة برحلة استكشافية ثانية طاف فيها حول العالم بالسفينتين « ادفنتشر » و «ريزوليوشن» ، استغرقت ثلاث سنوات (١٧٧٢–١٧٧٥) ، برهن على أثرها على عدم وجود القارة الجنوبية التي كان البعض من معاصريه يعتقد بوجودها .

وفي رحلته الثالثة (١٧٧٦) حاول كوك ان يجد ممراً شمالي اميركا بين المحيط الكبير

والمحيط الهادىء . **وقد اكتشف خلال رحلته هذه جزر سندويش حيث لاقى فيها حتفه على يد سكانها المتوحشين** . وقد عاد معاونوه الى انكلترا بالسفينتين .

ويُعتبر كوك في طليعة رجال البحرية والملاحة ، وقد ساهمت رحلاته الاستكشافية العديدة بكشف أسرار المحيط الكبير ، وصححت معالم خريطة الكرة الارضية ، **فضلاً عن أنها كانت فاتحة عصر الرحلات العلمية الذي خلف عصر الرحلات الاستكشافية ...**

فــارنــوم

RUSSEL FARNUM

لعل الكولونيل راسل فارنوم ، من سكان نيوهامشاير الاميركية ، **هو اول من سار على قدميه من اميركا الى روسيا** . فقـد قطع سنة ١٨١٢ ــ ١٨١٣ المسافة بين مدينة سنت لويس (في ولاية ميسوري) وسان بطرسبرج (لنينغراد اليوم) مشياً على الاقدام، حاملاً على ظهره كيساً يزن حوالي عشرة كيلو غرامات ، وبندقية . تابع طريقه بمحـاذاة نهر ميسوري الى مياه نهر كولومبيا ، ثم صعد ساحل المحيط الهادىء (الباسيفيكي) الى آلاسكا . واجتاز مضيق بهرنغ المتجمد الى سيبيريا ،وواصل سيره الى العاصمة الروسية حيث استُقبل بالترحاب الشديد . وقد اقام له القيصر اسكندر الاول حفلة كبرى ومنحه لقب **الفاتح الوحيد لقارتين** . ومن روسيا ارسله القيصر الى فرنسا التي عـــاد منها الى مسقط رأسه سنت لويس.**فكان بذلك قد قام بعمل لم يروِ له التاريخ حتى اليوم شبيهاً**.وكانت وفاته سنة ١٨٣٢ .

ليفنغستون

DAVID LIVINGSTONE

أبصر دايفد ليفنغستون النور في بلانتاير بمقاطعة لانار كشاير الانكليزية سنة ١٨١٣ ، وعمل في صباه في مصنع للقطن . وبعد أن درس الطب في جامعة غلاسكو، واللغة اليونانية واللاهوت ، عزم على أن يصبح مبشراً ، وانضم الى **جمعية لندن التبشيرية** . وأوفد الى

افريقيا حيث فتح اواسط القارة السوداء امام النفوذ المسيحي، وعمل على إلغاء تجارة الرقيق.

وكان رحالة مولعاً بالاستكشاف فأسدى أجلّ الخدمات باكتشافاته في القارة الافريقية عدّلت وصححت الكثير من المبادىء التي كانت سائدة عن جغرافية افريقيا الوسطى. وقد قام بثلاث رحلات رئيسية اكتشف فيها شلالات فكتوريا، وبحيرتي شير ونياسا. وخلال رحلته الاخيرة التي كان يسعى فيها الى كشف منبع نهر النيل اختفى زهاء خمسة اعوام عن العالم، واعتُبِر مفقوداً. فأوفد رحالة انكليزي آخر هو **هنري مورتون ستانلي (١٨٤١ – ١٩٠٤)** للبحث عنه، فالتقيا في اوجيجي سنة ١٨٧١، وقاما معاً باكتشاف تانغانيكا. وقد توفي ليفنغستون قبل أن يصلا الى الشاطىء.

سكوت

ROBERT FALCON SCOTT

ليس ثمة قصة من قصص البطولة توحي بالكثير وتنتهي بمأساة مفجعة كقصة الكابتن روبرت فالكون سكوت (١٨٦٨ – ١٩١٢)، **ثاني رجل يصل الى القطب الجنوبي**.

وصل نبأ موت سكوت في يوم صحا جوه من أيام شباط ١٩١٢، فاستقبلته انكلترا بوجوم كبير، **ولم يهزها من قبل أي نبأ منذ موت الاميرال نلسون في معركة الطرف الأغر (ترافلغار)**. وقد أقامت له نصباً تذكارياً بعد ٢٢ سنة، كما أقامت متحفاً قطبياً باسمه يُعتبر اول متحف من نوعه في العالم. ولما افتُتح تقاطر حوله جميع من اشترك برحلة استكشافية في القطبين الشمالي والجنوبي من رحالة العالم اجمع. وقد نُقش على واجهة البناء عبارة باللاتينية عن روبرت سكوت مفادها: **« سعى وراء اسرار القطب، فوجد أسرار الله! »**

بدأ سكوت رحلته المفجعة الى القطب الجنوبي على ظهر السفينة **تيرانوفا (الارض الجديدة)** يرافقه أربعة رجال. ومنذ اللحظة الاولى التي مخرت فيها السفينة مياه القطب المتجمدة وسوء الحظ يلازمها. فقد تعرضت لاهوال لا يمكن بشراً أن يتصورها. ومع كل ذلك وصلت الحملة الى القطب بعد اربعة عشر يوماً. وصلوا الى القطب ليجدوا عصا ترفرف في أعلاها قطعة قماش.. انه علم.. علم نروج. **فقد وصل قبلهم الرحالة النروجي أمندسن**. وعندها أيقنوا ان الحظ خانهم، وأفلت النصر من ايديهم لتأخرهم خمسة اسابيع

فحسب . وهكذا راحت سدى كل استعداداتهم الطويلة ، وما قاسوه من أهوال وعذاب طوال الرحلة .

وسحقهم اليأس ، فأرادوا العودة من حيث أتوا . وفي طريـــق العودة واجههم من الاهوال والصقيع ما يفوق حد التصور، فراح يتساقط الواحد منهم تلو الآخر . ُقتل اثنان هما الكابتن اوتس والضابط ايفانز ، وبقي سكوت ورفيقان استطاعوا بعد خمسين يوماً من مغادرتهم القطب أن يصلوا الى مكان ينصبون فيه خيمة . ولكن هبت زوبعة شديدة كانت تشقق الجليد ، فبقوا داخل الخيمة ١١ يوماً كاملة بانتظار أن تنتهي الزوبعة فانتهت مؤونتهم. وعرفوا أنها النهاية ، كما عرفوا أنها طريق الخلاص.. كان معهم كمية من الافيون حملوها لمثل هذه الحالات يتخدرون بها ويستلقون في نوم مريح مليء بالاحلام السعيدة ولا يستفيقون ابداً. **ولكنهم ابوا اللجوء الى هذه الوسيلة وعزموا على مجابهة الموت بالروح الرياضية العالية التي يتحلى بها الانسان الحق. وماتوا حيثهم وأصواتهم تتعالى بالاناشيد والاغاني.** وذات يوم صحا جوه وبرزت شمسه بعد بضعة أشهر وجدت جثثهم المجلدة فرقة استكشاف ، فدفنتهم حيث هم تحت صليب مصنوع من اداتي سكي.

الأميرال بيرد

RICHARD EVELYN BYRD

قام الرحالة الاميركي الشهير رتشارد ايفلين بيرد (١٨٨٨ – ١٩٥٧) **برحلة حول العالم وهو بعد في الثانية عشرة من عمره ، لم يرافقه فيها أحد .** درس في عـدد من مدارس فرجينيا وكلياتها ثم تخرّج في الاكاديمية البحرية الاميركية سنة ١٩١٢ . تدرب على الطيران سنة ١٩١٧ ، وتسلّم قيادة قاعدتين جويتين بحريتين طوال مدة الحرب العالميـة الأولى . وقد تولى سنة ١٩٢٥ قيادة الوحدة البحرية لبعثة ماكميـــلان البحرية الى جزيرة غرينلاند (الارض الخضراء في اوروبا الشمالية) . فكانت تلك الرحلة نقطـة التحوّل في حياته إذ حرّكت في نفسه الرغبة في الاستكشاف والقيام بأعمال لم يأتها من قبل أحد . فقـام بجولة طيران أولى فوق منطقة القطب الشمالي ودار حوله مرات عدة ، فكان لهـذه الجولة الأثر البعيد في مستقبله . وقد حلق في طائرة لا تتسع إلا لربانها ومساعده ، أسماها جوزفين فورد (سميت باسم ابنة ادسل فورد التي كانت وقتئذ في الثالثة من عمرها) . وكان رفيقه في هـذه الجولة القطبية فلويد بينيت .

وفكر بيرد بعد ذلك في استكشاف منطقة القطب الجنوبي التي لم تتجه اليها الانظار بعد . وتم له تأليف حملة غادرت اميركا في ايلول ١٩٢٨ ووصلت الى القطب الجنوبي في كانون الاول من العام نفسه . ووصلت هذه الحملة الى شاطىء خليج الحيتان حيث انشأ بيرد معسكراً صغيراً اطلق عليه اسم « اميركا الصغيرة » انطلق منه الى القطب الجنوبي مع ثلاثة من النوتية . وجمع بيرد معلومات علمية قيّمة ، وقام باستكشافات خطيرة اثناء وجوده في منطقة القطب، وقبل أن يعود الى الولايات المتحدة كان الكونغرس قد منحه رتبة اميرال.

وفي سنة ١٩٣٣ قام بيرد برحلته الثانية الى القطب الجنوبي ، وأقام في أحد الاكواخ الثلجية الباعدة ١٢٣ ميلًا من **اميركا الصغيرة** زهاء ستة أشهر قضاها في تدوين ملاحظاته على الحالة الجوية هناك . وقد شاء ان ينفرد بهذه المهمة الخطرة الشاقة اشفاقاً منه على تعريض سواه للاخطار الكثيرة . وكاد ذات يوم ان يقضي اختناقاً بأوكسيد الكاربون ، ولكنه لم يستنجد بأحد من أفراد بعثته ببرقية لاسلكية . غير أن القدر شاء أن تنتهي مكافحته التسمم الذي أصابه بوصول بعثة الارصاد الجوية بقيادة الدكتور توماس بولتار ، نائبه في رئاسة الحملة .

وفي سنة ١٩٣٥ عادت البعثة الى اميركا ، وقام الرئيس روزفلت بتحية الاميرال بيرد ، وقدّم اليه وثيقة سُجل فيها قرار الكونغرس الذي يعبر عن تقدير الامة الاميركية لاعماله المجيدة .

وقام بيرد برحلته الثالثة الى القطب الجنوبي سنة ١٩٣٩ واكتشف بعض ما فيه من مناجم النحاس ، والمنغنيز ، والفحم ، فضلًا عن اكتشافه عدداً من الجزر والسلاسل الجبلية التي لم تكن مدوّنة على الخريطة . وكانت آخر رحلاته لهذه المنطقة سنة ١٩٥٥ . وكان في نيته العودة الى القطب الجنوبي سنة ١٩٥٧ عندما عاجله مرض القلب فقضى على حياته .

والى جانب ما قدّمه بيرد من خدمات جلّى كرحالة وضابط بحري ، **ترك الكثير من المقالات في الصحف والمجلات ، والعديد من الخطب ، وخمسة كتب** . وقد تزوج سنة ١٩١٥ ، ورُزق أربعة اولاد .

اشهر الاستكشافات

البلاد او المكان	الحدث	الرحالة او المستكشف	التاريخ
		■ افريقيا ■	
سيراليون	زيارة	حنون ، البحار القرطاجي	حوالى ٢٥٠ ق.م.
نهر الكونغو	اكتشاف منبعه	تشاو ، بحار برتغالي	حوالى ١٤٨٤ م.
راس الرجاء الصالح	الدوران حوله	برتولوميو دياز ، بحار برتغالي	١٤٨٨
نهر غامبيا	استكشف	منغو بارك ، رحالة اسكتلندي	١٧٩٥
الصحراء الكبرى	عبرت	دنهام وكلابرتون ، رحالتان انكليزيان	١٨٢٢ – ١٨٢٣
نهر زمبيزي	اكتشف	ليفنغستون ، رحالة اسكتلندي	١٨٥١
السودان	استكشف	بارث ، رحالة الماني	١٨٥٢ – ١٨٥٥
شلالات فيكتوريا	اكتشفت	ليفنغستون	١٨٥٥
بحيرة تانجانيكا	اكتشفت	برتون وسبيك ، رحالتان انكليزيان	١٨٥٨
نهر الكونغو	اتباع معالمه	ستانلي ، رحالة انكليزي	١٨٧٧
		■ آسيا ■	
البنجاب – الهند	زيارة	الاسكندر ذو القرنين	٣٢٧ ق.م.
الصين	زيارة	ماركو بولو ، بحار ايطالي	حوالى ١٢٧٢ م.
التيبيت	زيارة	اودوريك ، راهب ايطالي	حوالى ١٣٢٥
جنوبي الصين	استكشف	كونتي – مغامر ايطالي	حوالى ١٤٤٠
الهند	زيارة بطريق راس الرجاء الصالح	فاسكو دوغاما ، بحار برتغالي	١٤٩٨
اليابان	زيارة	القديس فرنسيس كزافييه الاسباني	١٥٤٩
شبه الجزيرة العربية	استكشف	نيبور ، رحالة الماني	١٧٦٢
الصين	استكشفت	ريشتوفن ، عالم الماني	١٨٦٨
منغوليا	استكشفت	بريجفالسكي ، رحالة روسي	١٨٧٠ – ١٨٧٣
آسيا الوسطى	استكشفت	هيدين ، عالم اسوجي	١٨٩٠ – ١٩٠٨

البلاد او المكان	الحـــدث	الرحالة او المستكشف	التاريخ
■ اوروبـــا ■			
جزر شتلاند	زيارة	بيتياس ماسيليا (مرسيليا)	حوالى ٣٢٥ ق.م.
الرأس الشمالي	الدوران حوله	اوتار ، رحالة نروجي	حوالى ٨٧٠ م.
اسلندا	استعمرت	نبلاء نروجيون	حوالى ٨٩٠ – ٩٠٠
■ اميركا الشماليـــة ■			
غرينلاند	استعمرت	اريك الاحمر ، بحار نروجي	حوالى ٩٨٥ م.
لابرادور ، نوفاسكوتيا	اكتشفت	ليف اريكسون ، بحار اوروبي شمالي	١٠٠٠
الهند الغربية	اكتشفت	كريستوف كولومبس ، بحار ايطالي	١٤٩٢
اميركا الشمالية	اكتشف الساحل	دجون كابوت ، لحساب الانكليز	١٤٩٧
المحيط الباسيفيكي	اكتشف	بالبووى ، رحالة اسباني	١٥١٣
فلوريدا	استكشفت	بونتشي دو ليون ، رحالة اسباني	١٥١٣
المكسيك	احتلت	كورتيز ، مغامر اسباني	١٥١٩
نهر سانت لورانس	اكتشف	كارتييه ، بحار فرنسي	١٥٣٤
جنوبي غربي الولايات المتحدة	استكشف	كورونادو ، رحالة اسباني	١٥٤٠ – ١٥٤٢
نهر كولورادو	اكتشف	الاركون ، رحالة اسباني	١٥٤٠
نهر المسيسيبي	اكتشف	هرناندو دو سوتو ، رحالة اسباني	١٥٤١
خليج فروبيشر	اكتشف	فروبيشر ، بحار انكليزي	١٥٧٦
ساحل ماين	استكشف	شامبلان ، رحالة فرنسي	١٦٠٤
دجيمستون (فرجينيا)	تأسست	سميث ، مستعمر انكليزي	١٦٠٧
نهر هدسون	استكشف	هدسون ، بحار انكليزي	١٦٠٩
خليج هدسون (كندا)	اكتشف	هدسون	١٦١٠
خليج بافن	اكتشف	بافن ، بحار انكليزي	١٦١٦
بحيرة متشيغان	ابحر فيها	نيكوله ، رحالة فرنسي	١٦٣٤
نهر اركانزس	اكتشف	ماركيت وجولييـــه ، فرنسيان	١٦٧٣
نهر المسيسيبي	استكشف	لاسال ، رحالة فرنسي	١٦٨٢
مضيق بيرنغ	اكتشف	بيرنغ ، رحالة هولندي	١٧٢٨
ساحل الاسكا	رؤي	كفوجديف ، بحار روسي	١٧٣١
نهر ماكنزي – كندا	اكتشف	ماكنزي ، رحالة اسكتلندي – كندي	١٧٨٩
الشمال الغربي للولايات المتحدة	استكشف	لويس وكلارك ، انكليزيان	١٨٠٤ – ١٨٠٦

البلاد او المكان	الحدث	الرحالة او المستكشف	التاريخ
الممر الشمالي الشرقي (المحيط المتجمد)	ابحر فيه	نوردانسكيولد ـ رحالة اسوجي	١٨٧٩
غرينلاند	استكشفت	بيري ، رحالة اميركي	١٨٩٢
الممر الشمالي الغربي	ابحر فيه	اموندسن ، رحالة نروجي	١٩٠٦

■ اميركا الجنوبيــة ■

القارة	زيارة	كولومبس ، بحار ايطالي	١٤٩٨
البرازيل	اكتشفت	كابرال ، رحالة برتغالي	١٥٠٠
البيرو	احتلت	بيتزارو ، رحالة اسباني	١٥٢٢ ـ ١٥٢٣
نهر الامازون	استكشف	اوريلانا ، رحالة اسباني	١٥٤١
راس هورن	استكشف	شوتن ، بحار هولندي	١٦١٥

■ اوقيانيــا ■

غينيا الجديدة	زيارة	مينيزس ، رحالة برتغالي	١٥٢٦
استراليا	زيارة	يانج ، رحالة هولندي	١٦٠٦
تسمانيا	زيارة	تسمان ، بحار هولندي	١٦٤٢
استراليا	استكشف	ستيرت ، رحالة انكليزي	١٨٢٨
استراليا	استكشف	بيرك وولز ، رحالتان استراليان	١٨٦١

■ القطب ، والمتجمد الجنوبي ، ومتفرقات ■

استكشاف المحيط	حملة	سفن ماجيلان تدور حول الكرة الارضية	١٥١٩ ـ ١٥٢٢
سبتسبرغن ـ اقصى الشمال الاوروبي	زيارة	بارنتس ، بحار هولندي	١٥٩٦
دائرة المحيط المتجمد الجنوبي	اجتيزت	كوك ، بحار انكليزي	١٧٧٣
المحيط المتجمد الجنوبي	اكتشف	بالمر ، رحالة اميركي ، وبلنفشوزن ، بحار روسي	١٨٢٠ ـ ١٨٢١
المحيط المتجمد الجنوبي	استكشف	ويلكس ، رحالة اميركي	١٨٤٠
القطب الشمالي	اكتشف	بيري ، رحالة اميركي	١٩٠٩
القطب الجنوبي	اكتشف	اموندسن ، رحالة نروجي	١٩١١

جوائز نوبل والفائزون بها (من سنة ١٩٠١ ـ ١٩٦٧)

توزع جوائز نوبل سنويا على اشخاص ومؤسسات يقومون بانجازات قيمة تفيد البشرية في حقول الفيزياء ، والكيمياء ، والطب او الفيزيولوجيا ، والادب ، وقضية السلام العالمي . اما قيمة كل جائزة فتبلغ حوالي ٤٠ الف دولار . واما المال فمصدره فائدة مبلغ ٩ ملايين و ٢٠٠ الف دولار تركها الفريد نوبل ورصدها لهذه الغاية . ونوبل (١٨٣٣ ـ ١٨٩٦) كان عالما كيماويا اسوجيا ، وهو مخترع الديناميت . وقد اوصى بالا تؤخذ بعين الاعتبار جنسية المرشحين ، فتمنح الجوائز لمستحقيها سواء اكانوا من اصل اسكندينافي ام من اصل غير اسكنديناف . أما المبلغ المرصد للجوائز فيديره مجلس مديرين ، تعين الحكومة الاسوجية رئيسه . تقدم جائزتي الفيزياء والكيمياء اكاديمية العلوم الاسوجية في استكهولم ، وجائزة الطب او الفيزيولوجيا معهد كارولين الطبي في استكهولم ، وجائزة الادب الاكاديمية في استكهولم . اما جائزة السلام فيقدمها خمسة اشخاص ينتخبهم البرلمان النروجي (ستورتنغ) . وقد بدأ توزيع الجوائز في ١٠ كانون الاول سنة ١٩٠١ ، وهو ذكرى وفاة نوبل .

السنة	الفيزياء	الكيمياء	الطب والفيزيولوجيا	الادب	السلام
١٩٠١	فلهلم كوراد رونتكن ـ الماني .	ياكوبس فانت هوف ـ هولندي	ايميل فون بيرنغ ـ الماني .	رينه فرنسوى آرمان سولسي برودوم ـ فرنسي .	هنري دونسان ـ سويسري ، بالاشتراك مع فريدريك باسي ـ فرنسي .
١٩٠٢	هندريك انطون لورنتز ، وبيتر زيمان ـ هولنديان .	ايميل فيشر ـ الماني .	السر رونالد روس ـ انكليزي .	تيودور مومسن ـ الماني .	ايلي دوكومون ، وشارل غوبات ـ سويسريان .
١٩٠٣	انطوان هنري بيكريل ، وبيير وماري كوري ـ فرنسيون .	سفانت اوغست آرهينيوس ـ اسوجي .	نيلز رايبرغ فنسن ـ دانمركي .	بيورنسترن بيورنسن ـ نروجي .	السر ويليام كريمر ـ انكليزي .
١٩٠٤	اللورد دجون ويليام سترات رايلي ـ انكليزي .	ويليام رامزي ـ انكليزي .	ايفان بافلوفتش بافلوف ـ روسي .	فريدريك ميسترال ـ فرنسي ، وخوسه ايشيغاري ـ اسباني .	معهد الحقوق الدولي ـ بلجيكا .
١٩٠٥	فيليب لينارد ـ الماني .	ادولف فون بايرن ـ الماني .	روبرت كوخ ـ الماني .	هنريك سنكييفتش ـ بولوني .	برتا فون سوتنر ـ نمسوية .

السنة	الفيزياء	الكيمياء	الطب والفيزيولوجيا	الادب	السلام
١٩٠٦	دجوزف طومسون ـ انكليزي .	هنري مواسان ـ فرنسي .	كاميلو غولغي ـ ايطالي ، وسنتياغو رامون اي كاخال ـ اسباني .	جيوزو كاروتشي ـ ايطالي .	ثيودور روزفلت ـ اميركي .
١٩٠٧	البرت ابراهام مايكلسون ـ اميركي .	ادوارد بوخنر ـ الماني .	شارل لوفيران ـ فرنسي .	رديارد كبلنغ ـ انكليزي .	ارنستو مونيتا ـ ايطالي ، ولويس رينو ـ فرنسي .
١٩٠٨	غبريال ليبمان ـ فرنسي .	ارنست روذرفورد ـ انكليزي .	باول ايرلنغ ـ الماني ، وايلي مشنيكوف ـ روسي	رودلف اوكن ـ الماني .	كلاس بونتوس آرتولدسن ـ اسوجي ، وفريدريك باير ـ دانمركي .
١٩٠٩	كارل فردیناند براون ـ الماني، بالاشتراك مع ماركوني ـ ايطالي .	فلهلم اوستفالد ـ الماني .	اميل تيودور كوشر ـ سويسري .	سلمى لاجرلوف ـ اسوجية .	اوغست ماري فرنسوى برنايرت ـ بلجيكي ، والبارون اينورنيل دوكونستان ـ فرنسي .
١٩١٠	يوهانس ديديريك فان درفالس ـ هولندي .	اوتو فالاخ ـ الماني .	البرت كوسل ـ الماني .	بول فون هايزي ـ الماني .	مكتب السلام الدولي الدائم ـ سويسرا .
١٩١١	فلهلم فين ـ الماني	ماري كوري ـ فرنسية .	الفار غولستراند ـ اسوجي .	موريس مترلنك ـ بلجيكي .	توبياس آسر ـ هولندي ، والفريد فريد ـ الماني .
١٩١٢	نيلز غوستاف دالن ـ اسوجي	فكتور غرينيار ، وبول ساباتييه ـ فرنسيان .	الكسيس كاريل ـ اميركي ، اصله فرنسي .	جيرهارت هاوبتمان ـ الماني .	ايلايهو روت ـ اميركي .
١٩١٣	هايكه كامرلنغ ـ اونيس ـ هولندي .	الفريد فرنر ـ سويسري .	شارل ريشيه ـ فرنسي .	رابندرانات طاغور ـ هندي .	هنري لافونتين ـ بلجيكي .
١٩١٤	ماكس فون لاوه ـ الماني .	ثيودور ويليام رتشاردز ـ اميركي .	روبرت باراني ـ نمسوي .	لم تمنح الجائزة .	لم تمنح الجائزة .
١٩١٥	ويليام هنري براغ ، ووليام لورنس براغ ـ انكليزيان .	رتشارد فلشتيتر ـ الماني .	لم تمنح الجائزة .	رومان رولان ـ فرنسي .	لم تمنح الجائزة .

السنة	الفيزياء	الكيمياء	الطب والفيزيولوجيا	الادب	السلام
١٩١٦	لم تمنح الجائزة .	لم تمنح الجائزة .	لم تمنح الجائزة .	فرنسر فون هايدنشتام – اسوجي .	لم تمنح الجائزة .
١٩١٧	تشارلز غلوفر باركلا – انكليزي .	لم تمنح الجائزة .	لم تمنح الجائزة .	كارل جيليروب ، وهنريك بونتوبيدان – هولنديان .	جمعية الصليب الاحمر الدولي في جنيف .
١٩١٨	ماكس بلانك – الماني .	فرتز هابر – الماني .	لم تمنح الجائزة .	لم تمنح الجائزة .	لم تمنح الجائزة .
١٩١٩	يوهانز شتارك – الماني .	لم تمنح الجائزة .	جول بورديه – بلجيكي .	كارل سبيتلر – سويسري .	وودرو ولسون – اميركي .
١٩٢٠	شارل ادوار – فرنسي .	فالتر فيرنست – الماني .	اوغست كروغ – دانمركي .	كنوت همسون – نروجي .	ليون بورجوى – فرنسي .
١٩٢١	البرت آينشتاين – الماني .	فريدريك صودي – انكليزي .	لم تمنح الجائزة .	اناطول فرانس – فرنسي .	يالمار برانتنغ – اسوجي ، ليون بورجوى – فرنسي .
١٩٢٢	نيلز بور – دانمركي .	فرنسيس ويليام آستون – انكليزي .	اوتو مايرهوف – الماني .	ياشنتو بينافنتي – اسباني .	فريدتيوف نانسن – نروجي .
١٩٢٣	روبرت آندروز ميليكان – اميركي .	فرتز بريغل – نمسوي .	فريدريك غرانت بانتنغ ، ودجون ماك ليود – كنديان .	ويليام ييتس – ايرلندي .	لم تمنح الجائزة .
١٩٢٤	كارل سيغبان – اسوجي .	لم تمنح الجائزة .	ولسون آينتوفن – هولندي .	فلاديسلاف ريمونت – بولوني.	لم تمنح الجائزة .
١٩٢٥	جيمس فرانك ، وكوستاف هرتز – المانيان .	رتشارد جيكموندي – الماني .	لم تمنح الجائزة .	جورج برنارد شو – انكليزي .	تشارلس دوز – اميركي ، واوستن تشمبرلن – انكليزي .
١٩٢٦	جان – باتيست بيران – فرنسي	تيودور سفدبيرغ – اسوجي .	يوهان فيبيغر – دانمركي .	غراتسيا دليدا – ايطالية .	آريستيد بريان – فرنسي ، وكوستاف شتريزمان – الماني.
١٩٢٧	آرثر كومبتون – اميركي ، وتشارلز ولسون – انكليزي .	هاينريتش فيلاند – الماني .	يوليوس فاغنر – بورنغ – نمسوي .	هنري برغسون – فرنسي .	فردينان بويسون – فرنسي ، ولودفيغ كيديه – الماني .
١٩٢٨	اوين رتشاردسون – انكليزي .	ادولف فنداوس – الماني .	شارل نيكول – فرنسي .	سيغريد اوندسيت – نروجية.	لم تمنح الجائزة .

السنة	الفيزياء	الكيمياء	الطب والفيزيولوجيا	الادب	السلام
١٩٢٩	لويس فكتور دو برولي ـ فرنسي .	آرثر هاردن ـ انكليزي ، وهانز فون اولر ـ شلبين ـ اسوجي.	السر فريدريك ج. هوبكنز ـ انكليزي ، وكريستيان آيكمان ـ هولندي .	توماس مان ـ الماني .	فرانك كيلوغ ـ اميركي .
١٩٣٠	السر شاندراسيخارا رامان ـ هندي .	هانز فيشر ـ الماني .	كارل لاندشتاينر ـ اميركي ، مولود في النمسا .	سنكلر لويس ـ اميركي .	ناثان سودربلوم ـ اسوجي .
١٩٣١	لم تمنح الجائزة .	كارل بوش ، وفريدريش بيركيوس ـ المانيان .	اوتو هاينرش فاربورغ ـ الماني.	اريك كارلفيلت ـ اسوجي .	دجين آدامز، ونيكولاس موراي بتلر ـ اميركيان .
١٩٣٢	فيتر هايتزنبرغ ـ الماني .	ايرفنغ لانغميور ـ اميركي .	السر تشارلس شيرنغتون ، وادغار آدريان ـ انكليزيان .	دجون غيلزوردي ـ انكليزي .	لم تمنح الجائزة .
١٩٣٣	بول دايراك ـ انكليزي ، وارفن شرودنغر ـ نمسوي .	توماس هنت مورغان ـ اميركي.	لم تمنح الجائزة .	ايفان بونين ـ فرنسي، مولود في روسيا .	السر نورمان انجيل ـ انكليزي .
١٩٣٤	لم تمنح الجائزة .	هارولد كلايتون يوري ـ اميركي .	جورج ماينوت، ووليام مورفي وجورج وييل ـ اميركيون .	لويجي بيرنديللو ـ ايطالي .	آرثر هندرسون ـ انكليزي .
١٩٣٥	دجيمس تشادويك ـ انكليزي .	فريدريك وارين جوليو كوري ـ فرنسيان .	هانز شبيمان ـ الماني .	لم تمنح الجائزة .	كارل فون اوسييتسكي ـ الماني .
١٩٣٦	كارل اندرسون ـ اميركي ، وفكتور هس ـ نمسوي .	بيتر جوزف فلهلم دبييه ـ هولندي .	اوتو لوفي ـ الماني ، والسر هنري ديل ـ انكليزي .	يوجين اونيل ـ اميركي .	كارلوس سافيدرا لاماس ـ ارجنتيني .
١٩٣٧	كلنتون دايفسون ـ اميركي ، وجورج طومسون ـ انكليزي .	ولتر هاورث ـ انكليزي ، وبول كارير ـ سويسري .	البرت فون جنت ـ جيورجيل ـ مجري .	روجيه مارتان دوغار ـ فرنسي .	الفيكونت سيسيل اوف تشيلوود ـ انكليزي .
١٩٣٨	انريكو فيرمي ـ ايطالي .	رتشارد كون ـ الماني (رفض الجائزة) .	كورناي هنيمانس ـ بلجيكي .	بيرل باك ـ اميركية .	مكتب نانسن الدولي للاجئين في جنيف .
١٩٣٩	ارنست اورلندو لورنس ـ اميركي .	رتشارد بوتانانت ـ الماني (رفض الجائزة) ، وليوبولد روجيكا ـ سويسري .	جيرهارد دوماك ـ الماني ، (رفض الجائزة) .	فرانس ايميل سيلانبا ـ فنلندي .	لم تمنح الجائزة .

لم تمنح اي جوائز في السنوات ١٩٤٠ و ١٩٤١ و ١٩٤٢ من سنوات الحرب العالمية الثانية

السنة	الفيزياء	الكيمياء	الطب والفيزيولوجيا	الادب	السلام
١٩٤٣	اوتو ستيرن ـ اميركي .	جورج هيفيزي ـ مجري .	ادوارد دويزي ـ اميركي ، وهنريك دام ـ دانمركي .	لم تمنح الجائزة .	لم تمنح الجائزة .
١٩٤٤	ايزيدور ايزاك رابي ـ اميركي.	اوتو هان ـ الماني .	دجوزف آرلنجر ، وهربرت غاسر ـ اميركيان .	يوهانس يانسن ـ دانمركي .	جمعية الصليب الاحمر الدولي في جنيف .
١٩٤٥	فولففانغ بولي ـ نمسوي .	ارتوري فرتانن ـ فنلندي .	السر الكسندر فليمنغ ـ انكليزي ، وهوارد فلوري ـ نمسوي ، وارنست كاين ـ الماني .	غبريلا ميسترال ـ تشيلية .	كوردل هل ـ اميركي .
١٩٤٦	برسي بريدجمان ـ اميركي .	دجون نورثروب ، ودجيمس صمنر ، ووندل ستانلي ـ اميركيون .	هرمان مولر ـ اميركي .	هرمان هيسي ـ سويسري ، مولود في المانيا .	دجون موت واميلي بولش ـ اميركيان .
١٩٤٧	السر ادوارد آبلتون ـ انكليزي	السر روبرت روبنسون ـ انكليزي .	كارل ف. وغيرتي ت. كوري ـ اميركيان ، من مواليد تشيكوسلوفاكيا ، وبرناردو هوساي ـ ارجنتيني .	اندريه جيد ـ فرنسي .	جماعة الكويكرز ـ اميركا ، والفرندز ـ انكلترا .
١٩٤٨	باتريك بلاكيت ـ انكليزي .	آرني تيسيليوس ـ اسوجي .	بول مولر ـ سويسري	ت. س. ايليوت ـ انكليزي ، مولود في اميركا .	لم تمنح الجائزة .
١٩٤٩	هيديكي يوكاوى ـ ياباني .	ويليام جيوك ـ اميركي .	فالتر هس ـ سويسري ، وانطونيو مونيز ـ برتغالي .	ويليام فوكنر ـ اميركي	اللورد بويد اور ـ انكليزي .
١٩٥٠	سيسيل فرانك باول ـ انكليزي .	اوتو ديلس ، وكورت آلدر ـ المانيان .	فيليب هنش ، وادوارد كندال ـ اميركيان ، وتيديوس رايشستاين ـ سويسري .	برتراند راسل ـ انكليزي	رالف بانش ـ اميركي .
١٩٥١	دجون كوكروفت ـ انكليزي ، وارنست ولتون ـ ايرلندي .	ادوين ماكميلان ، وغلين سيبورغ ـ اميركيان .	ماكس تايلر ـ جنوبي افريقيا.	يار لاجركفيست ـ اسوجي .	ليون جوهو ـ فرنسي .

السنة	الفيزياء	الكيمياء	الطب والفيزيولوجيا	الادب	السلام
١٩٥٢	فيليكس بلوك ، وادوارد ميلز برسل ـ اميركيان .	آرتشر مارتن ، وريتشارد سينج ـ انكليزيان .	سلمان واكسمان ـ اميركي ، مولود في اوكرانيا .	فرنسوى موریاك ـ فرنسي .	البرت شفايتسر ـ فرنسي .
١٩٥٣	فريتز زرنيكه ـ هولندي .	هرمان شتاودنكر ـ الماني .	فريتز البرت ليمان ـ الماني اميركي ، وهانز ادولف كريبس ـ الماني انكليزي .	ونستون تشرشل ـ انكليزي .	الجنرال جورج مارشال ـ اميركي .
١٩٥٤	فالتر بوته ـ الماني ، وماكس بورن ـ انكليزي ، من اصل الماني .	لاينوس بولنغ ـ اميركي .	توماس ويلر ، وفريدريك روبنز ، ودجون آندرز ـ اميركيون .	ارنست هيمنغواي ـ اميركي .	مكتب مفوض الامم المتحدة لشؤون اللاجئين .
١٩٥٥	بوليكارب كوش ، وويليس لام ـ اميركيان .	فنسنت دو فيغنود ـ اميركي .	هوغو تيوريل ـ اسوجي .	كالدور كيلجان ـ ايسلندي .	لم تمنح الجائزة .
١٩٥٦	ويليام شوكلي ، وولتر براتين، ودجون باردين ـ اميركيون .	السر سيريل هنشلوود ـ انكليزي ، ونيقولاي سيمونوف ـ روسي	فيرنر فورسمان ـ الماني ، ودكنسون رتشاردز (الابن) واندريه كورناند ـ اميركيان .	خوان رامون خيمينيز ـ من بورتوريكو، مولود في اسبانيا.	لم يمنح الجائزة .
١٩٥٧	تشن ننغ يانغ ، وتسونغ داو لي ـ صينيان .	السر الكسندر تود ـ انكليزي.	دانيال بوفه ـ ايطالي ، مولود في سويسرا .	البير كامو ـ فرنسي .	لستر بيرسون ـ كندي .
١٩٥٨	بافيل تشيرنكوف ، وايغور تام ، وايليا فرانك ـ روس .	فريدريك سانغر ـ انكليزي .	جورج بيدل ، وادوارد تيلوم ، ودجوشوى ليدربرغ ـ اميركيون	بوريس باسترناك ـ روسي ، (رفض الجائزة) .	الاب دومينيك جورج بير ـ بلجيكي .
١٩٥٩	اميليو سيغري ـ اميركي ، مولود في ايطاليا ، واوين تشمبرلن ـ اميركي .	ياروسلاف هيروفسكي ـ تشيكوسلوفاكي .	سيفيرو اوكوى ـ اميركي ، مولود في اسبانيا ، وآرثر كورنبرغ ـ اميركي .	سلفاتوري كازيمودو ـ ايطالي	فيليب دجون نويل ـ بيكر ـ انكليزي .
١٩٦٠	دونالد غليزر ـ اميركي	ويلارد ليبي ـ اميركي .	السر مكفرلين بيرنيت ـ اوسترالي ، وبيتر مدور ـ انكليزي من اصل لبناني .	سان ـ جون پيرس ـ الكسي ليجه ـ فرنسي .	البرت دجون لوتولي ـ جنوب افريقيا .

السنة	الفيزياء	الكيمياء	الطب والفيزيولوجيا	الادب	السلام
١٩٦١	رودولف موسباور ـ الماني ، بالاشتراك مع روبرت هوفستادر ـ اميركي .	ملفن كالفن ـ اميركي .	جورج فون بيكزي ـ اميركي ، من اصل مجري .	ايفو اندريتش ـ يوغوسلافي .	داغ همرشولد ـ اسوجي ـ منح الجائزة بعد الوفاة .
١٩٦٢	ليف لاندو ـ روسي .	ماكس بيروتس ـ الماني ، ودجون كندرو ـ انكليزي .	دجيمس وطسن ـ اميركي ، وموريس ولكنز ، وفرنسيس كريك ـ انكليزيان .	دجون شتاينبك ـ اميركي .	لاينوس بولنغ ـ اميركي .
١٩٦٣	هانز ينس ـ الماني ، مع الالمانية الاميركية ماريا ماير (نصف الجائزة) ، واوجين ونغر ـ اميركي ، من اصل مجري .	كارل تسيكلر ـ الماني ، بالاشتراك مع جوليو ناتا ـ ايطالي .	الن هودجكن ، وآندرو هكسلي ـ انكليزيان ، والسر دجون اكليس ـ اوسترالي .	جورجيوس سيفيريادس ـ يوناني .	لجنة الصليب الاحمر الدولي بالاشتراك مع عصبة جمعيات الصليب الاحمر في جنيف ـ سويسرا .
١٩٦٤	تشارلز هارد تاونز ـ اميركي ، ونيقولاي باسوف ، والكسندر بروخوروف ـ روسيان .	دوروثي ماري كروفوت هودجكن ـ انكليزية .	فيودور لونن ـ الماني، وكونراد بلوك ـ اميركي .	جان ـ بول سارتر ـ فرنسي (رفض الجائزة) .	الدكتور مارتن لوثر كنغ (الابن) ـ اميركي .
١٩٦٥	رتشارد فينمان ، وجوليان شوينغر ـ اميركيان ، وشينيشيرو توماناغا ـ ياباني .	روبرت وودورد ـ اميركي .	فرنسوى جاكوب ، واندريه لفولف ، وجاك مونو ـ فرنسيون .	ميخائيل شولوخوف ـ روسي .	منظمة اليونيسيف ـ لاغاثة الطفولة .
١٩٦٦	الفريد كاستلر ـ فرنسي	روبرت موليكن ـ اميركي .	بايتون راوس ، وتشارلز هاغنز ـ اميركيان	صموئيل يوسف اغنون ، اسرائيلي ، ونللي ساخس ـ اسوجية .	لم تمنح الجائزة .
١٩٦٧	هانز بيتيه ـ اميركي .	رونالد جورج ويفورد نوريش، وجورج بورتر ـ انكليزيان ، وهانفريد ايغن ـ الماني .	راغنر غرينيت ـ اسوجي ، وهولدن كيفر هارتلاين وجورج وولد ـ اميركيان .	ميغيل آنجيل استورياس ـ غواتيمالي .	لم تمنح الجائزة .

ملحق

□

فكر

أدب (نثر وشعر)

إصلاح

فن (موسيقى ورسم)

سياسة

□

منذ سنة ١٩٥٩ – موعد صدور الطبعة الاولى من كتابي « مع الخالدين » – ارتحل عن هذا العالم نفر من الأدباء والمفكرين والمصلحين والسياسيين الذين يستحقون ان تدرج اسماؤهم في سجل الخالدين، ولذا كان هذا الملحق .

فضلا عن خالدين آخرين كان ينبغي ان تتضمنهم الطبعة الاولى ، فكان هذا الاستدراك !

مع الخالدين من الادباء والفنانين والمفكرين والمصلحين والسياسيين

أدب

كارلو غولدوني
مارسيل بروست
رينر ماريا ريلكه
لويجي بيرانديللو
دجيمس دجويس
رومان رولان
ساشا غيتري
برتولد بريشت
كازانتزاكيس
هيمنغواي
جان كوكتو
صمرسيت موم
دوهاميل
اندريه بريتون
اقبـــال
ت. س. ايليوت
اندريه موروى

فكر

لايبنتز

فن

بروكوفييف
دولاكروى
كلود مونيه
سارجنت

اصلاح

الاب داميان
فرنسيس ويلارد
هنري دونان
اليزابث بلاكويل
ماريا مونتيسوري
ألبرت شفايتسر

سياسة

محمد علي جناح
جواهر لال نهرو
دجون ف. كينيدي
ونستون تشرشل
مارتن لوثر كنغ

غولدوني

CARLO GOLDONI

كتب اولى مسرحياته وهو بعد في العاشرة من سنيه وقد خلف حوالي مئتي مسرحية هزلية نثرا وشعرا بالايطالية ، والفرنسية ، وباللهجة الفينيسية التي ابدع بها اروع تمثيلياته ، ولكنه مات وسط البؤس والشقاء .

كيف عاش هذا الروائي الغزير الانتاج ، الذي ادخل اصلاحات هامة على الرواية الايطالية التقليدية، واقام دعائم مسرح شهير ؟

كان ممثلا متجولا ، وزير نساء ، ومحاميا ، ومغامرا ، وزوجا عاقلا ، ومدرس اللغة الايطالية للاميرات الفرنسيات ، ابصر النور تحت برج لا شك هازل ، كالحياة التي حاول رسمها لنا في انتاجه المسرحي الضخم الرائع الذي تضمه اربعة واربعون مجلدا .

ولنبدا قصته من البداية :

ابصر كارلو غولدوني النور في مدينة البندقية (فينيسيا) في ٢٥ شباط ١٧٠٧ ، وكان والده طبيبا ، فاوكل امر تعليمه الفلسفة الى كاهن دومينيكاني ، ولكنه ما ان بلغ الرابعة عشرة حتى هرب ، ملتحقا بفرقة تمثيلية متجولة . وعندها الحقه والده بعم له محام في مدينة البندقية ، ثم بجامعة البندقية ، ثم بجامعة بافيا لدراسة القانون . وهناك اكتشف موهبته في التاليف المسرحي ، فاسمعه يقول : « بينما كنت انقب في المكتبة وقعت على مجموعات مسرحية انكليزية ، واسبانية ، وفرنسية ، ولم اعثر على اي مجموعة مسرحية ايطالية . وقد تقت لرؤية وطني يرتفع الى مستوى سائر الاوطان ، فعقدت العزم على المساهمة في ذلك ! »

وكتب رواية « الجبار » ، وهي مسرحية ساخرة يهجو فيها الطبقة البورجوازية في بافيا ، فاضحكت زملاءه التلامذة ، ولكنها وضعته خارج ابواب الجامعة . فعاد الى مسقط رأسه يعيش بين ذويه . واوجد له والده وظيفة مساعد للمستشار الجنائي في شيوغيا ، ثم في فيلتر ، حيث افاد كثيرا لزيادة معلوماته ومعارفه عن البشر .

ومات والده سنة ١٧٣١ ، فعكف ، بعد ليلة صاخبة ، على الاستعداد لتقديم اطروحة القانون لنيل الشهادة التي تؤهله للمرافعة وكسب معيشته . وكانت اولى دعاويه الرابحة قضية ساقية حول مجراها الطبيعي . الا ان عجز الساقية عن ملء جيبه جعله يفكر بزواج مصلحة . فراح يخطب ود امرأة ناضجة من جهة ، وود نسيبة له ، من جهة ثانية ، فاخفق مع الاثنتين . وهو القائل في هذا الصدد : « لا يمكنني ان انكر انني ولدت في برج هازل ، ما دامت حياتي مجرد مسرحية هازلة ! »

وهكذا هجر المحاماة ، واستسلم بكليته الى شيطان المسرح ... وقد بدات حياته المسرحية الفعلية سنة ١٧٣٤ عندما التحق بصفة كاتب رسمي لفرقة « ايمر » التي كانت تقدم رواياتها على مسرح « سان ساموييللي » في البندقية ، وعلى سائر المسارح في مختلف المدن الايطالية . وكان يتبع الفرقة انى ذهبت . وفي جنوى سنة ١٧٣٦ التقى نيكوليتا ، ابنة الكاتب العدل ، فاقترن بها ، واضعا بذلك حدا لغرامياته العديدة الفاشلة . وفي تلك الفترة من حياته احدث ثورته المسرحية الكبرى . فجدد في كل شيء كان يعتبر في المسرحية مما لا يمس ولا يقبل الجدل ، الامر الذي اكسبه عداوة زملائه والنبلاء الذين كان يتناولهم بالنقد الساخر في رواياته . وقد اتهم بانه يضع نفسه في خدمة « الكونت الشعب » .ولكن لحسن طالعه عقد معه مدير فرقة مسرحية في البندقية يدعى ميديباك ، اتفاقية

لعدد من السنين يقدم بموجبها انتاجه المسرحي لها . وفي مدى سنتين (من سنة ١٧٤٨ الى ١٧٥٠) مثلت ثلاث عشرة مسرحية من وضعه على مسرح « سانت انجيلو » . وقد تعهد غولدوني بتقديم ست عشرة مسرحية اخرى للموسم التالي ، ضمنها جميعا نظرياته ومبادئه الجديدة في المسرح والكتابة له ...

وليلة المرفع من سنة ١٧٦١ قدم آخر مسرحياته الهزلية الفينيسية بعنوان « ليلة اخيرة من الكرنفال » . وفي شهر آب من سنة ١٧٦٢ ارتحل الى فرنسا حيث عين مديرا لفرقة « الكوميدي الايطالية » في باريس ، فاقام ثلاثين سنة بطولها . وهناك علم الاميرات بنات الملك لويس الخامس عشر اللغة الايطالية ، وكتب باللغة الفرنسية مذكراته في قصر فرساي ، ومسرحية بعنوان « الفليظ المحسن » لمناسبة زفاف الملك لويس السادس عشر ، وتعتبر من افضل ما كتب . وقد مثلت على مسرح « الكوميدي فرانسيز » ، وشهدها نابليون اربع مرات .

واندلعت نيران الثورة الفرنسية ، فقطع عنه المرتب الذي اجراه عليه الملك لويس السادس عشر . وغشي بصره ، فكاد يصبح ضريرا . الا ان ماري ــ جوزف شينييه اعادت اليه المرتب قائلة : « ان هذا العجوز الثمانيني قد استحق تقدير كل من فرنسا وايطاليا وشكرهما بما كتبه . وانه ليتزل الى الضريح وهو يبارك السماء لانه يموت فرنسيا وجمهوريا . »

ومات غولدوني في الواقع بعد ذلك بتسعة ايام (٦ شباط ١٧٩٣) ، تاركا لارملته ديونا سددتها المسكينة من ايراد حفلة خاصة عرضت فيها مسرحيته الناجحة « الفليظ المحسن » ...

پروست

MARCEL PROUST

كان تاثير بروست ، وخاصة بعد وفاته ، عظيما جدا . ادخل على الرواية اسلوب التحليل الذي يمكن تشبيهه باسلوب فرويد . وسيظل القارىء يجد لذة في قراءة بروست ، وميلا شديدا الى كتبه ، ما بقي هناك ميل الى السيكولوجية كفاية في حد ذاتها ، وما بقيت لعبة الذاكرة ، والسعي وراء استرجاع الماضي ، يقدمان الى البعض سببا كافيا للحياة ، او طريقة رومنطيقية لعدم الحياة .

لو قيل للكتاب الذين عاشوا سنة ١٩٠٠ ان واحدا من الكبار بينهم ، هذا الذي سيجدد فن الرواية ، ويدخل الى عالم الفن الافكار الفلسفية ، ولغة العلماء في تلك الفترة ، كان شابا مريضا دائما ، مجهولا من الجمهور ومن معظم المثقفين ، يعتبره جميع الذين صادفوه رجلا من رجال المجتمع « السنوب » ذكيا ــ ربما ــ ولكنه عاجز عن القيام بعمل ادبي كبير ــ اعتقد انه لو قيل لهم مثل هذا القول لاثار الدهشة الكبيرة في نفوسهم . وانه لخطا كان مزمنا ، استمر حتى بعد صدور المجلد الاول من مؤلفه « بحثا عن الزمن الضائع » .. خطا مماثل للخطا الذي ارتكبه سانت ــ بوف بحق بلزاك ، خطا يثبت كم ينبغي ان يكون كبيرا حذر النقاد وتواضعهم .

ابصر مارسيل بروست النور في باريس في العاشر من تموز سنة ١٨٧١ ، وكان والده البروفسور ادريان بروست استاذا في كلية الطب ، وامه ، وتدعى جان فايل ، يبدو انها كانت رقيقة ، لطيفة ، مثقفة ، وبقيت طوال حياتها بالنسبة الى ابنها مارسيل ، صورة للكمال نفسه .. منها تعلم « الذعر من الكلب ، والتدقيق ، وخاصة الطيبة المتناهية » . ولقد عثر اندريه بيرج ، في احد الدفاتر القديمة ، على مجموعة من الاسئلة التي كانت الصبايا بواسطتها ، « يعذبن » الشبان ، وقد اجاب بروست نفسه على واحدة منها :

« ما هو البؤس في نظرك ؟ »

ـ « الانفصال عن الام » .

« ابغض الناس اليك ؟ »

ـ « اولئك الذين لا يشعرون بما هو خير او حسن ، والذين يجهلون حلاوات المحبة والمودة . »

ولقد بقي بروست مخلصا لذلك الذعر من الناس الذين « لا يحبون حلاوات المودة والمحبة » طـوال حياته . وبقي خوفه من التسبب بالالم للآخرين الغريزة المسيطرة في نفسه .

يروي رينالدو هان الذي كان ـ ربما ـ افضل اصدقائه ، كيف كان بروست ، لدى خروجه من احد المقاهي يوزع البقشيش يمنة ويسرة .. كان يعطي الخادم الذي حمل اليه طلباته ، ثم يلمح خادما آخر في ركن من اركان المقهى لم يؤد له اي خدمة ، فيهرع نحوه ليقدم اليه مبلغا من المال ـ كذلك ـ مرددا : « لا بد انه امر صعب ومؤلم بالنسبة اليه ان يبقى منعزلا . » واخيرا وفيما هو يصعد الى العربة، كان يلتفت الى المقهى بغتة قائلا :

ـ اعتقد انني نسيت ان اودع الخادم ... فهذا امر غير لطيف .

لطيف .. هذه الكلمة مثلت دورا هاما في قاموسه وفي اعماله . فما مبعث هذا اللطف ؛ انـه في شطر منه ، يصدر من خوف التكدير ، ومن رغبة في كسب العطف والمودة ، والاحتفاظ بهما ، وهما مما يحتاج اليه انسان ضعيف ، ومريض ، يضاف الى كل ذلك خيال مرهف ، دقيق ، كان يتيح له ان يتمثل بدقة مؤلمة آلام الآخرين ورغباتهم .

في باريس تابع بروست الدروس في كلية كوندورسيه . وحوالي سنة ١٨٩٢ اصبح شخصيـة محببة في الصالونات الادبية ـ وخاصة في صالون مدام دوكايافيه ، ومادلين لومير ـ فكتب عددا من قصص الغرام التي تحدث في المجتمع ، نشرت سنة ١٨٩٦ تحت عنوان « المسرات والايام » وهي تتميز بالتحليل النفساني الذكي .

وقام باكتشاف قدر له ان يمثل في حياته ، وفي فنه دورا كبيرا : اكتشف الاديب الانكليزي دجون راسكن . فقام بترجمة كتابين من كتبه هما « توراة آميان » و « سمسم والزنابق » ، محمـلا ترجمتيه هاتين الكثير من الملاحظات والمقدمات .

وفي سنة ١٩٠٢ بدأت صحة بروست بالتدهور ، فاضطر مكرها ، مذ ذاك ، الى العيش عيشة منعزلة تحوطها العناية حتى بدا طوال سنوات انه هجر الادب الذي لم يكن اسمه فيه قد تجاوز حلقة صغيرة من الاصدقاء . وهكذا ـ ومع مطالعاته المتعددة المتواصلة وشغفه الشديد براسكن، وسان ـ سيمون من بين الادباء الفرنسيين الذين اثروا فيه ـ وجد المتسع الكافي من الوقت للانصباب على عمل ادبي طويل النفس ممتع مريح ، مليء بالتفاصيل الدقيقة ، جمعت فيه ، كما في شبكة ، مجمل تجاربه واختباراته في الحياة ، كما جمعت فيه حياة الصالونات التي احبها ، فبعثها حية بدقائقها ، كما بعث سان سيمون، في مذكراته ، حية حياة البلاط الملكي .. في هذا العمل الادبي العظيم الذي اعطاه بروست العنوان العام « بحثا عن الزمن الضائع » وجمعه في خمسة عشر مجلدا (١٩١٣) سعى وراء الماضي ، وعاشه مجددا .

وهكذا ، بين سنة ١٩١٠ وسنة ١٩٢٢ ، كتب روايته الضخمة هذه ، وكان يعرف ان كتابـه هذا كتاب رائع . فمن المستحيل الا يعرف ذلك . ذلك بان بروست كان ناقدا اديبـا مرهف الحس بحيث لم يكن ممكنا ان يجهل انه كان يبني ، هو كذلك ، عمارة كبرى من عمارات الادب الفرنسي .

ويعود الفضل والشرف في اطلاق شهرة مارسيل بروست الى الكاتب ليون دوديه ، فاذا بـه يفوز ، بعد مقالات دوديـه الحماسية ، وسنة ١٩١٩ ، بجائزة غونكور التي طالما عرفت الراي العـام بكتاب موهوبـين .

كان هذا المجد الادبي سنة ١٩١٩ . وقد وافته المنية سنة ١٩٢٢ ولم يبق امامه ، ساعة وصل الى الجمهور الا بضع سنوات على هذه الارض ، وكان يعرف ذلك . ولعله كان يمكن ان يعيش اطول مما عاش بسنوات قليلة فيما لو اعتنى بنفسه . ولكنه اصيب بنزلة صدرية ، ورفض استدعاء اي طبيب ، فمات في ١٨ تشرين الثاني ١٩٢٢ . وكان قبل اصابته بهذا الداء ببضعة ايام قد كتب على الصفحة الاخيرة من الدفتر الاخير كلمة « النهايـة » ...

رينر ماريا ريلكه

RAINER MARIA RILKE

ابعد الشعراء الالمان اثرا في عصره ، واكثر من تخطى شعره وفكره حـدود البلدان الناطقـة بالالمانية .. انه الشاعر رينر ماريا ريلكه .

ان ريلكه في بعض مناحي عمله الادبي ذو نسب مع المدرسة الادبية التعبيرية ، ولكن مقامـه ، برنينه الانساني ، ليترفع عن كل تصنيف مدرسي ادبي .

في الرابع من كانون الاول من سنة ١٨٧٥ ابصر هذا الشاعر النمسوي الاصل النور في براغ ، وودع هذه الدنيا في التاسع والعشرين من شهر كانون الاول ، كذلك ، من العام ١٩٢٦ ، بعد ان ساءت صحته وتدهورت بسبب الداء العضال المعروف باللوكيميا .

درس في اكاديميتين عسكريتين في البدء (١٨٨٦ ـ ١٨٩١) ، ولكنه في سنة ١٨٩٢ عاد الى بـراغ حيث اختلط بالاوساط الادبية . وبعد ذلك انتقل الى الدراسة في معهد تجاري ، ثم في جامعـات براغ وميونيخ وبرلين .

والى هذه المرحلة من حياته تعود مجموعاته الشعرية الاولى وابرزها ديوانه « متوج بحلـم » ذو النزعة الرومنطيقية . وفي سنة ١٨٩٨ غادر مسقط رأسه الى ميونيخ فبرلين ملتحقـا بصديقتـه لو اندرياس ـ سالومي التي قام معها برحلتين سنة ١٨٩٩ و ١٩٠٠ الى روسيا ، حيث التقى الكاتب الشهير تولستوي .

وظلت « لو » صديقة عمره . وفي سنة ١٩٠١ تزوج المثالة والنحاتة كلارا فستهوف ورزق منها ابنة ، الا انه هجرهما الى باريس لكتابة رسالة عن النحات الشهير اوغست رودان .

وعلى الرغم من انه ظل متعلقا بزوجته وابنته ، الا انه بدأ يبتعد عن الحياة العائلية ، وراحت الاواصر بين افراد هذه الاسرة الصغيرة تتفكك مع الايام . وعاد الى باريس بعد اقامة في ايطاليا والدانمرك واسوج في سنتي ١٩٠٣ و ١٩٠٤ ، ليعمل سكرتيرا لرودان العظيم من سنة ١٩٠٥ الى ١٩٠٦ ، ولكـن سرعان ما اختلف الفنانان وافترقا . ومنذ ذلك الحين حتى بدء الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ كانت باريس النقطة التي يعود اليها الشاعر سواء من المانيا او من ايطاليا ، كلما هاجه الشوق والحنـين الى النشاط الخلاق . وتمثل هذه الفترة من حياته تفتح عبقريته ...

في سنة ١٩٠٧ زار كابري ، وجال بعد ذلك في كل من المانيا ، والنمسا ، وايطاليا ، والجزائر ، وتونس ، ومصر ، واسبانيا ، مقيما في قصور المعجبين به العديدين من الطبقة الارستقراطية . وفـي

سنة ١٩١٢ اقام في اسبانيا ، ولكنه عاد الى ميونيخ عندما بدأت الحرب العالمية الاولى فنظم من وحي عظمة المأساة خمس قصائد رائعة موجهة الى اله الحرب . الا ان ارتفاع مد الوحي انقطع بسبب الالم الفكري الذي سببته له الحرب ، والفترة القصيرة التي اشترك فيها ريلكه بالحرب بين تشرين الثاني سنة ١٩١٥ وحزيران ١٩١٦ ، اولا لبضعة اسابيع في جيش المشاة ، وبعد ذلك طوال بضعة شهور ككاتب في وزارة الحربية في ڤيينا . وفي سنة ١٩١٩ راح يتردد بكثرة على سويسرا مقدما قراءات من اشعاره ، كاتبا شعرا ونثرا . وقد بقي في تلك البلاد حتى وفاته . وهناك انهى ونشر ديوانه « مراثي دوين » (١٩٢٣) ، و « قصائد الى اورفيه » . وهاتان المجموعتان مع بعض الاشعار الاخرى التي تعود الى تلك المرحلة من حياته ، تمثل جميعا القمة في ادبه : فيهما يتجلى حب الحياة بنبرة مؤثرة تحاول ان تتغلب على قلق الموت . وخلال السنوات الثلاث الاخيرة من حياته، كان ريلكه قد اصبح فريسة المرض فلم ينتج الا القليل من المقطعات الشعرية بالفرنسية ...

وقد ترجم ريلكه ديوان الشاعرة الانكليزية اليزابث باريت براوننغ « قصائد من البورتغالية » وبعض اشعار مايكل انجلو الايطالي ، والشاعرة الفرنسية لويز لابيه . وانهمك بترجمة شعر بول فاليري ، فجره ذلك الى نظم بعض القصائد بالفرنسية .

ان شهرة ريلكه العالمية التي ذاعت في حياته ما فتئت تزداد ذيوعا بعد وفاته ، يدل على ذلك العدد الكبير من الكتب التي وضعت حوله وما ترجم من آثاره الى العديد من اللغات الاوروبية . ولقد اثارت شخصيته من الجدل ما اثارته شخصية الشاعر الانكليزي اللورد بايرون .

وتؤلف مراسلاته الضخمة ظاهرة ادبية وسيكولوجية شيقة . والجزء الاكبر من هذه المراسلات غير منشور ، ولكن فضلا عن مجموعة رسائله المختارة الصادرة في الطبعة العامة ، فان مجلدات متفرقة خاصة بافراد كان يراسلهم ومعظمهم من النساء ظهرت الى عالم النشر . وكل مراسلاته تساهم في رسم صورة للانسان والشاعر، وتشكل جزءا لا يتجزأ من صنيعه الادبي . فبعضها شبيه بالدراسات الادبية ، وبعضها ذو طبيعة وصفية او تاملية ، والبعض الاخر يحوي هيكل قصائد كان ينوي نظمها . ولعل صدور كل مراسلاته يمهد السبيل الى اعادة تقييم وقائع حياة ريلكه ، ومناحي شخصيته تمهيدا لكتابة سيرة حياته بصورة حاسمة .

ان شهرة ريلكه الشعرية تقوم على صفاء شعره ، وغنائيته والمسحة الفلسفية الغامضة التي تتخلل بعض مراثيه وقصائده .

وعلى الرغم من الغموض والصعوبات فان عمق التفكير في شعر ريلكه ، وجمال التعبير ، يبرران ايمان هذا الشاعر باهميتهما الكبرى في ادبه ككل .

كتب ريلكه الشعر والنثر ، ومع ان غنائيته تتجلى في شعره ونثره معا ، الا ان النثر عنده بدا انه لغته الطبيعية . وهو يعترف بان روسيا كانت مصدر وحي كبير له ، ولذا يعتبرها وطنه الروحي . وممن كان لهم تاثير كبير في ادبه وتفكيره الكاتب البلجيكي موريس ماترلنك ، ويظهر ذلك جليا في مجموعتيه « اسطورة حب وموت الضابط كريستوف ريلكه » و « كتاب الرسوم » . وكان لرودان كذلك تاثير كبير فيه ، فقد حاول ريلكه ان يصنع من الكلمات ما كان يصنع رودان بالرخام او بالحجر : أي ان يمنح الحقيقة الخارجية للاشياء التي تتاملها العين الخارجية والداخلية ، حقيقتها الروحية كذلك .

پيرنديللو

LUIGI PIRANDELLO

لويجي بيرنديللو (١٨٦٧ — ١٩٣٦) الملقب بساحر صقلية واحد من اكبر اساتذة المسرحية المعاصرة . بدأ حياته الادبية بنشر ديوان شعر قبل نيله شهادة الدكتوراه في الآداب سنة ١٨٩١ . وقد عقب ذلك مجلدات من القصص القصيرة ، والمقالات النقدية ، والروايات ، والمسرحيات .

وكان اول نجاح مسرحي له سنة ١٩٢١ عندما قدم مسرحية « ست شخصيات تبحث عن مؤلف ... » وتلتها مسرحية « هنري الرابع » . وكان كثير الاسفار عمل في الاخراج المسرحي ، وانشأ سنة ١٩٢٥ « المسرح الفني » في روما . وفي سنة ١٩٣٤ فاز بجائزة نوبل للآداب .

ولد بيرنديللو في اسرة غنية من اسر الطبقة المتوسطة . زوجه والده من انطونينا بورتولانو التي دفعها المولود الثالث الذي رزقته ، وافلاس الاسرة ، وعسرها بعد يسرها ، الى الجنون . ولكنه ابى ان يحملها الى مستشفى للامراض العقلية حتى وفاتها سنة ١٩١٨ . وقد سمت حياته بغيرتها الشديدة . ومن هنا كان التشاؤم الكثيف الذي يغلف انتاجه ، ويكتنف مخيلته .

كانت قضية الطبيعة الشخصية التي سيطرت على التفكير الفلسفي في هذا القرن قضية حادة شائكة بالنسبة الى بيرنديللو . ولعل ذلك مرده الى انه عاش السنين الطوال حياة مزدوجة .. عاش نفسه ، وعاش النموذج المشوه لنفسه في فكر زوجته . فلا عجب اذن ان هو تساءل ايتهما هي النفس الحقيقية ، ولا عجب ان تنازعت شخصيات رواياته مع هذه الشكوك ، في هذه الروايات التي تبعث على التفكير والتأمل في سر الحياة الذي هو في مد وجزر دائمين .

دجيمس دجويس

JAMES JOYCE

روائي ايرلندي (١٨٨٢ — ١٩٤١) ، بعد انهاء دراسته الجامعية ، في جامعة دبلن الايرلندية ، راح يتحول تدريجيا من كاثوليكي ورع تقي ، الى مناهض حاد للكاثوليكية . وفي سنة ١٩٠٤ غادر ايرلندا الى القارة الاوروبية ليحيا حياته الخاصة ، ويقرر مصيره كفنان مستقل عن اسرته ، وبلاده ، ودينه . فعاش في ايطاليا ، وسويسرا ، وفرنسا . وكان يكسب معيشته بقيامه بعدد من الاعمال ، ويتلقى مساعدات من اصدقائه . ومع انه هجر دبلن نهائيا الا انه كرس حياته بطولها لمعالجة مسقط رأسه في كتاباته والتحدث عنه .

وقد زاول نشاطات كثيرة : تخصص في اللغات في يونيفرستي كوليدج ، وجمع معلومات موسيقية ضخمة — وهو ذو الصوت التينور ، وشرع في دراسة الطب ، وفكر في اصدار جريدة يومية ايرلندية ، وافتتح صالة سينما في دبلن ، وفي زوريخ في سويسرا اشتغل بالمسرح . وهذا التنوع في نشاطه واهتمامه يوضح جيدا الجمع الغريب في كتاباته بين التقليد والتجربة ...

وفي سنة ١٩١٤ ، وبعد التأجيل الذي فرضه الناشرون الذين اعترضوا على صراحة دجويس ظهرت مجموعته القصصية « الدبلينيون » التي ضمت خمس عشرة قصة ، قال فيها : « اتجهت نيتي الى كتابة فصل عن التاريخ الاخلاقي لبلادي ، فاخترت دبلن لتكون المسرح ، لان هذه المدينة بدت لي مركز الشلل . ولقد حاولت ان ابرزها للجمهور تحت اربعة من وجوهها : الطفولة ، والصبا ، والكهولة ، والحياة العامة . والقصص منظمة حسب هذا التسلسل ... » وبمجموعته هذه انضم دجويس الى قافلة المقدمين

في كتابة القصة القصيرة .

وفي سنة ١٩١٦ ظهرت له ترجمة حياته الرائعة بعنوان ((صورة الفنان كشاب)) ، وهي رواية يسرد فيها وقائع تطور حياة ستيفن ديدالوس ، وتحوله من الدين الى الفن . وقد ثبت بهـــا قدميه ككاتب روائي مبــــدع .

وبعد ذلك بسنتين اصدر مسرحية ((المهاجرون)) ، نحى فيها منحى الروائي المسرحي النروجــــي هنريـك ابسن .

وفي ذكرى ميلاده الاربعين ، وبعد صدورها مسلسلة في معظمها في مجلة ((ذي ليتل ريفيو)) ظهرت في باريس روايته الشهيرة ((يوليسيس)) ، وهي قصة يوم في حياة ثلاثة من سكان دبلن ، هم : ستيفن ديدالوس ، وليوبولد بلوم ، وزوجته موللي بلوم .

وقد وضعته هذه الرواية في قافلة اولئك الذين ، بعد الحرب العالمية الاولى ، عكسوا في الادب فوضى المجتمع التي اختبرت في شتى الاتجاهات ، باللغة الانكليزية ، وسائر اللغات . وقد اصبح دجويس محور عبادة وتناقض معا . اما كتابه الذي منع في البلدان التي تتكلم الانكليزية طوال سنوات فقد كـــان له اكبر التأثير واوسعه في معاصريه . ولعل ابلغ تقييم لدجيمس دجويس وانتاجه الادبي الملاحظة التي اوردها مرة الشاعر تي. اس. ايليوت اذ قال ان دجويس كان اعظم اسياد اللغة الانكليزية منذ ملتون .

رُومَان رُولان

ROMAIN ROLLAND

ابصر رومان رولان النور في كلامسي سنة ١٨٦٦ ، في اسرة بورجوازية عريقة في مقاطعة بورغونــي الفرنسية . دخل دار المعلمين العليا سنة ١٨٨٦ ، ثم تخصص في التاريخ ، وقضى سنتين في الكليـــة الفرنسية في روما . وهناك عمل تأثير مالفيدا فون مايزنبوغ التي كانت صديقة لكل من ريتشارد فاغنـــر وفريدريك نيتشه ، واطلاعه الواسع على روائع الفن الايطالي ، على تطوير تفكيره . ولدى عودته الى فرنسا نال شهادة الدكتوراه في الادب باطروحته عن ((اصول المسرح الغنائي الحديث ، تاريخ الاوبرا في اوروبا قبل لوللي وسكارلاتي)) ، وكان ذلك سنة ١٨٩٥ . واجتذبه الادب ، فكتب اول ما كتب روايات تاريخية وفلسفية على جانب من البساطة كبير ، قدر ان مواضيعهـــا تهم الجماهير ، من مثل آيرت ، الذئـــاب ، انتصار العقل ، دانتون ، الرابع عشر من تموز ، لا منتسبان ، سيأتي يوم .

كان رولان ذا نفس سمحة كبيرة ، تهزها القضايا النبيلة والقلوب الكبيرة . فشغف بحياة العباقرة ، وباعمالهم ، وخصوصا الموسيقيين الذين كان يرى فيهم ابطالا مخلصين لمثال جمالي . فاملى عليه هـذا الاعجاب الشديد سلسلة من كتب السيرة تناول فيها كلا من بيتهوفن، ومايكل انجلو، وهاندل، وتولستوي . وفي هذه الاثناء كان قد اكب على كتابة رواية ضخمة في عشرة اجزاء هي ((جان ــ كريستوف)) استغرقت السنوات بين ١٩٠٤ ــ ١٩١٢ روى فيها حياة احد كبار الموسيقيين المضطربة ، واثار كل القضايا الكبــرى التي تعرض لانسان من القرن العشرين . وقد نال جائزة نوبل للآداب سنة ١٩١٥ ، وتسلمها سنة ١٩١٦ .

وخلال الحرب العالمية الاولى اوحى اليه حبه للسلام كتيبا بعنوان ((فوق المعترك)) ، آثار احتجاجات عنيفة عديدة في كل من فرنسا والمانيا ، ولكنه ثابر على الكتابة مدافعا عن قضية السلام . فاذا به يضع في تلك الفترة من حياته ــ اي في سنة ١٩٢٠ ــ احد افضل مؤلفاتـه ((كولاس برونيون)) وهـــي قصة بورغونية تتميز بالعنف والصرامة ... وفي سنة ١٩٢٢ اسس مجلة اوروبا ، وبدأ بكتابة روايته الجديـــدة الطويلة ((النفس المسحورة)) التي ظهرت بين ١٩٢٢ و ١٩٣٤ . وكرس ، بروحه الصوفية الانسانيـــة ،

عـــددا من الدراسات لمفكري الهند ((المهاتما غانــدي)) ، ((حياة راما كريشنا)) ، ((حيـــاة فيفكانندا والانجيل العالمي)) ، في الوقت نفسه الذي كان يظهر فيه عواطفه نحو الاتحاد السوفياتي . ومع انه حورب بشدة الا ان شهرته ما فتئت تتسع وخاصة في الخارج اكثر منها في فرنسا حيث لم تكن مواقفه تفهم دائما على حقيقتها . وترجمت مؤلفاته الى لغات عديدة ، وكان على صلة بكبار كتاب العصر والمفكرين ، وله تاثير بالغ على عصره . ومن سنة ١٩٢٤ الى ١٩٤٤ ظهرت سبعة مجلدات بعنوان : ((بيتهوفن : العصور الكبرى الخلاقة)) ، اشار فيها مجددا الى المقام الذي تحتله الموسيقى في حياته ودلل على اطلاعه وقدرتــه على تقييم وشرح اروع مؤلفات سيد الموسيقى هذا . ويزداد كذلك رصيده المسرحي برواية روبسبيير ، ورواية ((الرحلة الداخلية)) التي صدرت قبل نهاية حياته سنة ١٩٤٣ .

ومنذ وفاته نشرت كتب له كانت ما تزال مخطوطة ، ولعل ابرزها كتابه الرائع في تعريف شارل بيغي، ومقتطفات من مراسلاته الضخمة ، ومن مذكراته . وقد جاءت هذه تكشف ، او تؤكد ، نواحي عدة مـــن شخصيته ، وتثبت كم كانت غنية حياته الداخلية واي فضول لا يكل ولا يمل كان يغذيه بالنسبة الـــى المغامرات الروحية الكبرى في تاريخ الانسانية . وهي تساعد على فهم هذا الرجل الكبير فهما اشمل . ذلك بأن رومان رولان سعى طوال حياته الى توجيه طاقة البشر ليس نحو العنف والحرب ، بل نحو مثـــل اعلى من الجمال والسلام والحرية . وان هذا المثل الاعلى الذي يطبع بطابعه نتاجه الادبي والفكري ليمنحه الرنين الرائع المتواصل ، ويضمن له الاشعاع المتسع .

ساشا غيتري

SACHA GUITRY

كاتب مسرحي ، وممثل ، ومخرج فرنسي ، كان والداه ممثلين معروفين ، فترعرع بين الكواليس . نال شهرة فائقة وهو بعد فــي الحادية والعشرين بروايته ((نونو)) التي اتبعها بمسرحيات ناجحـــة مثل ((هولندا الصغيرة)) و ((الحارس الليلي)) و ((فضيحة مونتي كارلو)) و ((ديبـــورو)) و ((باستـــور)) و ((بيرانجه)) و ((زواج حسن)) و ((فلورنس)) وسوى ذلك . وكان يمثل في كل مسرحياته ، حتى ان الكثيرين يجدون صعوبة في فصل عمله كممثل عن عمله ككاتب ، وقد اجاد في العملين معا . ووضع قصص افلام عدة ، قام بتمثيلها واخراجها . وقد انتخب سنة ١٩٣٩ عضوا في اكاديمية غونكور .

تزوج خمس مرات ، ولقن زوجاته الخمس ــ واشهرهن كانت ايفون برانتان ــ فن التمثيل .

يبقى ان ساشا غيتري قد اقام لنفسه في فني المسرح والسينما المعاصرين عرشا لامارة السخرية والفكاهة اللاذعة لم يخلفه فوقه احد حتى اليوم . هبط هذا العالم باسم غريب ، فعرف كيف يجعل هذا الاسم اكثر غرابة وشهرة . ولا غرو اذا قلنا ان ساشا غيتري وحده يجمع في آن واحد حدة الذهـــن والكبرياء الفرنسيـــين .

والنساء .. لم يتحدث عنهن قبله احد بمثل هذا الذكاء والوضوح . وفيما يعترف بحبهن الى حـــد الجنون ، يمنح نفسه الحق بأن يجني من هذا الحب احيانا بعض المرارة ! . وتراه ينصح بالكذب علـــى النساء لان في ذلك احساسا باننا نستوفي حقنا بالعملة ذاتها ..

وكان على جانب كبير من الظرف وخفة الروح ، تشهد بذلك مسرحياته الفكاهية ، ونوادره الكثيرة ، واقواله اللاذعة ...

ارتفع الستار عن حياته في ٢١ شباط من سنة ١٨٨٥ ، وانسدل انسداله الاخير فـــي ٢٥ تمـوز سنـــة ١٩٥٧ .

ان من يود الكتابة عن حياة ساشا غيتري لا تعوزه الكلمات .. يكفيه ان يستخدم كلمات ساشا غيتري نفسها ، هذه الكلمات الظريفة الذكية ، والاقوال التي وزعها عبر مئة واربع وعشرين رواية تمثيلية ـ فضلا عن افلامه .

حياته كانت اشبه بمسرحية خفيفة ، كتبها بنفسه ومثل ادوارها من اجل متعته الشخصية ، وكانت تلك طريقته في تسلية جمهوره .

ابصر النور في سان بطرسبرج في روسيا . ولكن لماذا جاء الى هذا العالم بعيدا كل البعد عن مسرح نشاطه ومغامراته ؟ لان والده ، لوسيان غيتري ، كان متعاقدا للتمثيل لفترة طويلة في عاصمة القياصرة الروس . وكانت امه ابنة رينه دو بون جست ، الكاتب الروائي الشعبي . وكانت ثمرة هذا الزواج اشهر المسرحيين الممثلين . الا ان اتحاد والديه لم يعمر طويلا بعد مجيئه الى هذا العالم . فلما انفصل احدهما عن الآخر ، حمل الاب لوسيان الطفل ساشا الى روسيا ، حيث تنشق للمرة الاولى هواء الكواليس والمقصورات .

ولما بات ساشا في سن الدرس والتعليم ، الحق بمدرسة داخلية . ولكن لماذا يتعلم المرء ما هو في الكتب ؟ هل نتعلم ما هو موجود في دليل التلفون ، او دليل القطارات الحديدية ؟

وقد طبق هذا المبدأ بنصه وحرفيته عبر المدارس السبع عشرة التي دخلها وطرد منها ، باستثناء المدارس الاخيرة التي تركها من تلقائه وبمحض ارادته .

بريشت

BERTOLD BRECHT

مؤلف مسرحي الماني ، مولود في اوكسبورغ سنة ١٨٩٨ . درس الطب ، وعمل خلال الحرب العالمية الاولى في مستشفى عسكري . وسنة ١٩٢٣ عينه ماكس راينهارت ، مدير « المسرح الالماني » في برلين ، مساعدا في الاخراج ، وقبل منه مسرحيته الاولى « طبول في الليل » (١٩٢٢) . وقد احلته هذه المسرحية في الصف الاول من الكتاب المسرحيين الجدد .

كان خصما عنيدا للنازية ، وقد هجر المانيا عندما تسلم هتلر الحكم ، وغاب عنها حتى سنة ١٩٤٨ . وفي المنفى كتب شعرا ، وروايات ، وقصصا ، ومسرحيات . ومعظم مسرحياته قدمتها في برلين الشرقية « مجموعة برلين » التي ادارها بنفسه حتى وفاته بمعونة زوجته هيلن فايغل .

ومسرح بريشت الماركسي النزعة يدور حول هيكل المجتمع الحديث الذي لا يستطيع المرء فيه ، حسب اعتقاده ، ان يعمل دون ان يكون متآمرا مع الظلم . والعمل المسرحي في رأيه لا ينبغي له ان يحمل المشاهد الى عالم سحري ، بل على النقيض ، ينبغي ان يتيح له التفتح على القضايا التي تطرحها الحياة .

وفي مسرحية « طبول الليل » عرض بريشت كل التجديدات التي كان ينبغي ادخالها على المسرح ، وهو الذي اراد ان يقر الجمهور بالمسرح كمسرح فحسب : المسرح انما يقدم مسرحيات ، وليس من شأنه ان يقدم صورا وهمية تمثل الواقع وما يحدث في الحياة .

وكانت وفاة بريشت سنة ١٩٥٦ .

كازانتزاكيس

NIKOS KAZANTZAKIS

هذا القرن الذي نعيش فيه ، وقد طوى ثلثي عمره ، يمكن ان ينطوي قبل ان يأخذ ادباء مرموقون — من مثل الكاتب اليوناني نيكوس كازنتزاكيس — حققوا شهرتهم ، امكنتهم في بانتيون الادب ...

هذا الروائي الشاعر ، الذي توفي سنة ١٩٥٧ عن اربعة وسبعين عاما ، حقيق من نواحي عدة بالشهرة والمجد الادبيين ، ولكنه ينبغي ان ينتظر حكم الزمن البطيء .

فهو كدارس وعالم قد حول ابرز سبعة مؤلفات كلاسيكية الى اللغة اليونانية . وكفيلسوف ، تشرب فلسفات برغسون ، ونيتشه ، وبوذا ، ولينين ، وكون لنفسه فلسفة خاصة ، فوضوية نوعا ، بـدت انها تحكم على الانسان بالخيبة ، وعلى الحضارة الغربية بالموت .

وكشاعر ، اخيرا ، اضاف ٣٣٣٣٣ الف بيت من الشعر الى اوذيسة هوميروس — اي ثلاثة اضعاف نتاج المعلم الاغريقي — وتجرأ على تسميتها تكملة حديثة لتلك الملحمة من فجر التفكير الغربي .

ابصر النور في جزيرة كريت في ٢ كانون الاول ١٨٨٥ ، ودرس في آثينـا ، ومن ثم في باريس ، حيث قرأ القانون . وكان واسع الافاق ، فطالع كثيرا ، وكتب كثيرا ، وترك نتاجا ضخما قيما ، ومنوعا : كتب دراسات فلسفية ، وروايات مسرحية تراجيدية ، وكتبا في الرحلات ، وشعرا ملحميا وغنائيا . اما اوذيسته ، وهي ملحمة شعرية فلسفية فتتالف من ٣٣٣٣٣ بيتا ، وتلخص رحلة هذا الكاتب الروحيـة عبر الحياة . ونقل الى اللغة اليونانية عددا من المؤلفات الكلاسيكية ومن ابرزها « الكوميديا الالهيـة » لدانتي ، و « فاوست » لغوته . ونقل الى عدد من اللغات الاوروبية بعض رواياته التي حـازت شهرة واقبالا من جمهرة القراء واوساط النقد في العالم ، مثل روايته « زوربا اليوناني » ، وكتابه « المسيح يصلب من جديد » ، و « الاوذيسة » .

وانه لمن السهل ان يتتبع المرء في كتابات كازانتزاكيس تأثيرات تتراوح بين الصوفية البدائية ، واكثر انواع الواقعية تقدما او تطرفا ، تشدها كلها قوة شخصية كازانتزاكيس . كما يمكن احيانا ان يلحظ المرء عرقا من التشاؤم يبلغ في بعض الحالات حد الفوضوية .

وكانت وفاة هذا الاديب اليوناني الذي يعتبر واحدا من اكبر اسياد اللغة اليونانية الحديثة ان في براعته الادبية ، او في تنوع انتاجه ، في الانتيب ، جنوبي فرنسا ، في ١٣ تشرين الاول سنة ١٩٥٧ ، ودفن جثمانه في مسقط رأسه جزيـرة كريت .

هيمنغـواي

ERNEST HEMINGWAY

عمل في الصحافة في اول عهده بالكتابة في الولايات المتحدة الاميركية ، وفي اوروبا (فرنسا ، ايطاليا ، اسبانيا ، سويسرا ، المانيا ، اليونان — طوال خمس سنوات كاملة) ، فكانت تجربته تلك كافية لتطور اسلوبه الكتابي الموجز ، الواضح ، الذي كان له اكبر الاثر ، فيما بعد ، في الرواية الاميركية .

بدأ بالنشر منذ سنة سنة ١٩٢٣ ، ولكن نجمه لم يلمع الا سنة ١٩٢٦ بروايته « والشمس تشرق ايضا » . وجاءت روايته « وداعا للسلاح » (١٩٢٩) فثبتت مكانته الادبية كروائي . ومن اروع رواياته يذكر الكثيرون « لمن تقرع النواقيس » و « الشيخ والبحر » ، و « ثلوج كيليمنجارو » ، وكلها اخرجت على الشاشة البيضاء الكبيرة .

سنة ١٩٥٤ نال جائزة نوبل للآداب ، وقد نوهت لجنة منح جوائز نوبل اذ ذاك « بامتلاكه ، بقوة ، ناصية الاسلوب الكتابي الممتاز ، وفن الرواية الحديثة . » وقد برع هيمنغواي في تصوير الطبيعة والبشر الذين يعيشون بقربها بعاطفة وتأثر .

كتب هيمنغواي مرة التصريح الخاص بالضرائب ، وفي فقرة مظاهر الثروة الخارجية ، ما يلي : « منزل ، وزورق ، وستة كلاب ، واربع قطط ، وثمانية جراح من اثر شظايا القنابل ، وقطعة فضية تلحم عظام الساق ! .. وهذان المظهران الاخيران هما ، ولا ريب ، من ذكريات الحرب ! »

ولد سنة ١٨٩٩ ، وتوفي سنة ١٩٦١ في ظروف غامضة .

جان كوكتو

JEAN COCTEAU

يوم الحادي عشر من تشرين الاول سنة ١٩٦٣ ، وفي منزله في « ميي — لا — فوريه » بالقرب من فونتنبلو ، كان جان كوكتو ينتظر خلوده بهدوء ...

تلقى آخر مخابرة تلفونية ، وسجل آخر عبارة على دفتر . وبلا خوف ولا وجل اغمض عينيه .

وليس من السخف في شيء القول ان جان كوكتو مات من الانفعال لدى سماعه بنبأ موت آخر ، على الطرف الآخر من خط التلفون ...

ان هذه الطريقة في الرحيل لتشبهه كثيرا ، فلقد كان يخشى العزلة كثيرا ، فاستقل القطار نفسه الذي استقلته ايديت بياف ، الصديقة ، او الشخصية التي كان يمكن ان يبدعها .

ان كوكتو اسطورة من اساطير منتصف هذا القرن . سيطر على الادب الفرنسي في النصف الاول من القرن العشرين بتقلبه ، ونجاحه الباهر ، وشغفه بالتناقض والافكار الجديدة .

ابصر النور في ميزون — لافيت ، بالقرب من باريس ، في ٥ تموز ١٨٨٩ . ونشأ وترعرع في اسرة بورجوازية تتعاطى اعمال الصيرفة ، وكان طفل باريس المدلل . جرب كل شيء : اول طائرة لرولان غاروس ، والجاز ، والافيون . ووصل في اهوائه الى الموسيقى والباليه والرسم والمسرح ، فمهر فيها جميعا ، وصبغها بصبغة خفيفة ولكنها حاسمة .

في منزل والديه التقى كبار الفنانين ، والكتاب ، والممثلين ، وقد نشر اول كتبه (ديوان شعري بعنوان « قنديل علاء الدين ») وهو بعد في السادسة عشرة . وقد دفعته صداقته لسرجاي دياغيليف ، الامبريزاريو الروسي الذي ابتدع الباليه الروسي فاحدث به ثورة في جمالية الرقص سنة ١٩١٢ ، الى امتهان الكتابة . وسعيا منه وراء اثارة اعجاب صديقه ، راح ينتج الروائع التي ثبتت شهرته الخالدة كطفل مدهش . ومن رواياته نذكر « البوتوماك » (١٩١٩) و « توما الدجال » (١٩٢٣) وفيها يروي مغامراته اثناء الحرب التي رفض اشتراكه فيها كجندي لعدم لياقته الصحية ، فالتحق بالبحرية تحت اسم مستعار ، و « الانحراف الكبير » (١٩٢٣) و « الاطفال المدهشون » (١٩٢٩) وفيها دراسات رهيبة عن المراهقة و « افيون » (١٩٣٠) ، وفيها يصف شفاءه من عادة ادمان المخدرات التي استبدت به بعد وفاة صديقه الروائي الشاب ريمون راديغه سنة ١٩٢٣ ، عن عشرين سنة ... وكان قبل ذلك قد نشر مجموعة شعرية بعنوان « رأس الرجاء الصالح » (١٩١٩) قصائدها مستوحاة من طيران صديقه رولان غاروس اثناء الحرب ، و « عرسان برج ايفل » ، وهي قصة باليه وضع موسيقاها الفريق الموسيقي المعروف بالستة ، (وهم موسيقيون عزموا على التحرر من تأثير ديبوسي ، ورافيل ، وفوريه ، وهم : دوراي ، وهونيغر ، وميلهو ، وبولونك ، واوريك ، وتايفير) . اما الديكور لهذا الباليه فقد تولاه كل من

بيكاسو ، وبراك ، ودوفي . وفي سنة ١٩٣٦ نشر كتابه « رحلتي الاولى » التي ضمنها انطباعات جمعها خلال جولة حول العالم استغرقت ثلاثة شهور .

واستهواه المسرح فكتب بضع مسرحيات ناجحة ، من مثل المسرحيات الاسطورية « انتيفون » و « اورفيه » و « الآلهة الجهنمية » ، والمسرحيات الاجتماعية ، والاخلاقية ، والتاريخية ، وابرزها « الآباء الرهيبون » و « النسر ذو الرأسين » . وكانت الافكار الجديدة تستهويه ، فاذا به يلعب دورا كبيرا ، مع بيكاسو ، فيما سمي « الروح الجديدة » المقابلة للتقليد الفني . وفي « رسالة الى جاك ماريتان » سنة ١٩٢٦ ، حاول التوفيق بين الكاثوليكية والتحرر الفني . ورحب بالسينما على انها شكل فني جديد ، وابدع الافلام الطليعية وهي : دم شاعر ، والعودة الخالدة ، والحسناء والوحش ، واورفيه ، والاطفال المدهشون ، ووصية اورفيه ، وقد اشترك سنة ١٩٥٩ بتمثيل الدور الرئيسي في هذا الفيلم الاخير ...

وكانت الحرب العالمية الثانية ، فقام كوكتو بعد انتهائها بمغامرة فنية جديدة هي الرسم ، والكتابة عن الرسم . فزين بعض الكنائس في فيلفرانش ــ سور ــ ميو ، وميي ، ورسم لوحة مثلثة للكنيسة الفرنسية في لندن . ولم يتوقف عن كتابة الشعر . وهو الذي كان يعتبر كل اعماله الادبية مظاهر للشعر . والواقع انه اذا كان ينبغي لنا ان نفتش في هذه الحياة المليئة عن سلك سحري فانما نقول انه السلك الذي تمر خلله هذه الكهربائية التي نسميها الشعر ...

وقد انتخب كوكتو عضوا في الاكاديمية الفرنسية ــ مجمع الخالدين الاربعين ــ سنة ١٩٥٥ . وكانت وفاته كما ذكرنا في مستهل هذه الكلمة في خريف سنة ١٩٦٣ ، بالسكتة القلبية ، اثر تلقيه مخابرة هاتفية تنبئه بوفاة صديقته المغنية اديت بياف .

صمرسيت موم

WILLIAM SOMERSET MAUGHAM

كان صمرسيت موم (١٨٧٤ ــ ١٩٦٦) واحدا من كتاب قلة اعتبروا عباقرة وهم احياء يرزقون ، وواحدا من اصحاب الادمغة الاكثر تحضرا في هذا القرن ، عرف بانه سيد من اسياد النثر الانكليزي ، مع ان القدر شاء ان يبصر النور في باريس ويتكلم الفرنسية قبل ان يتعلم الانكليزية ، لغته الام ، وقد ثبت دعائم شهرته الادبية برواياته المسرحية ، وقصصه القصيرة والطويلة ، ومقالاته النقدية في تقدير الاعمال الفنية والادبية التي خلفها عدد من اسياد القلم الذين اعجب بهم .

ابصر النور في ٢٥ كانون الثاني عام ١٨٧٤ ، في باريس حيث كان والده ملحقا بالسفارة البريطانية ، وقد توفي ابواه وهو صغير ، فعني بتربيته عم له كان كاهنا ... ومن هنا كانت لغته الفرنسية صحيحة ، لا غبار عليها لانها كانت اول لغة تعلمها . وكان يتكلم بخمس لغات اوروبية بطلاقة .

كانت اولى رحلاته الى انكلترا حيث التحق بكلية الملك في كانتربري .. ثم تابع دروسه في جامعة هايدلبرغ في المانيا وتلقى دروسا بالايطالية في فلورنسا . وعاد الى انكلترا حيث درس الطب في مستشفى القديس توما ، ونال الشهادة في عام ١٨٩٨ .

اختباراته الطبية هي التي منحته المادة لاولى رواياته الواقعية « ليزا اوف لامبث » التي احدثت ضجة ادبية كبرى سنة ١٨٩٧ ــ حوالي نهاية دروسه . وقد شجعه رواجها ، والدافع الطبيعي فيه الى الكتابة والتأليف ، على مواصلة الكتابة بحيث تضم الخزانة الادبية العالمية اليوم عشرات المسرحيات والروايات الناجحة التي ابدعتها يراعته ، ومئات القصص القصيرة ...

جمع صمرسيت موم المواد لقصصه من رحلاته الكثيرة المتواصلة في مختلف بقاع الارض . فعندما

قرر أن يمتهن الكتابة ذهب يعيش في اسبانيا ، ثم في ايطاليا . وزار ، بالتتابع ، فرنسا ، واميركا ، والصين ، وبورما ، والهند ، وجزر البحار الجنوبية (في الباسيفيك) واغلبية بلدان اوروبا . وقد عاد منها جميعا وفي جعبته القصص الرائعة ، بحيث ان قارىء كتبه يطوف العالم وهو مستلق فوق مقعده الوثير في منزلـــه .

زاول الكتابة والتاليف اكثر من ستين سنة ، وقد بيع خلال هذه السنين الطوال اكثر من خمسين مليون نسخة من كتبه . وجمع من وراء ذلك ومن وراء اقتباس رواياته وقصصه على الشاشة السينمائية ثروة طائلة . فمنذ سنة ١٩٣٢ والشاشة البيضاء تقتبس اروع قصصه . وتجدر الاشارة هنا الى ان كـل كلمة من كتبه خطها بيده ، ولم يستخدم قط الالة الكاتبة .

وكان صمرسيت موم خفيف الروح ، صاحب نكتة بارعة لاذعة .. من ذلك انه كان مرة في احـدى الحفلات فتقدمت منه سيدة قائلة :

ـ انت لا تجرؤ على وضعي في احدى قصصك !

فكان جوابه :

ـ ومن قال لك انني اجدك مادة تثير الاهتمام !

ويذكر سكرتيره آلان سيرل انه اقيمت له مأدبة تكريمية في سان فرنسيسكو لبضع سنوات خلت . واتفق ان مقعده كان بجوار مقعد سيدة متزوجة من اميركي مرموق . فحاول موم محادثتها ، ففشل ، فلاذ بالصمت . وما هي الا لحظات حتى التفتت اليه قائلة بصوت مرتفع :

ـ سمعت انك امرؤ لامع ، ايها السيد موم ، ولكنني وجدت انك ابلد شخص عرفته !

فكان جوابه :

ـ انني اجد صعوبة كبرى في ان ابدو محبوبا من اناس لا احبهم !

كان موم ينصح لكل من يتحدث امامه عن الحمية او الاقلال من الطعام (الريجيم) بقوله :

ـ ليس افضل من التفاح اذا شئت الا يتخطى الطبيب عتبة دارك .

ويضيف ضاحكا ، وهو يتذكر قصة ويليام تـل :

ـ وخاصة اذا كنت تحسن الرماية والاصابة !

دوهَـاميـل

GEORGES DUHAMEL

حوالي منتصف نيسان ١٩٦٦ توفي في باريس الكاتب الفرنسي وعضو الاكاديمية الفرنسية جـورج دوهاميل عن اثنين وثمانين عاما ، سعى طوالها كروائي وكانسان ان ينصر القيم التقليدية ويحافظ علـى الحريات الفردية ما وسعه ذلك .

ابصر النور في الثلاثين من حزيران سنة ١٨٨٤ ، ونال درجة في العلوم الطبيعية سنة ١٩٠٨ ، وتخرج طبيبا سنة ١٩٠٩ . وقد انعكس في ادبه وكتاباته اهتمامه البالغ بالعلم والطب ، والموسيقى والمسرح . وقد ساهمت اسفاره الكثيرة المتسعة في تكثيف خبرته ، وامدته بمعين متدفق من المادة التي يحتاجهـــا كل اديب ، وخاصة من كان مثله ، اديبا غزير الانتاج متنوع المواضيع .

استهل دوماهيل حياته الادبية بكتابة الشعر ، والمسرحيات ، وبكتابة النقد الادبي . وكناقد كـــان اول من لفت الانظار الى مؤلفات بول كلوديل .

وخلال الحرب العالمية الاولى خدم كطبيب جراح في الجبهة الفرنسية فهالته الآلام البشرية التي كان شاهدا عيانا لها ، ومست شغاف قلبه . وايقظته على تفاهة الحروب . وقد سجل مشاهداته واختباراتـه الكثيرة في كتابين هما « حياة الشهداء » (نشر سنة ١٩١٧) و « حضارة » (١٩١٨) . كما وضع بوحـي من الحرب كتابا بعنوان : « محادثات وسط الضوضاء » (١٩١٩) .

وعزم على التفرغ للكتابة سنة ١٩٢٠ مكرسا لها كل حياته . فراح مذ ذاك يكتب الروايات والدراسات والمؤلفات المختلفة التي تعالج مواضيع اجتماعية واخلاقية . وكان مذهبه الفلسفي والفكري اللاادرية ، ومحور فلسفته القيم الانسانية وخاصة الاعتدال ، والتسامح ، والرفق ، وقد عمل على المحافظة علـى افضل ما في الحضارة مع الحفاظ على الحرية الفردية في عصر ينمو فيه ويتطور التوحيد والتقنـين . ولعل مؤلفاته ، في غالبيتها ، تتميز بعدم ثقته بالتقدم الميكانيكي الآلي ، والمادي ، وبخوفه على مستقبل البشرية ، وبعطفه على مآسي الانسانية . ومن ابرز كتبه التي توحي بهذه النظرات نذكر « امتلاك العالم » (وقد صدر سنة ١٩١٩) ـ وهو بمثابة انجيل خير وطيبة ، يبشر فيه بحكم القلب ويدعو الى هذا الحكم . و « رحلـة موسكـــو » (سنة ١٩٢٧) ، و « الامير جعفر » وهو مجموعـــة قصص تونسية (١٩٢٤) ، و « مشاهد من الحياة المقبلة » (سنة ١٩٣٠) وينطوي كتابه هذا على الانطباعات التي عاد بها من الولايات المتحدة الاميركية وهو هجاء لاذع للعالم الحديث الآلي ، وقد اتبعه سنة ١٩٣٤ بكتاب آخر مماثل سمـاه « الانسان العالم والانسان الآلي » هاجم فيه بعنف وسخرية السيارة ، والسينما ، والراديـــو . ووضع عددا من الكتب عن الاطفال ، وللاطفال . كما وضع كتبا تظهر شعوره وعاطفته نحو الطبيعة من مثل كتابيه « المسرات والالعاب » و « حكايات من حديقتي » .

ولعل شهرته العريضة كروائي ترتكز في الدرجة الاولى على دورتين روائيتين تتضمنـان الكثير مـن انعكاسات اختباراته وتجاربه الجمة . واولى هاتين الروايتين هي « حياة ومغامرات سالافان » ، وتقـع في خمسة مجلدات صدرت بين سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٣٢ ، وقد ترجمت الى الانكليزية سنة ١٩٣٦ .
وفي الدورة الروائية الثانية التي تتالف من عشرة مجلدات وتحمل عنوان « كرونيك دي باسكييه » وقد اتمها ما بين سنة ١٩٣٣ و ١٩٤٤ وصدرت ترجمتها بين سنة ١٩٣٧ و ١٩٤٦ يروي جورج دوهاميل قصة اسرة فرنسية من الطبقة المتوسطة تعيش بين سنة ١٨٨٠ وسنة ١٩٢٠ .

ودخل دوهاميل الاكاديمية الفرنسية سنة ١٩٣٥ . وتولى بين سنة ١٩٣٧ و ١٩٤٩ رئاسة « الاتحاد الفرنسي » وهي جمعية انشئت سنة ١٨٨٣ لتوسيع رقعة النفوذ الفرنسي في الخارج بواسطة نشر الثقافة واللغة الفرنسيين . وقد كان اول رئيس فخري لهذه الجمعية ، بعد انتهاء رئاسته الفعلية سنة ١٩٤٩ .

كان دوهاميل اديبا سمحا ، كريم النفس نظر الى العالم بعطف وشفقة ، ونظر الى القيم الانسانية بتقدير ، وشدد على الاحترام الذي ينبغي لنا ان نكنه لها ، والدفاع الذي تستوجبه .

تميز نتاجه الادبي بمواهب العالم النفساني القدير ، وقد عرف كيف يغلف مؤلفاته بالاجواء الحميمة الدافئة ، ذات الالوان المتعددة ، وذات الشاعرية في كثير من الاحيان .

اندريه بريتون

ANDRE BRETON

بعد ان بدأ بدراسة الطب للتخصص في الامراض العقلية ، واكتشف اعمال فرويد ، وهضمهـــا ، نشر ـ وهو صديق الشاعر غيوم آبولينير ـ اول مجموعة شعرية له بعنوان « بنك الرهونات » (١٩١٩) .

وفي السنة نفسها اسس مع لويس آراغون ، وفيليب سوبو مجلة « ادب » التي اصبحت لسان حال «الحركة الدادائية » ، ومؤسسها تريستان تزارا ، الشاعر الروماني . فيها ظهرت اول اعماله السوريالية الحقيقية « الحقول المغناطيسية » ، وقد كتبها بالاشتراك مع فيليب سوبو .

وسنة ١٩٢٤ اصدر « بيان السوريالية » وهي الحركة الادبية الجديدة التي وضع اسسها مع آراغون ، وسوبو ، وايلوار ... وتولى ادارة مجلة « الثورة السوريالية » . وفي سنة ١٩٢٨ نشر روايته الشعرية « نادجا » ، وفيها يروي مراحل حياته بأسلوبه الخاص . واصدر سنة ١٩٣٠ « بيان السوريالية » الثاني الذي عمق فيه المعنى الفلسفي للحركة، وناهض كل ضغط خارجي سياسي الصبغة . وسنة ١٩٢٥ قطع كل علاقة له بالحزب الشيوعي . ولجأ سنة ١٩٤١ الى اميركا بعد ان منعت حكومة فيشي كتابه « منتخبات من الفكاهة السوداء » . وعاد الى باريس سنة ١٩٤٦ ، فنظم بعد ذلك بسنة معرضا دوليا للسوريالية .

ولد بريتون سنة ١٨٩٦ ، وتوفي سنة ١٩٦٦ . اما مقامه فمضمون بين اسياد النثر الفرنسي . وهذا ما جاء في قاموس « لاروس » في تعريف السوريالية :

« السوريالية محاولة لتخطي الواقع عن طريق الاستقاء والغرف من الخيال واللامعقول . حركة ادبية وفنية هدفها التعبير عن الفكرة الصافية باستبعاد كل منطق وكل انشغال بالاخلاقية والجمالية . وقد انطلقت هذه الحركة من الاطار الادبي لتصبح حركة فنية فلسفية وسياسية . »

مال بريتون الى الادب عندما قرأ احد اساتذته في الصف ، بصوت مرتفع ، قصيدة للشاعر ستيفان مالارمه . وكان جنديا في الحرب العالمية الاولى ، ارعبه تقتيل الشبيبة الاوروبية فعزم على مساعدة الانسان الحديث على اسالة قوى عاطفية وخيالية جديدة ، اعتقادا منه ان افلاس العلم والفكر يمكن التعويض عنه فحسب بانماء قوى الانسان اللاوعية .

ومن البدء ، وكزعيم للذين اسموا انفسهم سورياليين (لويس آراغون ، وبنجامان بيريه ، وفيليب سوبو) ، لم يحاول بريتون تدمير الانسان ، بل شاء ان يخلصه من توازنه المتقلقل ، ويخرجه من سروره وانشراحه ، ويساعده على التعالي فوق فوضاه من خلال اغناء الوعي .

وبين سنة ١٩١٦ — عندما التقى بريتون في بلدة نانت امرأ اسطوريا وغامضا كان له تأثير عميق عليه — وسنة ١٩٢٤ ، كان على علاقة بالحركة الدادائية التي ابصرت النور في زوريخ بسويسرا .

وقد درس بريتون الشعراء الفرنسيين ، وعددا من الشعراء الثائرين امثال ويليام بلايك، لوتريامون، ارتور رامبو ، وغيوم آبولينير . وهذا الاخير الذي توفي سنة ١٩١٨ هو من اوجد لفظة السوريالية .

اما المظاهر التدميرية للسوريالية فلم تكن سوى مقدمة لاعادة بناء الانسان بناء كاملا .

كان بريتون شاعرا مبتكرا دون ان يكون شاعرا كبيرا ، في عدد من دواوينه ، من مثل « المسدس ذو الشعر الابيض » (١٩٣٢) . اما تأثيره في الرسم فقد كان اعمق وابقى طوال عقد او عقدين من السنين . وقد اكتشف الكثيرون من الرسامين الشباب في فرنسا وسائر البلدان (الالماني ماكس ارنست ، والايطالي جيورجيو دي شيريكو ، والاسبانيان سلفادور دالي ، وخوان ميرو ، وعدد من الاميركيين) دعوتهم الفنية من خلال السوريالية .

هدف بريتون الى فتح المجاهل امام الادب : مجاهل اللاوعي والاحلام ، وحتى الجنون ، والى اعادة الاعتبار للحب ، وتمجيد المرأة على انها ترجمان اسرار الحياة ، والى اغراء الانسان الحديث وجره نحو توازن جديد وفوق عقلي . وقد اصبحت السوريالية ، التي ظهرت في البدء بمظهر المنافية لشريعة الادب ، في الواقع ، بحثا عن اخلاقية جديدة . ومن الذين استوحتهم هذه الحركة المركيز دو ساد ، واللاهوتي كورنيليوس جانسن ، والراهب اليعقوبي جان — بول مارا .

إقبال

شاعر باكستان وفيلسوفها الاكبر ، قال عنه مرة المستشرق البروفسور نيكلسون : « لقد جاء اقبال كرسول ، ان لم يكن لعصره بالذات ، فلسائر العصور » . وقد صدق قول نيكلسون اذ ان اقبال لم يقم بدور « الشاعر النبي » الذي انهض شعبه باشعاره القوية التي تمجد الذات ، وزوده بحيويته وايمانه ، وانما تنبأ له كذلك بأفق جديد ومصير جديد .

والدكتور اقبال يعرف في باكستان وكثير من بلدان العالم بالعلامة اقبال لعلو فضله في العلم والفلسفة والادب . وهو في الواقع نسيج وحده في الادب والفلسفة ، ويحتل مكانا في الادب الباكستاني بل وفي الآداب العالمية ، لا يدانيه اليه احد . فقد درس الفلسفة على يد جهابذة الاساتذة في الغرب ، ثم خرج من دراساته بنظرياته وفلسفته الخاصة . فله نظرية في النفس، او الذات، وما تنطوي عليه من همم قعساء وجد وعمل وتسام الى العلى . والحق ان اقبالا وآراءه وفلسفته مما يكون مدرسة قائمة بذاتها قد تتطلب للتخصص بها دراسة تمتد اعواما .

ولد محمد اقبال في بلدة سيالكوت باقليم البنجاب (الآن باكستان الغربية) في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة ١٢٨٩ هجرية ، المصادف ٢٢ شباط سنة ١٨٧٣ ميلادية . ولد لاسرة فقيرة عـرفت بالتقوى ، والصلاح والتدين ، ترجع في اصلها الى براهمة كشمير ، وقد اسلمت في عهد الامبراطوريـة المغولية (قبل مولده بنحو ثلاثمائة سنة) .

ولما شب اقبال ارسل الى الكتاب جريا على عادة القوم ليتعلم القرآن والقراءة والكتابة . فقد كان ابوه مشوقا لتعليم ابنه اصول الدين ، وبعدها ادخل مدرسة البعثة الاسكوتية في سيالكوت مهبط رأسه، وهنا بدأ الصبي يبدي من الذكاء والمواهب ما لفت انتباه اساتذته . فقد عني اقبال وهو في نعومـة اظفاره بدراسة اللغة الاردية والفارسية فضلا عن الانكليزية ، وما لبث حتى كلف بالشعر ، فاخـذ ينظم طرفا منه ، ويبعث به الى شاعر نابه الذكر من شعراء اللغة الاردية اسمه « داغ » .

اتم اقبال دراسته في المدرسة الاسكوتية سنة ١٨٩٥ وانتقل الى لاهور حاضرة البنجاب ومركزهـا الثقافي ، حيث دخل كلية الحكومة ليتم تعليمه ، وما لبث أن برز في دراسة العربية والانكليزيـة ، ونال العديد من الجوائز التقديرية . فاتم هنا تحصيله بان نال شهادة الفنون سنة ١٨٩٧ اولا ثم تلاهـا بشهادة استاذ في الفن بعد ذلك بقليل . وعندئذ عين في المدرسة نفسها التي درس فيها .

يؤثر عن اقبال شغفه بالعلم وكلفه بالادب والفن والشعر ، لذا كان شديد الاتصال باهل العلم كثير الترحال ، فقد قصد اوروبا لمواصلة التحصيل العالي فالتحق بجامعة كمبردج ودرس الفلسفة ، ثم رحل الى المانيا والتحق بجامعة ميونيخ وكتب رسالته في موضوع « تطور ما وراء الطبيعة في فارس » ، ثم عاد الى لندن حيث درس القانون . فلما عاد الى موطنه مارس المحاماة وبلغ بها منزلة عليا . غير أن مرضه وكبر سنه حالا دون مواصلته لها ، فكف عنها سنة ١٩٣٤ ، اي قبل وفاته بأربع سنوات .

وكما كان لاقبال دور خطير في الادب والشعر والفلسفة فكذلك كان له دور في السياسة ، فقـد انتخب لعضوية الجمعية التشريعية في الهند سنة ١٩٢٦ وله فيها خطب مأثورة ، وعمل في حزب الرابطة الاسلامية ، ورئس الاجتماع السنوي في الله آباد سنة ١٩٣٠ ، ثم اشترك في مؤتمر المائـدة المستديرة الذي انعقد في لندن لدراسة مشكلة الهند الدستورية واصدار دستور جديد وذلك سنة ١٩٣١ و ١٩٣٢ .

زار اقبال بعض البلدان العربية وتعرف على اهلها . فقد زار مصر وفلسطين واشترك في المؤتمـر الاسلامي الذي عقد في القدس للنظر في القضية الفلسطينية .

وكان اقبال يبدي اعجابا عظيما بالعرب ويمتدح الدور الذي قاموا به لاقامة صرح الحضارة الاسلامية .

ولاقبال شعر كثير باللغتين الاردية والفارسية . وله مؤلفات باللغة الانكليزية كان لها اثرها البالغ في توجيه التيارات الفكرية في الهند وفي باكستان فيما بعد .

وفي محاضراته الشهيرة التي جمعها تحت عنوان « اعادة بناء التفكير الديني في الاسلام » شرح اقبال فلسفته ونظمها ، فقال : « ان المهمة الموضوعة امام المسلم العصري هي اعادة التفكير بالنظام الكامل للاسلام دون ان يقطع الصلة تماما بالماضي » . وقد حاول فيها ان يفعل ما فعله القديس اغسطينوس نحو المسيحية قبل عدة قرون . فاظهر كيف يمكن للمسلمين ان يبقوا مسلمين حقيقيين ، ويتمتعوا من ثم بثمار العلم الحديث .

ولم يكتف اقبال بنفخ المسلمين بحيويته وايمانه ، بل نشر لهم فكرة انشاء وطن قومي اسلامي في شبه القارة الهندية . وقد فعل ذلك في خطابه حين كان رئيسا للرابطة الاسلامية في عموم الهند عام ١٩٣٠ .

وكان ان تجسمت هذه الفكرة في انشاء دولة اسلامية منفصلة في شبه القارة الاسيوية للهنود المسلمين باشراف وزعامة القائد الاعظم محمد علي جناح الذي اعطاها شكلا عمليا بانشاء دولة الباكستان بعد ١٧ سنة من اعلانها على يد اقبال .

ت.س. ايليوت

T. S. ELIOT

توماس ستيرنز ايليوت ، شاعر وناقد وكاتب مسرحي انكليزي ، اميركي الاصل . ابصر النور في ٢٦ ايلول ١٨٨٨ . درس في جامعات هارفرد (اميركا) ، وباريس ، واوكسفورد (انكلترا) . كان ذا ميول ادبية كلاسيكية . اقام في لندن سنة ١٩١٤ حيث اصدر مجلات ادبية وفكرية ، وحرر فيها . مقالاته النقدية ثبتت مكانته في الطليعة بين كتاب العصر البريطانيين ، وكانت احيانا كثيرة المفتاح لفهم شعره وتطوره .

اصدر سنة ١٩٢٢ مجموعته الشعرية « اليباب » فاظهرت تقدما مهما في احياء التكنيك الشعري الذي بدأ بالشعراء الرمزيين الفرنسيين شارل بودلير ، وستيفان مالارمه ، وجول لافورغ ، وسواهم .. كما اظهرت التأثير الشعري الكبير الذي كان لدانتي ، والشعراء الميتافيزيقيين البريطانيين في القرن السابع عشر ، على ايليوت ، الى جانب تأثير شاعر اميركي معاصر آخر هو عزرا باوند الذي عرف واياه بأنهما من أسياد المدرسة الشعرية الانكلو ــ اميركية الجديدة .

من اشهر مجموعاته الشعرية نذكر « اربعاء الرماد » (١٩٣٠) .

ومن اشهر مجموعاته المسرحية الشعرية « جريمة قتل في الكاتدرائية » (١٩٣٥) ، قدمت في مهرجان كانتربري فاحلته مقامه المرموق ككاتب مسرحي . وبعدها راحت تتوالى انتصاراته المسرحية بمأساة « اجتماع العائلة » (١٩٣٩) ، وملهاة « حفلة كوكتيل » (١٩٥٠) .

نال جائزة نوبل للاداب سنة ١٩٤٨ . تزوج مرتين ، وكانت وفاته سنة ١٩٦٤ .

اندريه موروى

ANDRE MAUROIS

كان اندريه موروى الرجل النبيل حسب تعريف القرن السابع عشر . ومنذ اكثر من خمسين سنة بدأ عمله الادبي الضخم الذي كان يكرس من اجله عشر ساعات كل يوم . شيللي ، بايرون ، جورج صاند ، فكتور هوغو ، دوما ، بلزاك ... ابطاله هؤلاء كانوا ابطال تاريخ الادب ، وبعد ان كان روائيا وكاتب مقالات ، توصل الى رفع السيرة الى مستوى الرواية . وعشية دخوله المستشفى ، في اواخر سنة ١٩٦٧ ، كان قد نفض يده من كتابة مقدمة مذكراته . وكان له من العمر اثنان وثمانون سنة عندما ودع هذا العالم في تشرين الاول من سنة ١٩٦٧ .

توفي اندريه موروى فودعه الوداع الاخير زملاؤه ذوو البزات الخضراء ، رفاق الخميس ـ اعضاء الاكاديمية الفرنسية ، التي كان يقول عنها : « انها نادي ! » ولكم كان يحب ان يشهد ذلك الوداع الاخير . فأمام النعش الذي نصب في فناء مجمع الخالدين الاربعين ، وضعه صديقه جاك شاستنيه في خطابه الوداعي « في سلسلة كبار الكلاسيكيين في القرن الثامن عشر . »

ابصر اميل هرتزوغ ـ وهذا هو اسم موروى الاصلي ـ النور في ايلبوف في سنة ١٨٨٥ . وكان وهو في السادسة من عمره ، صبيا هزيل البنية ، ضعيفها ، وقد اضطر الى استعمال مشد حديدي نزعه عنه في الثانية عشرة بعد ان اصبح قوي الجسم ، وتوصل الى الحلول في المرتبة الاولى في الجمباز .

في كلية كورناي ، في روان ، قال له استاذه الفيلسوف آلان ـ واسمه الاصلي اميل شارتييه : « عش قبل ان تكتب . » وهكذا انتظر هذا التلميذ الشاطر ، الذي كان مقدرا له ان يحترف الادب منذ سنة ١٩٠٢ ، خمس عشرة سنة قبل ان ينشر كتابه الاول . فحتى ذلك الحين ، وعملا بنصيحة آلان ، بعيدا عن مناقشات المقاهي الباريسية ، عمل الفتى اميل هيرتزوغ جنبا الى جنب مع الحائكين والنساجين في مصنع ذويه في ايلبوف . فهناك امكنه ان يتفهم الكثير عن البشر ، وبطريقة افضل من كل المناقشات التي تدور في الحانات والمقاهي .

وفي سنة ١٩٤٩ احيى موروى في كتابه « آلان » شخصية ذلك المفكر الكبير تقديرا وتكريما من صاحب « دروس في السعادة الزوجية » .

في الحرب العالمية الاولى عمل ترجمانا في كتيبة اسكتلندية في الجيش البريطاني ، فكانت له اختبارات جمة خلالها ، وكانت حصيلتها رواية « صمت الكولونيل برامبل » التي راجت رواجا كبيرا ، اذ بيعت النسخ المطبوعة كلها في غضون ايام معدودة . وقد انصف النقاد كتابه هذا ، وانهالت الدعوات على صاحبه من اناطول فرانس ، وكبلنغ ، وكليمنصو ، وليوتي . وكان كافيا لان يحول كتاب واحد اميل هيرتزوغ الصناعي الى الكاتب الشهير اندريه موروى .

وتلت ذلك كتب اخرى ، فأيقن موروى انه لا يستطيع مواصلة نشاطه على جبهتين ، فاختار الادب . الا ان المصنع الذي كان سبيله الى معرفة البشر ، ظل زمنا طويلا حاضرا في انتاجه الادبي . وبسرعة احتل موروى مقامه الى جانب اصدقائه لدى الناشر برنار غراسيه ، وهم اندريه جيد ، وشلومبرجه ، ومارتان دوغار .

تزوج سنة ١٩١٢ ، بعد قصة غرام رومنطيقية ، فتاة بولونية حسناء توفيت في الحادية والثلاثين من عمرها ، تاركة ثلاثة اولاد . واننا لنجد انعكاسات لهذه المأساة في روايته « مناخات » .

وتزوج ثانية سنة ١٩٢٦ سيمون دو كايافايه التي اصبحت اقرب المقربين اليه ، وائمن معاونيه ،

تقوم بالابحاث المضنية في دار الكتب الوطنية ، وتتولى ضرب مخطوطاته على الالة الكاتبة ، وتصحح البروفات المطبعية ، وحفظ مختلف البطاقات ، فضلا عن اسداء النصح والمشورة .

وتنشب الحرب العالمية الثانية ، ويصبح من الضروري اقناع الحلفاء اكثر مما هو ضروري مجابهة الإعداء . وكان الاميركيون في حيرة من امرهم ، لا يفهمون هزيمة فرنسا سنة ١٩٤٠ على حقيقتها ، فتولى اندريه موروى مهمة اقناعهم بما فطر عليه من موهبة في الخطابة طالما الهته من قبل عن الكتابة والتاليف .

وعاد السلام من جديد ، هذا السلام الذي كان بالنسبة اليه مرحلة السير الكبرى . وما كان قد بداه قبل الحرب من التراجم (شيللي ، دزرايللي ، بايرون ، تورغينيف ، شاتوبريان) واصله ، فوضع تراجم بروست ، وجورج صاند ، وفكتور هوغو ، ودوما (الثلاثة منهم) ، وفليمنغ ، ومدام دو لافاييت واخيرا الهه : بلزاك ...

لايبنتز

LEIBNIZ

غوتفريد فيلهلم لايبنتز (١٦٤٦ – ١٧١٦) فيلسوف ورياضي ورجل اعمال ، وواحد من ائمة المفكرين المنظمين في العصر الحديث . هو آخر الفلاسفة الموسوعيين الالمان ، وهو في الواقع المؤسس الحقيقي للفلسفة الالمانية . سوى ان انتاجه لم يقتصر على الميدان الفلسفي فحسب ، بل تعداه الى سائر ميادين العلم تقريبا . فكان بذلك مثالا فذا ، فريدا في نوعه ، في تاريخ الحياة الفكرية الاوروبية .

ولد لايبنتز قبل نهاية حرب السنوات الثلاثين (١٦١٨ – ١٦٤٨) بسنتين اثنتين . وقد كانت هذه الحرب كارثة حقيقية نزلت بالمانيا ، فقضت بعدها مئات السنين حتى استطاعت الاستجمام من عنائها المبيد ، واستعادة قوتها وحياتها . فقد كان عدد السكان لدى بداية الحرب ثلاثين مليونا . فلما وضعت اوزارها بعد ثلاثين سنة لم يكن عدد السكان ليزيد على الاربعة ملايين . ولقد كان ظهور لايبنتز في فترة ما بعد هذه الحرب الضروس ، بمثابة النجم الوضاء الذي يبدد بنوره الساطع المفاجىء ظلمات الفكر الكثيفة .

ابصر النور في اول تموز ١٦٤٦ ، في لايبزيغ ، حيث كان والده استاذ الفلسفة الاخلاقية . ومع ان اسم لايبنتز كان سلافيا في الاصل فان اسلافه كانوا من الالمان ، وعملوا طوال ثلاثة اجيال في خدمة الحكومة السكسونية .

درس في مدرسة نيقولاي في لايبزيغ ، ولكنه من سنة ١٦٥٢ ، عندما توفي والده ، بات هو استاذ نفسه .

من والده اكتسب حب الدراسة التاريخية . وسرعان ما التهم كل الكتب الالمانية التي كانت في متناول يديه . وقد درس اللاتينية وهو بعد في الثامنة من عمره . فلما بلغ الثانية عشرة كان قد اتقنها ، وبدأ بدراسة اللغة اليونانية . وكان يجد سهولة كبرى في كتابة الشعر اللاتيني .

ومن ثم تحول الى دراسة المنطق محاولا اصلاح مبادئه وتعديلها . وفي الخامسة عشرة دخل جامعة لايبزيغ لدراسة القانون . وقد كرس السنتين الاوليين من دراسته الجامعية لدراسة الفلسفة باشراف جاكوب توماسيوس ، وهو من المدرسة النيو – ارسطاطالية الذي يعتبر مؤسس الدراسة العلمية لتاريخ الفلسفة في المانيا . ولعله في تلك المرحلة تعرف الى المفكرين الذين كانوا قد احدثوا ثورة في العلم والفلسفة ، امثال فرنسيس بايكون ، وكاردان ، وكامبانيلا ، وكبلر ، وغاليليو ، وديكارت . ومنذ ذلك الحين راح يتأمل في الفارق بين الطرق القديمة والحديثة في النظر الى الطبيعة . وعزم على دراسة

الرياضيات . والسنوات الثلاث التالية كرسها لدراسة القانون . وفي سنة ١٦٦٦ تقدم لشهادة الدكتوراه في القانون . وقبل ان يبلغ الحادية والعشرين كان قد وضع بضع دراسات فكرية وفلسفية قيمة .

ذهب الى فرنسا بتكليف من اميره ليعمل على التخفيف من عدوان الملك الشمس (لويس الرابع عشر) ، فلم يوفق في مهمته السياسية ، ووفق في ميادين العلم . فقد مكث في العاصمة الفرنسية اربع سنوات قام خلالها بدراسة ديكارت وسبينوزا ، وتعرف الى هيوجينس الذي قاده الى اغوار الرياضيات . ووضع في باريس اساس حساب التفاضل .

وعاد سنة ١٦٦٧ الى هانوفرفعمل امينا لمكتبة القصر الاميري ، واتخذ من هذه المدينة موطنا ثانيا له لفرط حبه لها . ومنها قام بزيارات عدة واسعة الى برلين ، وفيينا ، وروما .

ولايبنتز كان صاحب فكرة انشاء ((اكاديمية العلوم)) في برلين ، فاسسها ، وترأسها . ان هذا الرجل الذي أورث الاجيال من بعده افكاره وآراءه في الفلسفة ، واللاهوت ، والسياسة ، والتشريع ، والعلوم الطبيعية ، والتاريخ ، والعلوم اللغوية ، والذي كان آخر من ملك ناصية العلوم جميعها في تاريخ الحياة الفكرية الاوروبية ـ هذا الرجل كان الى حد كبير ايضا مؤسسا لتكنيك العلوم الطبيعية الذي نحيا تقدمه الرائع اليوم .

لقد وضع اساس حساب التفاضل والتكامل ، واساس الكيبرنيتيكا ، واساس العلوم الالكترونية الحديثة . والآلة الحاسبة التي اخترعها ، كانت هي الاساس الذي بني عليه العقل الالكتروني الحاسب في العصر الحديث . فمع لايبنتز بزغت بداية العالم الحديث . وفي مكتبة هانوفر اكثر من ٥٠٠٠ مخطوطة كتبها لايبنتز باللغات اللاتينية والفرنسية والالمانية ، بالاضافة الى رسائله التي كان يتبادلها مع اكثر من الف شخص . ولم يقرأ بعد الجزء الاكبر من هذه المخطوطات والرسائل .

وعندما مات عام ١٧١٦ وهو في السبعين من عمره ، لم يشترك احد من العاملين في القصر في تشييع جثمانه الى مقره الاخير . ودفن ((كما يدفن اللص)) ـ كما قال احد الذين شاهدوا رحلته الاخيرة . ولم ينعه احد ، ولم يكرمه بالتأبين احد ... سوى الاكاديمية الفرنسية للعلوم .

بروكوفييف

SERGEI PROKOFIEV

مؤلف موسيقي وعازف على البيانو ، وقائد اوركسترا ، روسي ـ ابصر النور في ايكاتيرينوسلاف ، في جنوبي روسيا في ٢٣ نيسان ١٨٩١ ، وتوفي في ٤ آذار ١٩٥٣ بالقرب من موسكو .

منح سنة ١٩١٠ جائزة روبنشتاين تقديرا لعمله الموسيقي الاول ((الكونشرتو للبيانو)) . وقد لفتت مؤلفاته منذ البدء ، الاهتمام بأصالتها ، وجرأتها ، مواصلا بذلك افضل تقاليد الموسيقى العالمية الكلاسيكية .

وعندما كتب الموسيقى للمسرح اختار مواضيع عناصرها الغرابة والتهريج والهجو اللاذع ، من مثل عمليه ((المهرج)) (١٩٢١) ، و ((حب البرتقالات الثلاث)) (١٩٢١) .

عاش فترة من الزمن خارج وطنه ، فلم يفقد تفرده واصالته ، ولما عاد الى روسيا سنة ١٩٣٢ اذا بموهبته الفنية تتفتح بكل قوتها واتساعها . وقد خلف تراثا موسيقيا رائعا يضيف لبنة جديدة الى صرح المجد الفني الروسي والعالمي على السواء . اما رصيده فيتألف من ثماني اوبرات ، وسبع باليهات،

وسبع سنفونيات ، وخمسة كونشرتات للبيانو ، والاناشيد ، والسوناتات ، والاغاني ، والكثير من الكانتات – وهي تاليف موسيقي كبير للغناء بمصاحبة الاوركسترا او الالات الموسيقية المنفردة ، يتالف من اقسام جوقية ومنفردة .

وعلى كثير من مسارح الاتحاد السوفياتي والعالم تقدم بنجاح باليهات بروكوفييف الرائعة : ((روميو وجولييت)) و ((سندريلا)) ، و ((حكاية زهرة من حجر)) . وفي سنة ١٩٥٧ منح جائزة لينين بعد الوفاة على سنفونيته السابعة . وبروكوفييف هو القائل : ((اني اتمسك بتلك الفكرة القائلة ان الملحن ، كالشاعر والنحات والرسام ، مدعو الى خدمة الانسان والشعب .))

وعمل هذا الفنان الواقعي بوحي هذه الفكرة ، فصور بقدرة عجيبة ومهارة ، بطولة الشعب الروسي في نضاله الوطني ، وحب الوطن باجلى مظاهرها . ومن ابرز اعماله في هذا الميدان اوبرا ((الحرب والسلام)) .

دولاكروى

EUGENE DELACROIX

وصف اوجين دولاكروى بانه واحد من امجاد فرنسا الوطنية .

لم يكن هذا الرسام الفرنسي الكبير يستطيع الرسم بسرعة فائقة فحسب ، بل كان في وسعه ان يرسم كذلك بأساليب متنوعة رائعة . وقد فتح دولاكروى الباب للمدرسة الحديثة في فن الرسم . فهبط فان غو باريس لغاية وحيدة هي رؤية لوحة المعلم ((الشفقة)) التي نسخها غير مرة . وفي محترف سيزان كانت اللوحة الوحيدة التي رسمها رسام سواه نسخة نقلها عن لوحة لدولاكروى . ويدين له كل من مانيه ، ورينوار ، وماتيس ، وديغا ، ودرو . اما لوحة بيكاسو الشهيرة ((غيرنيكا)) فهي من السلالة المباشرة للرسم الذي صنعه دولاكروى احتجاجا على مذبحة اليونانيين في جزيرة خيوس التي ذهب ضحيتها عشرون الفا منهم .

ابصر فردينان فكتور اوجين دولاكروى النور في احدى ضواحي باريس سنة ١٧٩٨ بعد الثورة الفرنسية بتسع سنين . ويؤكد معظم الذين ترجموا له أن والده الحقيقي هو الداهية السياسي تاليران الذي عرف بلقب ((الشيطان الاعرج)) (اما والده الاسمي فكان وزيرا مفوضا لفرنسا في هولندا) . وقد كانت الموهبة الفنية الفذة من خصائص ذوي امه واخواله . وكانت علبة للالوان في عيد ميلاده فاتحة عهده بالرسم وسلوكه هذا السبيل . فلما بلغ السادسة عشرة توفي والداه وتلاشت ثروة الاسرة . وقد كتب دولاكروى فيما بعد مشيرا الى حالة العسر تلك يقول : ((ليس ثمة حالة اسوا من عدم معرفة المرء اين سياكل في الاسبوع التالي .))

وكان شديد الحساسية ، مرهف الذوق ، رأى مرة لوحة اثارت اعجابه ، فعدا في شوارع باريس حتى بلغ غرفته لكي يرسم اللوحة قبل ان تتلاشى انطباعاته . وقد ظهر امام الجمهور لاول مرة وهو في الرابعة والعشرين ، عندما عرض لوحته في ((صالون باريس)) . وكان فقيرا فلم يستطع شراء اطار ليضع فيه لوحته التي بلغ عرضها ثماني اقدام . ولو لم يمد اليه احد المحسنين ، اذ ذاك ، يد المساعدة لما عرضت تلك اللوحة وهي بعنوان ((دانتي وفرجيل)) ، وتمثل الشاعرين الكبيرين في الجحيم تحيط بهما اجساد الهالكين المتلوين . وهي اليوم معروضة في متحف اللوفر .

وهرع دولاكروى الى العرض يوم الافتتاح ليستمع الى آراء الناس في اولى لوحاته . ولكن بدلا

من المديح الذي كان يتوقعه اذا به يسمع ضحكات الاستهزاء والتهكم . قال احد الناقدين : « رسام عديم الشكل وغير منتظم . » وصاح آخر : « مشعوذ . » وفي اليوم التالي ابتاع الصحف فوجد في واحدة منها ، نقدا في مصلحته . وقد قال ادولف تييرس الذي اصبح وزير التجارة فيما بعد ان لوحته كانت لوحة جميلة و « فيها هنا وهناك تفجر عبقرية » . فانقذ ذلك الموقف ، وما عتم دولاكروى ان نسي تماما النقد الجارح المعاكس .

كانت تلك بداية حياة مبدعة خلاقة تفوق الحد . وقد كتب يقول : « العمل هو حبي الوحيد » وأي حب هو ؟ كان يستيقظ عند الفجر فيتناول كسرة من الخبز ، ثم يعكف على الرسم دونما انقطاع حتى ساعة متأخرة من بعد الظهر . فاذا ما اعوزه الانفعال مال الى قراءة الشعر لتجديد قواه .

في تلك الايام وقبل اختراع آلة التصوير كان الطلب على الرسامين كبيرا من اجل رسم المشاهد التاريخية . وقد لون دولاكروى الكيلومترات من القماش لصفحات التاريخ هذه مما جعله خالدا بين الخالدين من الرسامين . وكان يردد : « ان اللوحة ينبغي ان تكون قبل كل شيء مأدبة شهية للعين . » والواقع انه كان طاهيا استاذا .

وجعله تخصصه هذا واسع الثراء . فقد كانت الحكومة تطلب تزيين المباني العامة . ومن الفقر ارتفع دولاكروى الى قمة الثراء ، فبات واحدا من الرسامين الذين اثروا من فرشاتهم في العصر الحديث .

منذ سن الثانية والعشرين راح دولاكروى يشكو من سوء صحته . فالملاريا التي كانت تلازمه كأي مرض عضال ، والالم في حنجرته غالبا ما الزماه الفراش . ولكن على الرغم من نحول بدنه ، ومرضه ، وطيب قلبه ورقته ، رسم دولاكروى مشاهد تبلغ ذروة العنف . فلوحاته التاريخية غالبا ما كانت تصور المذابح المخيفة . وقد ارعبت لوحته « المذبحة » الجمهور باحد تفاصيلها : طفل يرضع ثدي امرأة ميتة . الا انه حتى في اكثر لوحاته دموية وعنفا كانت طبيعته الرقيقة بارزة . فوجه العامل الذي يموت في لوحته «الحرية تقود الشعب » وصف بأنه واحد من اكثر الوجوه التي تحرك العاطفة في تاريخ الفن .

ودولاكروى كان في طليعة من رسم المناظر الافريقية الشمالية . قضى في تلك الانحاء ستة شهور فلم يدع مكانا الا زاره ، حاملا دفتر الرسم ، راسما الناس والمناظر ، جامعا الافكار والوحي ذخيرة تكفيه طوال ايامه .

وفي الجزائر تمكن من الحصول على اذن بدخول الحريم لغايات فنية . ومن تلك الزيارة كانت لوحته الشهيرة « نساء من الجزائر » التي يعتبرها النقاد رائعته .

ولدولاكروى كذلك حق بالخلود الى جانب رسومه : فقد كان يدون مذكرات يومية مفصلة ملأى بالاحاسيس والمشاعر ، صورت في ثلاثة مجلدات ، شريطا كاملا دقيقا لحياته . وقد وضعت بمصاف يوميات صموئيل بيبيس ، فيها يمر كما في العرض ، عظماء الرجال والنساء في ذلك العهد : شوبان ، جورج صاند ، فكتور هوغو ، الكسندر دوما ، وزوجة الشاعر شيللي . وكان لون بشرته داكنا نوعا ، وعيناه شرقيتين ، وشعره طويلا اسود ـ بقي كذلك حتى وفاته ـ وشارباه رقيقين ، مما جعله محبوبا من النساء اللواتي كن يلاحقنه بلا هوادة ، فيسمح لنفسه احيانا بأن يقع في شراكهن . وكان حبه الكبير للبارونة جوزفين دوفورجيه التي كان ولا ريب سيتزوجها لولا سوء صحته .

ومع تقدمه في السن ازداد الم حنجرته سوءا على سوء . فكان يقضي اياما دون ان يستطيع التلفظ بكلمة . فتقف مدبرة منزله جيني التي خدمته طوال ٢٨ عاما ، على باب حجرته لتمنع الزائرين من ان

يثقلوا على صحته او يلهوه عن الرسم . الا ان جوزفين وصديقه الحميم فريدريك شوبان كانا يدخلان عليه ساعة يشاءان .

وفي ١٣ آب سنة ١٨٦٣ ارتحل دولاكروى الى العالم الاخر عن ٦٥ عاما .

وكانت احدى آخر ملاحظاته : ((آه ، اذا تحسنت حالتي فسأصنع اشياء رائعة . ان رأسي ليغلي بالافكـــار .))

ولقد ذكرت هذه العبارة الاخيرة في السجل الذي اصدر سنة ١٩٦٣ لمناسبة اقامة المعرض المئوي للوحاتـــه .

كلود مونيـــه

CLAUDE MONNET

يقول ساشا غيتري في كتابه الرائع L'ESPRIT عن صديقه الرسام هذا (١٨٤٠ ـ ١٩٢٣) ـ وكل الذين كتب عنهم عرفهم جيدا وكانوا من اصدقائه :

أنا احلم بوضع كتاب بعنوان ((حياة كلود مونيه النموذجية)) ، ليقيني انه ليس ثمة انسان يمكـن ان يكون نموذجيا ، ومثالا يحتذى ككلود مونيه . فقد كانت حياته صافية نقية من اولها الى آخرهـا . وكان بوسعه ان يتبجح بانه لم يقم بأي شيء يستوجب الذم واللوم ، لا في حياته ولا في فنه . قلت ((كان بوسعه ان يتبجح)) ، ولكن الجميع يعلمون انه لم يفعل ، فلم يكن من شيمة مونيه التبجح ! ...

والذي يميز هذا الانسان من الكثيرين من البشر الذين صادفتهم في حياتي هو ان هؤلاء يقدمون اليك النصائح ، في حين يقدم هو اليك النموذج والمثال .

كانت حياته ابسط حياة ممكنة في العالم . كان يتأمل ، ويأكل ، ويدخن التبغ ، ويمشي ، ويشرب الخمر ، ويصغي . اما باقي الوقت فكان يعمل . والحقيقة انه لم يكن يقوم الا بشيئين : العمل والحياة . فقد عمل اولا لكي يعيش ، فلما حقق نوعا من العيش ، عاش ليعمل . وكان يقيم في جيفرني صيفـــا شتـــاء ...

ولم يكن يستقبل كثيرا من الناس اللهم الا الاصدقاء الحميمين ... وكان من احب الاصدقاء اليـــه كليمنصو ، واوكتاف ميرابو (وهو من الكتاب ومن اسياد النكتة) ، وغوستاف جوفروى .

وكان وهو في الثانية والثمانين من العمر ، ما يزال محتفظا بكل قوته ، وحيويته ، وسلامة صحته . فلقد كان كالسنديانة الهرمة التي تهزأ بالعواصف لشدة مناعتها . فكيف سينفذ اليه الموت ؟ لقد غلبه بالحيلة والخداع ، والغدر . اصابه الموت في اعز اعضاء جسمه اليه واثمنها ، بل في علة وجوده . في عينيه ! اجل ، لقد ارتكب القدر هذه الجريمة ، وعكر عليه صفو بصره قبل ان يغمض له عينيه .

لقد عرف مونيه البؤس ، واللامبالاة ، والازدراء ... وقد قال لي انه بلغ السابعة والاربعين ولـم يكن قد باع لوحة من لوحاته بأكثر من خمسين فرنكا . ولكنه لم يحقد على شيء ، ولا على احد مـــن جراء ذلك ولم تستول على نفسه اي مرارة . فلما اثرى ـ وكان يمكنه ان يقول كلمة واحدة ليزداد ثراء على ثراء ـ لم يكن يهمه من متاع هذه الدنيا وحطامها سوى زهوره . فقدكانت حديقته مـن اجمـــل حدائق الدنيا . وكان يقرر لونها قبل شهور ، قائلا : ((هذه السنة اريد ان تكون حديقتي كلها بنفسجية اللـــون ! ..))

سارجنت

JOHN SARGENT

لم يشاهد سارجنت (١٨٥٦ – ١٩٢٥) وطنه اميركا ، مع انه من والدين اميركيين ، الا عندما بلغ العقد الثاني من العمر .

كانت والدته من فيلادلفيا ، ولها ولع خاص بالاسفار ، تجر افراد اسرتها المطيعين من مكان الى آخر دون ان تستقر في مكان يمكن ان تؤسس فيه بيتا عائليا هادئا . فلما بدأ سارجنت في التاسعة عشرة دراسة فن الرسم في باريس ، استطاع ان ينمي بسرعة اسلوبا فنيا رفيعا يعكس اختباراته بدقة ووضوح . ولما كان كثير الاقامة في الفنادق والفيلات المستاجرة فقد اتيح له ان يراقب عن كثب ثقافات لم يكن ليشارك فيها .

فما كان ليرى الا المظاهر الخارجية ، ولا فرق بين ان يكون منظرا طبيعيا او امراة ، فانه كان يترجمه للحال الى صورة رائعة التلوين . وبضربة فرشاة واحدة كان يستطيع ان يمنح الصورة ، فضلا عن الشكل واللون ، تركيب الاجزاء ، والهيئة ، والشعور بأنها حقيقة . الى هنا وصل فنه فحسب ، اذ لم يكن عنده اي افكار او انفعالات ليضمنها رسومه ، وكانت مخيلته تستطيع جمع عدة وجوه في لوحة واحدة .

وكانت موهبته في رسم الوجوه السبب في شهرته العريضة التي نالها في باريس ، ولم يكن قد تجاوز بعد الخامسة والعشرين . فلما رسم السيدة غونترو ، اجمل حسان العاصمة الفرنسية ، وعرض هذا الرسم الرائع في المعرض الوطني الشهير ، اثار ضجة كبرى ، بل فضيحة في اوساط المجتمع . ذلك بأن سارجنت لم يرسم حسناء من تصميمه ، بل نقل بدقة ملامح حسناء معروفة ببراعة فتنتها وسحرها ، فبدت في ثوب غير لائق ، سطحية ، تركز اهتمامها بنفسها . وفي حين كانت الجماهير المشدوهة تتدفق على « الصالون » كانت السيدة غونترو ترغي وتزبد في محترف الفنان المسكين . وقد ساءه ذلك وهو الذي لم يعتد الا المديح ، فحزم امتعته وانتقل الى لندن .

وقد عرف رسم « السيدة غونترو » فيما بعد برسم « السيدة المجهولة » واعتبر تحفة سارجنت الفنية . واصبح سارجنت اشهر رسامي عصره ، وجاب انحاء اوروبا والولايات المتحدة ، راسما الاغنياء والاقوياء . وقد سئل عما اذا كان يرسم ما وراء النقاب فاجاب : اذا كان ثمة نقاب فعلي ان ارسم النقاب . فانا ارسم ما أرى !

ومع ذلك كان يتوق الى ان يصبح فنانا خياليا . ففي اواسط عمره حول اهتمامه الى رسم المواضيع الدينية ، والرسوم الرمزية لتزيين جدران المنازل في بوسطن . الا ان واقعيته لم تتح له ان يرتفع برسومه الدينية هذه الى درجة الروحانية المنشودة . فانبياؤه اشبه بشيوخ يتصرفون بغرابة ، واصنامه وحيواناته تبدو كأنها هاربة من السيرك .

الأب دميان

JOSEPH DAMIEN DE VEUSTER

رائد من رواد الانسانية ، كرس حياته للتخفيف من ويلات مرض الجذام (البرص) ولعلاج المصابين

به من اخوانه بني البشر ، واعادة الامل الى نفوسهم ، والكرامة اليهم : انه الاب جوزف داميـــان ، البلجيكي (١٨٤٠ – ١٨٨٩) .

اراد له والده ان يمتهن التجارة ، ولكنه رفض ، والتحق في سن الثامنة عشرة ، برضى والديه ، بجمعية القلبين الاقدسين ، وراح يتابع دروس اللاهوت في الكلية التابعة لهذه الجمعية مع اخيه البكر . وكان شقيقه هذا على وشك الالتحاق ببعثة تبشيرية الى جزر البحر الجنوبي في المحيط الهادىء . ولكنه اصيب قبيل سفره بمرض اعيى نطس الاطباء ، فما كان من شقيقه الاصغر جوزف الا ان طلب اليه ان يأذن له بالذهاب بدلا منه الى تلك الجزر النائية . واجاب الاخ المريض باشارة من يده ، لانه كـان عاجزا عن الكلام ، تعني رضاه عن طلب جوزف الذي ابلغ اصحاب الشأن في البعثة التبشيرية بأنــه على استعداد للحلول محل اخيه المريض .

وقد كان ، ورحل جوزف داميان ، وهو بعد في الثالثة والعشرين من عمره ، وقبل ان تتم سيامته كاهنا . وفي الجزر التي هبطها راح يعمل ليلا نهارا بجد ونشاط ، طوال تسع سنوات اكتسب خلالهـا محبة كل من عرفه ، وعطفه ، وتقديره .

وذات يوم جاء احد الاساقفة لزيارة الجزر ، وتفقد اعمال البعثة ، فسمعه جوزف داميان يتحدث عن المجذومين وكيف ان هؤلاء المساكين عندما يصابون بالجذام ينفون الى جزيرة مولوكاي حيث يتركون وشأنهم دون مساعدة ، او عطف ، او علاج حتى تسوء حالتهم ، ويقضوا فريسة هذا الداء الوبيل .

وتأثر الكاهن داميان مما سمع ، ورجا الاسقف ان يأذن له بالذهاب الى جزيرة مولوكاي للعنايـــة بضحايا داء الجذام البائسين . وقد كان عمله هذا جريئا في زمن لم يكن بعد قد اكتشف فيه عـــلاج للجذام . واذن له الاسقف بالذهاب الى الجزيرة المذكورة للقيام بهذا العمل الانساني ، النبيـــل . وذهب الاب داميان وهو على اكثر من اليقين بانه بعمله هذا انما يحرم نفسه رؤية ذويه واصدقائه فيمـا بعد ، هذا اذا لم يصب بالعـدوى .

وقضى سني حياته الست عشرة الاخيرة على تلك الجزيرة يعنى بالمجذومين ، محاولا ان يخفف مـن وطأة مرضهم ، وان يبعث فـي نفوسهم السرور والامل في الشفاء . وعمل الكثير من اجـــل تحسين اوضاعهم ، فحمل حكومة جزيرة هاواي على مد الجزيرة بالمياه النقية ، وبنى المنـــازل الصحية لاقامة المجذومين ، واحاطهم بكل عطف ابوي ، حتى احبه الجميع حبا يقرب من العبادة . وكتب الى مختلف الهيئات والمؤسسات في العالم يستحثها على مد يد المساعدة للتخفيف من آلام المجذومين ، وعلاجهـم . فانهالت عليه التبرعات من كل حدب وصوب .

وذات يوم ، وبينما كان الكاهن داميان يصب ماء ساخنا في اناء ، سقط منه قليل على قدمه فلم يشعر بأي الم ، فعرف للحال معنى ذلك . وخف الى الطبيب يسأله عما اذا كان مصابـــا بالجذام . فأجابه الطبيب بالايجاب . غير ان ذلك لم يسئه في شيء ، ذلك بانه احس ، في تلك اللحظة ، بأنـــه بات واحدا من الذين جاء لمساعدتهم ، وان لا شيء يفرقه عنهم .

كان داميان في الخامسة والاربعين عندما اصيب بالجذام ، فلم يؤثر ذلك في نشاطه ، وبقي يعنى بمرضاه حتى عاجلته المنية وهو في التاسعة والاربعين .

فرنسيس ويلارد

FRANCES WILLARD

بائعة الرجاء المتجولة ، ضحت بالراحة والهدوء البيتي لتوفر الراحة والهدوء لسائر البيوت .

هدمت بيتها لتعمر بيوت الآخرين . وعندما نذرت نفسها لرسالتها السامية المثلثة الوجوه : تحريم الخمرة ، تحرير المرأة ومنحها حق الاقتراع ، وتحسين قوانين العمل الخاصة بالنساء ، عرفت ان عليها الاختلاط بالسكارى والمقامرين بدلا من الاختلاط بالمتعلمين والمثقفين ، وانها بدلا من التردد على دور الكتب ستقضي وقتها في الحانات وعربات السكة الحديدية .

ولدت هذه المربية والمصلحة الاجتماعية الاميركية في تشرشفيل (بولاية نيويورك) في ٢٨ ايلول ١٨٣٩ ، وعملت في حقل التدريس لدى تخرجها من « كلية نورث ـ وسترن » للاناث في ايفانستون بولاية ايلينوى سنة ١٨٥٩ . وفي سنة ١٨٧١ قبلت رئاسة كلية ايفانستون للسيدات بعد تنظيمها . فلما انضمت الى جامعة « نورث ـ وسترن » سنة ١٨٧٣ عينت عميدة للنساء ، وهو منصب استقالت منه سنة ١٨٧٤ لكي تلتحق بالحركة النسائية المسيحية الاميركية لتحريم الخمرة . وانتخبت رئيسة لهذا الاتحاد سنة ١٨٧٩ ، وبقيت على رأسه حتى وفاتها في ١٨ شباط ١٨٩٨ ، في نيويورك . وقد نظمت الاتحاد النسائي المسيحي العالمي لتحريم الخمرة سنة ١٨٨٣ ، وكانت اول رئيسة له . واعترافا بجلائل اعمالها اختيرت رئيسة للمجلس النسائي القومي سنة ١٨٨٨ .

رويدا رويدا استطاعت فرنسيس ويلارد ان تقضي على كل مقاومة غاشمة لارائها الجريئة وسط الحركة النسائية التي كانت تتزعمها . وتحت الشعار المثلث : التحريم ، وتحرير المرأة ، ورفع مستوى النساء العاملات ، مضت هذه المرأة المكافحة تشق طريقها وسط الزوابع الهوجاء التي اعترضت هدفها السامي ، حتى حققت هذا الهدف . وعلى فراش الموت ، بعد ان قضت على هذه الارض تسعا وخمسين سنة ، تمتمت فرنسيس ويلارد : « هناك عمل آخر في العالم الآخر ! .. »

ولكن عملها في هذا العالم يذكره الجميع ويقدره . فهي المرأة الوحيدة التي يقوم تمثالها في بهو التماثيل في الكابيتول !

هنري دونان

HENRI DUMANT

ابصر هنري دونان النور في جنيف في الثامن من ايار سنة ١٨٢٨ . وكان من اسرة بورجوازية ، شديدة الورع والتقوى . وقد تميزت طفولته وصباه بشدة ايمانه ، واندفاعه وراء الاعمال الخيرية . وكان شابا متحمسا ، محبا للخلق والابداع ، وافر الهمة والنشاط فما ان بلغ العشرين حتى اسس جمعية خيرية دعاها « سامريو السلام » . وقد ضم الطلاب الذين كانوا اعضاء في هذه الجمعية ، بدورهم ، طلابا اخرين اليها ، في مختلف ارجاء اوروبا . وكان الجميع يرون في دونان راعيا عتيدا من رعاة الكنيسة بعيد الاطلاع ولكنه فضل حرية الفكر والتصرف التي لا تتاح له الا في الحياة العادية . فاختار التجارة مهنة لـه .

واتفق ان حملته اعماله التجارية الى سولفيرينو في ايطاليا ، يوم الثالث والعشرين من حزيران سنة ١٨٥٩ . وقد هزته مشاهد المعركة الدامية التي كانت مستعرة في مقاطعة لومبارديا ، وفظاعة الايام والليالي التي تلت . ومذ ذاك اصبح بطل الشفقة والرحمة . ومذ ذاك اصبح رسول المحبة الانسانية بدلا من ان يكون رسول الايمان وحسب . وقد عرف هذه المحبة بمعناها الواسع ، الكبير الجميل . واستخدم ذكاءه ، وقوة اقناعه في اقناع ذوي البأس والسلطان في العالم ، وفي دجائهم الاتفاق على ايقاف المعركة حول الرجل الجريح .

وفكر قبل اي شيء بأن الرأي العام الساذج الجاهل المضلل في اغلب الاحيان ، ينبغي ان ينور ،

فوصف المعارك الحربية على حقيقتها مزيلا من حولها تلك الهالة من التمجيد والتقديس لانها لا تظهر صورتها كاملة . وبعد طول تفكير وتأمل حمل ريشته وراح يكتب ببطء واجتهاد ـ ولم يكن دونان اديبا ـ « تذكار من سولفيرينو » .

كان هذا الكتاب في البدء ريبورتاجا دقيقا ، وسلسلة متعاقبة من الاحداث والوقائع معروضة بكل دقة . ولم يخف دونان شيئا : المحتضرون يدفنون احياء ، الجرحى يقضي عليهم اللصوص ويسلبونهم ما عليهم وما يحملون ، تدوسهم الجياد وعجلات العربات ، ويتركون الى العطش والوحدة والموت . وتحدث عن النتن ، نتن الرجال الممتزج بنتن الحيوانات ، وعن عيون الموتى تنتزعها الغربان والعقبان ، وعن الديدان تسرح وتمرح فوق الجراح ، وعن الغرغرينا ، وعن الذباب ! .. وتحدث عن العالم المبهور بالاساطير وبالروايات الملحمية التي تنشد المعارك ، والابواق التي تدوي مؤذنة بالهجوم ، وبالاعلام المصطفقة في الفضاء ، هذا العالم المندهش المستيقظ اكتشف الوجه الحقيقي للحرب ، هذا الوجه البشع الكريه .

وقد نشر كتاب « تذكار من سولفيرينو » في جنيف سنة ١٨٦٢ . ولم يكن معروضا للبيع في واجهات المكتبات ، بل كان مخصصا للتوزيع على الشخصيات المتنفذة في اوروبا ، وعلى اصدقاءالمؤلف .

حول دونان كان التجمع الكبير للنفوس منصفة ، وقلوب رحيمة محبة للخير ، وهو المحموم المنهوك القوى ، لم يعرف طعم الراحة ، فقد كان يجوب انحاء اوروبا محاصرا الحكومات ، راجيا ملتمسا ، كاتبا متحدثا ، مستحثا ذوي النفوس الطيبة والقلوب الكبيرة .وسرعان ما انشئت في سويسرا اللجان الاولى لاغاثة الجرحى العسكريين . وابصر الصليب الاحمر النور ... وكسب دونان المعركة !

وتقدمت به السن فاذا هو فقير ، مرة حياته ، يكاد يكون مهجورا . الا انه قبل وفاته ببضع سنين تسلم الجائزة الاولى من جوائز نوبل للسلام عن عام ١٩٠١ فكانت هذه المكافأة الرسمية بمثابة تذكير به ولفت نظر اليه ، فهبت اوروبا بأسرها تشترك في تكريمه حاملة اليه في عزلته التي لم يشأ الخروج منها الدلائل المختلفة على العرفان بجميله ، وعلى احترامها الفائق . وكانت وفاته في سنة ١٩١٠ .

اليزابث بلاكويل

ELIZABETH BLACKWELL

سنة ١٨٤٤ تلقت كليات الطب الاثنتا عشرة الرئيسية في الولايات المتحدة الاميركية طلبا للالتحاق بها يعتبر فريدا في نوعه ، غريبا مثيرا ، وغير متوقع . فلقد كانت صاحبة الطلب فتاة رغبت في ان تتعلم الطب لتصبح اول طبيبة في العالم اجمع . ولم يكن احد قد سمع بشيء من ذلك من قبل .

واستولت الدهشة على عمداء هذه الكليات ، وردوا على صاحبة الطلب الجريئة بأنه ليس في وسعهم قبول طلبها لانه بلا اي سابقة . وشددوا على المحاذير من جراء رؤية فتاة تتعلم اشياء واشياء عن طبيعة الجسم البشري ، ووظائف اعضائه . ورأى الكثيرون ان الطب مهنة خاصة بالرجال ، ولا دخل للنساء بها . ولكن من كانت تلك « الفتاة الجريئة » ؟

كانت مدرسة مجتهدة ومغمورة ، ضئيلة البنية ، رمادية العينين ، شقراء الشعر ، عذبة الصوت، تدعى اليزابث بلاكويل (١٨٢١ ـ ١٩١٠) . كانت لدى عودتها مساء الى غرفتها تنكب على كتب الطب والتشريح التي كانت تبتاعها بما تدخره من مرتبها الضئيل .

وكادت اليزابث تيأس لهذا الرفض ، وايقنت ان حلمها سينهار ، ولكنها في ذات يوم تلقت من

كلية جنيفا للطب (بولاية نيويورك) كتابا ابكاها من شدة الفرح ، جاء فيه : « ان عمدة الكلية ، بعد التداول الطويل الدقيق ، رات انه ليس ثمة سبب مشروع يحول دون السماح لفتاة اكملت دروسها الثانوية ، بدخول كلية الطب لدراسة هذا العلم . »

وكانت الشهور الاولى في كلية الطب عبئا ثقيلا على كاهل اليزابث . تاملوا هذه الفتاة الدقيقة الجسم تلتهمها نظرات الفضول من زملائها الطلبة في كل حين . ولا تعجبوا اذا كانت حمرة الخجل تورد خديها في كل آن .

وفكرت اليزابث بلاكويل في ان الصوم ينقذها من الخجل الذي كان يعذبها . واتبعت « ريجيما » قاسيا ، فشحبت ملامحها ، وتوصلت الى ما كانت ترمي اليه ، وهو الا يظهر الاحمرار على ملامحها اثناء القيام بالاختبارات التطبيقية للدروس التي كانت تتلقاها .

وانتصرت اليزابث على كل العقبات ، وخصوصا مضايقات زملائها لها . فكانت تقبل الى الصف وتنصرف منه دون ان تنظر الى احد . واثناء الدرس كانت عيناها لا تفارقان الدفتر الذي تسجل فيه ملاحظاتها ، وتلخص محاضرات اساتذتها .

وكثيرة كانت العقبات في سبيل هذه الطبيبة : فاصحاب الغرف رفضوا تأجيرها غرفة تقيم فيها بحجة انها تسيىء اليهم . واصحاب الحوانيت الذين كانت تمر بهم وهي في طريقها كانوا يتجمعون لدى رؤيتها ليتاملوا اول امرأة طبيبة !

ويوم تخرجت ، ونالت شهادة الطب ، اقبل الناس من مختلف ارجاء الولايات المتحدة لمشاهدتها . وقد وقفت بثوبها الاسود على المنبر مرددة امام عمدة الكلية : « ان كل لحظة من لحظات حياتي سأكرسها لرفع شأن هذه الشهادة التي تمنحونني اياها ! »

وبرت الدكتورة اليزابث بلاكويل بالوعد الذي قطعته على نفسها ساعة خرجت الى الحياة الواسعة تكافح الكفاح المرير نفسه الذي كافحته خلال دراستها . وقد قامت برحلة الى اوروبا ، ولكنها منعت من دخول مستشفياتها . وفي نيويورك نفسها ، لدى عودتها ، وجدت كل صعوبة في العثور على مسكن تقيم فيه .

حتى الاطباء زملاؤها كانوا يرفضون ان تجتمع معهم اذا كان ثمة استشارات طبية . وعندما سئلت ذات مرة لماذا لا ترتدي ملابس الرجال لمزاولة مهنتها ، اجابت هذه الصبية الجريئة ، الحكيمة :

ـ لا ، ان ما اقوم به ليس من اجلي بقدر ما هو من اجل بنات جنسي . وعلى ذلك ينبغي لي اما ان اقوم بعملي بصفتي امراة ، او ان اتخلى عنه ! ..

وناضلت اليزابث بلاكويل حتى النصر النهائي الذي تجسد في انشاء مستشفى للنساء والاطفال .

ولقد نجحت اول طبيبة في العالم في تقرير هذا الواقع : ان المراة هي حقا نصف البشرية !

ماريا مونتيسوري

MARIA MONTESSORI

مربية ايطالية ، صاحبة النظام التربوي المعروف بنظام مونتيسوري ، مولودة في كيارافالي بالقرب من انكونا في ٣١ آب ١٨٧٠ . كانت اول طبيبة ايطالية ، اذ تخرجت حاملة شهادة الطب في جامعة روما سنة ١٨٩٤ . وضعت اساليبها التربوية في البدء لتربية وتعليم الاطفال والاولاد المتخلفين عقليا ،

فلما اثبتت انها ناجحة خلصت الى هذه النتيجة وهي ان اساليب مشابهة ومماثلة يمكن تطبيقها على الاطفال والاولاد الطبيعيين . ولم تخل طريقها من العراقيل الجسيمة ، والمصاعب العسيرة ، ولكنها كانت تضع نصب عينيها هذا الشعار وتعمل بهديه : « لقد خلقت المصاعب لنقتحمها . »

كانت ترى ان الحياة لو خلت من المصاعب لانعدم الطموح والنشاط ، ولاصبحت الايام التي تقضيها على وجه الارض رتيبة ، مملة . ولم تكترث بهجمات معارضيها ، ومضت في سبيلها غير مبالية ، قائلة لمن جاء يستطلع سر موقفها السلبي من كل ما يدور حولها ويحاك ضدها : « اذا نبح كلب خلفك وانت تصعد السلم ، فمن الافضل ان تستمر في صعودك والا أضعت وقتك في الهبوط من على السلم لتقذفه بالحجارة . »

لقد نظروا الى نظامها التربوي الجديد نظرة هلع لانه نظام يشجع على حرية الحركة لدى الاطفال ، وذلك في اعتقادهم يهدم التربية والنظام . الا ان بعض المصلحين التربويين المتحمسين ساندوها . وقامت بين سنة ١٩٠٠ و ١٩٠٧ بالقاء المحاضرات التربوية في جامعة روما . وسنة ١٩٢٢ عينت مفتشة حكومية للمدارس في ايطاليا . وقد قضت اواخر سني حياتها في الاشراف على صفوف التدريب في كل من اسبانيا ، والهند ، وانكلترا ، وهولندا . وكانت وفاتها في هولندا في ٦ ايار ١٩٥٢ .

والدكتورة ماريا مونتيسوري التي اوجدت اسلوبا قويما لتربية الاطفال تتبعه دول عدة في الغرب والشرق ، قد نالت ارفع الاوسمة وحظيت باعلى الدرجات والالقاب العلمية .... الا ان اللقب الذي فضلته على سائر الالقاب جميعا ، هو كلمة بسيطة رددها الكبار والصغار معا : « امـــاه ! »

والآن ، لنستمع الى ما تقوله عن نظريتها التربوية : « نظريتي التربوية هي تشخيص قواعد تربوية تسمح للطفل الطبيعي باستخدام استعداداته وامكانياته الفطرية ، في الوقت نفسه الذي تسمح فيه للطفل المنحرف باسترداد احواله الطبيعية . وعندما اتحدث عن استبداد الراشد وضغطه على الطفل وتحكمه به لا اقصد ان يترك الطفل وشأنه ، ولست اشجع على الفوضى ، معاذ الله .... انما جل ما هناك ان الخوف ، وعدم الاستقرار ، والاستبداد لمن العوامل التي توقف نمو الطفل الروحي ، وتشل استعداده الفطري ، ولا تتيح له الافادة من تجاربه الخاصة التي من شأنها انماء شخصيته الدفينة . وفي شرعي ان التحرر هو في الخلاص من القيود المصطنعة التي يكبل بها المجتمع روح الطفل، ويحول بينها وبين النمو والتفتح . ومن هنا كانت الخطوتان الاوليان في اصول التربية : الاولى هي استعمال الطرق التي تسمح للطفل باسترداد احواله الطبيعية ، والثانية هي تمهيد الوسائل التي تسمح بنضج شخصيته . ولقد ادت تجاربي الى ما دعوته « انفجارات » . فالطفل يكتشف فجأة بعد فترة من التركيز والاهتمام انه توصل الى القراءة او الكتابة او التخطيط او الى اي عمل ايجابي . وفي هذا الطور يتوجب على المربي ان يحصر وظيفته في التوجيه الحازم المستنير لتمهيد السبيل وتأمين المواد والجو المناسب والوسائل العلمية التي تساعد على حدوث هذا التطور بصورة كاملة . وهنا ترى الطفل وقد اصبح يشعر بمحبة من يوجهه ويرعاه ،فيتحول التمرد الاعمى في نفسيته الى طاعة واحترام ، والميل الى الشغب والفوضى الى حب للتركيز والهدوء ... »

البرت شفايتسر

ALBERT SCHWEITZER

« انا لست الا طبيبا صغيرا في افريقيا الاستوائية وكل ما اردت ان اقوم به كان انشاء مستشفى متواضع . سوى ان المرضى كانوا يزدادون يوما عن يوم فمنحت مساحات واسعة ، وجاء من يساعدني ، فوجدت نفسي وسط اسرة كبيرة . وفي كل شهر يتدفق علي اناس جدد يسالونني كيف يستطيعون ان يكونوا نافعين . فاستقبلهم ، فيفعلون ما يقدرون عليه ، وعندما يرغبون في الذهاب يذهبون .. »

هذا ما صرح به الدكتور البرت شفايتسر الى صحفي اميركي اثناء الاحتفال بذكرى بلوغه التسعين .

فـي سنة ١٩١٣ وصل الى لامبارينه (في جمهورية الغابون اليوم) رجل ولا كالرجال ، عـرف التقدير العميق ، كما عرف الانتقاد الشديد في حياته الحافلة ، وصل على ظهر زورق مصنوع من جـذع شجرة مجوف الى ضفاف نهر اوغوويه الوحل ، تصحبه زوجته ايلينا البالغة من العمر اثنتين وعشرين سنة ، حاملا بعض صناديق الاغذية والعقاقير يرافقه رجلان افريقيان نذرا نفسيهما لمعاونته .

اما هذا الركن من الغابون حيث هبط شفايتسر فجحيم حقيقي : جحيم بشمسه وحرارته ورطوبته وادغاله الكثيفة التي تعج بالبعوض والثعابين والحشرات السامة . وحوله الافريقيون الذين يفتك بهم سوء التغذية والمرض بأشكاله العديدة الرهيبة كالملاريا ومرض النوم والديزنطاريا والتهـاب النخاع الشوكي والجذام . اما المستشفى الذي اقامه بيديه فلم يكن في بادىء الامر الا كوخا طوله ثمانية امتار وعرضه اربعة وسقفه من ورق الشجر وسعف النخل .

لماذا اختار الدكتور شفايتسر هذا المصير ؟

انه يجيب عازف الارغن الشهير شارل ـ ماري فيدور الذي كان استاذه بقوله : « لان الله دعاني » .

وكان بين الرجلين نزاع طويل ، ففيدور يعتمد على شفايتسر اذكى تلاميذه وابرزهم والذي يعتبره افضل عالم بفن الموسيقي الاشهر باخ لكي يعمل معه . غير ان حياة شفايتسر العملية خارج حبه الشديد للموسيقى كانت قد حددت معالمها بوضوح .

ابصر النور في كايزربرغ في الالزاس سنة ١٨٧٥ ، وتلقى دروسه الثانوية في كلية مونستر ثم في مدرسة مولهاوس . ثم التحق بجامعات ستراسبورغ وبرلين وباريس ، فحاز في الرابعة والعشرين من عمره درجة دكتوراه في الفلسفة ، ثم درجة دكتوراه في اللاهوت بعد سنة ، وتولى الوعظ والارشاد بصفة مساعد قس في كنيسة القديس نقولا في ستراسبورغ ، ودرس علم اللاهوت في عاصمة الالزاس .

وفي ذلك العهد عرف من نشرة تصدرها جمعية الارساليات الانجيلية في باريس ان مرض الجذام يفتك فتكا ذريعا بسكان افريقيا الاستوائية ، فكان ذلك نقطة تحول في حياتـه وجهته نحـو مصيره . وفي سنة ١٩٠٥ وهي السنة التي سيم فيها قسا قام شفايتسر بدراسة الطب التي انهاها سنة ١٩١١ بعد ان تخصص في السنة الاخيرة منها بالامراض الاستوائية .

ويعود استاذه فيدور فيردد على مسامعه العبارات التي كان يأمل بها ان يؤثر عليه فيثنيه عـن عزمه ، فيقول له :

ـ هناك عشرات الالوف من الاطباء في العالم باستطاعتهم العناية بالسود في حـين ان المتخصصين بموسيقى باخ يعدون على اصابع اليد الواحدة .

فيجيبه بنبرته الالزاسية الخشنة :

ـ ان الله دعـاني !

يقول شفايتسر : « عندما كنت في جامعة ستراسبورغ اتذوق متع الدروس في اطار المبادىء العلمية والفنية لم اكن استطيع منع نفسي من التفكير في اولئك الذين حرموا هذه النعمة لاسباب مادية وصحية . ثم ذات صباح صيفي وخلال عطلة عيد العنصرة ومضت في خاطري هذه الفكرة وهي انه لم يكن ينبغي لي تقبل هذه النعمة التي منحني اياها القدر دون ان ابذل شيئا في المقابل . في ذلك الصباح والعصافير تزقزق في الخارج عاهدت نفسي بالا تتعدى مرحلة الدراسة في حياتي الثلاثين لكي يتسنى لي بعد بلوغي هذه السن ان اكرس نفسي حتى آخر ايامي لخدمة الانسانية . »

بقيت رسالة شفايتسر وزوجته في افريقيا مجهولة طوال حوالى اربعين سنة . وقد تسنى للساحر الابيض العظيم ان يكتب كتابا عن اختباراته الافريقية لم يعرف كثيرا في فرنسا ، ولكنه ترجم في الولايات المتحدة الاميركية ، فدر عليه مبلغا ضخما استخدمه في سبيل مستشفاه ، مع ما كانت تدر عليه محاضراته وحفلاته الموسيقية في ارجاء اوروبا بين الحين والآخر . وعندما وصفته مجلة « لايف » الاميركية سنة ١٩٤٨ بانه اعظم رجال العصر عمت الدهشة باريس . فلقد كانت فرنسا تجهله وتجهل قدره .

ولم يزحزح فكرته عن المهمة الانسانية التي سلك سبيلها شيء من مغريات الدنيا : لا جائزة غوته التي منحته اياها مدينة فرنكفورت ، ولا جائزة نوبل للسلام التي توجت سنة ١٩٥٢ عامه الثامن والسبعين ، ولا حتى المسرحية التي وضعها سنة ١٩٥١ جيلبير سيسبرون بعنوان « انه منتصف الليل يا دكتور شفايتسر » والتي تروي قصة « الساحر الابيض العظيم » ، ولا الشريط السينمائي الذي اقتبسه اندريه هاغيه من هذه المسرحية . وقد ظهر وجهه في فيلم يروي سيرة حياته بعد ذلك بسنوات ، وقد انتجه سينمائي اميركي .

مال الى ماضيه فوضع كتابه « حياتي وتفكيري » الذي نشر سنة ١٩٦٠ في فرنسا . وقد خلف الى ذلك العديد من الكتابات منها دراسات عن استاذه اوجين مونخ ، ويوهان سيباستيان باخ ، وكتب في اللاهوت ، واعمال عن الشاعر غوته ...

وقد اصبح « طبيب السود الصغير المسكين » كما كان يلقب نفسه تواضعا – والذي كانت الصحافة الاميركية تلقبه برسول الادغال – في فترة قصيرة ، اشهر رجل في العالم ، يحمل مشعل المبدأ العظيم الذي كرس له حياته : احترام الحياة ! ..

وفي الساعة الثالثة والعشرين والدقيقة الرابعة والعشرين من ليل السبت الموافق الرابع من ايلول ١٩٦٥ انطفأت جذوة الحياة في هذا الانسان الكبير . وها هو يرقد اليوم في لامبارينه ، المكان الذي عاش فيه وخدم طوال نصف قرن من الزمن ، في قبر بسيط فيها يتميز بصليب خشبي صنعه بيديه قبل وفاته . وقد قال رئيس جمهورية الغابون : « ان ارض الغابون التي تضم جثمان الطبيب العظيم لتستقبله كنزا ثمينا . »

وفي واحد من مقالاته الاخيرة المكتوبة في شباط من هذه السنة ١٩٦٥ كتب شفايتسر يقول :

« بعد ان عشت نصف قرن في افريقيا ابقى على اقتناعي بأن الحقيقة والحب والطمانينة والتواضع ، ورحابة الصدر ، كل ذلك هو العنف الوحيد القادر على السيطرة على كل عنف آخر . ان كل ما اتيح لك ان تتلقاه بقدر اكثر من سواك كالصحة والمهارة والنجاح والطفولة السعيدة والظروف العائلية المنسجمة لا ينبغي لك ان تعتبره نعمة تلقائية مجانية ، بل ينبغي لك ان تدفع ثمنها . بالمقابل ينبغي لك ان تقدم حياتك من اجل الاخرين في تضحية عارمة .

« وعندما يسألونني اي مفكر من المفكرين العصريين اثر في حياتي وفلسفتي فانني اذكر اثنين : غوته ، والهندي النزيه ، القديس غاندي . فرسالة غوته الى ابناء اليوم هي رسالته نفسها الى ابناء عصره وجميع البشر في كل الازمنة : « اجتهد في سبيل انسانية حقيقية . اصبح رجلا يكون مخلصا لطبيعته الداخلية ، رجلا توافق اعماله شخصيته . »

« وهكذا غاندي الذي كان الهندي الاكثر مسيحية في هذا العصر اعترف ذات يوم انه فكر في مبدأ اللاعنف وهو يقرأ وصايا يسوع المسيح : « ولكني اقول لكم الا تقاوموا الاشرار » و « ان تحبوا اعداءكم » و « صلوا من اجل الذين يستثمرونكم ويضطهدونكم لكي تستحقوا ان تكونوا ابناء ابيكم الذي في السموات . »

« وهكذا في نظر غوته كما في نظر غاندي ، فان الاكتمال الذاتي من وجهة اخلاقية يسيره مبدأ

المحبة . وليس علم الاخلاق ، بالنسبة الي سوى احترام الحياة . واحترام الحياة هو مصدر مبادئي الاساسية في الاخلاق ، اي ان الخير يقتضي حفظ الحياة وساعدتها وتمجيدها وابراز قيمتها ، والشر يعني تدميرها ، والاساءة اليها ، وخنقها ، وعرقلتها . »

محمّد علي جنّاح

في ١٤ آب سنة ١٩٤٧ ابصرت النور دولة جديدة اتخذت مقامها على خريطة العالم باسم باكستان بفضل الجهود والتضحيات المتواصلة التي بذلها في ذلك السبيل رجل فذ عرف بلقب القائد الاعظم المحبوب ، هو محمد علي جناح الذي وحد جماهير مائة مليون مسلم في شبه القارة الهندية الباكستانية، وساعدهم على انشاء وطن قومي مستقل خاص بهم .

وقد كتب مرة رئيس تحرير جريدة « انديان اكسبريس » الصادرة في بومباي ، فرانك موراس ، يقول مطريا شخصية السيد جناح الكبيرة :

« لقد استطاع تشرشل ان يحفز انكلترا على مقاومة هتلر بالكلمات . وقد فعل القائد الاعظم الشيء نفسه مع مسلمي الهند ، فجند اتباعه بالكلمات . ومن المؤكد انه ليس هنالك اي زعيم اسلامي معاصر استطاع أن يفهم اكثر منه عقلية الجماهير الاسلامية في الهند ، وان يعرف افضل منه بالبداهة كيف يدعوها فتستجيب له وتنهض معه ، فقد كان السيد جناح يرن الجرس فيعمل كما لو كان جرس خطر . »

وكم كانت صادقة كلمة اللورد بيتيك لورنس آخر سكرتير لدولة الهند البريطانية حين قال بعد وفاة القائد الاعظم : « لقد مات غاندي على يد قاتل ، ولكن محمد علي جناح مات بسبب تكريسه نفسه لباكستان » .

في ٢٥ كانون الاول من سنة ١٨٧٦ ، في كراتشي ، كانت ولادة محمد علي جناح . وفيها — في عاصمة الدولة التي انشأها — كانت وفاته في ١١ ايلول من سنة ١٩٤٨ ، ولم تكن باكستان بعد قد تجاوزت من العمر في حساب الزمن السنة الواحدة بكثير .

وفوق ربوة عالية ، في قلب كراتشي يقوم اليوم المثوى الاخير للقائد الاعظم ، وهو ضريح فخم يحج اليه في ذكرى ميلاد ابي الامة الباكستانية الالوف من البشر ليضعوا الرياحين فوق هذا المزار الوطني ، ويتلوا آي الذكر الحكيم مرددين الصلوات عن روح مهندس كيان وطنهم ، ورافع شانهم ، الذي ابلغهم الاستقلال بعد الكفاح الشعبي الذي طال مائتي سنة .

كان محمد علي جناح محاميا شهيرا ، وسياسيا لبقا ، وبرلمانيا من طراز رفيع ، ومناضلا قوميا عنيدا . اكمل دراسته العليا في انكلترا ، فنال سنة ١٨٩٦ اجازة المحاماة من جامعة لنكولن . ومارس هذه المهنة في مسقط رأسه لدى عودته الى الوطن . الا انه وجدها صغيرة تضيق عن مطامحه الكثيرة فانتقل الى بومباي التي عرفته ، حتى مولد باكستان ، محاميا لامعا وسياسيا يؤمن بالحلول السلمية . وقد كان الجميع على مسرح السياسة الهندية مقتنعين بأنه يمسك بيده الحل السلمي الوحيد للعقدة السياسية الهندية ، هذا الحل « القائم على ممارسة التعقل في وجه اندفاع عواطف الدهماء في شبه ستار وطني . وهكذا طالب عن ايمان بتطبيق الوسائل الدستورية ، واظهر بواسطة القوة الذهنية البحتة، والعزم المتين ، والتمسك بالهدف ، والارادة الحديدية عن اقتناع ان قوة القلم ليست اقل تأثيرا من قوة السيف . »

« برز جناح على المسرح السياسي في مطلع العشرينيات من هذا القرن ، وكان مسلمو شبه القارة

الهندية الباكستانية قد استخدموا عبثا جميع الطرق والاساليب ابتداء من المقاومة العنيفة حتى المقاطعة الشعبية غير العنيفة للمؤسسات الغربية وذلك لتطبيق سياسة الاصلاح التي نادى بها زعيم كبير آخر من زعماء النهضة الاسلامية هو السيد احمد خان ، مؤسس جامعة عليكرة الاسلامية الشهيرة .

« وتعتمد عظمة جناح على جهوده ذات العزيمة القوية لاخراج المسلمين من وهدة التفكك ، ومساعدتهم على بلوغ الاستقلال بعد ممارسة حقهم بتقرير المصير . وكان ان نجح في وضع اسس الامة بوجه معارضة عنيفة من جانب كل من الحكام الاجانب ، والحزب السياسي المنظم احسن تنظيم ، وهو حزب المؤتمر الوطني الهندي الذي كان يتزعمه قادة كغاندي ونهرو . »

جواهر لال نهرو

سياسي هندي ، كان اول رئيس للوزراء في جمهورية الهند . ابصر النور في ١٤ تشرين الثاني سنة ١٨٨٩ ، في مدينة الله آباد . رحل سنة ١٩٠٥ الى انكلترا حيث التحق بكلية هارو ، ثم درس في كلية ترينيتي في جامعة كايمبريدج العلوم الطبيعية ، ودرس الحقوق في كلية اينر تمبل في لندن .

وكان من اسرة ذات ميول انكليزية فلم يشعر بالغربة وهو في الوسط الانكليزي ، واصبح متضلعا من الادب والتاريخ الاوروبيين .

وفي سنة ١٩١٢ عاد الى الهند لممارسة المحاماة في مسقط راسه مثل والده موتيلال نهرو (١٨٦١ – ١٩٣١) . ثم ما لبث ان انضم الى حزب « المؤتمر الوطني الهندي » المعتدل .

ولكن مذبحة آمرستار التي حدثت سنة ١٩١٩ بدلت تبديلا جذريا نظرة نهرو . فهجر المحاماة التي نجح فيها نجاحا باهرا ، والتحق بالمهاتما غاندي الذي سرعان ما بات من ابرز اتباعه ، وبات الرجل الثاني بعده .

ودخل السجن مرارا بسبب نضاله الوطني ، وكانت المرة الاولى سنة ١٩٢٢ ، والمرة الاخيرة بين ١٩٤٢ – ١٩٤٥ . وفي اثناء اقامته وراء القضبان كتب عددا من الرسائل الى ابنته انديرا ، جمعت فيما بعد في مجلد بعنوان « رسائل من اب الى ابنته » (١٩٣٠) ، و « لمحات من التاريخ العالمي » (١٩٣٤) وله عن السجن الذي قضى فيه ما مجموعه تسع سنوات من عمره ، هذا القول الذي اطلقه في محكمة الله آباد سنة ١٩٢٢ : « ساذهب الى السجن مرة ثانية بكل سرور . لقد اصبح السجن ملجأ لنا ومكانا نحج اليه .. والانسان يشعر بالوحدة خارجه » .

وفي سنة ١٩٢٩ خلف والده في رئاسة حزب المؤتمر الذي كان قد اصبح اذ ذاك متطرفا . وقد احتل هذا المنصب مجددا في السنوات ١٩٣٦ – ١٩٣٧ ، وسنة ١٩٤٦ ومن ١٩٥١ الى ١٩٥٤ .

وعلى الرغم من اخلاصه الشديد الدائم لغاندي ، فانه لم يشاطره آراءه التقليدية ، المحافظة ، المسالمة . وقد وجد انصارا متحمسين في اوساط الشبيبة الهندية بسبب اهتمامه العميق بتحقيق الاصلاح الزراعي ، وتحسين مستوى معيشة الجماهير .

ودرس الماركسية والتاوية ، وقام بعدد من الزيارات الى الاتحاد السوفياتي والصين . وقد عين نهرو رئيسا للحكومة الوقتة سنة ١٩٤٦ ، وعندما اصبحت الهند دولة مستقلة في الدومنيون البريطاني في السنة التالية اصبح رئيسا للوزراء ، ووزيرا للشؤون الخارجية . وقد ثبت في دست الحكم لدى اعلان جمهورية الهند في ٢٦ كانون الثاني ١٩٥٠ ، واثر انتصار حزب المؤتمر في الانتخابات العامة الاولى سنة ١٩٥١ – ١٩٥٢ ، وبعد ذلك ، مجددا ، سنة ١٩٥٧ .

تميزت سياسة نهرو بمعاداة الاستعمار ، والدفاع عن ضرورة اشراك الصين الشعبية في المؤتمرات الدولية ، وعدم الانحياز الى السوفيات او الكتل الغربية ، وبمصادقة الجميع . وقد كانت وفاته في ٢٧ ايار سنة ١٩٦٤ .

اما والده موتيلال نهرو فقد كان في البدء من اصحاب الميول السياسية الانكليزية ، ومن انصار الحكم الذاتي المعتدل ، ثم اقتفى آثار ابنه جواهر لال في تطرفه الوطني سنة ١٩١٩ . وكان زعيما لحزب الحكم الذاتي (سواراج) الذي انصهر في حزب المؤتمر الوطني سنة ١٩٢٦ .

ومن اقوال البنديت نهرو المأثورة الكثيرة نقتطف هذه الباقة :

كتب عن نفسه يقول :

« لا يهمني ما سيقال عني بعد ذهابي الا ان يقال : هذا رجل احب الهند وشعب الهند بكل قلبه وعقله » .

وفي لندن قال سنة 1951 :

«بعض الناس يتكلمون عن الحرب وكانها امر محتم وكان الاولى ان يقولوا ان السلام هو الامر المحتوم » .

وعن الدول المستقلة حديثا قال في حفلة اقامها للرئيس جمال عبد الناصر سنة ١٩٥٥ :

« يتملكني شعور ببزوغ فجر جديد هنا في آسيا وافريقيا وقد يكون فجرا صاخبا ولكنه فجر مع ذلك » .

وعن القنبلةالذرية والحرب والسلام في الحفلة نفسها :

« ان الذين يضعون ثقتهم في القنبلة الذرية ستقضي عليهم القنبلة الذرية » .

وعن الشعور بالوحدة قال في كتابه عن تاريخ حياته :

« ليس ممكنا في اية قضية ان يعتمد الانسان على غيره بل يجب ان يجتاز الانسان هذه الحياة وحده لان الاعتماد على الغير يسبب نكسة للقلب » .

وقال عن سياسة اللاعنف في خطاب القاه في اجتماع للحزب سنة ١٩٢٣ :

« اعتقد ان خلاص الهند ، وكذلك العالم كله ، سياتي عن طريق اللاعنف » .

وعن الصين قال في دلهي الجديدة سنة ١٩٦٣ :

« انها كتمساح ضخم في قلب آسيا يحاول التهام السمك الصغير » .

دجون ف. كينيدي

JOHN FITZGERALD KENNEDY

هو الرئيس الخامس والثلاثون للولايات المتحدة الاميركية ، واصغر رئيس عرفته في تاريخها حتى الان ، واول كاثوليكي يدخل البيت الابيض .

ابصر النور في مدينة بروكلاين من اعمال ولاية مساتشوستس في ٢٩ ايار سنة ١٩١٧ ، وتوفي في دالاس (تكساس) في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٣ ، ولم يكن قد مضى على ولايته ثلاث سنوات عندما اغتيل . منح السياسة الاميركية قوة جديدة ، وتوجيها سديدا ، فاطلق برنامجا واسع المدى للاصلاح الداخلي ، وعمل مخلصا ، وبنجاح ، على زيادة التفاهم بين الشرق والغرب . ولكن الكثير مما عمل له ،

وخطط ، بقي غير منجز بعد وفاته . سوى ان اهمية مبادئه ، والمثال الذي وضعه في المثابرة على العمل المخلص ، هما من الامور التي ترتفع فوق كل نقاش او جدل .

كان دجون ثاني تسعة اولاد رزقهم جوزف باتريك وروز فيتزجيرالد كينيدي ـ وقد نشأ وترعرع وسط اسرة كانت تتطلب الكثير من المنافسة الجسدية والفكرية بين الاولاد ، ودرس حسب الاصول الدينية للكنيسة الكاثوليكية ، وحسب مبادىء السياسة للحزب الديمقراطي الاميركي . وفي سنة ١٩٤٠ تخرج في جامعة هارفرد حاملا شهادة بكالوريوس في العلوم . وقد توسع في الاطروحة التي وضعها عن عدم استعداد بريطانيا العظمى عسكريا فجعل منها كتابا بعنوان ((لماذا نامت انكترا)) ـ (١٩٤٠) . وكان قد عمل سنة ١٩٣٨ ، مدة ستة اشهر كسكرتير لوالده ، وكان آنذاك سفيرا للولايات المتحدة الاميركية في لندن . وفي سنة ١٩٤١ التحق بالبحرية الاميركية ، وارسل بعد سنتين الى جنوب المحيط الهادىء . فلما نسف اليابانيون زورق الطوربيد الذي كان تحت امرته ، واغرقوه ، انقذ كينيدي بحارته بعمل بطولي مشهود . وكان يشكو من الملاريا ، ومن الم في عموده الفقري بسبب ضربة اصابته في احدى مباريات كرة القدم ، فاعيد الى الولايات المتحدة للمعالجة وصرف من الخدمة البحرية سنة ١٩٤٥ . وفي تلك السنة بالذات قام بتغطية انباء المؤتمر التأسيسي لهيئة الامم المتحدة في سان فرنسيسكو، لوكالة الاخبار الدولية .

ومع ان كينيدي كان يامل ان يصبح كاتبا ، فانه تحول الى السياسة سنة ١٩٤٦ ، وانتخب ، كعضو في الحزب الديمقراطي ، عضوا في مجس النواب . واعيد انتخابه بعد ذلك سنة ١٩٤٨ ، و ١٩٥٠ . وفي سنة ١٩٥٢ انتخب عضوا في مجلس الشيوخ ، متغلبا على الشيخ الجمهوري هنري كابوت لودج . وما هي الا شهور تسعة على دخوله مجلس الشيوخ حتى اقترن بجاكلين لي بوفييه . وقد رزق طفلان هما كارولين (١٩٥٧) ، ودجون فتزجيرالد الاصغر (١٩٦٠) .

وبعد زواجه بقليل اجريت له عملية جراحية في سلسلته الفقرية ، وساءت حالته الى درجة تبخر معها الامل بقائه حيا ، فزود بالاسرار الدينية ولكنه نجا من الموت ، وفي فترة نقاهته وضع كتابه التاريخي Profiles in Courage فاز به بجائزة بيولتزر لسنة ١٩٥٧ .

وبين سنة ١٩٥٦ و ١٩٦٠ اصبح كينيدي واحدا من ابرز الوجوه السياسية في الولايات المتحدة . وخلال ولايته في مجلس الشيوخ اهتم اهتماما بالغا بمسأندة البرامج الاصلاحية الاجتماعية . وجاهر بتعلقه بمنح الجميع الحقوق المدنية ، والحرية الفردية .

في سنة ١٩٥٦ كان خصما عنيدا لاستيس كيفوفر في الترشيح لمنصب نائب رئيس الولايات المتحدة الاميركية . ولكنه سنة ١٩٦٠ نجح في ترشيح الحزب الديمقراطي له لمنصب الرئاسة . وكان منافسه المباشر ليندون ب. دجونسون ، من تكساس ، وقد رشح لمنصب نيابة الرئاسة ، وخاضا المعركة معا . وخلال الحملة الانتخابية كان كينيدي يشير الى بشاعة الصورة الاميركية في الخارج ، والجمود الاقتصادي في الداخل ، فيحث الولايات المتحدة على التقدم الى امام ، الى ((حدود جديدة)) ـ وهي العبارة ـ الشعار التي اصبحت فيما بعد العلامة المميزة لحكمه وادارته .

وفي ايلول من سنة ١٩٦٣ ، واستعدادا للمعركة الانتخابية في سنة ١٩٦٤ ، بدأ كينيدي بسلسلة من الزيارات والجولات في بعض الولايات التي تشكل مشكلة ... فزار فلوريدا في اواسط تشرين الثاني ، وفي ٢١ منه طار الى تكساس . ولكنه اغتيل في اليوم التالي ، وهو في سيارته المكشوفة ، برصاصتين انطلقتا من نافذة في الطبقة الخامسة من بناية تقوم في الشارع الذي مر به الموكب .

تشرشل

SIR WINSTON CHURCHILL

((في حياته الطويلة التي بلغت التسعين من السنين عمل السر ونستون تشرشل ما فيه الكفاية لصنع شهرة اربعة رجال آخرين ، على اقل تقدير .))

هذا ما ردده لدى وفاته الايرل اتلي ، زعيم حزب العمال السابق الذي يلخص حياته السياسية الحافلة بما يلي :

((كان مصيري مرتبطا ارتباطا وثيقا به . فعندما كنت بعد صغيرا كان لشقيقاتي مربية عملت في خدمة السر ونستون بتلك الصفة نفسها ، وكانت تروي لنا قصصا وحكايات عن هذا الصبي الحديدي الارادة .

واذكر انني ، في السنة الاخيرة من الدراسة الثانوية ، ثم فيما بعد في اوكسفورد، قد سمعت الكثير عن هذا الشاب الرائع الذي كان قد رأى خمس حملات عسكرية ، واصدر كتبا عنها .

واذكر انتخابه عضوا في مجلس العموم ، وكنت اذ ذاك من المحافظين الناشئين ، فاستقبلته على انه امل حزبنا الصاعد . وهو في اجتيازه الصفوف في البرلمان ليصبح راديكاليا متطرفا ، شغل عددا من المناصب ، ترك فيها جميعا اثره البالغ .

واذكر يوم كان يتولى وزارة الداخلية انه ذهب بنفسه لمعالجة الموقف في شارع سيدني حيث سيطر الفوضويون المسلحون ، وكنت حاضرا كمتفرج .

في الحرب العالمية الاولى دشن حملة غاليبولي العسكرية التي اشتركت فيها . وبعد الخدمة في ميدان القتال ، عاد مجددا الى الوزارة ، وبقي حتى حرمه سقوط حكومة لويد جورج منها ، وفقد بعد ذلك مقعده في البرلمان . واعتقد الجميع ان حياته السياسية انتهت . ولكن في سنة ١٩٢٤ عاد الى الحكم كوزير للخزينة . ثم سقط مجددا مع حزبه بسبب السياسة الهندية، وبدا للجميع ، مرة اخرى، انه انتهى . سوى انه عاد لدى نشوب الحرب العالمية الثانية فشغل وزارة البحرية (اللورد الاول للامبرالية) في حكومة تشمبرلن .

وعندما سقط تشمبرلن ، اصبح تشرشل رئيسا للوزراء في الحكومة المؤتلفة ، فكنت بصفتي زعيما لحزب العمال ، نائبه طوال خمس سنوات .

وبعد الحرب اصبحت رئيسا للوزراء ، في حين احتل منصبي القديم كزعيم للمعارضة . وانقضت ست سنوات ، عاد بعدها رئيسا للحكومة ، وبقي حتى انسحابه من المسرح السياسي ، وحتى النهاية، البرلماني القديم الجدير بالتقدير والاحترام .

يا لها من حياة سياسية حافلة ! ويا له من رجل ! لن نرى مثيلا له من جديد !)) - (انتهى كلام اتلي) .

وبعد ، ابصر تشرشل النور في ٣٠ تشرين الثاني ١٨٧٤ - اما اسمه الكامل فهو ونستون ليونارد سبنسر تشرشل، نجل اللورد راندولف تشرشل، الابن الثالث للدوق مارلبورو السابع . اما والدته فكانت اميركية المولد والجنسية . ويروى انه سنة ١٩٠٠ هبط ونستون تشرشل - وكان في السادسة والعشرين من عمره - نيويورك ، في جولته الاميركية الاولى لالقاء سلسلة من المحاضرات . فقدمه مارك تواين للجماهير بطريقته الخاصة ، قال : ((سيداتي سادتي ، اقدم اليكم ابن ام اميركية ، واب انكليزي - الرجل المثالي !))

غير ان الذي تفوه به اديب اميركا الساخر على سبيل المزاح انقلب نبوءة . ففي العالم الحديث الذي يعتبر ابعد ما يكون عن الكمال ، يكاد ونستون تشرشل يكون اقرب ما يكون من المثال العالي للرجـــل الكامل ! ..

بدأ حياته صحفيا ، ثم اصبح في طليعة عظماء عصره ، وفاز بجائزة نوبـــل للاداب سنة ١٩٥٣ ، وقاد بريطانيا الى النصر سنة ١٩٤٠ ، وبقي نائبا في مجلس العموم ٦٤ عاما .

... وتشرشل ، كان كذلك ، من اسياد النكتة . ولكم يطيب لي ان اردد عن السر ونستون العبارة التي قالها فكتور هوغو في بلزاك : ((لنتحدث قليلا عنه ، فان في ذلك كل الخير !))

ظل حتى آخر ايام حياته يدخن السيكار التقليدي ، ويحتسي الويسكي ، ويردد ان الحيـــاة تبدأ في التسعين .

اما كميات السيكار والويسكي التي حملها الى شفتيه طوال حياته المديدة فتفوق حد التصور ، وينبغي ان تحسب بالسنين الضوئية ... ولكن كان يباهي بذلك ويفخر ...

قال له المارشال مونتغمري يومـا :

ـ انا لا اشرب الخمر ، ولا ادخن التبغ ، وآكل باعتدال ، واقوم بكثير من التمرينات الرياضية ، وصحتي ممتازة مئة بالمئة .

فاجاب تشرشل مبتسما :

ـ هه .. انا اشرب ، وادخن ، وادخن ، وآكل بكثرة ، ولا اقوم بأي تمرينات رياضية البتة ، وصحتي ممتازة مئتين بالمئـــة ! ..

وهو القائـل :

ـ ان سر حيويتي ونشاطي هو انه ليس في دمي غير الكرويات الحمراء : فالكحول قضت منـذ زمن بعيد على جميع الكرويات البيضاء !

وعندما اصيب بداء ذات الرئة للمرة الخامسة تذكر ما قيل له عندما عرف هذا الداء السبيـــل الى جسده للمرة الاولـى :

ـ هل انت خائف من الموت ؟

فاجاب :

ـ انا مستعد للقاء خالقي ، ولكن هل هو مستعد ؟ انها قضية اخرى ...

وكان ذا روح ميالة الى المحاربة ولا يسكت على ضيم ، وهو يحتقر الذين يعتقدون انه ينبغي الـرد على الاهانات بالازدراء ، ويقول :

ـ انه الخطأ بعينه ! ينبغي الرد على الاهانة بالاهانة ، او بالصفعة او بالرفسة . فالمرء لا يدافـــع عن شرفه بالجلوس فوقه !

عند تحرير باريس من نير النازيين ، في الحرب العالمية الثانية ، قال الوزير البريطاني الاول ، وهو في شارع الشانزيليزه مخاطبا الحشد الهائل :

ـ حذار .. سأتحدث بالفرنسية ، وهي مهمة ضخمة ستضع على المحك عاطفتكم الودية نحـــو بريطانيا العظمى !

ولعل اروع نوادر تشرشل تلك التي تعود الى احلك ساعات انكلترا في الحرب العالمية الثانية ، بعد سقوط فرنسا تحت النير النازي . فقد كانت القوات الالمانية الهائلة وقتذاك موجهة كلها ضد انكلترا التي لم تكن مهيأة تماما للحرب . فحاول الوزير الاول ان يعبىء قوى الامة كلها في خطاب رائع شهير اذاعته هيئة الاذاعة البريطانية (بي. بي. سي.) ، جاء فيه :

– سنمضي حتى النهاية ، سنحارب في فرنسا ، فوق البحار والمحيطات ، سنحارب في الجو بقوة وثقة تكبر يوما فيوما .. سندافع عن جزيرتنا مهما كلفنا ذلك . سنحارب على الشواطىء ، سنحارب في المطارات ، سنحارب في حقولنا وفي شوارعنا ، سنحارب فوق التلال ...

وفي تلك اللحظة ، وضع تشرشل يده على الميكروفون ، واضاف متوجها بكلامه الى المحيطين به :

– اجل سنقرع رؤوسهم بزجاجات البيرة الفارغة ، لان ذلك هو كل ما لدينا من وسائل الدفاع ! ..

ومن اقواله :

* قال مرة عن احد خلفائه في الحكم : « ان الوقت الذي يقضيه في تأمل نفسه في المرآة ، يكرسه لاهمال واجبات المهمة الملقاة على عاتقه ! »

* وسمع مرة وهو يردد في سياق الحديث عن موسوليني :
– موسوليني ! موسوليني ! انه على اي حال السياسي الوحيد الذي كانت له الشجاعة على اعدام صهره ؟

* انا اعتبر انه يستحسن ترك الماضي للتاريخ وخاصة انني اغذي فكرة كتابة هذا التاريخ .

* يضرب الرقم القياسي في الكذب في الحالات الثلاث التالية :
– قبل الانتخابات ... اثناء الحرب .. بعد رحلة الصيد !

* باستثناء الهزيمة ، ليس ثمة ابعث على الحزن والكآبة من النصر !

* السياسة هي فن الكذب الاول ...

* زوجات الساسة معذبات دائما ، يطلب اليهن الابتسام حيث يجب البكاء !

* لا اعرف الكثير من مستقبل بريطانيا ، ولكني اعتقد انها تعاني من عقدة الكبرياء !

مارتن لوثر كنغ

MARTIN LUTHER KING

« غاندي اميركا » ، « كينيدي الزنوج » ، « رجل السلام » : هذه هي الالقاب الثلاثة التي اطلقت على الدكتور مارتن لوثر كنغ (الابن) بعد ان سقط شهيد سياسة اللاعنف في الولايات المتحدة الاميركية ، هذه السياسة التي حمل صليبها منذ ١٣ سنة فكلفته حياته اذ اطلقت عليه رصاصة صرعته في ٤ نيسان ١٩٦٨ في مدينة ممفيس ، بولاية تينيسي .

ابصر النور في ١٥ كانون الثاني ١٩٢٩ ، في مدينة اتلنتا (بولاية جيورجيا) ، وكان ابوه مارتن لوثر كنغ زنجيا معمدانيا . بدأ بمناوأة التمييز العنصري وهو في الخامسة عشرة من عمره بعد ان طلب منه وهو في احدى سيارات الاوتوبيس ان يجلس في مقعد خلفي لان المقاعد الامامية مخصصة للبيض . فرفض الجلوس وظل واقفا . ونظم حملته الاولى في سبيل قضية الحقوق المدنية لابناء لونه في سنة ١٩٥٥ . حاز شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة بوسطن وعاد الى الولايات الجنوبية ليعمل

من اجل القضية التي نذر حياته لها بعيدا عن العنف مكتفيا بانتهاج سبيل المقاومة السلبية .

وقد دخل السجن مرارا لتحديه اوامر الشرطة او لارتكابه مخالفات نجمت عن حملاته في سبيل الحقوق المدنية . وعلى الرغم من القاء القنابل على منزله في كانون الثاني ١٩٥٦ فقد طلب الى خمسين الف زنجي اجمعوا على مقاطعة الاوتوبيسات الاكتفاء بالمقاومة السلبية قائلا : « اننا نؤمـــن بالقانون والنظام » . وسنة ١٩٦٣ اطلقت عليه مجلة « تايم » لقب « رجل العام » فكان اول زنجي يمنح هـــذا اللقب . وبعد ذلك بسنة (١٩٦٤) ، منح جائزة نوبل للسلام لدعوته الى اللاعنف ، فكان بذلك اصغر رجل في التاريخ يفوز بهذه الجائزة . وقاد في اذار سنة ١٩٦٥ واحدة من اعظم المسيرات في تاريـخ الولايات المتحدة الاميركية . وكان قبيل مصرعه يتاهب لقيادة مسيرة زنجية كبرى ليحقق حلم عمـره . وهو القائل : « لن ارضى الا بعد ان يموت التمييز العنصري في الولايات المتحدة الاميركية » .

ومن اقواله المأثورة : « ان نبتة الحرية قد نمت واصبحت برعما فحسب ، ولكنها لم تزهر » .

« لقد تعبنا من العيش في خطر الفقر والجهل ، ووصلنا الى اليوم الذي لم يعد يكفينـا فيـه كبشر ، جزء من الحرية » .

« ليس ثمة رجل عظيم يعيش عبثا .
ان تاريخ العالم ليس
الا سيرة الرجال العظام . »

توماس كارلايل

محتويات الكتاب

مصادر الكتاب

□

المراجع الاجنبية

Great Men of Science —
By Grove Wilson.

Living Biographies of Great Painters —
By Henry Thomas & Dana Lee Thomas.

Living Biographies of Famous Men —
By Henry Thomas & Dana Lee Thomas.

Living Biographies of Famous Women —
By Henry Thomas & Dana Lee Thomas.

Living Biographies of Great Composers —
By Henry Thomas & Dana Lee Thomas.

Brief Biographies of Famous Men and Women —
By W. Stuart Sewell.

The Encyclopedia Britannica — (1962 Ed.)

Encyclopedia Americana — (1962 Ed.)

Collier's Encyclopedia — (1965 Ed.)

Grand Larousse Encyclopédique

Pears Cyclopedia —
Editor, L. Mary Barker.

Microbe Hunters
By Paul de Kruif.

Information Please Almanac —
Planned & supervised by Dan Golenpaul Associates.

The World Almanac —
Edited by Harry Hansen.

Pocket Book of Facts —
By Dr. George Gallup.

Great Lives, Great Deeds —
Published by The Reader's Digest Association Ltd. (London).

The Handy Encyclopedia of Useful Information —
Edited by Lewis Copeland.

Little Known Facts About Well Known People —
By Dale Carnegie.

Five Minute Biographies —
By Dale Carnegie.

50 Great Artists —
By Bernard Myers.

The Pocket Book of Old Masters —
Edited by Herman J. Wechsler.

Lives of Destiny —
By Donald Curloss Beattie.

Believe It Or Not (Vols. 1. 2 & 3) —
By Robert L. Ripley.



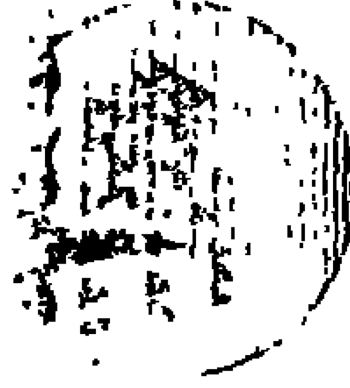
المراجع العربية

الخالدون العرب قدري حافظ طوقان
المنجد في الادب والعلوم الأب لويس المعلوف اليسوعي
الحكماء الثلاثة احمد الشنتناوي

كتب سمير شيخاني المطبوعة

التراجم

مع الخالدين (طبعتان - الطبعة الثانية منقحة ومزيدة)
اشهر المغنين عند العرب
حقائق مجهولة عن مشاهير العالم
ميكروفون الابدية



في السياسة

العلاقات الدولية في ٢٠ سنة (١٩١٩ - ١٩٣٩) - جزءآن .

المجموعة المسرحية

سالومي ■ ... وانسدل الستار
سهرة بوكر ■ ... وارتفع الستار

متفرقـات

كتاب الانس ■ اشهر رسائل الغرام
اوراق ملونة ■ صدق او لا تصدق
نوادر موسيقية ■ ايفا براون : عشيقة هتلر

المجموعة القصصية

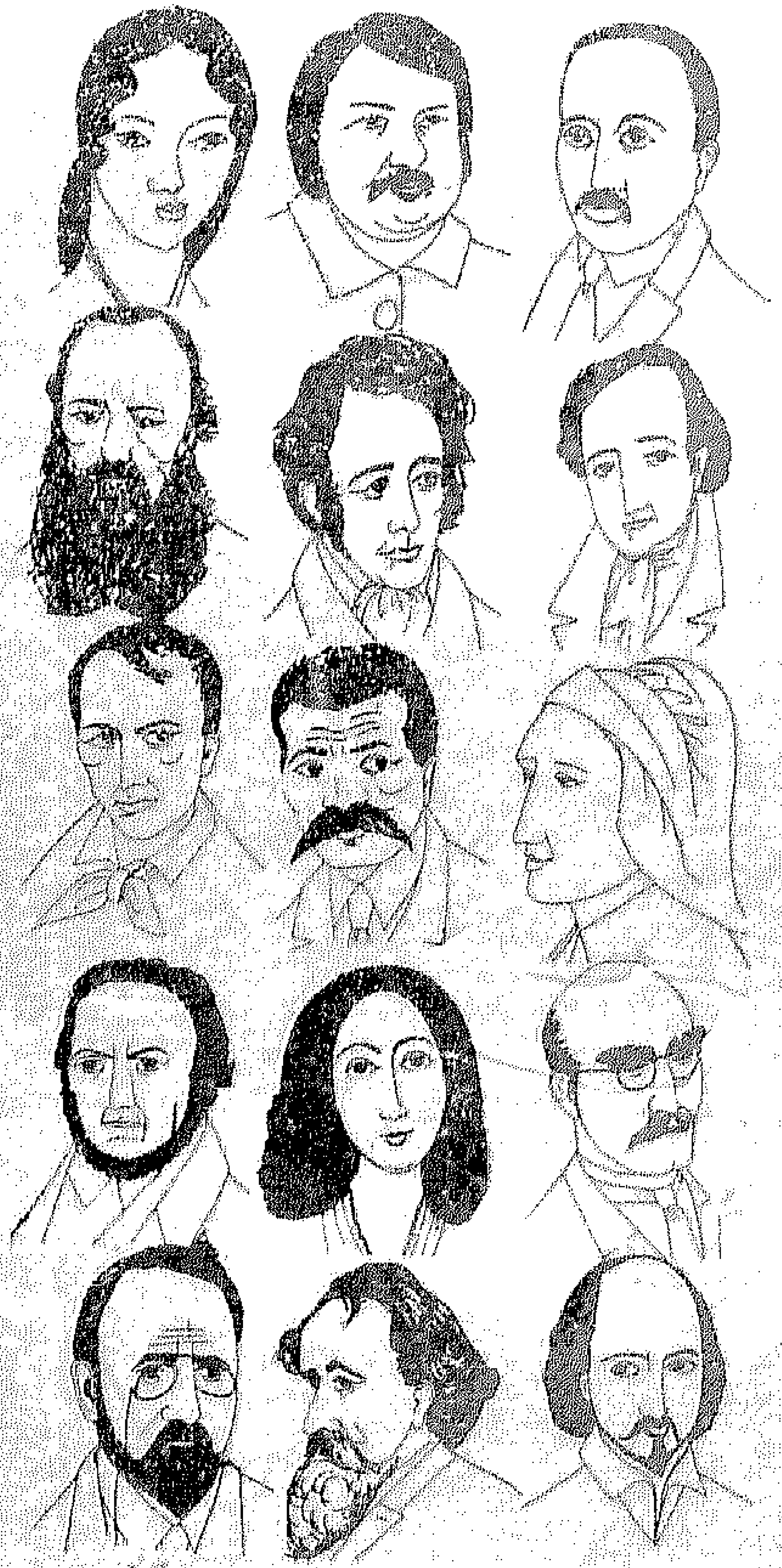
حطام قلب (قصص موضوعة) ■ قصص مختارة من الادب السكنديناڤي
الوانٌ من الحب ■ الصبية العاشقة
نزل الزواج ■ الفيل الابيض المسروق

غراميات تاريخية

الحياة الحب ...
... والحب الحياة

قصص الاوبرات العالمية

١٢ اوبرا عالية
دون جوان (مجموعة اوبرات عالية)



مع الخالدين

«حياة العظماء تذكرنا بأن في
وسعنا أن نسمو بحياتنا ..
وأننا عندما نغادر هذه الدنيا نترك
وراءنا آثار خطانا على رمال الزمن !»

(من قصيدة «مزمور حياة»
للشاعر الأميركي لونغفيلو)

مكتبة مدبولي
القاهرة